بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

قسم التربية الإسلامية والمقارنة
نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم :عبد الله بن حلفان بن عبد الله آل عايش الكلية : التربية بمكة المكرمة القسم : التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراة التخصص : التربية الإسلامية والمقارنة

عنوان الأطروحة : التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه وبعد ...

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ (١٤٢٥/٤/٢٤هـ) بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ..

والله ولموفق ،،،

أعضاء اللجنة

مناقش من خارج القسم	مناقش من داخل القسم	المشرف
الاسم : د. محمد بن سعيد الغامدي	الاسم : د. صالح بن سليمان العمرو	الاسم : أ.د. محمود محمد عبد الله الكسناوي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

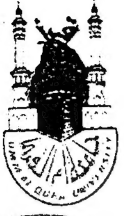
يعتمد

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د/ نايف بن همام الشريف

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليـــــم العالـــي
جامعة أم القرى - كلية التربية
قســـــــم التربية الإسلامية والمقارنة







التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية

إعداد الطالب /
عبد الله بن حلفان بن عبد الله آل عايش

تحت إشراف
الدكتور / محمود بن محمد كسناوي

(بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في أصول التربية الاسلامية)

الفصل الدراسي الثاني
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم
مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ
شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ
أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾

(الحجرات ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

((ملخص الدراسة))

العنـــــــوان : التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية

أهـداف الدراسـة : تأصيل علم اجتماع التربية و توجيهه إسلاميا، و التعرّف على علم اجتماع التربية ومنهجه ومصـادره ومحـتواه ، والذي يقدم في جامعاتنا و تنقية هذا العلم من الأخطاء العقائدية والفكرية والتي تقدم في الجامعات الإسـلامية تحـت غطاء العلم والموضوعية و محاولة ربط هذه العلوم بواقع الأمة الإسلامية ، و استقلالية توجيه أبناء الأمة الوجهة الصحيحة و التعرّف على مدى الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية .

موضوع الدراسة : توجيه علم اجتماع التربية توجيها متكاملا لكل من الأهداف والمحتوى و خطوات البحث ليتناسب والبيئة الإسلامية .

منـهج الدراسـة : اسـتخدم الباحث المنهج الوصفي عند جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع الدراسـة، مـن أجل إيضاح مفهوم علم اجتماع التربية ونشأة وأهميته في العملية التربوية وكذلك بيان الاتجاهات المعاصرة للتألـيف في هـذا العلم كما يستخدم المنهج الاستنباطي لاستنباط أهداف و معايير و أبعاد التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية .

فصول الدراسة : شملت الدراسة الفصول التالية :

الفصل الأول : الفصل التمهيدي (خطة الدراسة) .

الفصل الثاني : علم الاجتماع الحديث .

الفصل الثالث : علم اجتماع التربية .

الفصل الرابع : التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية .

الفصل الخامس : مواضيع علم اجتماع التربية الإسلامي .

أهم ما ورد في الدراسة :

- التعـرف علـى نشأت علم الاجتماع العام و كذلك مراحل تطور علم اجتماع التربية واهم مواضيعه وأهدافه والتعرف على البيئة والفكر الذي نشأ فيها هذا العلم وتأثره بذلك .
- بيان أهمية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية و اثر ذلك في نهوض الأمة الاسلامية .
- بيان مراحل تطور مفهوم التوجيه الإسلامي ثم الخطوات العملية لتوجيه علم اجتماع التربية .
- عرض نماذج لتوجيه مواضيع علم اجتماع التربية وفقا للمنهجية التوجيه الإسلامي .

أهم النتائـــــج:

١- إن خصوصية الأمة الإسلامية وريادتها و تميزها يفرض عليها أن يكون لها في مناهجها التربوية .

٢- إن مناهج العلوم الاجتماعية و التربوية مازالت في حاجة كبيرة لتنقيتها مما تحتوى من أفكار و عقائد لا تمت للمنهج العلمي أو الحق بأي صلة .

٣- إن كـثيراً مـن المواضـيع والقضايا التي تحتويها كتب ومناهج علم اجتماع التربية لا تتناسب والواقع الإسلامي والاجتماعي للطالب .

٤- إن علـم اجتماع التربية من العلوم الحديثة التي تعالج كثيراً من قضايا التربية والمجتمع ، و نحن في أمس الحاجة إلى الاستفادة منه في دراسة واقعنا الحالي، وذلك وفق منهجية و معيارية تتلاءم وواقعنا وخصوصيتنا وقضايانا الخاصة بنا

أهم التوصيات :

١- وجـب حفـز الأمة على الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل صور الحياة ،وأنهما المصدران الأساسيان لدراسة كل العلوم وعلم اجتماع التربية خاصة .

٢- ضرورة إعادة صياغة علم اجتماع التربية في ضوء التوجيه الإسلامي لكل مجالات هذا العلم و قضاياه المتعلقة بحقيقة الإنسان و المجتمع .

٣- عدم تدريس كتب علم اجتماع التربية التي كتبت وفق منهجية غربية ، أو اعتمدت على الترجمة و الاقتباس منهم دون أن يكون للمؤلفين أي توجيه أو تقويم .

٤- إقامة المعاهد و المراكز الإسلامية التي تقوم بتوجيه العلوم الاجتماعية والتربوية توجيها إسلاميا

Abstract

In the name of Allah, the most Merciful, the most Gracious

***Islamic Guidance for the* Sociology of Education**

Subject of the Study

Direct of Sociology of Education Towards Complete Objectives, Content and Steps of Research Which Suite the Islamic Environment

Aims of the study

-To establish the origin of **Sociology of Education** and directing it towards Islamic education.

-To define **Sociology of Education**; its methodology ,sources and content which is presented in our universities.

- To dispatch the false beliefs and ideations which are presented in the Islamic universities under the cover of science and objectivity.

- The study tries to connect these sciences to Islamic nation.

- The independence of directing the youth of this nation to the right way and identification of the need of the Islamic way of the science of educational sociology.

Methodology

The researcher employs the descriptive method when collecting data from related references in order to explain the meaning of **Sociology of Education**, its origins and its importance to education. And to explain modern approaches of authorship in this science.

Another method the researcher employs is the derivative method in order to present the objectives, its measurement and dimension of Islamic direction in **Sociology of Education**

Chapterization

The study included the following chapters:

Chapter I:

Introductory Chapter (plan of the study)

Chapter II:

Modern Sociology

Chapter III:

Sociology of Education

Chapter IV:

Directing educational sociology towards Islamic education

Chapter V:

Subjects of Islamic **Sociology of Education**

Summery of Important Sides of the Study

- Definition of the origin of general sociology and phases of its development, its most important subjects and objectives. Moreover, the study defines the ideation and environment in which this science was first known and the influence of this ideation and environment to this science.
- Showing the importance of directing this science to Islamic education, and the practical steps to direct **Sociology of Education** to Islamic educational sociology.
- Presenting samples to direct this science according to Islamic methodology.

Findings of the Study

1. The confidentiality of the Islamic nation and its leadership makes it important to have a unique method for the Islamic **Sociology of Education**
2. The need to refine **Sociology of Education** for our curriculum of sciences of sociology from beliefs and ideas that do not relate to truth or scientific methodology.
3. Most of the subjects and issues which are found in the books and curriculums of **Sociology of Education** are not suitable for the students' Islamic and social reality.
4. Educational sociology is a modern science which handle many issues of education and society, and we are in need to benefit from it to study our recent

reality according to methods and measures which suite our reality, privacy and our own problems or issues.

Recommendations

The importance to motivate the Islamic nation to benefit from the Holy Quran and the Prophet Mohammad (peace be upon him) in all our life, and treat them as the most important sources for all sciences especially **Sociology of Education**

2. The importance of reshaping and reforming **Sociology of Education** in the light of Islam in all the fields of this science and the issues which are related to the reality of human beings and their society.

3. Avoid teaching the books of **Sociology of Education** which are written according to a western way, or the ones which rely on translation or derivation from the western society without evaluation of the author.

4. Establishing Islamic institutes and centers which direct **Sociology of Education** towards the Islamic direction.

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) رواه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من لا يشكر الناس لم يشكر الله)) [1] .

وامتثالا لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنني أتوجه بالشكور و عظيم الامتنان إلى جامعة أم القرى التي أتاحت لي فرصة مواصلة دراستي في رحابها الطاهرة ، ممثلة في معالي مديرها الأستاذ الدكتور / ناصر بن عبد الله بن عثمان الصالح ، وعميد كلية التربية الدكتور / زهير بن احمد بن علي الكاظمي ، وعميدها السابق الأستاذ الدكتور / محمود بن احمد الكسناوي ، وسعادة وكيل عميد الكلية الدكتور / فوزي بنجر ، وعميد الدراسات العليا الدكتور / ثامر بن حمدان الحربي ، ولكل من يقدم العون والمساعدة لطلاب العلم بهذه الجامعة المباركة.

ولا يفوتني أن أوجه الشكر وجميل العرفان إلى سعادة رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية جامعة أم القرى الدكتور / نايف بن همام الشريف ، لما قدمه من عون ورعاية وحسن توجيه .

كما أتوجه بالشكر كل الشكر ، والعرفان بالجميل ، إلى المربي الفاضل ، سعادة الأستاذ الدكتور/ محمود بن احمد الكسناوي ، المشرف على هذه الرسالة ، لما بذل من رعاية وتوجيه طيلة مدة الإشراف ، وإنني اعجز على أن أفي له بحقه ولكنني ابتهل إلى الله داعيا له بالتوفيق والسعادة .

كما أتوجه بالشكور الجزيل للأستاذين الفاضلين مناقشي هذه الدراسة ، الدكتور / محمد بن سعيد الغامدي ، الأستاذ المشارك بقسم علم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز ، وسعادة الدكتور / صالح العمرو الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى.

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان لزوجتي الكريمة أم محمد ، التي كانت الساعد الأيمن لي أثناء عملي في هذه المرحلة ، حيث وقفت نفسها لرعاية والدتي أثناء مرضها ، وقفت إلى جانبي وبذلت كل جهدها وكثير من حقوقها لتوفر لي سبيل الراحة.

كما اشكر أخي وشقيقي الأستاذ / سعد بن حلفان آل عايش على ما بذل من جهد وتشجيع لي ، وكذلك قيامه بالرعاية للوالدة أثناء مرضها وإصراره على أن أتفرغ لهذه الدراسة فسأل الله أن يبارك له في ذريته وان يجزيه عني خير الجزاء .

ولا يفوتني أن أتقدم إلى زملائي في هذه المرحلة وهم الأساتذة عبد الله البيشي ، وصالح الزهراني ، وعمر الراشدي ،بالشكر والعرفان لما بذلوا لي من المشورة والمساعدة و توفير المراجع لهذه الدراسة .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدني بكتاب أو مشورة أو توجيه ، فلهم مني جميعا الدعاء بالتوفيق والسداد ، وسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه صالح الدين والدنيا .

---

[1]- ناصر الدين الألباني – صحيح سنن الترمذي ج٢ ص١٨٥

الإهداء

إلى والدتي الغالية تقبلها الله تعالى في أعداد الصالحين، ...

والتي كانت بابا من الدعاء مفتوحا لي إلى السماء، ...

وكانت كنفا أوي إليه إذا أعيتني الحياة، ...

وكانت أنيسا لي إذا طال ليل الدراسة والبحث، ...

لم يمنعها شديد الألم عن تشجيعي والدعاء لي والسؤال عن الدراسة، ...

كانت تعيش معي هذا الأمل، وكنا نسابق سويا الوقت لنفرح به، ...

ولكن قدر الله كان اسبق، .....

فسأل الله تعالى ان تجعل هذا العمل في ميزان حسناتها، فإنني ثمرة من ثمرات زرعها المبارك، ...

واسأله تعالى ان يسكنها فسيح جناته فانه جواد كريم.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الاول

المدخل إلى الدراســـــة

مقدمة

- اولا: موضوع الدراسة
- ثانيا : اسئلة الدراسة
- ثالثا : اهمية الدراسة
- رابعا : اهداف الدراسة
- خامسا : حدود الدراسة
- سادسا : منهج الدراسة
- سابعا : مصطلحات الدراسة
- ثامنا : ادبيات الدراسة

مُقَدِّمَة :

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التتريل ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:١٣)

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله الكرام و أصحابه أولى الفضل والإقدام وعلى من سار على هديه إلى يوم القيامة وبعد .

فإن الله تعالى قد فطر الإنسان على حب الاجتماع ، وتكوين الجماعات ، وحب المخالطة وذلك من أجل استمرار الجنس البشري وتبادل العلاقات والمصالح التي بها بقاؤه وصلاحه .

ولقـــد جـــاء الإسلام بنظامٍ اجتماعيٍ متكاملٍ ، يقوم على التكامل والشمول ، محروس بتشريعات اجتماعـــية، غايتها إعطاء كل عضو في هذا المجتمع حقه ، وصون كرامته سواء كان هذا العضو فرداً أو أسرةً أو شعباً .

إن المســـلم الحصيف يعلم ما خص الله به هذه الأمة من المزايا والصفاتِ والمقومات التي تجعلها باقيةً وظاهـــرة إلى أن يـــرث الله الأرضَ ومـــن عليها ، لا يضرها كيد الكائدين ولا عداوةُ الكافرين ولا مكر المنافقين ، فهي آخر الأمم و أكرمها و أشرفها ، ولها البقاء إلى قيام الساعة .

وعلـــى ضـــوء ذلـــك فـــإن في شريعتنا السمحة منهج الحياة الكامل ، المنهج الذي يُصلح الأفرادَ والجماعاتِ والشعوبِ ، وما على أبناء الأمة إلا النظر في نصوصه واستنباط قوانينه و أحكامه ، والنظر إلى الوجود كله غيبه وشهادته بمنظار الوحي الرباني ليروا الحقيقة في أنصع صورها.

إنه من المؤكد أن الإسلام دين تربية متكاملة وشاملة ، ولديه القدرة على حل مشاكل الفرد المسلم في أي زمان أو مكان ، وفي التربية الإسلامية صلاح المجتمع ومؤسساته ونظمه

ومـــن المـــؤكد أن هـــذه التـــربية الإسلامية قادرة بأفرادها ومجتمعاها على تقديم كل صور الخدمة الاجتماعـــية للإنســـان ماديـــة كانت أم معنوية ، وعلى تحقيق الخير له والرفاهية بما يحقق العدل لأفرادها ومجتمعها.

إن الشـــريعة الإســـلامية لم تكـــل – تنظـــيم المجتمع وعلاقاته – إلى سلطة قانونية ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، بل إن هذه القيم والقوانين التي تحكم وتنظم هذه العلاقة هي تشريعات ربانية مصدرها الخالق سبحانه وتعالى ، العالم بما يصلح الإنسان في سره وعلانيته ومحياه ومماته .

ولقد عانت الأمة الإسلامية كثيراً من الأزمات خلال القرون الأخيرة كان أعظمها سيطرة الاستعمار الغربي عليها ، وفرض حضارته على الأمة بقوة السلاح، وقد تبنت كثير من شعوب الأرض – مكرهة أو مختارة – بتعديلات طفيفة تبني ((النموذج الغربي)) .

ولقد كان للحضارة الغربية خصائصها التي اتسمت بها وذلك منذ أن اخذ الصراع الفكري بين الكنيسة وبين العلماء من اجل إخراج العلم من سيطرة الكنيسة التي أصبحت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة و تحتكر وحدها حق التفكير وبيان الصحيح من السقيم من خلال منهجية خرافية قائمة على الأساطير و الخرافات بدعو أنها وحدها التي تمتلك الحقيقة ، ومن هنا بدأت حركة التنوير والخروج عن سيطرة الكنيسة ، وما أن دخل القرن الثامن عشر الميلادي ((حتى كان الفكر الغربي قد قطع اعظم الأشواط في التحرر من الفكر الديني ، حتى أطلق على هذا القرن عصر التنوير ٠٠٠وكان أهم ما تميز به عصر التنوير هي إيمان بقدرة العقل على فهم الكون واستيعابه وإخضاعه لحاجات الناس))([1])

وهكذا بدأت ملامح الفصل بين الدين والعلم (العلمانية) وتقديس العقل تظهر إلى الوجود وتسيطر على المنهج الغربي وخاصة بعد قيام الثورة الفرنسية وانعتاقها من هيمنة الكنيسة ورجالها و تحرير الفكر العلمي من سيطرة التفكير اللاهوتي وقد خلفت هذه الثورة كثيرا من المشاكل العميقة داخل المجتمع الفرنسي وذلك على كل المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وامام هذه التحديات اتجه المفكرون إلى أقامت نظم جديدة ((المنهج الوضعي)) تقوم عليها ركائز المجتمع في صورته الحضارية الجدي

ولقد كان لنجاح المنهج الوضعي على مستوى العلوم الطبيعية وخاصة في مجال الفيزياء على أيدي ثلة من العلماء و تحقيقه كثيرا من النجاحات اخذ يمتد ليشمل كثيرا من العلوم والمعارف وخاصة العلوم الاجتماعية التي نهضت على يد (سان سيمون–١٧٦٠–١٨٢٥) واخذ يطبق المنهجية الوضعية على المعارف الاجتماعية والإنسانية ، ثم تبعه على ذلك تلميذه (أوجست كونت –١٧٩٨–١٨٥٧) الذي وسع دائرة الموضوعية ((وجعل منها نظرية متكاملة ذات بعد فلسفي تستوعب كل التراث الإنساني في ماضيه و حاضره ، وجعل منها منطلقا في التحليل يمتد إلى كل أطراف العلوم الطبيعية منها والاجتماعية والإنسانية ٠))([2])

---

[1]– محمد أمزيان ، منهج البحث الاجتماعي– المعهد العالمي للفكر الإسلامي – أمريكا–ط١– ١٤١٢هـ ص٣٩

[2]– محمد أمزيان ، المرجع السابق ،ص٤٣

ولقد استطاع أوجست كونت أن يحرر الفكر الاجتماعي من التفكير الديني المحرف الذي سيطر على المجـتمعات في العصور الوسطى ما قبل الثورة العلمية ، إما وقد تحرر العقل من حالة الفوضى العلمية فإنه يجب إخضاع المجتمع للمنهج الوضعي .

ولقـد كـان من نتائج هذه المرحلة إخضاع المجتمع والقضايا الاجتماعية للحس سواء كانت هذه القضايا تفكيرا دينيا أو غيبيا أو عقليا وإخضاع كل ذلك للواقع ، ولقد عبر أميل دوركهايم عن ذلك بقوله : ((إن العالم لا يستطيع أن ينهج منهجا أخر غير اعتبار الإحساس نقطة بدء لدراسته ٠٠٠ولن يستطيع أن يتحرر من الأفكار الشائعة ومن الألفاظ التي تعتبر هذه المعاني إلا إذا جعل الإحساس هو المادة الأولية التي لا بد منها في نشأة كل معنى كلي)) ([1])

ولقد كان نتيجة لذلك إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب واختزال الحقيقة الاجتماعية في جوانبها المادية الواقعية ، وتجاهل الجوانب الغيبة وتحييد الدين وتعميق النظرة الإلحادية ، ونتج عن لذلك أن سادت المنهجية الوضعية مفاهيمها ونظرياتها المختلفة في كل المعارف ، و أزاحت بالقوة كل ما يعترض وجودها أو يقـف سداً أمامها ، ((و همشت على سائر الرؤى الأخرى ، وهمشتها أو أذابتها ، أو أخرجتها من حلبة المنافسة ، فصار العلم ما يراه ذلك النموذج الأوربي علماً ، والمنهج ما يراه ذلك النموذج منهجاً ، أما ما خرج عن ذلك فيمكن أن ينبذ بأي شيء ، فيمكن أن يعتبر خرافة أو شيئاً ناقصاً .)) [٢]

ولقد تعرّضت العلوم وتاريخها إلى عملية تزييف وتحريف ؛ لتتوافق وأهداف الحضارة الغربية وعنصرية الجـنس الأوربي ونسـبة الإبـداع لـه وحده حاضرا وتاريخاً ، ومن العلوم التي أصيبت بهذه اللوثة علم الاجتماع، والتي حاول علماء الاجتماع الغربيين أن يضفوا على مناهجهم وأبحاثهم الصبغة الموضوعية التي يزعمون ؛ ليتسنى لهم تعميم نتائجها وتوجيهاتها على المعارف الأخرى وأن يقصون المعارف والحقائق التي لا تتوافق مع أهدافها ونتائجها .

وهـناك بعـض مصطلحات التي استخدمت في المنهجية الغربية الهدف منها فرض الهيمنة الفكرية والثقافـية للحضـارة الأوروبية ولطمس الإنتاج الفكري والحضاري للآخرين ، من أجل أن تتفرد النظرة الغـربية وتصبح مطلقة وغير قابلة للنقاش .ون هذه المصطلحات مصطلح الموضوعية – الذي دندن حوله

---

1 - الإنساني دوركهايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ترجمة محمود قاسم ، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثانية ١٩٥٠م ، ص٨٧

2- عبد الوهاب المسيري – إشكالية التحيز – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فرجينا –١٩٩٨م،ص١٠

الغـرب – وهـذا المصطلح الشـفاف ابـتدعه الغرب من أجل منح نتائجهم الفكرية سمت العلمية ، ((الموضوعية)) تعني في عرّفهم:

((إن البشـر يسـتطيعون أن يقدمـوا تلك الحقائق الواقعية العلمية كما هي دون التأثر بأهوائهم وميولهم ومصالحهم ، فلا يصيبها شيء يمكن أن يؤدي إلى مغايرة الواقع العلمي نتيجة نظـرة ضيقة، أو تحيز أيدلوجي أو غيره .. وتفترض الموضوعية بأن هناك منهجا علميا واحداً يمكـن أن يوصـل إلى الحقائق الموضوعية ؛ إذا قام العلماء والباحثون بدراسة الظواهر الطبيعية المخـتلفة ، وكذلك الإنسانية والاجتماعية وفقا له . وهذا المنهج يمكن العالم من تصوير الحقائق الموضوعية تصويراً دقيقا صحيحا وبالشكل الذي تقتضيه تلك الحقائق ، كذلك تفسيرها ، وكل ذلـك يمكـن للمـنهج العلمي أن يفعله ، بقطع النظر عن هوية العالم ومعتقداته ورؤيته الكلية ومصالحه و أهوائه .)) [1]

ولقـد انخدع بهذه الفكرة كثير من جماهير الباحثين والمثقفين والمتعلمين ، وأصبح لديهم يقينٌ بعلمية العلوم الغربية ، الطبيعية ، والاجتماعية ، والإنسانية ، وأنها جميعا موضوعية ، وصلت إلى درجة من اليقين جعلت الكثير منهم يسلمون بها ويمررونها بدون نقد أو نقاش .

((إن مـناهج العلوم الإنسانية في صورتها الحالية ، هي بحق إنتاج غربي مرتبط ، إذ الارتباط بالتاريخ الـثقافي للغـرب يعـبر عن خصوصياته ومشكلاته الفكرية ، وقد كان تسرب هذه المناهج إلى جامعات ومراكـز البحث العلمي في العالم الإسلامي أمراً تفرضه الحاجة نتيجة الفراغ العلمي مع شدة الحاجة إلى التجديد)) [2].

وما إن بدأت مدارس النقد الغربية تبين وتكشف خطأ الكثير من تلك المسلمات ، سواء على مستوى العلـوم الطبيعية أو الإنسانية ، وظهرت حقيقة تحيز هذه المناهج إلى الفكر الأوربي، وظهرت فيها حقيقة أهداف الباحثين أو الدول أو التيارات الفكرية التي تحرك الباحث وأصبحت مكشوفة أمام المفكرين الغربيين أنفسهم.

1- عبد الوهاب المسيري المرجع السابق – ص١٢

2 - محمد أمزيان، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية –مجلة البيان – المنتدى الإسلامي بلندن – ع٧٥ -١٤١٤هـ – ص٢٠٣

ولقد أصبح من الواضح أن أوربا بدوائرها العلمية أعادت صياغة التاريخ ليوافق رؤيتها ، ولهذا نراها تبنت تاريخ العلم ونظرياته وفلسفاته وتصنيفه ، وبنت مناهجه وفق منظورها الفكري، وربطت ذلك بالمجال التراثي لدى الإغريق والرومان ، وانتقت من التراث الإسلامي ما راق لها ، ونسبته إلى أبنائها أو إعادته إلى جذورها الإغريقية والرومانية ، وحصرت دور المسلمينَ – فقط –في حفظ التراث اليوناني ، وترجمته – فقط– بدون أن يتدخل المسلمون فيه بالنقد والتوجيه كما بين ذلك بعض المنصفين من نقادهم.

يقول إسماعيل الفاروقي رحمه الله: ((إن علماء الاجتماع يعلنون في جرأة إن بحوثهم موضوعية ولكننا نعلم أنهم متحاملون ، وأن نتائجهم محدودة الفحوى ، فلم يكن كتاب (ديلثي، علم اجتماع المعرّفة) موجوداً بعد ليعلمهم أن موضوعيتهم المدعاة كانت حلما ، وكان علم الإنسان أجرأ العلوم جميعا لأن موضوعاته – المجتمعات (البدائية) في غير العالم الغربي – كانت مادة صامتة لا تستطيع أن ترفع إصبع النقد في وجوه أصحابها .)) (١)

ويقول عبد الوهاب المسيري: ((لقد بدأت الأسطورة تهتز قليلا ، كما اهتزت الثقة ((بالموضوعية)) التي بقيت فترة طويلة ، باعتبارها الأساس الذي تتحلى الحقائق الاجتماعية والإنسانية به ، لقد استخدمت الموضوعية – كعقيدة دينية لاهوتية – بديلة لصكوك الغفران ، وفي نفس الوقت لها قرارات الحرمان التي تدمغ بها من لا يلتزم بها ولا يسلك طريقها .. ولا تزال الموضوعية لدى الآلاف من المتعلمين المسلمين فكرة علمية تسول لهم إن الحقيقة في الكون يمكن الإمساك بها ، والتعبير عنها بصورة كاملة من قبل الباحث الموضوعي .. والتي تفترض أن الباحث شخص محايد بلا هوية ولا ثقافة ، ولا عقيدة ولا أفكار مسبقة .. ولقد تم توظيف هذه الفكرة توظيفا سياسيا واستعماريا وأيديولوجيا في غالب الأحيان ، إن لم يكن في جميعها ؛ حيث خضع البحث العلمي لسيطرة الأقوياء سياسيا وماليا وأيديولوجيا ، وفي نفس الوقت قدمه على الحقيقة الموضوعية) (٢)

ولهذا نرى جميع مناهج علم الاجتماع التربوي في جامعاتنا تخضع لتدريس هذه النظرة الغربية، سواء في المحتوى أو في فكر المدرسين له ، الذين تعلموا على مناهج غربية ، فنراهم يقدمون النظريات الغربية في علم الاجتماع بأنها قوانين محكمة، وأبحاث موضوعية ، ونتائج عمومية ، وأنها حيادية ، وهدفها العلم للعلم فقط، ومثل هذه الدعوى باطلة في الغرب نفسه ، فما بالك بالأمم والحضارات المناقضة للفكر الغربي .

---

1 – إسماعيل الفاروقي، العلوم الطبيعية والاجتماعية – شركة عكاظ للنشر – جدة ص ٢٧-٢٨ ٩

2 – عبد الوهاب المسيري ، إشكالية التحيز ، مرجع سابق ، ص١٤

ولــو ألقينا نظرة على بعض الباحثين في العالم الإسلامي في علم الاجتماع لوجدناهم يرددون هذه الدعوى بدون دليل إلا تقليدا للغرب في منهجه العنصر وهذا ما بسطنا القول فيه في الفصل الثاني والثالث .

تقول حكمت العرابي – بقسم الدراسات الاجتماعية بكلية الآداب ، بجامعة الملك سعود في كتابها (النظــريات المعاصرة في علم الاجتماع) – عن النظرية في علم الاجتماع ((بهذا المعنى مجموعة من القواعد والاتجاهات النظرية والمنهجية التي يدعو إليها دوركهايم في كتابه ((قواعد المنهج في علم الاجتماع)) مثال ذلــك قــولها: ينبغــي دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجية تقدم نفسها للمشاهدة، ليتيسر للــباحث أن يدرســها في صورة موضوعية ، وتحرره من أهوائه الذاتية ، ثم تعلق على ذلك فتقول : لكي يكــون لهذه النظرية أتباع يسيرون عليها ، فهذه قواعدها النظرية والمنهجية وتتحول إلى مدرسة فكرية من المدارس التي يألفها علم الاجتماع في نطاقه .)) [1]

انظر إلى أي مدى أصبح النموذج الغربي هو المقياس الذي تقبل بموجبه المعرّفة الإنسانية فإذا لم تكن علــى شرعة (دوركهايم) ومناهجه فلن يكون لها أي أتلاف مع مدارس علم الاجتماع، وقس على هذا التصور لدى الباحثين المسلمين في مجالات المعرّفة الأخرى ، إذ أن المنهجية الغربية هي الميزان الذي توزن به المعارف فما قبله المنهج الغربي فهو إذا مقبول علميا وما رفضه فليس له شرف العلمية .

لقــد عمــل علماء الاجتماع والمهتمون منهم بعلم اجتماع التربية على تأكيد سيادة وتفوق النمط الغــربي على المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي ، على مستوى السلوك والأخلاق والقيم والنظم ... ومــن العــبث أن نقول إن محاولاتهم هذه كانت محاولات علمية ومحايدة ، وتستبعد الأحكام المعيارية ، وتتجرد عن المقاييس الأخلاقية . [2]

هــناك حقــيقة تعمم على كل معرّفة أو علم ، وهي تعتمد في آرائها النظرية والمنهجية على الإطار الفكري المحيط بها منذ ولادتها وخلال تطورها، وقد تخضع هذه النظريات إلى مناهج فكرية مختلفة ، ولكنها في مضمونها مناهج بشرية قابلة للأخذ والرد فلا يمكن أن تعتبر آراؤها ونتائجها مطلقة القبول .

ومــن هنا فإن علم الاجتماع يخضع لمصادر فكرية وفلسفية وتاريخية تؤثر فيه وفي أبحاثه وتوجهاته، ومن المصادر الفلسفية والتاريخية – التي استمدت النظرية في علم الاجتماع منها أسسها المنطقية والمنهجية –

---

1 –حكمت العرابي ، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع – مكتبة الخريجي –ط الأولى ١٤١١هـ ص٨

2 – محمــد أمزيان، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية ،المعهد العالم للفكر الإسلامي –سلسلة المنهجية الإسلامية (١٢) – القاهرة ١٤١٧هـ – ص٨٤

الفلسفة اليونانية ((وكانت النقطة المهمة بالنسبة لتأثير الفلسفة اليونانية على النظرية في علم الاجتماع، أن قواعد المنطق الارسطي أصبحت هي الركيزة لهذه النظريات)) .[١]

وقــد وضــع (فرد ريش) تصنيفاً للنظريات حسب الفلسفة التي تنطلق منها ، وحصرها في ست فئات هي:

((نظــرية الاتســاق ، ونظــرية الصراع ، والنظرية الماركسية ، والنظرية الجدلية ، ونظرية العقل الاجتماعي ، ونظرية التبادل)).[٢]

ويمكــن أن نصل إلى حقيقة أن جل مواضيع علم الاجتماع و علم اجتماع التربية الذي هو فرع منه تقــوم على الإلحاد الصريح ، والجهل الشنيع بالإنسان وأصله ، ومن العجيب أن تسمى تلك الأبحاث في اصــل الإنســان وتكون الجماعات البشرية الأولى بأبحاث علمية ، بل هي قائمة على الأساطير والأوهام وسفسطة وإلحاد، ومن العجب أن ترى بعض أبناء المسلمين يتقمصون تلك النظريات ، ويروجون لها باسم العلم ، ولا يقبلون النقاش حولها وعندهم من دينهم غنية عن ذلك .

ولقــد تجاهــل العلماء الغربيون الدين الإسلامي عند دراستهم للمجتمعات الإسلامية ، بل إن علم الاجــتماع الحــديث فسر الدين على أساس تجارب الكنيسة المسيحية، يقول عالم الاجتماع ((تيرنر)): ((إن النظــرة في أي متون الدراسات الاجتماعية لديانة بعينها قد نشر في السنين الخمسين الأخيرة سيبدي لنا حقيقة محزنة تعاودنا بين حين و آخر هي : أن علماء الاجتماع أما يكونوا غير مهتمين بالإسلام وأما أن لا يكون لديهم ما يضيفونه إلى الدراسات الإسلامية .. ومعظم علماء الاجتماع الأكاديميين المعنيين بتعليم علم الاجتماع الديني في الجامعات ينأون – أما بوعي ، أو بدون وعي – عن تحليل الحقائق الإسلامية)) [٣]

ومن المخيب للأمل أن هذه السمة انطبقت على الباحثين الاجتماعيين المسلمين ، فهذه بحوثهم تردد مقــولاتِ الغرب عن الدين ، وأصل الإنسان ، وتكوّن الأسرة ، وغيرها من القضايا الاجتماعية المناقضة لنظرة الإسلام .

> يقــول بايــونس: ((مهمــا كانت المثالب الأخرى من وجهة النظر الإسلامية في علم الاجــتماع الحــديث فإن أوضح عيب فيه إنما هو تناولهم للدين بصفة عامة، فأصحاب النظــريات البنــيوية والوظيفية و الصراعية يرون بصراحة كبيرة – كما يرى التكافليون

---

1 –حكمت العرابي – النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص٤٩

2 –حكمت العرابي – النظريات المعاصرة لعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص٥٦

3 – بايونس، و أخر، مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي – عكاظ للصحافة والنشر – د.ت ص٢٧

ضـمنا ، وربما بشيء من اللبس – أن الدين هو أحد الأمور التي يؤديها الناس في المجتمع ولقـد تـناول البنيويون الوظيفيون الدين باعتباره أحد النظم العديدة في المجتمع .. إن دوركهايم وهو في مقدمة منظمي الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع والانثروبولوجيا يهبط بالدين إلى مستوى الجمود الطوتمي تقريبا ، والمنظرون الصراعيون من جهة أخرى يختلفون عـن نظرائهم من البنيويين الوظيفي من حيث نظرتهم إلى الدين باعتباره شراً بالضرورة أو كما يقول كارل ماركس: (أفيون الشعوب) ...)) [1]

إن نظـريات علم الاجتماع والتي تطبق من خلال علم اجتماع التربية وفي دراستها لأصل الإنسان ، اعتمدت التزييف الحقيقي لتاريخ الإنسان واصله ، وهذا ما فعلته:

((فقـد تواطأت منذ القدم على تزييف التاريخ الإنساني ، بتأثير نزعة عرقية عنصرية طاغـية حكمت العقل والسلوك الأوربي منذ عصر الإغريق واستمرت إلى يومنا هذا وقد أضيف إلى العرقية الأوربية عامل أخر لا يقل خطرا عن ذلك ، فقد ساعد على إتمام عملية التزييف بصورة بشعة وهذا العامل الإضافي هو فلسفة التطور الإلحادية التي هدمت التاريخ الإنسـاني المعـروف ، ووضعت مكانه تاريخا مزيفا على أسس مقولة التصور الإلحادي للطبيعة الذي هدفها وضع تاريخ أوربا على قمة العالم .

وهذا التزييف للتاريخ الإنساني لا يتمثل فقط في إهدار التاريخ الإنساني في خارج أوربا وإنكار الأصل الحقيقي للإنسان ، و إنما يتمثل في موقف أخلاقي شديد الشناعة ، يتمثل في سرقة هذا التاريخ ونسبة ما فيه من منجزات إلى الأوربيين .)) [2]

أما موقف بعض علماء الاجتماع المسلمين من الدين فهو موقف سلبي، يقول محمد أمزيان: ((وهنا يصـل التجاهل الذاتي قمته ، حينما يولي علماء الاجتماع في بلادنا ظهورهم لحقائق التاريخ ، ويضربون بعـرض الحـائط التوجيهات الدينية المقدسة التي يحتاج الحديث عنها إلى درجة عالية من الضبط المنهجي والدقة العلمية)) [3]

حتى إن المؤلفات التي ادعى أصحابها المنهجية الإسلامية لم تسلم من الخلل ، فالدراسة الوجيزة التي قام بها زيدان عبد الباقي والتي ضمنها كتابه: ((علم الاجتماع الإسلامي)) ((فمن المؤسف أن الكاتب يطرح

1 – بايونس، و أخر، المرجع السابق – ص٢٧-٢٨

2 – محمد رشاد خليل – علم النفس الإسلامي –دار القلم – الكويت ١٤٠٤هـ– ص٤٠

3 – محمد أمزيان – منهج البحث الاجتماعي– المعهد العالمي للفكر الإسلامي – أمريكا–ط١– ١٤١٢هـ ص ١٩٢

أفكاره حول الموضوع في معرض تأصيله لنظرية علم الاجتماع الإسلامي مع العلم أن الكتاب ترجمة حرفية للمقولات الوضعية التي أسسها دوركهايم .)) [١]

ونجد عبد الباقي في كتابه هذا يعتبر الدين ظاهرة اجتماعية حيث يقول : ((إن الدين الإسلامي ظاهرة اجتماعية سليمة تستوجب دراسة كل نواحيه في ضوء القوانين الاجتماعية العلمية وتلك هي مهمة علم الاجتماع الإسلامي)) [٢]. وبهذا فهو يريد أن يخضع نصوص الإسلام لمنهج البحث في علم الاجتماع.

ولقد تأثرت مؤلفات (علم الاجتماع التربوي- علم اجتماع التربية) التي تقدم في جامعاتنا بالمنهجية الغربية في دراستها للقضايا التربوية الاجتماعية ، فنجد في كتابات علماء الاجتماع التربويين الملتزمين بالخلفيات الغربية بعض القضايا المنافية للنظرة الإسلامية، فبعضهم يفسر نشأة النظام الأسري بالرجوع إلى الفطرة والرغبة في ممارسة الغريزة الجنسية ، وتربية النسل الناتج عن ذلك ، وكان ذلك يحدث في العصور البدائية الأولى بشكل طبيعي في الأول ، ثم أصبح يحدث فيما بعد بحسب شروط معينة تحولت أخيرا إلى نظام اجتماعي . [٣]

وهكذا تأثر علم اجتماع التربية بالأصل في نظرته إلى القضايا التربوية ، ووظف نظريات علم الاجتماع في تفسير وتحليل هذه العلاقات ، وهذا ما نجده واضحا في كتابات التربويين في مادة ((علم الاجتماع التربوي، علم اجتماع التربية)) ويعود ذلك إلى: ظن بعض التربويين المسلمين الذين تلقوا تعليمهم في الغرب أن التربية علم جديد وحديث لا أصل له في الإسلام ، ومن ثم كان هاجسهم الأعظم الاقتباس التربوي المبني على الانبهار بما كان يسمى التربية الحديثة.

ثم أخذ أكثر المهتمين بالتربية والدارسين لها ينقلون عن طريق الترجمة والاقتباس الحرفي للنظريات والتطبيقات الغربية في التربية ، ويعرضونها على إنها خبرة ممتازة يجب الأخذ بها وقل مثل ذلك في كتاباتهم واتجاهاتهم في إطار علم الاجتماع.

إن الكثير من القائمين على علم اجتماع التربية تتلمذوا في الجامعات الأجنبية (شرقية أو غربية) و قد تأثروا باطروحات أساتذتهم و أفكارهم وعقائدهم (الأيديولوجيا) واخذوا يسايرون أساتذتهم في هذا الاتجاه وهذا واضح في إنتاج وتأليف أساتذة علم الاجتماع العام وعلم اجتماع التربية في الجامعات العربية

---

1 – محمد أمزيان – المرجع السابق ، ص١٩٥

2 – زيدان عبد الباقي ، علم الاجتماع الإسلامي – مطبعة السعادة ، ط الأولى ،مصر ١٩٨٤م ص٣٦

3 – علي عبد الواحد وافي ، الأسرة و المجتمع ، دار النهضة – ط الثامنة (د٠ت) مصرص١٦١

ثم هــم لم يحصـلوا على القدر الكافي من التعليم الإسلامي الذي يجعل لديهم القدرة الناقدة لهذه الآراء أو محاولة توجيهها وفق النظرة الإسلامية .

أولاً: موضوع الدراسة:

الـــدين الإسلامي دين شامل لجميع نواحي الحياة المادية والمعنوية ، و لم يترك أمراً فيه صلاح الإنسان وســعادته إلا بيـــنه و أظهره وحث على القيام به ، وكمال الشريعة الإسلامية ظاهرٌ بشمول قيم ومبادئ الإســـلام لكل ما يمارسه الإنسان من نشاط قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً) (المائدة: من الآية٣)

قال تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)(الأنعام: من الآية٣٨)

ومـــن الملاحـــظ الـــيوم أن المجتمعات الإسلامية قد تأثرت بالاستعمار ، وما أورثها من مشاكل و انحـــرافات فكـــرية وعقائدية انسحبت على كثير من شئون الحياة العامة والخاصة ، وزاد الأمر خطورة أنْ أصبح هناك من أبناء الإسلام من يرى ضرورة الإبقاء على هذا الوضع ، والاستمرار في التبعية للغرب وأن هذا الوضع هو ضريبة التقدم والرقي.

ومـــن المعلوم أن الحضارة الأوربية تعرضت لمراحل تاريخية متقلبة ، منها مرحلة سيطرت فيها الخرافة والأســـاطير والعقائد المنحرفة على حياة الناس ، مما نتج عن ذلك ثورة العلماء والمفكرين على هذا الوضع الـــذي أدى إلى فصل هذه المأروثات المتناقضة والمنسوبة إلى (الدين المسيحي المحرف) عن الحياة العامة ، وعن مجالات العلم والبحث . يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله عن هذه المرحلة:

> ((فصـــل الـــدين عن المسيرة العامة للتعليم تقليدٌ للنمط الغربي ، بينما يرجع انفصال التعلـــيم اللاهوتي عن التعليم العام في الغرب إلى جذور تاريخية تتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلمـــاء ، وهو ما انتهى بتحرير العلوم الطبيعية ، والتجريبية ، والاجتماعية ، من سيطرة الكنيســـة وانـــزواء علوم الدين (المسيحي المحرف) في أركان الكنيسة ، ولقد اعتقد بعض المسلمين ــ أو هكذا فرض عليهم ــ إن هذا الانفصال شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن العلم بفروعه المتعددة ، ومجالاته الواسعة لا يمكن إلا أن يكون علمانيا (لا دينيا) .

ولم يـــر هـــؤلاء بأسا من استيراد النظم التعليمية الغربية ، ومع النظم جاءت المناهج والخطـــط التعليمـــية ، ومع عودة البعثات جاء الفكر الغربي ليصب في أدمغة الطلاب دون

تصـــفية أو انتقاء ، ومن موقع الانبهار بالغرب تخرجت أجيال كاملة على هذا الفكر بكل منطلقاته وفرضياته)) [1].

ومـــع ما تعرض له المسلمون من أنواع الاستعمار والتغريب ، وصور الإبعاد عن الدين ، فلقد باءت هـــذه المحـــاولات بالخسران ، إذ ظهر في كثير من أقطار العالم الإسلامي من يدعو إلى العودة إلى الأصول الإســـلامية ، ونـــبذ الانحـــرافات الفكـــرية والعقائدية ، والتخلص من تركة الاستعمار المخالفة للشريعة الإســـلامية ، واســـتبدال ذلك بالفكر الإسلامي الصحيح الموافق للكتاب والسنة، و ظهر في مجال العلوم والمعـــارف الدعـــوة إلى التوجيه الإسلامي لهذه العلوم ومحاولة تأصيل المعارف ، ونبذ ما يخالف الشريعة الإسلامية منها.

ولعـــل أولى العلوم بالتوجيه هي (العلوم التربوية) وما يتعلق بها ، ولهذا فإن ((ضرورة الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ومن خلال نظرة شاملة في كتب العلوم التربوية ، وتنقيتها من الشوائب الدخـــيلة عليها ، وتطهيرها من الأخطاء الفاحشة المذكورة فيها ، والمرتبطة بالعقائد والتصورات والأفكار الـــتي يحملها الباحثون والكاتبون ، وأن تحل محل ذلك الخصائص العلمية الصحيحة التي وردت في القرآن والسنة النبوية)) [2].

ولقـــد أدرك المعنـــيون بالتربية ضرورة التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية فعقدت المؤتمرات العلمية لمناقشة ذلك ومن هذه المؤتمرات:

١- المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد (بمكة المكرمة عام ١٣٩٧هـــ - ١٩٧٧م) ، وقـــد كان من توصياته ونتائجه خروج مخطط عام لكيفية بناء النظام التربوي في البلاد الإسلامية على ضوء التصور الإسلامي ، والاستفادة من الوسائل والتجارب البشرية الناجحة ، ما لم تتعارض مـــع التصـــور الإسلامي ولا تناقضه، ثم أعقبته ثلاثة مؤتمرات تحت إشراف المركز العالمي للتعليم الإسلامي [3].

٢- نـــدوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٧هـــ .

---

1 - أنور الجندي - العودة إلى المنابع - دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٤م- ص١٣٩

2 - صـــلاح شبير - تصور جديد لمادة الأصول الإسلامية للتربية- ماجستير - جامعة أم القرى - كلية التربية - ١٤٠٢هـــ ص١٥

3 - جامعة أم القرى -المركز العالمي للتعليم الإسلامي: توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربع، ص ١١- ١٩٣

٣- مؤتمر المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، أقامها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع شعبة علم النفس بجامعة الخرطوم – السودان ١٤٠٧هـ .

٤- مؤتمر ((نحو بناء نظرية تربوية إسلامية – الأردن ١٤١١هـ – ١٩٩٠م) .

٥- مؤتمر ((التوجيه الإسلامي للعلوم – جامعة الأزهر – القاهرة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) .

أما على مستوى الجامعات فلقد كان هناك اهتمام بالتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومن تلك الجامعات :

١) جامعة أم القرى بمكة المكرمة حيث كان لها السبق إذا أنشأت قسم التربية الإسلامية وبرنامجي الماجستير والدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية. ومن المواد التي يتم تدريسها للطلاب في مرحلة الدكتوراه مقرر ((التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية)) ، جاء في توصيفه إنه:

((يهدف إلى توجيه العلوم التربوية توجيهاً إسلامياً بتحديد و تصنيف وبلورة المبادئ التربوية الإسلامية ، لتكون منطلقا وإطارا لسائر العلوم مثل : علم النفس التربوي ، وعلم الاجتماع التربوي ، وفلسفة التربية ، وتاريخ التربية ، و أسس المناهج والإدارة التربوية .. الخ . وذلك بتصفية هذه العلوم التربوية من كل ما ألصق بها من مبادئ غير إسلامية ، وقبول ما يتعارض مع الإسلام)). [1].

وتأكيدا لهذه الاتجاه الذي يحمله هذا القسم فقد تم توجيه بعض الدراسات في مرحلة الدكتوراه إلى حقل التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومنها : ((التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية)) قام بها سند بن لافي الحربي عام ١٤١٦هـ ، والدراسة الثانية ((التوجيه الإسلامي لأصول التربية)) قام بها عبد الرحمن بن سعيد الحازمي .

٢) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لديها مقرر لمرحلة الماجستير السنة التمهيدية في قسم التربية بمسمى ((أساسيات التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي للعلوم) ، إلى جانب جهود الجامعة العلمية في مجال التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية [٢].

٣) جامعة الأزهر ، والتي شاركت في عقد واستضافة الكثير من المؤتمرات والندوات عن التأصيل الإسلامي ، ونشر الكثير من أعمالها ، و المؤلفات التي تخدم هذه المجال .

٤) اتحاد الجامعات الإسلامية ، والذي أقام بعض المؤتمرات والندوات وقام بطباعة كتب، ومقالات ، وبحوث في مجال التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية .

---

1 – جامعة أم القرى- دليل كلية- التربية – ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ص٥٣

2 – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عمادة البحث العلمي ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ص٤٨٠-٥٠٦

٥) معهد إسلامية المعرّفة – جامعة الجزيرة بالسودان معهد عالي للبحث العلمي يمنح درجات علمية ما فوق الجامعية في مجال إسلامية المعرّفة.

٦) المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فرجينيا – الولايات المتحدة . وله في هذا المجال (سلسلة إسلامية المعرّفة – وسلسلة إسلامية الثقافة وسلسلة المنهجية الإسلامية)

٧) مجلـــة المسلم المعاصر، والتي حفلت أعدادها بمقالات وأبحاث علمية كانت صاحبة السبق في شأن التأصيل الإسلامي .

أما الجهود الفردية في مجال توجيه العلوم التربوية :

١. جهود الدكتور مقداد يالجن ، ومنها مؤلفه ((أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف التربوية)) ١٤١٦هـــ ، وحدد فيه مجالات التأصيل في العلوم التربوية .

٢. دراسة الدكتور حامد بن سالم الحربي بعنوان ((التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومناهجها من منظور التربية الإسلامية)) ١٤١٨هـــ.

وما زالت المكتبة الإسلامية بحاجة إلى المزيد من الدراسات والأبحاث والندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع كل في مجال تخصصه .

ولعـــل مـــن أهـــم العلوم التربوية التي تحتاج إلى التوجيه والتأصيل الإسلامي علم اجتماع التربية – موضوع هذه الدراسة .

وقبل أن نعرف بهذا العلم أود عدة نقاط هي :

١- إن علم اجتماع التربية ما هو إلا فرع من اصل هو علم الاجتماع العام . ([1])

٢- إن علـــم اجـــتماع التربية امتدادا طبيعيا لعلم الاجتماع التربوي ، ويؤكد ذلك حمدي على فيقول :

((والواقـــع أن الجـــدل في تسمية هذا الفرع له ظروفه أسسه التي ينهض عليه ، من ناحـــية يـــوجد خلط وتداخل في استخدام المصطلحين داخل الكتابات وتراث العلم ، إذ تحمـــل بعـــض المؤلفات عنوان ((علم اجتماع التربية وتتضمن تلك المؤلفات حديثا عن الأســـس والنظـــرية والمنهجية ، وبعض المؤلفات الأخرى تحمل عنوان ((علم الاجتماع التربوي)) ليشير إلى استخدام لتكتيكات السوسيولوجية في فهم وتحليل التربية والعمليات والـــنظم والتنظيمات المرتبطة بها . ومن ناحية أخرى ،فإن الخلط والجدل يرجع أيضا إلى

[1]- عبدالله الثبيتي ، علم اجتماع التربية ،المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م الإسكندرية ' ص١١

الموضوعات التي ينطلق منها العلماء ، فالكتابات التي تحمل عنوان (علم الاجتماع التربوي) تعـني أساسا بالموضوعات المرتبطة بالتربية والنظام التربوي من الداخل ،فهو رؤية تنظر للنظام التربوي كوحدة اجتماعية منفصلة ٠أما من يستخدم مصطلح علم اجتماع التربية ، فبالإضـافة إلى ما سبق يستعرض الأسس النظرية والمنهجية التي يستند إليها هذا الفرع في فهم ودراسة وتحليل التربية ٠٠))([1])

التعريف بعلم اجتماع التربية:

لقـد تم تقـديم أول مقـرر دراسـي في هـذا المجـال بعـنوان ((علـم الاجتماع التربوي)) (Educational Sociology) في كلـية إعداد المعلمين بجامعة كولومبيا في عام ١٩١٠م ، وافتتح أول قسـم بعـنوان ((قسم علم الاجتماع التربوي)) بكلية التربية جامعة نيويورك عام ١٩١٦م، وظهر أول مؤلف في هذا الحقل في عام ١٩١٧م ، بعنوان ((مقدمة في علم الاجتماع التربوي)) ، وتأسست لأول مرة الجمعية القومية لعلم الاجتماع التربوي عام ١٩٢٣م ، و أنشئت أول مجلة علمية تهتم بهذا الحقل عام ١٩٢٨م ، بعنوان مجلة ((علم الاجتماع التربوي)) وعلى هذا الأساس بدأت الجهود والمحاولات تتجه نحو إنشاء علم مستقل عن كل من التربية وعلم الاجتماع.[٢].

و يصـف عـبد الله الشبيتي في كتابه علم اجتماع التربية تحول مصطلح علم الاجتماع التربوي إلى مصطلح علم اجتماع التربية ، فيقول:

مـرّ مفهوم علم الاجتماع التربوي أثناء تطوره بمصطلحين أساسيين ، يمثلان مرحلتين متميزتين من مـراحل نشـأته ، و تمثل المرحلة الأولى فيه نشأته في بداية العشرينيات من القرن العشرين وحتى الخمسين مـنه ، حيث كان يطلق عليه مصطلح ((علم الاجتماع التربوي)) (Educational Sociology) ، وهـو بهذا المفهوم يكون أقرب إلى فلسفة اجتماعيات التربية منه إلى علم اجتماع التربية ، وكانت محاور اهتمامات وتركيز الباحثين في المرحلة الأولى لا تخرج عن مناقشة القضايا التربوية وطرح بعض التساؤلات الاجتماعية مع تطبيق بعض الأسس والنتائج العامة للدراسات الاجتماعية على النظم التربوية.

ونتـيجة لـتطور التصـورات النظرية لدى الباحثين في هذا الحقل ، ظهر مصطلح ((علم اجتماع التربية)) (Sociology of Education) مرتبطا بنشأة أقسام التربية في الجامعات الغربية التي كانت تهتم باجتماعـيات التربية وبدراسة العملية التربوية ، كعملية اجتماعية ، تخضع لقوانين المجتمع ، وبالتالي أصبح

---

[1]– حمدي علي احمد ، مقدمة في علم اجتماع التربية ، دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٧م ، مصر ،ص ٧٥

2 – عـبد الله الشبـيتي ، علـم اجتماع التربية – المكتب الجامعي الحديث – ط الأولى الإسكندرية –١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ص ص٢٧–٣٠

هناك ميل واضح واتجاه عام لدى العديد من الأقسام التربوية في الجامعات الغربية نحو استخدام هذا المصطلح الجديد بدلا من استخدام القديم . [١]

مرحلة ظهور علم الاجتماع التربوي:

ومع بداية القرآن العشرين تولد علم الاجتماع التربوي كعلم مستقل له أهدافه ومحتواه وطرق البحث فيه ، وكان ذلك نتيجة لازدياد الحاجة إلى دراسة العلاقة بين التربية والظواهر الاجتماعية ، وذهب (كورين ١٩٦٥م) إلى أن علم الاجتماع التربوي يحاول أن يدرس الظاهرة التربوية على أنها مؤسسة اجتماعية وبطريقة علمية على رغم التحفظات التي يثيرها الكثير حول علمية هذه الدراسة [٢] .

وقد عرّف (أوتاوي ١٩٧٠) علم الاجتماع التربوي على النحو التالي: ((علم الاجتماع التربوي هو دراسة العلاقات بين التعليم والمجتمع ، وهو من هذه الناحية نوع من الدراسة الاجتماعية ، وطريقة في البحث علمية ، تتركز مجالاته في أهداف التربية ، وطرائقها ، ومؤسساتها ، وإداراتها ، ومناهجها ، وعلاقة ذلك كله بالجوانب الاقتصادية ، والسياسية ، والدينية في المجتمع ، وبالإطار الثقافي بأسره)) [٣].

وقد تم في هذه الفترة إنشاء الأقسام المختصة (قسم علم الاجتماع التربوي) ، وذلك في كليات التربية في الجامعات الأمريكية ، ثم الأوربية ، وظهور المؤلفات التي تحمل اسم علم الاجتماع التربوي ، وظهور جمعيات مثل ((الجمعية القومية لدراسة علم الاجتماع التربوي)) سنة ١٩٢٣م ، وصدور مجلة علم الاجتماع التربوي التي تولت نشر الدراسات المتعلقة بهذا الاتجاه.

وكذلك قدم أول مقرر دراسي في هذا المجال بعنوان (علم الاجتماع التربوي) في كلية إعداد المعلمين بجامعة كولومبيا في عام ١٩١٠م ، وفتح أول قسم بعنوان (قسم علم الاجتماع التربوي) بكلية التربية بجامعة نيويورك عام ١٩١٦م ، وظهر أول مؤلف في هذا الحقل عام ١٩١٧م ، بعنوان (مقدمة في علم الاجتماع التربوي) . [٤]

---

1 – عبد الله الثبيتي ، المرجع السابق– ص٦٤-٦٥

2 – أفكار سالم، علم الاجتماع التربوي– المجموعة الإعلامية – ط الأولى ١٤١٤ – ١٩٩٣– جدة. ص ٢١

3 – أفكار سالم، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص ٢٤

4 – الثبيتي، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٦-٣٧

مرحلة علم اجتماع التربية:

إن علم الاجتماع التربوي تعرض في المرحلة السابقة إلى كثير من النقد الشديد في تلك الفترة ، وكان مصدر هذا النقد هم علماء التربية والاجتماع على حد سواء ، ولقد انصب النقد على مفهوم علم الاجتماع التربوي وأهدافه ومجالاته ، ومدى علاقته بكل من علم الاجتماع العام والتربية، ومن أوجه النقد التي وجهت له ما يلي:

إن علم الاجتماع التربوي علم تطبيقي يقوم بتطبيق نظريات ومبادئ علم الاجتماع العام في مجال التربية . ويرى أنصار هذا الرأي بأن علم الاجتماع التربوي لا يكفي وحده بتزويد المعلم أو الإداري في المدرسة بما يحتاجه ولا يستطيع تحديد مسار نظام التعليم ككل ، بل هو في حاجة إلى فروع المعرّفة الأخرى كعلم النفس ، والسياسة ، والاقتصاد ، والتاريخ ..

ومن المعلوم أن علماء الاجتماع الذين وافقوا على تحديد مجالات و أهداف علم الاجتماع التربوي، هم الذين نصبوا أنفسهم زعماء لهذا العلم الجديد، ومن هنا أصبح هذا العلم فرعاً من علم الاجتماع العام أكثر منه علما مستقلا .وإن موضوعات علم الاجتماع التربوي التي تدرس في كثير من الجامعات تتباين في محتواها، وإن موضوعات هذه المقررات اختارها علماء الاجتماع العام كي تخدم طلابهم المهتمين بالتربية، بالإضافة إلى ذلك فإن المؤلفات التي نشرت تحت اسم علم الاجتماع التربوي بينها اختلافات كثيرة من حيث الأهداف والمضمون .

إن مجلة علم الاجتماع التربوي التي صدرت سنة ١٩٢٧م كانت تتضمن دراسات ومقالات أكثر ارتباطا بعلم الاجتماع العام منها بالتربية .وإن معظم المحررين والمشتركين فيها ينتمون إلى علم الاجتماع العام . [(١)]

كل العوامل السابقة أدت إلى اهتزاز علم الاجتماع التربوي في هذه الفترة ، ولكنها في نفس الحال ساعدت على ضرورة تغير أهداف ومحتوى بل واسم هذا العلم إلى علم اجتماع التربية ، وظهوره بثوبه الجديد ، وتحرره من الباحثين الاجتماعيين ، والنظرة الاجتماعية البحتة ، وذلك في الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري).

وأما علم اجتماع التربية الجديد فإنه أصبح يهتم بالدرجة الأولى بما يحدث داخل العملية التعليمية ، ومن تفاعل بين المعلم والتلميذ داخل حجرة الدراسة ، والمنهج والمفاهيم التي يستخدمها المربون مثل

---

1 - علي الشخيبي، علم اجتماع التربية المعاصر دار الفكر العربي – ط الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م القاهرة . ص ص٣٣-٣٤

الذكاء ، والتقويم ، ومعايير النجاح المدرسي. كما أنه يهتم إلى جانب ذلك بالبحث في الفروق الفردية بين التلاميذ في التحصيل الدراسي ...من خلال البحث في الاختلافات في القيم والاتجاهات واللغة والأسرة الغنية والفقيرة وأثر ذلك على سلوك الطفل ...ومن ثم يهتم علم اجتماع التربية الجديد بدراسة الثقافات والاتجاهات الفرعية ، مثل الأسرة والطبقة الاجتماعية ، ...والبحث في العلاقات المتبادلة بين التعليم والتغير الاجتماعي ، وتحليل المدرسة كمؤسسة اجتماعية .[1]

ثانيا: أسئلة الدراسة

السؤال الرئيس في هذه الدراسة يمكن صياغته على النحو التالي:

((كيف يمكن توجيه علم اجتماع التربية توجيها إسلاميا ؟))

ومن هذا التساؤل تتفرع الأسئلة التالية:

- ما مفهوم علم الاجتماع ، وما أهم قضاياه الأساسية ؟ وما مفهوم علم اجتماع التربية؟
- ما مدى الاستفادة من مراحل التوجيه الإسلامي للعلوم في توجيه علم اجتماع التربية إسلاميا؟.
- كيف يمكن تطبيق التوجيه الإسلامي على مواضيع علم اجتماع التربية؟.

ثالثا: أهمية الدراسة:

أولاً: لقد عانى المجتمع الإسلامي من التبعية للثقافات الأجنبية ، و لقد أدرك أن هذه التبعية لا تقوده إلا إلى مزيد من التخلف والتبعية الكاملة للمستعمر السابق ، واستحالة الاستقلال أو التميز ، أو القدرة على الحفاظ على الهوية و الأصالة الإسلامية ؛ إذ المستعمر لا يرضى بأقل من الانسلاخ التام عن الهوية الأصلية ، وتقمص ثقافته وأفكاره ومعتقداته ، و إعلان الحرب على الهوية الإسلامية ؛ قال تعالى ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (البقرة:١٢٠)

ومن صور التبعية التي سادت في المجتمع الإسلامي التبعية في العلوم التربوية في أصولها ونظرياتها وتطبيقاتها ، ومن هذه العلوم — علم اجتماع التربية – هذا العلم الذي ولد في ثقافة غربية ، وعلى منهجية علمانية ، وعند نقل هذا العلم إلى الثقافة الإسلامية لم يراع في ذلك الفصل بين ما هو علمي وبين ما هو ثقافة خاصة بالغير تنطوي على آراء ومعتقدات تناقض الإسلام وأصوله ، بل كان دور كثير من المؤلفين في هذا العلم هو النقل والترجمة الحرفية ، بل زاد الأمر سوءاً وصف هذه الأفكار بالعلمية ، ووجوب التسليم

---

1 – علي الشخيبي، المرجع السابق ، ص ٣٥

بها دون تكليف أنفسهم عناء التوجيه أو النقد لها ، وسوف تبين هذه الدراسة كثيراً من ذلك خلال فصول الدراسة.

ثانياً: علم اجتماع التربية لا يمثل معظم محتواه حقائق يمكن تجريبها أو صمودها أمام المنهج التجريبي كما هي الحالة في العلوم الطبيعية ، بل هذا العلم من العلوم الاجتماعية القائم على العقائد والثقافة الاجتماعية مما يوجب إخضاعه للعقيدة الإسلامية وتصورها للوجود.

((وقد ظهر عجز الكثير من الباحثين التربويين عن الوصول إلى تصور واضح لدور كل فرع من فروع التربية المختلفة في ضوء مبادئ الإسلام وقيمه ، فالإسلام يوجه الإنسان في كل تصرفاته ولا يسمح لأتباعه بتقليد غيرهم في تصور يتعارض مع مبادئه ، أو ينافي عقيدته ، ويناوئ قيمه، بل يضع الأسس والمبادئ التي تنطلق منها العلوم ومنها العلوم التربوية ؛ من حيث الأهداف والمحتوى والطريقة التي يعرض بها المحتوى ، وطريقة التقويم ، والمنهجية في البحث)) [1]

ثالثاً: إعادة صياغة مقرر علم اجتماع التربية من وجهة النظر الإسلامية، وذلك للحفاظ على عقائد أبناء الأمة ومكتسباتها الحضارية ، وتعين القائمين على المناهج وعلى تدريس هذه المادة عند صياغة مواضيع وأصول هذه المادة بما يتوافق وعقيدة الإسلام وثقافته.

رابعاً: إزالة الأفكار والأباطيل والغموض حول كثير من المفاهيم والمواضيع المتعلقة بعلم اجتماع التربية مثل إنكار الأديان والعقائد والنبوات ، وتكون الجماعة الأولى ، وأصل الأمة ، وعلاقة الأمة بالإنسان والكون والحياة .

رابعا: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تقديم تصور إسلامي لعلم اجتماع التربية من خلال ما يلي:

- تأصيل علم اجتماع التربية و توجيهه إسلاميا، و التعرّف على المفهوم الإسلامي لمواضيع علم اجتماع التربية .
- تنقية علم اجتماع التربية من الأخطاء العقائدية والفكرية والتي تقدم في الجامعات الإسلامية تحت غطاء العلم والموضوعية.
- ربط هذه العلوم بواقع الأمة الإسلامية ، و استقلالية توجيه أبناء الأمة الوجهة الصحيحة.

1 - سند الحربي - التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية - رسالة ماجستير - منشورة -جامعة أم القرى -ص٣٩

- توكيد أهمية التوجيه الإسلامي علم اجتماع التربية.
- التعرّف على علم اجتماع التربية ومنهجه ومصادره ومحتواه ، والذي يقدم في جامعاتنا .

خامسا: حدود الدراسة:

إن علم اجتماع التربية من العلوم العصرية التي ما زالت في طور النمو والتحديد و الإضافة ، ولهذا فإن الباحث سوف يقتصر دراسته على تناول بعض القضايا المتعلقة بعلم اجتماع التربية ، وهي الواردة في فصول الدراسة ، ومن هذه القضايا علاقته بعلم الاجتماع الأصل و اعتماده على مسلماته ونتائج أبحاثه ، كذلك مناقشة محتوى المواضيع التي يهدف إلى تقديمها القائمين على تدريس هذه المادة في الجامعات العربية لطلابهم في قاعات الدرس ، و محاولة توجيه بعض القضايا مثل التنشئة الاجتماعية ومفهوم الأسرة والضبط الاجتماعي والتغير الاجتماعي والتنمية الاجتماعية .

وسوف يعتمد الباحث في كثير من معطياتها على المصدرين الأساسين للإسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية) وهما منبعا العقيدة الإسلامية ، والتي هي مصدر التوجيه الإسلامي لكل جوانب الحياة الإنسانية .

الدراسة تتناول التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية ؛ من حيث الأهداف والمحتوى والطريقة وصفات الباحث .

سادسا: منهج الدراسة:

سوف يقوم الباحث باستخدام المنهجين التاليين:

المنهج الوصفي: ويعرّف هذا المنهج بأنه: ((الأسلوب الذي يعتمد على دراسة الواقع ، أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها ...))[1] وبما أن للمنهج الوصفي أشكالا عدة فسوف يعتمد الباحث على أحد فروعه ، وهو المنهج الوثائقي الذي يهتم بدراسة وتحليل المصادر الأساسية والثانوية ، ذات العلاقة بموضوع البحث ، من أجل استنتاج الأدلة والبراهين المطلوبة للإجابة على أسئلة البحث . [2]

وسوف يستخدم الباحث هذا المنهج عند جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع الدراسة، من أجل إيضاح مفهوم علم اجتماع التربية ونشأة وأهميته في العملية التربوية وكذلك بيان الاتجاهات المعاصرة للتأليف في هذا العلم من خلال عرض نماذج لبعض محتوياتها، ومن أجل إيضاح مفهوم

---

1 - ذويقات عبيدات و آخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه – دار مجدولاوي – الأردن ١٤٠٢هـ ص١٨٣

2 - صالح العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية –كتبة العبيكان – الرياض ١٤١٦هـ ص ص ٢٠٣ –٢٠٦

علم اجتماع التربية من وجهة النظر الإسلامية ومحتواه وعلاقة – علم اجتماع التربية – بالدين، ثم التعرّف على التوجيه الإسلامي لهذا العلم.

المنهج الاستنباطي: وهو الذي يبذل فيه الباحث [الجهد العقلي والنفسي الممكن] عند دراسة النصوص لاستخراج المبادئ التربوية منها والأدلة المدعمة لها . [١].

وفي ضوء هذا المنهج سوف يقوم الباحث بتحليل المواضيع ذات الصلة بموضوع الدراسة ، وتفسيرها وعرضها على وجهة نظر التربية الإسلامية، لاستنباط أهداف و معايير و أبعاد التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية .

سابعا: مصطلحات الدراسة

التوجيه الإسلامي:

سبق وأن عرض الباحث في موضوع الدراسة وأهميتها إيضاحاً عاماً لمفهوم التوجيه الإسلامي ، ومن التعاريف الإجرائية لهذا المصطلح أنه ((مجموعة من الإرشادات التي تتعلق بمقاصد تحصيل العلوم ، وبطرق دراستها ، ووجوه استخدامها في ضوء التربية الإسلامية)). [٢].

ويقصد الباحث بالتوجيه الإسلامي في هذه الدراسة ، بأنه تحليل ، وتوضيح ، ونقد ، من وجهة النظر الإسلامية .

وعليه .. فان الباحث يقصد بالتوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية: تقديم تصور إسلامي لعلم اجتماع التربية، ينطلق من الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة كامل، ويقوم على إيجاد المعرفة التكاملية بين ما ورد في كتاب الله تعالى و السنة النبوية المطهرة، وما ورد فيهما في ما يتعلق بالإنسان و أصله ونشأته وتكوين الأسرة و الجماعة البشرية و علاقاته الاجتماعية التي تربطهم، واثر الإيمان بالله في سلوك الفرد والجماعة وغيرها من قضايا تتعلق بالظاهرة الإنسانية وكذلك إبراز مساهمات العلماء المسلمين المتفقة مع التصور الإسلامي في هذا المجال قديما وحديثا، بعد إخضاعها للقران والسنة باعتباريهما مصدر الإسلام ومادته وقوامه .

---

1 – حلمي فودة محمد و عبد الرحمن صالح عبد الله – المرشد في كتابة الأبحاث – جدة – دار الشروق ١٤١٠هـ. ص٤٢

2 – مقـداد يالجن، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون – دار عالم الكتب – ط الأولى-الرياض – ١٤١٦هـ ص ١٠٠

علم اجتماع التربية:

هو فرع من فروع علم الاجتماع العام يهتم بدراسة وتحليل المؤسسات والمنظمات التربوية في المجتمع ...ويهتم علم اجتماع التربية بصورة عامة بدراسة العلاقات الوظيفية بين التربية ومؤسسات المجتمع . [١]

الضبط الاجتماعي :

وعرف الضبط الاجتماعي بأنه: هو مجموع الأنماط الثقافية التي يعتمد عليها المجتمع في ضبط سلوك الأفراد المنتمين إليه، بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل الاجتماعي للتقاليد وأنماط السلوك التي ارتضتها الجماعة لضمان استقرار التنظيم الاجتماعي والاحتفاظ به[٢]

التنمية

هي: ((عملية شاملة تهدف إلى إحداث تغيير حضاري، يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الأساسية –المادية والفكرية والروحية والإبداعية – المتجددة لكل من الفرد والمجتمع على السواء)) .[٣]

التغيير:

التغير هو تلك : ((التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع و وظائفه المتعددة و المختلفة)) [٤]

التنشئة:

التنشئة هي عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه ، بحيث يُصبح متدربا على إشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي[٥]

---

1 – ديـسنكن ميشيل – معجم علم الاجتماع – ترجمة إحسان محمد الحسن – منشورات وزارة الثقافة والإعلام – دار الرشيد للنشر – بغداد ١٩٨٠م ص٢٣٣

2 – محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق ، ص ٢٣٠

3 – علي أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع المسلم، مرجع سابق ص ١٥

4 – محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط ، مرجع سابق ، ص ٢٥

5 – محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، قاموس علم الاجتماع – الهيئة المصرية العامة للكتاب –١٩٧٩م،ص٣٠٤

التنشئة الاجتماعية:

عملية اكتساب الفرد للدين و لثقافة مجتمعه و لغته والمعاني والرموز والقيم التي تحكم سلوكه وتوقعات وسلوك الغير والتنبؤ باستجابات الآخرين وإيجابية التفاعل معهم ... وهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وعملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية وتطبيع المادة الخام للطبيعة البشرية في النمط الاجتماعي والثقافة وبمعنى أخر هي عملية التشكيل الاجتماعي لخامة الشخصية ... وهي عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية.[1]

الأيديولوجيا:

لقد شاع هذا المصطلح بين الكتاب الاجتماعيين وهي تعني ((نظاما من الأفكار المتداخلة كالمعتقدات ، والتقاليد ، والمبادئ ، و الأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما تعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية ، والأخلاقية ، والدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والنظامية ، وتبررها في نفس الوقت .وتقوم الأيديولوجيا بمهمة التبريرات المنطقية والفلسفية لنماذج السلوك والاتجاهات والأهداف وأوضاع الحياة العامة السائدة)) [2].

أو هي الطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم ، حتى يتمكنوا من المعيشة في مجتمع له ثقافة معينة [3]

ثامنا: أدبيات الدراسة :

حاول الباحث استقصاء الدراسات في مجال علم اجتماع التربية ،ولكون هذا العلم حديث العهد فلم يجد سوى كتب مؤلفة تحت هذا العنوان وليس هناك دراسات علمية ، وقد رجعت إلى مراكز تسجيل الرسائل والبحوث العلمية كذلك بعض الدوريات المهتمة بالعلوم الاجتماعية مثل (مجلة شؤون اجتماعية ، ومجلة التربية المعاصرة ، ومجلة المستقبل العربي ، ومجلة إسلامية المعرفة ، ومجلة المسلم المعاصر) وغيرها من الدوريات المهتمة ، وقد يعود سبب ذلك إلى حداثة هذا العلم واعتماد المختصين فيه على الترجمة أو الكتاب الأجنبي ويؤكد ذلك عبدا لله الشبيتي أحد الباحثين في هذا المجال فيقول : ((ونتيجة لحداثة حقل علم اجتماع التربية ، وأهمية ما كتب عنه حديثا في أدبيات البحوث الاجتماعية والتربوية باللغة الإنجليزية في

1 – صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع : عمان ٠- ١٤١٨هـ ص١٦

2 – محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٣٠٤

3 – محمود عبد القادر، التربية الاجتماعية الإسلامية، مرجع سابق ، ص٣١

المجـــتمعات المتطورة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وخلافه ، وما صاحب ذلك من ركود في الفكر التربوي والاجتماعي داخل مجتمعات الدول النامية ، وما نتج عنه من نقص في مقتنيات المكتبة العربية ٠٠))([1])

ولهـــذا ســـوف يقتصر الباحث في هذه الأدبيات على ذكر الدراسات في جانب التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية أو التربوية ، حيث أن التوجيه الإسلامي يعتبر أحد حدي هذه الدراسة

أولا: دراسة (عبد الرحمن صالح عبد الله، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ١٤,٦هـــ – ١٩٨٦م)

موضوع الدراسة وهدفها:

قدم المؤلف لموضوعه بمقدمة تناول فيها علاقة التربية بعقيدة المجتمع وحاجاته و أكد فيها بأن التربية ليست علماً قائما بذاته بل هي خليط من العلوم، ثم تناول بعد ذلك مفهوم العلم في الإسلام وأنه مفهوم شامل لجميع العلوم، و غايتها جميعا تحقيق العبودية لله تعالى بخلاف مفهوم العلم في الغرب، ثم تطرق لواقع العلـــوم التربوية فقال ((إنها نشأت في بيئات جاهلية تؤمن بالعَلْمانية ..)) (٢) ثم أكد على أهمية التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية من حيث الإنسان والمحتوى والطريقة التي يُدرس بها ، وطريقة التقويم والمنهجية في البحث .

أما هدف دراسته فيرى بأن ((الهدف الأساسي الذي نسعى إلى إبرازه في هذا البحث هو تميّز العلوم التربوية الإسلامية عن غيرها)) (٣).

منهجه في الدراسة:

لم يحدد الباحث المنهج الذي استخدمه في دراسته .

نتائج الدراسة وتوصياتها:

لـــيس هناك عرضٌ للنتائج أو التوصيات في دراسته، وقد نستطيع أن نبرز بعض النتائج و التوصيات ومنها كما يلي:

١- ظهور مؤلفات علمية وتربوية تحمل عناوين إسلامية مع أن مضمونها مناقضا للنظرة الإسلامية.

٢- اعتماد الكثير من المؤلفين على الترجمة والنقل عن المؤلفات في التربية الغربية ، مع عدم التوجيه أو النقد لما فيها من خلل وتناقض ومضادة للنظرة الإسلامية .

---

[1]- عبدالله الثبيتي ، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ،ص ٢٣

2 – عبد الرحمن صالح عبد الله ، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية- المنار للنشر – جدة – ط الأولى ١٤٠٦هـــ ٠ ص١٩

3 – عبد الرحمن صالح عبد الله ، المرجع السابق – ص٢٩

٣-عـــدم احترام الكثير من المؤلفين للعقيدة الإسلامية في تعمدهم لنقل وترجمة ما يخالفها ، ثم فرض ذلك على أبناء المسلمين بحجة العلم ، والمناهج ، والمقررات الدراسية .

وقد نستنتج منها التوصيات التالية:

- وجوب قيام العلوم التربوية على التصور الإسلامي الصحيح .
- أن يـــدرك القائمـــون على التربية بأنهم أصحاب رسالة وعقيدة ، عليهم نقلها وتبليغها صحيحة للأجيال .

فائدة هذه الدراسة لموضوع الدراسة الحالية:

يبدو أن هذه الدراسة حسب علم الباحث من أوائل الدراسات في موضوع التوجيه الإسلامي للعلوم التـــربوية ، والتي أوضح فيها المؤلف منهجية عامة للتوجيه الإسلامي ، استفاد منها الباحثون بعده في هذا المجال ، ونبهت الكثير إلى الخلل الموجود في العلوم التربوية وكمناقض بعضها للدين الإسلامي الحنيف.

وسوف يستفيد الباحث منها في دراسته الحالية في عرضها لواقع كثير من العلوم التربوية وما فيها من انحرافات .

ثانيا: الدراسة الثانية لـــ ((سند بن لافي الحربي، التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية، بحث تكميلي لنيل لدرجة الدكتورة من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية بجامعة أم القرى ١٤١٧هـــ ١٩٩٦م) والرسالة منشورة:

موضوع الدراسة وهدفها:

تـــؤكد الدراســـة على أهمية دراسة تاريخ التربية وحاجته إلى التوجيه الإسلامي ، وقد عرض فيها الباحث بعض المعايير لتوجيه الأهداف ، والمحتوى وطريقة عرض المحتوى.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة منهجان هما ((المنهج الوصفي – والمنهج الاستنباطي)).

نتائج الدراسة:

تطرقت الدراسة لبعض النتائج من أهمها:

التوجـــيه الإسلامي لتاريخ التربية ، من حيث الهدف ، والمحتوى ، والطريقة العرض ، ومنهج البحث فيه، في إطار العقيدة الإسلامية ، وما تتضمنه من تصور شامل للوجود .

معظم ما كتب حول تاريخ التربية من دراسات ، بحاجة ماسة إلى التوجيه الإسلامي لإزالة ما علق بها من زيف وتشويه وتصورات علمانية إلحادية ، وتفسيرات مادية .

فائدة الدراسة لموضوع الدراسة الحالية:

تعتبر هذه الدراسة متميزة في محتواها وعرضها لفصولها، وسوف يستفيد الباحث منها في التأكيد على أهمية التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية، وكذلك الاستفادة من منهجية الباحث في دراسة الموضوع ومعالجته والاستفادة من بعض المراجع التي اشتملت عليها الدراسة .

ثالثا: دراسة ((حامد بن سالم الحربي، التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومناهجها من منظور التربية الإسلامية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)).

موضوع الدراسة وهدفها:

يرى الباحث أن هناك فرقا بين واقع المناهج التربوية التي بين أيدينا وما يجب أن تكون عليه من وجهة نظر التربية الإسلامية، ولهذا يرى أنه من الأهمية إصلاح ذلك الخلل ، من خلال منهج التوجيه الإسلامي ، وعلى ضوء ذلك كان هدف الدراسة التأصيل والتوجيه الإسلامي للمناهج التربوية من منظور إسلامي .

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي لوصف واقع المناهج الحالية ثم استخدم المنهج الاستنباطي لمعالجة كيفية توجيه المناهج إسلاميا .

نتائج الدراسة:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- وجوب إعادة النظر في العلوم التربوية ومناهجها وربطها بمصادر القرآن والسنة.
- ارتباط التأصيل والتوجيه الإسلامي لمناهج العلوم التربوية بالعقيدة الإسلامية واللغة العربية.

فائدة الدراسة لموضوع الدراسة الحالية:

تعد هذه الدراسة مهمة في موضوعها ، ومحاولة تأكيداً على أهم التأصيل والتوجيه الإسلامي للمناهج و العلوم التربوية ، وسوف يستفيد الباحث منها في دراسته في جانب التأصيل والتوجيه والنقد للمناهج التربوية الحالية .

رابعا: دراسة ((عبد الرحمن بن سعيد الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه من قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية جامعة أم القرى ١٤٢١هـ ٢...م)غير منشورة:

موضوع الدراسة وهدفها:

موضوعها: تطرح هذه الدراسة العديد من الإشكاليات حول أصول التربية ومحاولة مناقشتها وتقديم الحلول لها .

أهدافها: التوجيه الإسلامي لأصول التربية مع التركيز على إيضاح مفهوم أصول التربية عامة ونشأته، وأهميته ، وبيان الاتجاهات المعاصرة للتأليف فيه ، وإيضاح مفهوم أصول التربية من وجهة النظر الإسلامية ، وتحديد أسس التوجيه الإسلامي لأصول التربية.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة ((المنهج المكتبي أحد أشكال المنهج الوصفي)).

نتائج الدراسة:

من النتائج التي توصلت لها الدراسة:

- الدعوة إلى استخدام مصطلح أصول التربية أو أسس التربية من بين بقية المترادفات.
- الأصول الإسلامية للتربية تختلف عن أصول التربية المعروفة في علم التربية.
- لا يمكن اعتبار الدين أصلا واحدا من أصول التربية بل هو الأساس والموجه والإطار لحركة التربية بعامة .

ومن التوصيات:

- التأكيد على أهمية اتفاق التربويين على استخدام مصطلح أصول التربية ، أو أسس التربية بدلا من المترادفات الأخرى.
- أهمية السعي الجاد إلى الاستفادة من الخبرات الأجنبية وفق المعايير و الضوابط الشرعية.
- التأكيد على معالجة المآخذ التي تزخر بها بعض مؤلفات أصول التربية المعاصرة .

فائدة الدراسة لموضوع الدراسة الحالية:

تعـد هذه الدراسة من أحدث الدراسات في التوجيه الإسلامي لأصول التربية، وسوف يستفيد منها الباحث في دراسته وخاصة في جانب التوجيه الإسلامي و ((معايير الاستفادة من الخبرات الأجنبية))[1] .

1 - عبد الرحمن بن سعيد الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية ص١٤٦-١٥١

خامسا: بحث: محمد المبارك، مجلة المسلم المعاصر ع١٢سنة١٣٩٧هـــ ص ص ١٥-٤٤،

نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع:

مـــبررات هذا الموضوع: مواجهة الغزو الفكري الغربي، وتأكيد الهوية الإسلامية المتميزة وتجديدها، والدعوة إلى صياغتها صياغة إسلامية، وإقامتها على أسس إسلامية، والسير بها من منطلقات إسلامية، أي بـــناؤها على التصور العام للوجود الذي يقدمه الإسلام، وقام المؤلف بنقد تحليلي لعلم الاجتماع الغربي في صـــورته الحالـــية وموقف الإسلام منه ومنهج البحث فيه ، ليؤكد على ضرورة جوانب علم الاجتماع الـــنافعة ، وإعادة بنائه بناء صحيحا ، منطلقاً من التصور الإسلامي للوجود والإنسان والمجتمع الإنساني ، ووضـــع بعـــض المقتـــرحات والأسس والقواعد والمنهجية التي يمكن أن يقوم عليها علم اجتماع إسلامي جديد [1]

ويـــرى المـــبارك أن علم الاجتماع يعج بالكثير من الاتجاهات المذهبية المختلفة التي لا تنبثق عن علم الاجتماع نفسه بل هي خارجة عنه، فلماذا لا يكون للمسلمين علم اجتماع خاص بهم ؟ [2]

ويقسم محمد المبارك موضوعات ونظريات علم الاجتماع إلى نوعين منها: الحوادث الاجتماعية التي تحـــت سمعنا وبصرنا وهي مما يمكن مشاهدته وجمعه وتصنيفه ، وهذا القسم يكون علميا إلى حد كبير وإن اخـــتلفت عن الحوادث الطبيعية وفي هذه المرحلة يساعد الموقف الإسلامي في هذه الأبحاث ، ويستفيد من أبحاث الغير بطريقة نقدية واعية [3].

أما النوع الثاني من البحث في علم الاجتماع فيتناول موضوعات لا يمكن إخضاعها لطرائق البحث العلمـــي، ولا لمـــراقبة النتائج مثل البحث في أصل اللغة و أصل نشأة الدين فلا سبيل إليه لبعده عن الحيز المشاهد واستحالة إخضاعه للتجربة والموازين العلمية ..وهذا ما يسميه ميتافيزيقا علم الاجتماع [4]

ويـــرى الباحث ضرورة الاستفادة من المعارف ، ومناهج البحث والتحقيق ، مع استبعاد النظريات والعقائد الباطلة، وهذا ما يجب وضعه في إطار النظام الإسلامي العام من منطلق التصور الإسلامي [5] و في هـــذا يقتـــرح الباحث أسسا وقواعد منهجية لعلم الاجتماع في إطار التصور الإسلامي ، كما وضع علم الاجتماع في إطار التصور المادي للوجود وفلسفته .

---

1 – محمد المبارك، ، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع ، مجلة المسلم المعاصر ع١٢سنة١٣٩٧هـــ، ص ص ١٥-٤٤

2 –١ محمد المبارك، ، المرجع السابق – ص ١٩

3 – محمد المبارك، ، المرجع السابق- ص٣٢

4 – محمد المبارك، ، المرجع السابق- ص٢٤

5 – محمد المبارك، ، المرجع السابق –ص٣١

والدراســـة كمـــا يقول الباحث تهدف إلى وضع خطة مقترحة لصياغة إسلامية لعلم الاجتماع ، في خطـــوطها الكـــبرى نصل على أثرها إلى استقلال حقيقي لعلم الاجتماع ، في نظريته ومناهجه عن الفكر الغربي عامة وإجراء أبحاث حسب هذا التصور الإسلامي لكل من الأسرة والأمة والمسؤولية .[1]

فائدة الدراسة لموضوع الدراسة الحالية:

تعـــد هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي نادت بالتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية وعرضت بجلاء مواطن الخلل في علم الاجتماع الغربي وما يحتويه من تناقضات علمية و تجاوزات إيمانية و أخلاقية قد يســـتفيد منها الباحث في معرض نقده لهذا العلم خلال دراسته له ، كما يستفيد الباحث من تلك الخطوط العريضة التي ذكرها المؤلف للوصول إلى صياغة إسلامية لعلم الاجتماع تتناسب والتصور الإسلامي .

سادسا: دراسة، منصور زويد المطيري – الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي و الإمكان – وهي رسالة ماجستير (لم يحدد مكانها) من منشورات سلسلة كتاب الأمة، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر ع٣٣ سنة ١٤١٣هـــ .

وفي هـــذه الدراســـة تحـــدث الباحث عن علم الاجتماع ، ونشأته ، وتطوره ، وأسسه موضوعاته والنظريات في علم الاجتماع ، ثم مناهج البحث في علم الاجتماع [2] كما تعرض إلى معايير علم الاجتماع القائم ، ومنها (الدقة العلمية والتحليل الموضوعي، و الارتباط بالفلسفات والعقائد المختلفة)[3].

وبعـــد ذلـــك تناول الباحث صميم بحثه ((إمكانية الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع) وتكلم عن العوائـــق الـــتي تحول دون الاستفادة من علم الاجتماع المعاصر، وفي هذا المبحث تعرض لمفهوم وأهداف الصـــياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، ومصادر الصياغة الإسلامية بما تشتمل عليه من ثوابت ومقومات في الكـــون والإنسان والحياة بتنظيماتها الاجتماعية وسننها و ضوابطها الشرعية، وكيفية الترقي بها ، ثم ذكر خصائص هذه الصياغة بأنها ((موجهة قيمياً ومذهبياً و أيديولوجياً)) وهو((مقارن)) أي يحاول المقارنة أثناء التحليل الاجتماعي ويمتاز بأنه ((واقعي)) يتماشى مع خطط التعليمية وفق معارف الوحي ، والتراث

1 – محمد المبارك، ، المرجع السابق– ص٤٣

2 – منصور المطيري – الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع – الدواعي والإمكان – سلسلة كتاب الأمة رقم ٣٣ – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر –١٤١٣هـــ٠ ص ص، ٧-٣٨

3 – منصور المطيري، المرجع السابق –ص ص٥١-٧٢

الفكــري ، والتشريعي ، والفقهي للمسلمين مع الأخذ بمبادئ العلم ومناهجه خاصة الأبحاث ذات التقنية العالية التي تستمد أساليبها من التراث العلمي ، سواء من الإسلام أو الغرب . (١)

فائدة الدراسة لموضوع الدراسة الحالية:

هــذه الدراسة ركزت على علم الاجتماع العام وحاول الباحث عرض بعض التناقضات التي يحملها هــذا العلــم ويــروج لها باسم الموضوعية و العقلانية مع ما فيها من تجاوزات علمية لا تتفق و الادعاء بالموضوعية والحياد والتجربة ، وكذلك تغلغل المذاهب الفكرية والفلسفية في نظريات هذا العلم واستخدامه للتــرويج لــه واستغلاله مما يتنافى وسمات البحث الموضوعي. وسوف يستفيد الباحث من كثير من النقد والتحليل الذي مارسه الباحث لكثير من موضوعات علم الاجتماع العام ، كذلك سوف يستفيد الباحث مــن هــذه الدراسة في جانب الصياغة الإسلامية التي قدمها الباحث لعلم الاجتماع العام و التي قد تفيد الباحث في التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية .

مناقشة الدراسات السابقة:

سوف يستفيد الباحث من هذه الدراسات في جوانب من دراسته ، فقد كشفت هذه الدراسات واقع العلوم التربوية وخاصة الكتاب التربوي و المقررات الجامعية في المجتمعات الإسلامية وضرورة الاهتمام بها و تــوجهها الــوجهة الإسلامية الصحيحة ، وإن ميدان العلوم التربوية بحاجة إلى التوجيه الإسلامي في جميع ميادينه النظرية والتطبيقية .

ولكن يرى الباحث أن دراسته الحالية سوف تتميز ببعض المميزات وهي:

- التركيز على وضع أبعاد عامة يسترشد بها في صياغة علم اجتماع التربية والذي لم يحظ بأي جهد في مجال التوجيه الإسلامي أسوة بغيره من علوم التربية الأخرى.
- إلقــاء الضــوء علــى بعض المفاهيم غير الواضحة، سواءً فيما يتعلق بمصطلحات ومواضيع علم الاجــتماع، وعلم اجتماع التربية خاصة ، ونشأة وكيفية انتقاله إلى العالم الإسلامي ، وأهميته في العملية التربوية.

1 – منصور المطيري، المرجع السابق– ص ص ٨٤–١٥٦

الفصل الثاني

نشأة علم الاجتماع

مقدمة

- المبحث الاول : نشأة علم الاجتماع
- المبحث الثاني : تعريف علم الاجتماع
- المبحث الثالث : ميادين علم الاجتماع
- المبحث الرابع : علم الاجتماع في الجامعات العربية
- المبحث الخامس:علم الاجتماع الاسلامي

المبحث الأول:

نشأة علم الاجتماع ومدارسه

مدخل:

دأب الكثير من المفكرين الغربيين إلى إرجاع جذور العلوم والمعارف إلى أصول إغريقية أو يونانية، ونسبته إلى فلاسفتهم وذلك كعادتهم في تجاهل الإنتاج العلمي والثقافي للأمم الأخرى بل وسرقة تراث الحضارات السابقة .

ومن العلوم التي تعرضت للتزييف وسرقة الابتكار والإبداع علم الاجتماع العربي ، والذي كان لإسهامات العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الشهير بابن خلدون (٧٣٢- ٨,٨هـ) الأثر الكبير في وضع أساس علم الاجتماع والذي اسماه (علم العمران)، ولقد كانت لهذه الأسبقية أثرها، إذ أنه أول عمل فكري منظم في هذا المجال، وقد جعله علما مستقلا له موضوعه، ووسائله، ومنهجه، وذلك في مقدمته المشهورة (مقدمة ابن خلدون)، والتي هي مقدمة لتاريخه (كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) .

وقد أدرك ابن خلدون منذ بدء مقدمته أنه يقوم بمحاولة غير مسبوق إليها، فهو يقرر أنه أول من يدرس ظواهر الاجتماع من خلال ما استحدثه من علم جديد مستقل بنفسه، وذو موضوع أسماه ((علم العمران)) أو ((علم الاجتماع الإنساني))، أي ذلك العلم الذي تظهر فيه الظواهر الاجتماعية فتشكل حياة الأفراد في مجتمعاتهم المختلفة. [1]

وفي هذا يقول ابن خلدون رحمه الله:

((وكان هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري، و الاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، وهذا شان كل علم من العلوم، وضعيا كان أو عقليا ... واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، أَعثرَ عليه البحث، وأدى إليه الغوص ... ولعمري لم أقف على كلام في منحاه لأحد من الخليقة ، ما أدري: أغفلتهم عن ذلك، وليس أظن بهم ؟ أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض، واستوفوه، و لم يصل إلينا))[2]

---

1 – حسن همام و آخرون – مدخل إلى علم الاجتماع – دار العلم دبي ١٩٨٢م.ص٢.

2 – ابن خلدون، المقدمة، – تحقيق على عبد الواحد وافي – دار نهضة مصر للطبع والنشر، ب ت .ص ٣٨

١- إسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع:

ذكـر حسن الساعاتي أن ابن خلدون قد تبنى منهجا جديدا، وكانت له معالجاته الأصيلة ، وأمكن تحديـد أهم إسهاماته في تأصيل علم العمران ؛ إذ أظهر اهتمامه بدراسة الظواهر الاجتماعية التي أسماها: ((واقعات العمران البشري)) ، وحدد لها قواعد و أسس في دراسة هذه الظواهر، وأكد في مقدمته على أهمـية الضبط الاجتماعي و بأنه أساس الحياة الاجتماعية، ودرس ابن خلدون العصبية دراسة وافية، ودرس تـراكيبها وخصائصها التي تميزها، ودورها في نطاق مجتمعي البداوة والحضارة، و ناقش الجوانب المختلفة لظاهرة الملك ومراحل تطوره، وقدم ابن خلدون تحليلا عن البدو .[١]

وممن شهد بأسبقية ابن خلدون إلى اكتشاف هذا العلم عالم الاجتماع الشهير (جمبلوفتش) إذ يقول في ذلك: ((لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كونت، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوربي، جاء مسلم تقي، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن، و أتى في هذا الموضوع بآراء عميقة، وإن ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع))[٢]

ومـمـا يحـزن أن هذا العلم لم يجد من يحمل لوائه بعد ابن خلدون بل إنه اندثر حتى تمت نشأته تارة أخـرى علـى أيدي علماء الاجتماع الغربيين ، وذلك في بيئة حضارية مختلفة جذريا عن بيئة ابن خلدون الإسـلامية، ولقد نشأ علم الاجتماع المعاصر في فرنسا على يد أوجست كونت وهو أول من منحه هذا الاسم (علم الاجتماع).

ويـؤكد محمد غلوم أسبقية ابن خلدون في هذا المجال فيقول: ((لئن كان هناك متسع للجدل حول أصـول الفلسـفة ومن ابتدعها، فإن المجال يضيق عند النظر في أصل علم الاجتماع و فيمن أرسى قواعده الأولى .

إذ لا يظـن أي منصـف، حـتى لو لم تكن عنده أي إلمام بتاريخ الفكر الاجتماعي ، ويطلع على الكتاب الذي قدم به عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) لمؤلفه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) والمعروف (بالمقدمة) إلا ويقر بفضل هذا العلامة في وضع الأركان الأولى لهذا العلم، وبأن ما أسماه ((بعلم العمران)) ما هو إلا صنو لما يعـرّف هـذه الأيام بعلم الاجتماع . وليتنا أبقينا على هذا الاسم العربي حينما ترجمنا المصطلح الأوربي Sociology))[٣]

---

1 – حسن همام و آخرون، مدخل لعلم الاجتماع- مرجع سابق – ص ص ٣٤-٣٥

2 – مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – ط الأولى ١٤٠٦هـ.ص ١٦٥

3 – أيان كريب – النظرية الاجتماعية _ مقدمة المترجم – ترجمة محمد حسين غلوم – عالم المعرفة عدد٢٤٤ – الكويت .ص٧

وهـــذا العلم الجديد –علم الاجتماع الغربي – هو ((الذي كتب له الاتصال والاستمرار والسيطرة، كنظام فكري وعلمي، بحكم ارتباطه بالحضارة المسيطرة)) [1]

وبســـبب هـــذه الســـيطرة الكلية للحضارة الغربية على معظم شعوب العالم جعلت منه علما عالميا لا تكاد تخلو منه جامعة في العالم المعاصر .

ولقـــد استطاع علم الاجتماع أن يفرض سيطرته و وجوده على الحياة المعاصرة وصار من الضرورة بمكان أن أسندت إلى الباحثين في علم الاجتماع دراسة كثير من الظواهر والقضايا الاجتماعية ، و مساعدة المجـــتمع علـــى تجاوز الصعوبات التي تفرضها عليه المتغيرات المتلاحقة في العصر الحديث، ولهذا أصبح علم الاجـــتماع مجالا خصبا للدراسات الاجتماعية أنشئت من أجله الكليات والأقسام الاجتماعية ، و مراكز الـــبحث الاجتماعـــية للاســـتفادة من خريجيها في كثير من المؤسسات الاجتماعية وفي الإسراع بالتنمية الاجتماعية .

1 – محمود عوده، أسس علم الاجتماع، دار المعارف – القاهرة (د.ت) ص ٧١

تعريف علم الاجتماع

تعريف علم الاجتماع

لـــيس هناك تعريفا لعلم الاجتماع متفقا عليه بين العاملين في هذا المجال ، فتعريف هذا العلم مرتبط ارتباطا وثيقا بموضوعه ومنهجه وبعلاقته بالعلوم الاجتماعية وغير الاجتماعية ، ولهذا تعددت تعريفاته بتعدد العلماء وبتعدد النظريات الاجتماعية المختلفة ويعود سبب هذا الاختلاف حول تعريف علم الاجتماع إلى عدم اتفاقهم حول ((طبيعة الاجتماع وخصائصه، وحول نوع الحقائق التي تصلح للمعالجة العلمية ، فضلا عـــن خصـــائص المنهج المستخدم، ومدى صلاحيته أو مواءمته للتطبيق، و أما ثانية نقاط الخلاف ، فتدور حـــول الـــوحدة الاجتماعـــية محل التحليل السوسيولوجي و أبعادها، فهل يقوم المجتمع على أساس الفعل الإنساني، أو العلاقة الاجتماعية أو على الجماعة الاجتماعية ذاتها))[١].

ومن المعلوم ، فلقد جاءت هذه التسمية (علم الاجتماع) من اللفظة اللاتينية (Sociology) والتي أطلقهـــا كـــونت على هذا العلم الجديد عام ١٨٣٩م وتعني هذه اللفظة اللاتينية (دراسة المجتمع أو علم المجـــتمع) وهذا المصطلح يقودنا إلى التعرّف على تعريفات علم الاجتماع لدى الباحثين فيه ، ولهذا سوف نعرض لطائفة من التعاريف كثر الاعتماد عليها عند بعض الباحثين في هذا العلم.

١- لقـــد كان لابن خلدون رحمه الله الفضل في ابتكار هذا العلم وقد حاول تعريفه بقوله: ((علم العمران ، أو علم الاجتماع العمراني ، أو علم الاجتماع البشري ..))[٢]

٢- يعـــرّف معجـــم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، علم الاجتماع الحديث بأنه: ((دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الإنسانية، كما تبدو في الزمان والمكان، للتوصل إلى قوانين التطور، التي تخضع لها هذه المجتمعات الإنسانية في تقدمها وتغيرها))[٣]

٣- يعرّف أوجست كونت مؤسس علم الاجتماع هذا العلم بقوله : إنه ((العلم الذي يدرس النظم الاجتماعية على الحالة التي بدت فيها ، والتطورات التي حدثت لها فيما بعد))، أي أنه يريد من هـــذا العلم أن يدرس ظواهر المجتمع ومشاكله دراسة موضوعية علمية كغيره من العلوم، ويدرس النظم الاجتماعية في حالتها الساكنة، والتغيرات التي تحدث لهذا النظام، وما يترتب على ذلك من آثار .[٤]

---

1 – صلاح فوال، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق – دار الفكر العربي – ط الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م القاهرة .ص ٤٧

2 – صلاح الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، دار الفكر العربي – ط الأولى – القاهرة ١٤١٦هـ. ص٣٨

3 – أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية – مكتبة لبنان – بيروت .بدون طبعة وتاريخ –ص ١

4 – صلاح العبد، علم الاجتماع التطبيقي – دار التعاون للطبع والنشر ١٩٧٢م القاهرة. ص٢.

٤- ويعرّفه (أوسيبوف) في كتابه (قضايا علم الاجتماع) بأنه: العلم الذي يهتم بدراسة نشأة ونمو واختفاء مختلف الأشكال ، أو العلاقات الاجتماعية ، وكذلك جميع الاتجاهات المتناقضة التي تؤثر في هـــذه الأشكال ، فعلماء الاجتماع يحللون دوافع الأفراد والمجتمعات الاجتماعية والطبقات ، ويدرسون الأنماط الموضوعية للعلاقات الاجتماعية.(١)

٥- ويعرّفه (رينيه مونيه) بأنه: ((الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الإنسانية حسب مـــا تســـمح به مشاهداتها في الزمان والمكان)) أي يرى دراسته على الواقع وفق منهج العلوم الطبيعية بالوصف والمقارنة والتفسير لكي تتحقق الموضوعية. (٢)

٦- ويعـــرّفه عـــبد الحميد لطفي بأنه: ((العلم الذي يدرس الظهر الاجتماعية دراسة علمية بهدف الكشف عن القوانين أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لها هذه الظواهر في ترددها أو اتجاهها أو اختفائها)) حيث يرى أن علم الاجتماع لم يستطع حتى الآن أن يهتدي إلى القوانين - كما تفيد هذه الكلمة - وإنما اهتدى إلى مجرد تحديد احتمالات بعضها قوي وبعضها ضعيف (٣)

٧- و يعـــرّفه أمـــيل دوركهـــايم بأنه: ((علم دراسة الظواهر الاجتماعية التي هي انعكاس لظروف اجتماعية معينة كما أنها ليست نتاجا للإرادة الإنسانية الفردية)).

أي يصـــبح في رأيـــه علـــم اجـــتماع مقارن ما دام لا يكتفي بمجرد الوصف .و إنما يسعى إلى ((دراسة الظواهر الاجتماعية)) (٤)

٨- تعريف (نيقولا كرييف) بأن: علم الاجتماع هو ((العلم الذي يسعى إلى صياغة قوانين عامة للحياة الاجتماعية))(٥).

٩- وعـــرّفه (مـــاكس فيـــبر) بأنه: ((ذلك العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي لكي يتمكن من تقديم تفسير سببي لمجراه ونتائجه)) (٦)

ولهـــذا نـــدرك أن سبب كثرة الجدل بين علماء الاجتماع حول تحديد أفضل التعاريف لماهية علم الاجتماع ، وسببه يعود في ذلك إلى:

- ما هي الغاية من دراسة علم الاجتماع ؟ هل هي دراسة العلاقات المتبادلة بين بني الإنسان ؟

1 - محمد البيومي، أسس و موضوعات علم الاجتماع- - دار المعرف الجامعية-القاهرة ٢٠٠١م ص ٢٥

2 - رينيه مونيه، مدخل في علم الاجتماع - ترجمة . د/ السيد البدوي — دار نشر الثقافة ١٩٥٣م — الإسكندرية.ص ٤

3 - عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٦٣

4- صلاح الفوال، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص ٣٦

5 - صلاح الفوال، المرجع السابق ، ص ٣٩

6 - صلاح الفوال، المرجع السابق، ص٤٥

- أو هو البحث في الظواهر الاجتماعية المختلفة ودراستها.
- أم هو العلم الذي يبحث في سلوك الجماعات الإنسانية .

مدارس علم الاجتماع

أولا المدرسة الفرنسية:

أ- أوجسـت كونت (١٧٩٨ – ١٨٥٧م): تعود نشأة علم الاجتماع المعاصر إلى ذلك التاريخ الذي أعلن فيه (أوجست كونت) بظهور علم الاجتماع المعاصر بوصفه علما مستقلا عن العلوم الفلسفية والاجتماعية، هدفه دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية وفق منهج البحث العلمي في العلوم الطبيعية، ولعل سبب ظهور هذا العلم الرغبة الملحة في إصلاح الأوضاع الاجتماعية التي أحدثتها الثورة الصناعية في المجـتمعات الغـربية، وخاصة في فرنسا بعد الثورة إذ كثرت دعوات الإصلاح وإنقاذ المجتمع الفرنسي من الفوضـى الضاربة إطنابها في مختلف شئون الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والتربوية، وعدم الاكـتفاء بالدراسات السطحية والارتجالية ، والبحث عن منهج علمي لبحث هذه القضايا وإيجاد الحلول المناسبة لكل قضية .

ويلاحظ أن المدرسة الفرنسية تتزعم الريادة الحديثة في علم الاجتماع كما أنه ينسب الفضل في ظهور هذه العلم إلى ثلاثة من مفكريهم هم (سام سيمون، أوجست كونت، دوركهايم) حيث نرى أتباع كل من هؤلاء المفكرين يدعي الريادة و الأسبقية لأستاذه .

ولقـد بـرز في هذه الفترة العالم الاجتماعي أوجست كونت الذي أخذ على عاتقه التصدي لهذه القضـايا الاجتماعية ومحاولة دراستها وفق المنهجية الوضعية السائدة في عصره لدى علماء الفيزياء والعلوم الطبيعية ولقد تأثر كونت في دراسته تلك بأفكار أستاذه (سان سيمون) في أن الظواهر الاجتماعية يمكن أن تدرس بطريقة علمية ، وكان بذلك أول من وضع الأساس لدراسة الظواهر علميا ، ووجوب إيجاد علم يتفـرع لدراستها أسماه (SOCIOLOGIE) وذلك من خلال كتابه ((دراسات في الفلسفة الوضعية)) صدر عام ١٨٤٢م .

((وقد اعتمد في بحوثه على دراسات سادت في أيامه، في فلسفة التاريخ ودراسة الحضارات الإنسانية وتطـورها، واهـتم بهـذه الدراسات التي تعنى بالتطور الاجتماعي، و إعادة دراستها على أساس من نهج علمي .))[1]

وقد قسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين:

الأول: علم الاجتماع الخاص بالاستقرار أو (الاستاتيكا الاجتماعية) .وهي نظرية النظام أي شروط وجود المجتمع

الـثاني: علـم الاجتماع الخاص بالتطور أو (الديناميكا الاجتماعية).وهي نظرية التقدم أو حركته المستمرة

1- وزارة المعارف – مقرر علم الاجتماع- للصف الثالث ثانوي –السعودية - ١٤١٣هـ ،ص ٤.

ودراسة الاستقرار الاجتماعي في نظر كونت هي نوع من التشريح الاجتماعي بالدراسة الوضعية تجريبية كانت أو عقلية للتفاعلات والتأثيرات المتبادلة التي تحدث بشكل مستقر بين الأجزاء المختلفة للجهاز الاجتماعي [1]

إن تطبيق المنهج الوضعي على الظواهر الاجتماعية معناه محاولة الكشف عن القوانين الطبيعية التي تحكم الحياة الاجتماعية ، أي أن تطور المجتمعات تخضع لقوانين اجتماعية مماثلة للقوانين الطبيعية ، ولهذا سمي علم الاجتماع (بالفيزياء الاجتماعية) ، ((ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسته، باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر الفلكية، والطبيعية والكيماوية والفسيولوجية نفسها، من حيث كونها موضوعا للقوانين الطبيعية الثابتة)) [2]

ويرصد حسين رشوان المصادر الفكرية التي استقى منها كونت نظريته: وهم مجموعة من الفلاسفة والمفكرين السابقين عليه، فعن أرسطو أخذ فكرة التنظيم الاجتماعي، وتوزيع الوظائف ، وتأثر بكانط، وجال ، في تصورهما للوضعية في المنهج، وفي علم النفس الفيزيقي . وأخذ عن هيوم، وكانط، وتورجو، وجهة نظرهم في الحتمية التاريخية . وتأثر بمونتسكيو الذي أخذ عنه فكرة القانون في العلوم الاجتماعية، بمعنى أن الظواهر الاجتماعية تخضع للقانون . وتأثر بكتابات فولتير الذي سخر من الميتافيزيقا وأخذ عن كوندورسيه مفهوم التقدم و تأثر في تحليله لظاهرة تقسيم العمل بآدم اسميث وغلب عليه تأثره بأستاذه هنري سان سيمون وتبنى كثيرا من أفكاره وآرائه . [3]

((ويرى كونت أن علم الاجتماع يستخدم الملاحظة والتجارب والمقارنة المرتبطة بشكل دقيق في النظام الاجتماعي لأوروبا الصناعية . وقد كان كونت من الناحية العلمية فيلسوفا وضعيا مازجا بينها وبين الرؤى السطورية للمجتمع، لذلك رأى التقدم من خلال ثلاث مراحل: المرحلة اللاهوتية، و الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة)، و الوضعية .وتتضمن المجتمعات البشرية تقدما فكريا عبر هذه المراحل الثلاث . وقد سماها بمراحل (بدائية، و متوسطة، و علمية) وغالبا ما تتطور المجتمعات من التركيب النشيط إلى التركيب المعقد مستخدما في ذلك التشبيه العضوي . فضلا عن ذلك فإن (كونت) يرى المجتمع من خلال نظام

---

1 - عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، دار المعارف ـط التاسعة – القاهرة ١٩٨٢م.ص ص ٢٦٢ – ٢٦٣ - للزيادة انظر – نقولا – نظريات علم الاجتماع ، ترجمة محمد عودة وآخرون – دار المعارف ط السابعة- القاهرة – ١٩٨٧م. ص ص ٥٢-٦٠ و عبد القادر عرابي – النظريات الاجتماعية ص ص٥١-٥٣ و٣ حكمت العرابي – النظريات المعاصر في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٦٩

2 - نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع ترجمة محمد عودة وآخرون – دار المعارف ط السابعة- القاهرة – ١٩٨٧م. ، ص٤٩

3 - حسين رشوان ، علم الاجتماع وميادينه - المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر - ط الثانية ١٩٩٧م.-ص ص ١١٤-١١٥

تقسيم العمل ليتعرّف على درجة تعقيد المجتمع الذي تزداد درجة اختلافاته و تخصصاته . وفضلا عن الدين واللغـــة فإن نظام تقسيم العمل يخلق التضامن الاجتماعي ، وفي الوقت نفسه يخلق تقسيما اجتماعيا جديدا بين الطبقات وبين الأوساط العامة والخاصة)) [1]

إسهامات كونت في علم الاجتماع: تنوعت إسهامات كونت في تنمية علم الاجتماع ومنها:

اهتمامه بالفلسفة الوضعية التي قادته إلى ابتكار علمه الجديد (علم الاجتماع) فلقد كان كونت:

- ينظـــر إلى الفلسفة على أن ليس لها هدف في ذاتها ولكنها وسيلة للوصول إلى غايات علمية في شئون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين ، و كان يرى أن تنظيم هذه الشئون لا يتم إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومنهج بحث وطريقة تفكير .
- محاولته إيجاد ترابط بين كل من التفكير الوضعي (العملي) والتفكير اللاهوتي.
- الإقرار بسيادة وشمول المنهج المتيفيزيقي ، وإهمال المنجزات أو الحقائق العلمية التي حققها المنهج الوضعي .
- تحقيق سيادة المنهج الوضعي ، وشموليته واحتواؤه لكافة المظاهر التي يعيشها المجتمع.
- تحديد مكانة علم الاجتماع في نطاق العلوم الأخرى .
- تحديـــد المـــنهج في علم الاجتماع ، حيث كانت رؤيته للمنهج تتحدد في النظرة الشاملة لكافة المظاهـــر المخـــتلفة للحياة الاجتماعية في حالة الاستقرار، أو حالة التطور ، فالظواهر مترابطة ، وإدراك هـــذا الترابط يعد من الإجراءات العامة في تحليلات موضوعية تعتمد على الانسياب من المركب إلى البسيط . [2]

وقد لخص عدلي أبو الطاحون أهم إنجازات كونت في علم الاجتماع في ثلاث نقاط هي:

١) أوضح أن أهداف علم الاجتماع تجمع بين التنظير والتطبيق .

٢) يمـــثل المنهج الوضعي الأساس الأول والرائد للمنهج العلمي المعاصر ، وإن كان قد أشار إلى أهمية الملاحظة والمقارنة والتحليل والتجريد ، واكتشاف الحقائق ثم صياغة القوانين

٣) أثـــارت مفترضات كونت الأساسية قضايا هامة عن التفسيرات الطبيعية (أي مدى ملائمة الغرائـــز) والنماذج الحتمية لتفسير التطور الاجتماعي، وتصورات المجتمع في إطار نسق القيم السائدة . [3]

---

1 – معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع العاصر، دار الشروق – ط الأولى – الأردن– ٢...م ص ١٦٥

2 – حسن همام و آخرون، مدخل علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص ص ٣٠– ٣٤

3 – عدلي أبو الطاحون ،في النظريات الاجتماعية المعاصرة ، – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية (د.ت). ص ٩٢

ب- أميل دوركهايم (١٨٥٨ - ١٩١٧م): ينتمي دوركهايم إلى إحدى العائلة اليهودية المتدينة و أثناء دراسته الجامعية اعتنق التفكير العلماني ، وقد كان يرى ((أن التفكير الديني - اليهودي، والمسيحي، المحرفان - لم يعد قادرا على مواجهة ما يطلق عليه: الروح العلمية)) [١]

ويعتـــبر ((إمـــيل دوركهايم) أنجب وأخلص تلاميذ أوجست كونت فلقد سار على خطى أستاذه وألتـــزمها ودافع عنها، وأصبح أحد دعائم الحركة العلمية في علم الاجتماع فهو ((منشئ علم الاجتماع الحديث غير مدافع ، وزعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع التي لا تزال قائمة حتى وقتنا الحاضر . ويرجع إلـــيه والى أعـــوانه وتلامـــيذه المباشـــرين دعائم الفضل في إرساء الدراسات الاجتماعية بمختلف فروعها ومظاهرها على أرسى ما تكون الأسس والقواعد، ووصل هو وزملاؤه في هذا الصدد إلى نتائج وقوانين لا تزال موضوع التقدير)) [٢].

ولقد ارتبط اسم دوركهايم بالعديد من الإسهامات في مجالات متنوعة تدور حول المنهج وقواعده في علـــم الاجـــتماع، وتقسيم العمل الاجتماعي إلى علم الاجتماع و العلوم الاجتماعية، وخصوصا الفلسفة وعلم النفس، والأشكال الأولية للحياة البدائية، علاوة على إنجازات وإسهامات أخرى كثيرة ساعدت على إضفاء مسحة علمية على علم الاجتماع، حددت موضوعه ومنهجه وميزته عن علم النفس، وعن الفلسفة تأكيدا لاستقلالية هذا العلم، وتحديد أبعاده بدقة وموضوعية كعلم وضعي . [٣]

أهم آرائه:

أ: الوعي الجمعي: يرى دوركهايم أن عقول الأفراد داخل المجتمع هي امتداد و أجزاء للعقل الكبير ، أي للوعي الجمعي الذي يستلهمون منه حقيقتهم الفردية أي ذواتهم كأفراد ...ويرى دوركهايم أن الفرد له شعوران : أحدهما يتقاسمه مع الجماعة ، والثاني خاص بالفرد وحده[٤].

والعقـــل الجمعـــي - عند دوركهايم - ظاهرة محسوسة وملموسة . ويقصد بذلك أن العقل الجمعي شـــأنه شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى يقوم في المجتمع من فطرة التجمع تلقائيا نتيجة للتفاعل بين أفراد المجتمع، ويستمر في البقاء بشكل معين .[٥]

---

1 - أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع - سلسلة المنتدى الإسلامي - ط الأولى ١٤٢١هـ لندن .ص ١٧

2 - مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه - دار المعارف - القاهرة - مصر - ط الأولى ١٩٧٩م .ص ١.

3 - حسن همام و آخرون، مدخل لعلم الاجتماع،مرجع سابق ، ص ٣٦

4 - حسن همام و آخرون، مدخل لعلم الاجتماع، مرجع لسابق، ص٣٨

5 -حسين رشوان، علم الاجتماع وميادينه،مرجع سابق ، ص١٤٣

ب – تقسيم العمل:

يعتـبر تقسيم العمل في المجتمع أحد الدعائم الأساسية التي يرتكز عليها منظور دوركهايم الوظيفي ، لتحقـيق الـتكامل والتضـامن بـين الأنظمة الاجتماعية المختلفة في المجتمعات المعاصرة، للتطور العلمي والتكنولوجـي الصـناعي، وتعقـد العمل وزيادة التخصصات كان لا بد من توزيع إمكانيات الأفراد ، ومـا يـرتبط بها من أدوات وعلاقات بين أعضاء المجتمع حتى يمكن إنجاز العمل وتحقيق أهداف المجتمع ، فتقسيم العمل في المجتمع لا يؤدي إلى انحرافات وتضاربات للاهتمامات بين أعضاء المجتمع ، بل يؤدي إلى تحقيق درجة عالية من التضامن والتكامل بين أعضاء المجتمع وبين أجزائه المختلفة .

ويـرى دوركهايم بأن التضامن الآلي خاصية من خواص المجتمعات التقليدية ، وذلك بواسطة الضمير الجمعي والتضامن العضوي الذي سيعتمد فيه الأفراد على بعضهم البعض بسبب تقسيم العمل . [١]

ومـن أهم آرائه كذلك قوله بوجوب دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجية بالنسبة إلى شعور الأفراد [٢]

ولقد قسم دوركهايم علم الاجتماع إلى ثلاثة موضوعات هي:

١) المورفولوجيا الاجتماعية (التركيب الجغرافي) -أي دراسة جغرافية للبيئة وسكانها ، وعلاقة ذلك بالكيان البشري وتوزيعهم على الساحة التي يعمرونها-.

٢) الفسـيولوجيا الاجتماعية – الوظائف الاجتماعية -(تتضمن العمليات الاجتماعية الديناميكية كالعقائد والقانون والاقتصاد).

٣) علم الاجتماع العام (دراسة الظواهر الاجتماعية) . [٣].

ومن أهم مؤلفاته (قواعد المنهج في علم الاجتماع) وكتاب (تقسيم العمل الاجتماعي) صدر عام ١٨٩٣م .

أميل دوركهايم والتربية:

شـكلت أعمالـه السوسيولوجية، على مستوى المنهج والنظرية، الجذور الأولى لولادة اجتماعيات التـربية ، وذلـك حـين بدأ يلقي دروسه ومحاضراته الأولى في جامعة السربون والتي نشرت تحت عنوان ((التربية الأخلاقية)) والتي شكلت الأسس الأولى لعلم الاجتماع التربوي، ويضاف إليها أعماله الأخرى

---

1 – عدلي أبو الطاحون، في النظريات الاجتماعية المعاصرة،مرجع سابق، ص ص ١١٩-١٢.

2 – عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع،مرجع سابق، ص٢٧٣

3 – حسن همام و آخرون، مدخل لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص ٣٩- ٤.

الـــتي تطرقت إلى التربية مثل ((التربية والمجتمع ، والتطور التربوي في فرنسا)) وتعد هذه الأعمال من أهم الأعمـــال التي سجلت في مجال النظرية الاجتماعية التربوية على وجه العموم، وقد تقلد منصب ((كرسي الأستاذية الذي شغله من عام ١٩١٣م حتى وفاته ، تحت اسم كرسي علم الاجتماع والتربية)) .[١]

وقـــد كـــن لدوركهايم ((فضل السبق بين علماء الاجتماع الكلاسيكيين، في تحليله للعملية التربوية كجزء متكامل من نظريته الاجتماعية العامة)) [٢]

ويـــرى علـــي أسعد أن دوركهايم استطاع أن يصل إلى نتيجة أساسية وهي: ((أن علم التربية علم اجتماعي وذلك على مستوى المنهج والنظرية والتطبيق . فالتربية كما يعلن دوركهايم في محاور عديدة من أعماله هي قبل كل شيء الوسيلة التي يحدد المجتمع عن طريقها ، وباستمرار شروط حياته الخاصة، و تكمن وظيفتها الأساسية على حد قوله في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية)) [٣]

ويعـــود إلى دوركهايم فضل السبق في تحليل العملية التربوية، إلى اعتبار تلك العملية جزء من وظيفة علـــم الاجتماع العام ، حيث نظر إلى الظاهرة التربوية بأنها قضية اجتماعية هامة يجب العناية بها، وفي هذا الصـــدد يمكـــن القول بأن دوركهايم هو أول من أعلن بوضوح عن الحاجة إلى مدخل اجتماعي لدراسة التربية، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . [٤]

الـــدين والتـــربية والأخلاق عند دوركهايم: يقول دوركهايم عن الدين والتربية ((يجب علينا أن نصـــهر نظامنا التعليمي في بوتقة حتى نستخلص منه شيئا جديدا ، ويجب أن نستعيض عن مصدر الوحي القديم الذي لم يعد يبعث في القلوب إلا صدى ضعيفا خافتاً بمصدر آخر)) [٥]

أما الأخلاق فيدعو دوركهايم إلى اعتبار المجتمع هو غاية السلوك الأخلاقي بدلا من ((الله)):

يقـــول دوركهـــايم (المجتمع هو غاية السلوك الأخلاقي (وما دمنا قد حرمنا على أنفسنا الاستعانة بالأفكـــار الدينية، فلن نجد كائنا معنويا واحدا يسمو على الأفراد ويمكن ملاحظته تجريبا سوى ذلك الذي يكون الأفراد عند اجتماعهم وأعني به المجتمع .

---

1 – ملكة ابيض، علم الاجتماع التربوي – مطابع مؤسسة الوحدة – جامعة دمشق – دمشق -١٩٨٢م.ص٢و انظر في ذلك : سميرة السيد – علم الاجتماع التربوي – دار الفكر العربي –ط الثالثة ١٩٩٨م – القاهرة مصر. ص ص ٢٦-٣.

2 – الســـيد حنفي، علم الاجتماع التربوي – الأسس النظرية والمجالات التطبيقية – دار القاهرة للنشر – ط الرابعة – القاهرة ١٩٩٨م ص٣٦

3 – علي اسعد ،علم الاجتماع التربوي – مكتبة الفلاح –الكويت – ط الثانية ١٤١٨هـــ – ١٩٩٨م. ص ٢٧

4 – الســـيد حنفي عوض، علم الاجتماع التربوي،مرجع سابق ص ٣٦، و عبد الله الرشدان، علم الاجتماع التربوي دار عمار للنشر والتوزيع – ط الأولى –عمان (د.ت) ص ١٣

5 – دوركهايم، التربية الأخلاقية – ترجمة السيد بدوي – مكتبة مصر القاهر-د.ت ص٤

إن الكـــائن الـــذي توجه الأخلاق إرادتنا نحوه وتجعل منه هدفا أسمى للسلوك لن يتعدى واحدا من اثـــنين: أما الكائن الإلهي، و أما الكائن الاجتماعي . أما الفرض الأول فنستبعده على أساس أنه بعيد عن متـــناول العلم، فلم يبق إلا الثاني، وهو يفي كل حاجاتنا ويحقق كل أمانينا . إذن فما من شيء يصلح هنا للنشاط الأخلاقي سوى المجتمع، وهو النموذج وهو المصدر لكل سلطة أخلاقية)) [1]

تألـــيه المجتمع وتعطيل الإله (الله جل جلاله) هو موضوع التربية الأخلاقية عند دوركهايم اليهودي والـــذي شارك بني ملته من مفكرين وفلاسفة وعلماء في حربهم للدين و الذات الإلهية ، والتي هي خلاصة نظـــرياتهم وتـــوجهاتهم رغم اختلاف تخصصاتهم المعرّفية . ولا غرابة أن نسمع مثل تلك الأفكار في بيئة انحـــرفت عـــن الـــدين السماوي الصحيح (اليهودية، والمسيحية) وسيطرت عليها الخرافة و آراء الكهنة والقديســـين ، ولكـــن العجب كل العجب ممن تابعهم في ذلك من أبناء المسلمين والذين يتابعون هؤلاء الملاحدة في حربهم على الدين وعلى الله تعالى شأنه ، مع اختلاف الأسباب.

إن مـــتابعة علماء الاجتماع و التربية - المسلمين - لهذه الأفكار ، وبثها في المقررات وعقول أبناء المسلمين ، و تدريسها لهم من خلال مدارسهم وجامعاتهم ، و بدون أي توجيه أو نقد لها ، يعد أمرا خطيرا يخرج معتقده من دائرة الإسلام .

ولقد حاول دوركهايم و من خلال جميع أعماله (تقسيم العمل الاجتماعي) و (التربية الأخلاقية) و(قـــواعد المـــنهج) التركيـــز على فصل الأخلاق عن الدين وجعل المجتمع هو غاية الغايات وهو المشرع للأخلاق ، وجعل العلم هو السلطة الوحيدة القادرة على تفسير مظاهر الوجود كله . إذ يقول عن مؤلفه (تقسيم العمل الاجتماعي): ((يعتبر هذا الكتاب محاولة مثمرة لمعالجة حقائق الحياة الأخلاقية طبقا لمناهج العلم الوضعي)) وقوله: ((إن العلم يستطيع أن يفهم الدين، وأن يفسر قيام معتقدات دينية جديدة)) [2]

ثم انظـــر إلى قـــوله: عن (حقائق الحياة الأخلاقية) و أن التأمل فيها مرفوض، والعلم هو السلطة الوحيدة التي تكفينا تفسيراً لهذا الواقع، وهو وحده- أي العلم - الذي يصنف القيم المثلى ويعالج المشاكل، كمـــا أن دوركهـــايم يرفض دور الدين بل يلغيه ويحكم عليه بالموت ، كيف لا وهو يتبنى قانون المراحل الثلاث.[3]

ويـــتعجب المـــرء كيف اغفل هؤلاء الاجتماعيين العرب تلك الأصوات التي تعالت للرد عليه وعلى أمثاله، و حيث أن الساحة الفرنسية لم تكن خالية أمام هذا اليهودي و أمثاله بل كانت هناك أصوات ترتفع

1 - دوركهايم، التربية الأخلاقية، مرجع سابق ، ص٥
2 - أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٥٣
3 - أحمد خضر، المرجع السابق، ص٥٣

لرفض هذه الأفكار ومحاربتها ، وممن تصدى لهم هنري بونكاريه فهو: ((يؤكد رفضه للأخلاق العلمية، و أنها لم تكن ولن تكون)) . ويقول (فيخته): ((إن الدين من غير أخلاق عبث، والأخلاق من غير دين عبث)) ويقول المربي الفرنسي (جان إيزوليه): ((إن تأثر علم الاجتماع الذي يدرس في المائتي معهد للمعلمين في فرنسا بآراء السيد دوركهايم وحده، من أعظم الأخطار القومية التي تهدد البلاد)) [١]

ولقد استطاع دوركهايم أن يقلب الأدوار فعلا ، فقد أصبح علم الاجتماع معه يقوم بدور التوجيه العلماني لكل المؤسسات التي كانت خاضعة للتوجيه الديني [٢].

ثانيا: المدرسة الإنجليزية: (هربرت بنسر – ١٨٢٠ – ١٩٠٣ م):

ومن العلماء الإنجليز الذين ساهموا في نشأة علم الاجتماع الحديث (هربرت سبنسر) وقد بدأ دراسته بعلم الحياة ثم بعلم النفس ، و أخيرا إلى علم الاجتماع، وعلى ذلك فقد دخل إلى هذا المجال- علم الاجتماع – متأثرا بدراسته الأولى وهي الدراسات الحيوية التي جعلته ينتمي إلى مدرسة العضوية . وكان يرى أن الفلسفة هي حصر المعرّفة في مبدأ التطور وقد لقب بفيلسوف التطور .

كما تأثر سبنسر بأعمال دارون (١٨٠٩ – ١٨٨٢م)، عن أصل الأنواع (١٨٥٩م) وبأفكاره عن نظرية التطور الطبيعي والارتقاء الطبيعي للكائنات البشرية والبقاء للأصلح ... كما أثرت الفلسفة النفعية على تصور سبنسر للعلاقة بين الإنسان والمجتمع [٣]

ولقد كان تأثره بالدارونية ظاهرٌ في تصوره للمجتمعات الإنسانية ، حيث بنى هذا التصور على شاكلة التجمعات الحيوانية، فقضية التطور الكائن الحي من البسيط إلى الأكثر تركيبا، ومن شيء واحد متجانس إلى شيء غير متجانس وغير محدد ، غالبة عليه في تصوره لتكون الجماعات البشرية وتشكلها الاجتماعي .

ولقد ((انطلق هربرت سبنسر من فكرة النشوء العضوي والارتقاء، وطبقها على المجتمع والأشكال الاجتماعية ، فهو بهذه الفكرة العضوية قدم نموذجا خالصا للنظرية العضوية التطورية)) [٤]

ويؤكد نيقولا بأن المبدأ التطوري ((الأساس الحقيقي لمذهب سبنسر فقد صاغ في ((المبادئ الأولى)) ثلاثة قوانين أساسية، أولها قانون استمرار القوة الذي يشير إلى وجود واستمرار نوع من العلة النهائية تفارق

1 – علياء شكري، علم الاجتماع الفرنسي المعاصر – – دار الكتب للتوزيع – القاهرة ١٩٧٩م ص ٣٦

2 – محمد امزيان – منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، مرجع سابق، .ص٤٨

3 – عبد القادر عرابي، النظريات الاجتماعية – دار الخريجي – ١٤٢٣هـ – الرياض – السعودية .ص ص ٧٢-٧٣ –و انظر: حسن رشوان، علم الاجتماع وميادينه ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

4 – علي الحوت، النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ،ص ٨.

المعــرّفة، وثــاني القوانين هو قانون عدم قابلية **المادة للفناء** (..وقد ثبت عدم صحته في الوقت الحاضر) أما القانون الثالث فهو قانون استمرار الحركة أو اتصالها .)) [١]

ويــؤخذ على سبنسر اعتباره المجتمع كائن عضوي يظهر من خلال تجمع الكائنات العضوية الفردية ولجــأ إلى المقارنة والتمثيل وتشبيه المجتمع بالكائن الحي . ولا شك إن الطبيعة الحيوية تختلف في أسسها ، ومقوماتها ، ووظائفها عن الطبيعة الاجتماعية، لان الأفراد في الحياة الاجتماعية لم يجتمعوا ليأكلوا ويشربوا، ولكــن لينظموا شئون حياتهم ، ويصطلحوا على ما يحقق الخير المشترك.. وكذلك لم يميز سبنسر بين عالم الحيوان و الإنسان .(حسن رشوان، علم الاجتماع وميادينه، ص ١٣٥)[٢]

بل إن وجود الإنسان في هذا الوجود من أجل عبادة الله تعالى وعمارة الكون وفق شرع الله تعالى .

كمــا أن مبدأ البقاء للأصلح لا يمكن أن يسري على الإنسان وهو يحيا حياة اجتماعية يتناصر فيها الأفراد ويحمي القوي الضعيف ، كما أنه لا يسري على الحيوان ، حيث إن الواقع يخالف ذلك ، فكم من حيوان ضعيف استمر في الحياة مع هلاك أقوى الحيوانات كالديناصور وأشباهها

وقــد أخرج مؤلفات متعددة منها ((كالاستاتيكا الاجتماعية، ودراسة علم الاجتماع، ومبادئ علم الاجتماع .. .)) [٣]

ويؤكد معن خليل أنه في نهاية القرن التاسع عشر هيمن على علم الاجتماع نظريات مختلفة في التطور الاجتماعي وكان أهمها الداروينية الاجتماعية [٤]

ويمكن تلخيص المبادئ التي تقوم عليها هذه المدرسة العضوية فيما يلي:

١) اعتــبار علــم الحياة هو الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع .أي أن المبادئ الحيوية يجب أن يكون لها اعتبارها عند تفسير الظواهر الاجتماعية .

٢) إن المجتمع الإنساني وحدة حية تختلف عن كونها مجرد مجموعة من الأفراد المنعزلين.

٣) لمــا كان أفراد المجتمع يخضعون للقوانين البيولوجية فإن المجتمع الإنساني بذلك لا يخرج عن كونه كائنا عضويا .

٤) ولمــا كان المجتمع الإنساني كأي كائن عضوي يتكون من خلايا حية (الأفراد) أصبح المجتمع بذلك كالكائن العضوي في تركيبه وأعضائه و وظائفه .

---

1 – نيقولا، نظريات علم الاجتماع، مرجع سابق ص٦٦

٢ –انظــر: مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه ، مرجع سابق ، ص ص ١,٥-١,٩ حيث نقد سبنسر في منهجه وآرائه ونتائجه التي وصل إليها.

3 – نقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٦٣

4 – معن خليل– معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع سابق ، ص ٣٨.

ويعتبر كتابه ((مبادئ علم الاجتماع)) الذي نشر عام ١٨٧٦م أهم ما كتب في علم الاجتماع وقد وضح فيه سبنسر نظريته العضوية التي اشتهر بها [١]

ثالثا: المدرسة الألمانية:

قـــد لا نجـــد في ألمانيا علم اجتماع بالمعنى المفهوم في فرنسا . ولكننا نجد فلسفة اجتماعية وفلاسفة اجتماعـــيين، وســـبب هـــذه الظاهرة أن المفكرين الألمان وجهوا مزيد عنايتهم إلى فلسفة التاريخ وفلسفة السياســـة، وفلسفة الاقتصاد . وما عالجوه من شئون اجتماعية جاء مختلطا بهذه الفلسفات وخاصة بفلسفة التاريخ [٢]

وإذا كـــان فيبر أكبر علماء ألمانيا المهتم بالاجتماع فقد قال عنه (نقولا تيماشيف): ((والواقع أن كثيرا من كتابات فيبر لا تنتمي إلى ميدان الاجتماع بنطاقه المعروف فأغلبها يعالج مشكلات ملموسة أكثر مما يعالج موضوعات أساسية في النظرية العامة لعلم الاجتماع.))[٣]

ولعلنا نعرض لأبرز العلماء الألمان وأكثرهم تأثيرا في دراسات علم الاجتماع المعاصر ومنهم:

١- كـــارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٢م): ولد ماركس في مدينة ترير بألمانيا في أسرة كانت تعتـــنق الـــيهودية، ثم اعتنقت الديانة البروتستانتية، وقد درس ماركس القانون في جامعة بون ، ثم وأصل دراسته العليا في التاريخ والفلسفة ، وبعد عمله في التدريس الجامعي تم طرده من ألمانية إلى باريس ثم وطرد منها كذلك إلى بروكسيل ، وكان من أسباب طرده مواقفه الراديكالية والمناقضة للحياة الاجتماعية السائدة في أوربا حين ذلك، ولقد استقر به المقام في لندن وقضى بها ١٨٨٢م .

ومـــن أهم أعماله في علم الاجتماع: العقيدة الألمانية بالاشتراك مع إنجلز، و فقر الفلسفة وقد أثرت كتاباته على علم الاجتماع .

وقد حدد معن خليل خمسة مجالات مهمة غطاها ماركس في علم الاجتماع في كتاباته هي:

١- كان في كتاباته الأولى مولعاً بمفهوم الاغتراب .

٢- رؤيته المشهورة حول العلاقة بين الحياة الاقتصادية والمؤسسات الاجتماعية

٣- اهتمامه البارز بالحكومات البدائية في المجتمعات الإنسانية .

٤- اهتمامه بالصراع والتناقض (صراع الطبقات وبناء نظرية في التغير الاجتماعي).

٥- اهتمامه في المجتمع الرأسمالي . [٤]

---

1 – عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص ٢٧.

٢ – انظر: مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه مرجع سابق ، ص ٥١ ، وزارة المعارف، مقرر علم الاجتماع ص ٤٢

3 – نقولا تيماشيف ،نظريات علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٥٣

4 – معن خليل –معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع سابق ، ص ٢٨٩

نظـــريته الماركســـية: تســـتمد النظرية الماركسية أصولها و أفكارها و جذورها الفلسفية من ثلاثة مصـــادر، و هي الفلسفة الألمانية، والاشتراكية الفرنسية، والاقتصاد السياسي الإنجليزي ، و امتزجت هذه المصادر بالظروف السياسية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية في عصره والتي تمخضت عنها فلسفته المادية الماركسية [١]

وتـــرى النظرية الماركسية بأن الاقتصاد أو العامل المادي يحتم الكثير من الظواهر الاجتماعية ويساعد علـــى تفســـيرها، وتركز الماركسية على التناقض والصراع بين الطبقات الاجتماعية ولقد سقط المذهب الماركســـي بكـــل مقوماته وفلسفاته الجدلية والشيوعية والاشتراكية بسقوط المنظومة الشرقية التي كانت تتبناه ، وتخلت عنه لفشله وعدم صلاحه وفي ذلك غنية عن نقده.

وقـــد ادعت المدرسة الماركسية في علم الاجتماع الموضوعية والعقلانية و الالتزام بالمادية التاريخية ، ومـــن أقوالهم في أصول النظرية الاجتماعية ما يردده كل من (كونستانتينوف، وكيل) في كتابهما (علم الاجتماع الماركسي) ومنه قولاهما: ((إن العلم الاجتماعي الذي يلتزم التزاما صارما بموقف المادية التاريخية هـــو وحـــده القادر على ممارسة وظيفته الجوهرية الاجتماعية)) ويقولان أيضا: ((ومن ثم نجد إلى جانب الارتـــباط العضوي العميق بين علم الاجتماع الماركسي والنظرية الاشتراكية العلمية فروقا نوعية)) وهما يقولان أيضا بالجمع العجيب بين الموضوعية والالتزام المذهبي في علم الاجتماع والإخلاص للمبدأ [٢]

سقوط الماركسية: يصف (أيان كريب) في مؤلفه النظرية الاجتماعية وذلك عند بداية حديثة عن النظرية الماركسية و السقوط السريع والمفاجئ لها فيقول: مضت عشر سنوات منذ أن كتبت هذا الفصل، وقـــد انقلب العالم من يومئذ رأسا على عقب بطريقة ما كان يمكن لأحد أن يصدقها آنذاك، بل ما كان يمكـــن أن يصدقها حتى منذ أربع سنوات خلت . وهذه التغيرات من العمق بحيث بات من الصعب الآن الكـــتابة عن الماركسية وبخاصة عن أي اتجاه يطرح الماركسية التقليدية . والظاهر حاليا أن أي نظام يدعو نفسه شيوعيا يجلب العار على نفسه . [٣]

حقـــا لقـــد كان لسقوط هذه النظرية دلالة واضحة أن الأفكار البشرية المناهضة للطبيعة الإنسانية والمعاكسة للفطرة مهما كانت قوة السلاح التي تحميها فإنها ستسقط من الداخل ، وسيخر السقف من فوق على أصحابه ، وذلك قبل أن تسقطه الظروف الخارجية المعادية لها، وإن ادعت الرأسمالية الغربية الانتصار علـــى المعسكر الشيوعي فإن الحقيقة أن تناقض الماركسية ومصادماتها للفطرة هي التي أكلت أحشاءها من الداخل ، و لم يكن أعداؤها الخارجون يجرئون على النظر إليها ، بل كان أملهم كسب ودها وصداقتها .

1 – عبد القادر أعرابي – نظريات علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص ٦١-٦٢

2 – محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، المسلم المعاصر، ، مرجع سابق ، ص ٢١،

3 – أيان كريب– النظرية الاجتماعية، مرجع سابق ، ص ٢٢١

٢- (مـــاكس فيـــبر ١٨٦٤ - ١٩٢.م):هو من أهم الأسماء المشهورة في المدرسة الاجتماعية الألمانية وهو من أشهر مؤرخي القانون ومن المهتمين بالسياسة والاقتصاد و الاجتماع ، واشتملت دراساته علـــى معـــرّفة العلاقات التي تربط الاجتماع الإنساني بالتاريخ والدين والاقتصاد ، و قد قدم ماكس فيبر العديد من الإسهامات في علم الاجتماع الحديث والمتتبع لإسهاماته يلحظ قدرها وتنوعها في القانون وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها من المجالات المتنوعة والمتعددة .

وقـــد تـــرك فيـــبر مـــؤلفات علمية كثيرة تتناول علم الاجتماع و السياسة الاجتماعية، مقالات في الاجـــتماع الـــديني ، و الـــتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الاقتصادي، والأخلاق البروتستانتية ، وروح الرأسمالية . [١]

ومـــن أهم دراساته تلك المتعلقة بدراسة العلاقات التأثيرية المتبادلة ما بين الدين والاقتصاد في فترات تاريخـــية معيـــنة ، وفي إطار بناء اجتماعي و اقتصادي و ثقافي معين ، ساعدت خصائصه إلى حد بعيد في تحديد الأبعاد الحقيقية لتلك العلاقات التأثيرية المتبادلة ما بين الدين والاقتصاد .[٢]

وقد عد (نيقولا يتماشيف): ((ماكس فيبر_ واحدا من أعظم علماء الاجتماع الذين ظهروا خلال القرن العشرين وذلك للأسباب التالية: أولها و أهمها: إن أعماله قدمت لنا أمثلة رائعة على الدراسة الدقيقة الجـــادة للمواقـــف الاجتماعـــية الملموسة والعمليات التي يجبْ أنْ تشْكل أساس أية نظرية سوسيولوجية ملائمـــة ...ثانيا: إنه أسهم بشكل واضح في توضيح الدور الهام الذي تلعبه القيم في الحياة الاجتماعية في الوقت الذي ظل يؤكد فيه ضرورة أن تظل العلوم الاجتماعية متحررة من القيمة . ثالثا: إنه أوضح كيف أنـــنا نســـتطيع أن نحقق الكثير باستخدام فكرة النموذج المثالي في العلوم الاجتماعية . و أخيرا: أنه أسهم بشكل كبير في فهم السببية الاجتماعية وارتباطها بمشكلة المعنى في الموضوعات الإنسانية.))[٣]

موقف ماكس فيبر من الإسلام: كان ماكس فيبر يكن عداء عميقا ولديه كراهية شديدة للإسلام ، و لم يكن يتعامل مع الإسلام بالموضوعية أو بصورة علمية أو نزيهة، إنما كان عنصريا ينتقد الإسلام بطريقة تعكـــس كل صور الحقد والتحيز الأوروبي ضد هذا الدين في القرن التاسع عشر . حيث كان الأوربيون حينها ينظرون إلى الإسلام على أنه الخطر الرئيس العسكري والخلقي للمسيحية، ... وقد عكست كتابات (ماكس فيبر) عن الإسلام مختلف أبعاد الصورة القائمة في ذلك المجتمع الأوربي الصليبي .[٤]

1 - مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مرجع سابق ، ص ٦٤

2 - حسن همام و آخرون ن مدخل لعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص٤٦

3 - نيقولا يتماشيف، نظريات علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص٢٧٦

4 - أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣

رابعا: المدرسة الأمريكية:

مع بزوغ القوة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى ومحاولتها الخروج إلى العالم الخارجي و استقطابها لكـثير من العلماء والمفكرين الهاربين من جحيم الحرب في أوروبا إلى بلاد الحرية الجديدة والمفعمة بالعمل والنجاح .

في هذه الظروف المشجعة للبحث العلمي وللمعرّفة ، وجد علم الاجتماع المعاصر كثيرا من عوامل الازدهار والنجاح والانتشار ، وخاصة في الجامعات الأمريكية الكبرى ، وظهر هناك أكثر من عالم اجتماع وأكثر من مدرسة اجتماعية ، وأخذ علم الاجتماع منحا جديداً في البحث والمواضيع المبتكرة ذات التأثير الاجتماعي الميداني . ولعل من أشهر العلماء الاجتماعيين الأمريكيين ما يسمى بـ (مدرسة شيكاغو)

١- مدرسة شيكاغو:

لقد سيطرت هذه المدرسة على علم الاجتماع الأمريكي خلال الحربين العالميتين والتي أنتجت أعمالا اجتماعـية رائدة ((كذلك غطت مساحات واسعة في مجال البحث أبرزها وأفضلها ما كان في ميدان علم الاجـتماع الحضري، وفتحت نمو منهج التفاعل الرمزي الذي أثر بشكل بالغ على العديد من الدارسين في علم الاجتماع وبخاصة الدارسين لموضوع المهاجرين ومشاكلهم وعلاقة الأعراق و الأقليات الأثنية والطائفية والدينية ، حتى غدت مؤثرة على المتخصصين في العلوم الإنسانية الأخرى (سياسة واقتصاداً وعلم الإنسان وعلم النفس) ومؤثرة على علماء الاجتماع ممن يملكون الحس الإنساني)) [1]

كمـا اهـتمت المدرسة الأمريكية بالدراسات الخاصة بالشعوب بشكل وصفي و مشكلات المدن ، بالإضـافة إلى الأعمال والمهن المنتشرة فيها ؛ كالأطباء والمدرسين والمهندسين والعاملات ، والمهن الخاصة بالعرقيات والطبقات الاجتماعية المختلفة .

٢- بارسونز، تالكوت (١٩٠٢- ١٩٧٩ م):

بارسونز من أشهر علماء الاجتماع الأمريكيين المعاصرين ، وله تأثيره على علم الاجتماع المعاصر ، كانت حياته الدراسية الجامعية مفعمة بالمعرّفة ، إذ تنقل بين الجامعات الأمزيكية والبريطانية ثم الألمانية التي منحته درجة الدكتوراه ، ثم عاد إلى الجامعات الأمريكية ليعمل باحثا ومحاضرا بها من عام ١٩٢٧م حتى عام ١٩٧٩م ، وخلال هذه الفترة قدم كثيراً من الأعمال الاجتماعية الرائدة مثل كتابه (بناء الفعل الاجتماعي) الـذي يعكـس عمله ومساهمته في بناء النظرية الاجتماعية، وقد تم انتخابه رئيسا لجمعية علماء الاجتماع الأمـريكيين ، ثم توج عمله ذلك بنشر كتابه (النسق الاجتماعي) والذي مهد لظهوره عالميا كرائد من رواد علم الاجتماع المعاصر.

1 - معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع سابق ، ص ١٤٩

وقـــد ((حصل انبعاثا لنظريته (النسق الاجتماعي) ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل في العالم ؛ بحيث وصف كل من هلتز وتيرنز وسولي وجيرستاين في عام ١٩٨٦م أعماله في النظرية الاجتماعية بأنهـــا مساهمة فاقت مساهمة كل من ماكس فيبر و دوركهايم، بل حتى أكثر من مساهمات الذين أتوا بعده من منظرين في علم الاجتماع.))[١]

وقـــد اســـتخدم بارسونز مصطلح النسق الاجتماعي، وإن كان قد سبق أن استخدم هذا المصطلح بشكل واسع في العلوم الطبيعية والاجتماعية ((النسق بكل أجزائه مترابطا وأنه غالبا ما يتم مشاهدته على أنه هدف أو غرض أو وظيفة موجودة لإشباع بعض الأهداف أو الأغراض.)) [٢]

وأما في أعمال بارسونز ١٩٥١م فقد حدد النسق الاجتماعي في مجال فردين أو أكثر يشتركون في تفاعل مستمر محيط محدد . ومع ذلك فإن المفهوم غير محدد بالتفاعلات الشخصية – الذّاتية –بل إنه يشير إلى تحليل الجماعات والمؤسسات والمجتمعات والكينونات الداخلية للمجتمع . وقد يستعمل على سبيل المثال في تحـــليل الجامعــــة أو الحكومة كنسق اجتماعي يتضمن بناءً اجتماعياً متكوناً من أجزاء .و هناك شكلان آخران لنموذجين يقترنان مع المفهوم هذا هما:

١) تميل الأنساق الاجتماعية عبر الزمن نحو التوازن بسبب وجود حدود تحفظ النسق.

٢) يمكن اعتبار الأنساق الاجتماعية و زاوية علم الضبط على أنها أنساق معلوماتية أو مدخل ومخارج النسق في الوظيفة إبان العقد الخامس من القرن العشرين و كان من الوارد رسم تشابه بين الأعضاء الحية والأنساق الاجتماعية على أنها أنساق مستقرة ومنسجمة.[٣]

((وينظـــر التصور البنائي الوظيفي عند بارسونز للواقع الاجتماعي باعتباره نسقا تتكون من أجزاء ويتميز بسمتين أساسيين و أولهما: إن هناك اعتماداً متبادلا بين الأجزاء التي يتكون منها النسق، وثانيهم: إن النسق يحافظ على ذاته ، فإذا ما أصابه تغير عاد إلى حالة توازنه الأولى)) [٤]

موضوعات علم الاجتماع

هـــناك من يقسم ميادين علم الاجتماع إلى موضوعين: الأول موضع الظواهر الاجتماعية من حيث نشأتها وتطورها وثباتها وتفسيرها، واختلافها باختلاف الأزمنة و باختلاف الشعور، والموضوع الآخر هو

1 – معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع سابق ، ص ٣٢٩

2 – معن خليل عمر، المرجع السابق، ص ٣٢٩

3 – معن خليل عمر، المرجع السابق ، ص٣٨٦

4 – غريب سيد أحمد، وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية – مصر – ١٩٩٦م.ص١١٢

الـــنظم الاجتماعية كالنظام الأسري، والنظام الاقتصادي، والنظام السياسي، والنظام التعليمي وغيرها من النظم التي يستمد منها المجتمع وجوده وكيانه ، ولهذا فإن أي تحليل للحياة الاجتماعية لا يمكن أن يتم بدون دراسة تفصيلية وافية لهذه النظم .[١]

ويرى محمد عاطف غيث: بأن مواضيع علم الاجتماع قائمة على محورين هما .

١ – دراسة السلوك الاجتماعي والإنساني من حيث موضوعاته واتجاهاته وارتباطاته ومختلف نتائجه.

إن ما تدور حولها موضوعات علم الاجتماع هي المجتمعات الإنسانية بما تضمه من جماعات وروابط باعتبارها أنساقا اجتماعية تضم أنواعا متعددة من العلاقات الاجتماعية.[٢]

1 – حسين رشوان، علم الاجتماع وميادينه ، مرجع سابق، ص ص ٢٥–٢٧

2 – محمد عاطف غيث –علم الاجتماع ، دار المعارف، القاهرة ، ج١، ص١٨٤

المبحث الثاني

ميادين علم الاجتماع

لقــد نمــا علــم الاجتماع خلال القرنين الماضيين نموا سريعا و تعددت اهتمامات علماء الاجتماع فشــملت كثيرا من جوانب الحياة الإنسانية مما نتج عنه كثيرا من الفروع والمجالات الجديدة المنطوية تحت مظلة هذا العلم ومنها على سبيل المثال:

١- **علم الاجتماع الاقتصادي:** ويدرس علم الاجتماع الاقتصادي العلاقات و الصراعات التي تنشأ بين العمــال والإدارة . ويهتم كذلك بالروح المعنوية للعمال ومبلغ رضائهم عن أعمالهم ، كما يمكن لعالم الاجتماع الاقتصادي أن يلاحظ المتغيرات الاجتماعية في المجالات الاقتصادية وغير الاقتصادية في المنشأ الصــناعية ، ويــدرس علــم الاجتماع الاقتصادي العلاقة بين الإنتاج الاقتصادي وبعض المشكلات الاجتماعية ، ويدرس النظم الاقتصادية من مجتمع إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى.[١]

٢- **علــم الاجــتماع السياسي:** هو علم يهتم بتحليل النظم والظواهر السياسية في علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى . وكذلك العلاقة بين السلوك السياسي والسلوك الاجتماعي.[٢]

٣- **علم الاجتماع القانوني:** يدرس علم الاجتماع القانوني الحقيقة الكلية للقانون، ويهتم بالقوانين من زاوية تأثيرها في النظم الاجتماعية المختلفة وتأثرها بها . ويعالج هذا العلم التأثيرات التي تمارسها عدد من الظواهــر الاجتماعــية علــى القواعد والنظم القانونية كالتنشئة الاجتماعية، وأنساق القيم، والتقسيم الطبقي، والسلوك الجمعي .[٣].

٤- **علــم الاجتماع العائلي:** يدرس هذا العلم نشأة النظام العائلي وتطوره وأشكاله، وإجراء المقارنات عبر الزمان والمكان ، كما يدرس الأسرة كنسق اجتماعي ذي أجزاء ترتبط وتتفاعل فيما بينها ويعتمد كــل مــنهما على الآخر ، ويهتم علم الاجتماع العائلي بالظواهر والعلاقات داخل الأسرة كالنسب والقرابة والزواج والأمومة والطفولة والتبني-في المجتمع غير الإسلامي- والشيخوخة. [٤]

---

1 – حسين رشوان، علم الاجتماع وميادينه ، مرجع سابق، ص ص ١٧٧-١٧٩

2 – حسين رشوان، المرجع السابق، ص١٧٩

3 – حسين رشوان، المرجع السابق، ص١٨٢

4 – حسين رشوان، المرجع السابق، ص١٨٩

٥- **علـــم الاجـــتماع التربوي:** يهتم علم الاجتماع التربوي بالتربية من زاوية كونها إحدى الظواهر الاجتماعـــية ، فهـــي من صنع المجتمع ، ويهتم كذلك بالتفاعل بين المدرسة والبناء الاجتماعي بجميع مؤسساته [١].

وقـــد عـــرّف (أوتاري ١٩٧٠م) علم الاجتماع التربوي على النحو التالي: ((علم الاجتماع التربوي هو دراسة العلاقات بين التعليم والمجتمع وهو من هذه الناحية نوع من الدراسة الاجتماعية وطريقة في الـــبحث علمية ، وتتركز مجالاته في أهداف التربية وطرائقها ومؤسساتها وإداراتها ومناهجها ، وعلاقة ذلك كله بالجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية في المجتمع وبالإطار الثقافي بأسره)) [٢].

ولقد تطور علم الاجتماع التربوي خلال القرن العشرين وتعددت اتجاهاته واهتمامات القائمين عليه ممـــا ترتب عليه تغير مواضيعه و ميادينه حتى وصل الأمر إلى تغير الاسم إلى علم اجتماع التربية ومع هذى التغير واكبه تغير في المحتوى والمنهج ، ويشير جنسن في كتابه (علم الاجتماع التربوي) ((أن ثمة تمييز بين مصـــطلحي علـــم الاجتماع التربوي، وعلم اجتماع التربية، فالأول يهتم أساسا بالقضايا التي تستمد من التربية، بينما تستمد قضايا موضوعات علم اجتماع التربية من ميدان علم الاجتماع ؛ حيث يؤكد أن محور اهـــتمام علم اجتماع التربية هو البحث عن الجوانب السوسيولوجية للظاهرة التربوية، والعلاقة بين النظام التربوي والنظم الاجتماعية الأخرى في المجتمع ٠كذلك المشكلات التربوية ذات الطابع الاجتماعي ٠)) [٣]

1 – حسين رشوان، المرجع السابق، ص١٩.

2 – أفكار سالم، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق، ص ٢٤

3 – حمدي علي أحمد، مقدمة علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص٧٤

المبحث الثالث
علم الاجتماع في الجامعات العربية

أولا: من الاستشراق إلى علم الاجتماع:

لقد كان الاستشراق هو رأس الحربة التي نفذت بها الحضارة الغربية إلى خاصرة الشعوب المسْتَعْمَرَة ؛ حيث ساهمت هذه الدراسات الاستشراقية على التعرّف على ثقافات وحضارات هذه الشعوب ، ومعرّفة التناقضات الاجتماعية و الحاجات الاقتصادية لها ، والتي أخذتها ذريعة للسيطرة عليها وزرع الفتن والمشاكل بين أبناء هذه الشعوب تحت شعار (فرّق تسد) ، و ذلك لتعميق السيطرة عليهم .

وإذا كان الاستشراق قد وصم بخدمة الاستعمار واستغلال العلم من أجل ترشيخ استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، فلقد حاول الغرب تغيير المسميات و افتتاح فروع أخرى لدراسة الشعوب والأمم والحضارات لخدمة السيطرة الغربية و استمرار هيمنتها ، و من هذه العلوم ، العلوم الاجتماعية ، وفي هذا يقول الباحث مازن المطبقاني المتخصص في دراسة الاستشراق والمستشرقين : يمكن القول أن ظهور هذه الأسماء الجديدة أو الأقسام والتخصصات و التفرعات الجديدة لا يعني نهاية الاستشراق، وإنما ذلك تطور طبيعي لمجال معرّفي كان محصورا في عدد محدد من المتخصصين في الشرق وبخاصة العالم العربي والإسلامي . ولما أصبحت العلوم المختلفة ذات كيانات مستقلة كعلم الاجتماع وعلم الإنسان و العلوم الأخرى ، وأصبحت لها معطيات ومناهج جديدة فلا بد أن يستفاد منها في دراسة الشعوب الأخرى للتمكن من المعرّفة الدقيقة لهذه الشعوب. [١].

والذي طرأ على تلك المدرسة في العقود الأخيرة تطور مهم، فإن ما يسمى استشراقاً أو مدرسة استشراقية ذات اهتمام علمي ثقافي في غالبه، وسياسي اجتماعي في بعض جوانبه كما عهدناه، قد انتهت كثير من تلك الجوانب و لم تعد أولوية في الاستشراق الحديث، بل تحول اليوم إلى عمل سياسي اجتماعي متخصص ، يهتم بمراقبة ودراسة الأوضاع السياسية والأشخاص والأحزاب و الأفكار السياسية ، و العوامل الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية دراسة وافية، ووضع حلول لها ! ! . [٢]

1 –مازن المطبقاني – الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار اشبيليا – ط الأولى –الرياض ١٤٢١هـ ص ١٦

2 – محمد حامد الاحمري، نهاية الاستشراق القديم وبداية عهد جديد، مجلة البيان، ع ٨٧، ١٤١٥هـ، ص ١..

ومـــن المعلـــوم أن هذه المعارف الجديدة ما زالت تنهل من معين الاستشراق السابق وتأخذ أبحاثهم وتشويهاتهم التي بثوها في إنتاجهم السابق على أنها مسلمات ثابتة و ليست أفكار قابلة للخطأ و الصواب أو قابلة للتحيز و الإنصاف .

ولقد أحس الغرب بأهمية بقاء هذه المراكز والأقسام المهتمة بدراسة الشعوب والحضارات ، وذلك من أجل أن يمد مراكز صنع القرار السياسي و العسكري بما يحتاجه من مشورة أو معلومة عن العالم الإسلامي ، لهذا فقد صدر مرسوم حكومي في الولايات الأمريكية عام ١٩٥٢م يقضي بتخصيص مبالغ كبيرة لإنفاقها على هذه الدراسات في أكثر من عشرين جامعة أمريكية ، وهناك أكثر من مركز خارج أمريكيا يهتم بهذه الدراسات ومنها:

١- مـــن هذه الجامعات والمعاهد المهتمة بدراسة العالم الإسلامي:جامعة برن ستون: برنامج دراسات الشرق الأوسط قائم منذ عام ١٩٢٧م. و الموضوعات التي تطرق لها المعهد في مجالات عدة ، منها العقـــيدة والسياســـة والاقتصاد و الاجتماعيات ، وكذلك جامعة جورجتاون: مركز الدراسات العربية المعاصرة وجامعة أنديانا و بها قسم دراسات الشرق الأوسط.

٢-ومـــن المعاهد: معهد الشرق الأوسط (١٩٤٦م): وله مجلة متخصصة ينشر بها موضوعات عن العـــالم العـــربي والإســـلامي وله كذلك مؤتمر سنوي ، ومعهد يرو كنجز ، و به مركز لقواعد المعلـــومات حـــول العلوم الاجتماعية ، و معهد الولايات المتحدة للسلام وللمعهد اهتمام خاص بالدول الإسلامية.و في فرنسا معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي الإسلامي ، وفي لندن مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط .

٣-ومـــن الجمعيات المتخصصة في دراسة العالم الإسلامي: جمعية دراسات الخليج وهي متخصصة في دراسة دول الخليج العربي ، ورابطة الشرق الأوسط لدراسة المرأة.[1]

ثانيا: علم الاجتماع في الجامعات العربية:

لقد تم افتتاح الجامعات في العالم الإسلامي على غرار الجامعات الغربية ، وذلك أثناء الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية ، ومعظم الجامعات الحديثة في العالم العربي و الإسلامي نشأت على أسس علمانية، وذلك بحكـــم تســـلط القـــوى الاستعمارية على العالم الإسلامي وقت تكوينها فتطبعت بطابع الحضارة الغربية، وتشـــبعت بالعَلْمانية و الأفكار الغربية ، و لذلك لم يكن للإسلام دور في صياغة أهداف ومناهج التعليم الجامعـــي – لا – بـــل قد يرد اسم الإسلام على لوائح تلك الجامعات فضلا عن أن يكون الإسلام محوراً

1 – مازن مطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، مرجع سابق ، ص ص ٢٩-٤.

للأهداف، وأساسا للمناهج والتعليم العلماني في العالم الإسلامي هدفه النهائي أن ينشئ أجيال المسلمين في أحضـان جامعـات منسلخة عن الإسلام ، جاهلة به ، بل تسخر به وتعاديه دون أن تعرف عنه أو عن علمائه شيئا . [١] .

ويـؤكد سـعد الدين إبراهيم (مدير مركز ابن خلدون للدراسات الاجتماعية) أن الطلاب الذين يتخصصون في علم الاجتماع في الجامعات والكليات العربية في الوقت الحاضر (١٩٨٥م) يصل عددهم إلى حوالي عشرة آلاف طالب ، يتخرج منهم سنويا حوالي ألفا طالب ، كما أن الوطن العربي يوجد فيه الآن ما لا يقل عن خمسة عشر مركزا بحثيا في علم الاجتماع ، أو بعض فروعه المتخصصة . [٢]

وأنه على الرغم من انتشار التعليم الجامعي في عهد الاستقلال من الاستعمار الغربي، إلا أن الوضع لم يتغير كثيراً على الصعيد المعرّفي والمنهجي ؛ حيث ظل النظام في كثير من الجامعات في العالم الإسلامي تابعا للعلوم الغربية ومناهجها، وبما تنطوي عليه من مسلمات ومناهج و نظريات ، وخاصة في العلوم الإنسانية، والـذي يؤكد أن الاستقلال السياسي لم يتبعه استقلال ثقافيُ و معرّفي ، وأن كثيرا من الجامعات في العالم الإسلامي مازالت برامجها الدراسية تماثل و إلى حد كبير البرامج الدراسية المتبعة في جامعات الغرب ، كما ظلت الإنجليزية لغة القاعات والمعامل ، وكذلك لغة المقررات والمراجع [٣]

ولقد انتشرت العلوم الاجتماعية في أجزاء الوطن العربي والعالم الإسلامي ، فقد بدأ تدريس علـم الاجـتماع خاصة بالجامعات المصرية ١٩٢٥م، ويصف حسن ساعاتي وهو أحد مؤرخي علم الاجتماع بمصر هذه المرحلة فيقول : ((لم تتح الفرصة، لتدريس هذا العلم في مصر، كعلم أساس إلا في سنة ١٩٢٥م، التي تحولت فيها الجامعة المصرية من جامعة أهلية إلى جامعـة حكومـية، وقد أنشئ في كلية الآداب قسم مستقل لتدريس علم الاجتماع، وسـار علـى نهج المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي بدأها: ((أوجست كونت)) ... وأرسى قواعدها ((إميل دوركهايم)) ..ولقد أثرت هذه المدرسة، ولا تزال تؤثر، في قسم الدراسات الاجتماعية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، الجامعة الأم وحتى يومنا هذا)) [٤]

1 – ضياء العمري، واقع التعليم و مسئولية الجامعات في العالم الإسلامي، مجلة الأمة القطرية ، ص ١٢

2– محمد حجازي – نحو علم اجتماع عربي، مرجع سابق ، ص٣٤٥

3 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، مرجع سابق ، ص١٣٩

4 – حسن الساعاتي، تطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع في مصر، مجلة العلوم الاجتماعية القومية، ع الأول ١٩٦٤م، ص٢١

وخـــريجو هـــذه الجامعـــة انتشـــروا في الجامعات في العالم العربي للتدريس في كليات و أقسام علم الاجتماع، وهم بدورهم من أشرف على إنشائها، و تحديد مناهجها، و المقررات التي تدرس على الطلاب، و كل ذلك بالاعتماد على الفكر الاجتماعي الغربي الذي تتلمذوا عليه سابقا .

وكمـــا هو معلوم فقد أشرف كثير من الأساتذة الغربيين على التدريس في أقسام علم الاجتماع في البلاد العربية ، و كانوا يقومون بالتدريس بلغتهم الأصلية (الفرنسية أمثال، أميل بريبه، و بالإنجليزية أمثال ايغانـــز بريتشارد و هوكارت) كما كانت المقررات عبارة عن ترجمات لكتب علماء الاجتماع الغربيين بمختلف مدارسهم الرأسمالية والماركسية [١]

ويؤكد عبد الباسط عبد المعطي ((أن المؤلفات معظمها يكاد يكون محاكاة ناقلة عن هذا المصدر — يعـــني الفكر الغربي – هي محاكاة اختلط فيها التأليف بالترجمة فلا تعرف حدود هذا من ذاك . وهو نقل استند في معظم الأحوال إلى الأعمال المدرسية المبسطة .)) [٢]

ويـــرى عبد الوهاب أبو هدية، – أحد علماء الاجتماع العرب – أن علم الاجتماع الغربي استخدم في العالم العربي لغرض الهيمنة والسيطرة، ولتحقق هذا تم تزييف واقع عالمنا العربي . وزيفت أسباب تخلفنا، وزيفـــت قدراتنا و إرادتنا على الخروج من حلقة التبعية والتخلف . ولقد ساهم علم الاجتماع في تزييف وعي الناس وتزييف النظم القائمة .[٣]

ولقـــد حـــاول بعـــض الباحثين الاجتماعيين(محمد كرد) تقويم العمل النظري والمؤلفات المدرسية والبحوث الأجنبية المشتركة ، و توصل إلى أن الدراسات التي عنيت بتوضيحها وتقويمها أكدت جميعها أن العمل كان في بعد واحد، وهو بعد المكتبة الغربية، بجناحيها الأوربي والأمريكي . فأكثر من ٩. بالمائة من التـــرجمات عن هذا المصدر، وبعضها كان باختيار، وبعضها فرضه إغراء مؤسسات كان سعيها نشر الفكر الغربي . [٤]

وحـــتى بعد رحيل الاستعمار الغربي استمرت هيمنة الفكر الغربي مسيطرة على جميع صور التعليم في الـــبلاد الإســـلامية التي خضعت للاستعمار ، أو في البلاد التي سلمت من ذلك ولكنها تأثرت بالجامعات

1 – انظر: حسن شحاتة سعفان، موجز تاريخ علم الاجتماع في مصر ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٩٥٧م، ص ص ٦٥-٧٠ ومصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه .ج١

2 – عبد الباسط عبد المعطي ،-في استشراف مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي، مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي – المستقبل العربي، ع ٨٢-١٩٨٢م ،ص ٢٥

3 – محمد حجازي –نحو علم اجتماع عربي ، مرجع سابق ، ص٣٢

4 – عبد الباسط عبد المعطي – نحو علم اجتماع عربي ، مرجع سابق ، ص٣٦٦

الإسلامية السابقة لها في هذا المضمار ، أو بسبب تأثر هيئة التدريس بها بالجامعات الغربية التي ابتعثوا إليها ؛ حيث بدؤوا يخططون لفتح أقسام جامعية على غرار ما رأوا وتعلموا في الجامعات الغربية ومن ضمن الأقسام التي تم افتتاحها في الجامعات في البلاد الإسلامية قسم علم الاجتماع و الخدمة الاجتماعية ، ففي مصر والتي عرّفت هذه التخصصات مبكرا يوجد بها:

١- أربعة عشر قسما للاجتماع بالجامعات المصرية والجامعة الأمريكية بالقاهرة .

٢- أقسام العلوم الاجتماعية – وضمنها علم الاجتماع – بكليتين للخدمة الاجتماعية فرع (جامعة القاهرة، و حلوان) وكليات التربية (وهي بعدد هذه الكليات بالجامعات المصرية).

٣- مراكز و معاهد البحوث العلمية وهي ثلاثة (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ومعهد التخطيط القومي، المجلس القومي للسكان) [١].

وأما أقسام علم الاجتماع في الجامعات السعودية فتوجد في كل من (جامعة الملك سعود – كلية الآداب قسم علم الاجتماع وقسم الخدمة الاجتماعية - وجامعة الإمام محمد بن سعود- كلية العلوم الاجتماعية- و جامعة الملك عبد العزيز – كلية العلوم الاجتماعية وتضم قسم علم الاجتماع ، وكلية التربية بالمدينة النبوية بها قسم لعلم الاجتماع - وجامعة الملك فيصل = كلية التربية قسم علم الاجتماع =و جامعة أم القرى – كلية العلوم الاجتماعية ، وتضم قسما لعلم الاجتماع- وجامعة الملك خالد – قسم علم الاجتماع – و وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات بها عدد من أقسام علم الاجتماع والدراسات الاجتماعية ، كما أن جامعات الخليج والمغرب العربي وبلاد الشام معظمها به أقسام لتدريس علم الاجتماع والدراسات الاجتماعية.[٢]

وقد يتساءل الباحث كغيره من الباحثين عن ما ذا يقدم خلال هذه الأقسام من معارف وغير ذلك من أشكال التفاعل التي تتم داخل الأقسام العلمية ؟

ويقرر محمد الكردي وهو أحد علماء الاجتماع العرب في بحث له تحت عنوان (الانحراف في العلم – رؤية نقدية لواقع علم الاجتماع بمصر وخاصة ما يقدم للمرحلة الجامعية (بكالوريوس – ليسانس) فيقول:

((أما الواقع فيشير إلى أن الكثير من أقسام الاجتماع تقوم " بتفصيل " المواد طبقا لتخصصات أعضاء هيئة التدريس بها وبخاصة الأساتذة ، بل يصل الأمر أحيانا إلى تحديدها طبقا لما هو متاح من كتب

1 – محمد الكردي، الانحراف في العلم – رؤية نقدية لواقع علم الاجتماع بمصر –، مجلة شؤون اجتماعية، عدد ثلاثون ١٤١١ هـ، ص٢١٣

2 – انظر، فتحي أبو العينين، علم- الاجتماع في الأقطار العربية الخليجية، مجلة المستقبل، ع ١٧٥-١٩٩٣م، ص ص ١,٧-١٢.

دراســـية خاصة بأعضاء هيئة التدريس بالقسم ..أما قضية المحتوى (محتوى المواد) فهذا الأمر يتوقف على القائم بالتدريس من حيث تخصصه و كفايته.))[1]

ومثل ذلك قس على معظم الجامعات العربية ، أما مدى توافق هذا العلم أو المواد التي تدرس فيه مع العقـيدة الإسلامية فهذا أمر لم يكن في قائمة اهتمامات هذه الأقسام أو القائمين عليه ، وسوف نعرض في هذه الدراسة بعض القضايا الخطيرة والتي قد تقدح في اعتقاد من يتبناها ويروج لها.

ومـــن صـــور الانحراف التي ذكرها الكردي لدى القائمين على أقسام علم الاجتماع في الجامعات المصـــرية ظاهرة السطو العلمي ((ونعني بها الاستيلاء على إنتاج علمي لباحث آخر " أجنبي في الغالب " ..سواء بالاقتباس أو النقل الكامل أو الجزئي، و الادعاء بأنه ينتسب إلى المؤلف .)) [2]

ومن العجب أن علم الاجتماع علم وافد نشأ في بيئة غريبة على واقعنا ، فشكل ذلك الأمر مشاكل، إذ كيف تدرس الظاهرة الاجتماعية الإسلامية بعلم مستورد ؟

ويؤكد بلقاسم الغالي ذلك فيقول: ((وفي ظل هذا العلم تبرز خطورة الاعتماد على علم اجتماع لا يستمد من الواقع بل يستهدف دعم نظم لا تتفق مع مجتمعاتنا، وصدرت عن ظروف تختلف اختلافا كاملا عن ظروف مجتمعاتنا ... وتجدر الإشارة هنا إلى أن انشغال الباحثين العرب انشغالاً يكاد يكون تاماً بالفكر السوسيولوجي الغربي أو الشرقي المستورد عوق ذلك العلم عن الإسهام في تطور واقعنا الحضاري، لأن كل حضارة يفترض فيها أن تجد حقلها الخاص عبر مادتها الاجتماعية والتاريخية والثقافية)).[3]

ولهـذا فـلا يـتم دراسة الواقع الاجتماعي الإسلامي إلا وفق علم ومنهجية إسلامية تتميز بثوابتها ومتغيراتها المتوافقة مع روح الشريعة الإسلامية الشاملة.

وممـــا يـــثير العجب أن نجد علماء الاجتماع العربي في أكثر من ندوة مثل (نحو علم اجتماع عربي، بيروت ١٩٨٦م، و إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية، البحرين ١٩٩٤م) يؤكدون على وجود أزمة ، وعـــدم مطابقة ما يقولون أو يتوقعون للواقع والمستقبل ، ويعيدون ذلك إلى أسباب غير منطقية ، كغياب الديمقراطية ، أو عدم الأخذ بالماركسية ، أو سيطرة الدولة على مراكز البحث وغيرها من الدواعي ، كقول أحمـــد حجازي ((لقد عانى الفكر الاجتماعي العربي من بداية ظهوره في الساحة الأكاديمية أزمة تاريخية

1 – محمد الكردي – الانحراف في العلم – ، مرجع سابق ، ص٢١٥

2 – المرجع السابق، ص ٢٢٢

3 – بلقاسم الغالي –محاولات تأصيل علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٢

تجلـت في تشـوه العقل وانفصال الفكر عن الواقع وفقدان القدرة على الفصل بين ما هو علمي وما هو أيدلوجي، وربما أيضا بسبب حداثة هذا العلم أو استيراده من الغرب)) [1]

وهم في أزمتهم تلك لا يحاولون الوصول إلى الأسباب الحقيقية التي جعلتهم في غربة داخل مجتمعاتهم الإســلامية وذلك نتيجة ليتجاهلهم خصوصيات الشعوب العربية والإسلامية الدينية والثقافية والاجتماعية ومحاولة تعميم النموذج الغربي أو المنهجية الوضعية وتجاهلهم لأثر الدين والأخلاق في حياة الشعوب العربية تجعـل من دراساتهم وأبحاثهم نماذج للحلول والنتائج المشوهة والناقصة والمبسترة كما ينتج عنها نتائج غير دقيقة وغير مطابقة للواقع حيث أن الظاهرة الاجتماعية في البلاد العربية والإسلامية لها أسبابها وعواملها التي لا توجد في الظاهرة الغربية أو الشرقية .

كمـا أن الأبحـاث والدراسات التي يقدمها علماء الاجتماع العرب لا تخلو من ثغرات فكرية أو منهجية أو عقدية فكثير منهم تسيطر عليه النزعة الماركسية أو الرأسمالية وتدفعه إلى ادعاء نتائج و توصيات غير واقعية خدمة للأيديولوجيا التي ينتمي إليها ومجاراة للمؤسسات التي يتبعها الباحث أو يحصل على تموينا من خزائنها مقابل أبحاثه ودارساته الموجهة.

ويـذهب فردريك معتوق إلى أن سبب أزمة هذا العلم يعود إلى ((أن الفكر الاجتماعي منفصل عن المسيرة الاقتصادية والسياسية في المجتمع وهو ما يشكل عائقا أمام إمكانية نمو هذه العلوم و بالتالي إشكالية التـنظير في هـذا الفكـر، فمن خلال رصد الكتابات الأولى لنقولى حداد (١٩٢٤) وعبد العزيز عزت (١٩٤٩) وحسن شحاتة (١٩٥٣) يتضح أن معظمها دوركايمية النزعة تنقل النظريات كما هي من دون إخضاعها لأية عملية نقد منهجية أو حتى نظرية)) [2]

والحقـيقة هي أن هذا العلم نبتة غريبة على البيئة العربية ، بل هي فكر يتصادم مع الفكر الإسلامي الذي تنبثق منه كل الصور والظواهر الاجتماعية ، و هكذا بدلا من إبداع علم ومنهجية تستوحي أصولها وأفكارهـا من البيئة العربية الإسلامية ، و تتلاءم مع القضايا في الواقع العربي ، وكما يؤكد احمد حجازي فقـد تم اسـتيراد علـم ومنهج غربي نتج عنه ((فقر نظري وتفسير مغترب ، ونتائج منفصلة عن إطارها

---

1 – أحمد حجازي – الفكر السوسيولوجي وأزمة التنظير، مجلة المستقبل العربي، ع ١٩٥–١٩٩٥م، ص٧١

2 – فـردريك معـتوق، منهجـية العلـوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٨٥م. ص ١٠٧

المجتمعـــي والتاريخي والاجتماعي وعن مسار تكوينها المعرّفي، بل أن المفاهيم هي نتاج تجارب وخبرات تم اقتراضها ، أو استيرادها من الخارج)) [١]

ويتأسف أحمد المختاري على واقع علماء الاجتماع العرب فيقول: ((هناك أساتذة يدرسون أدبيات علم الاجتماع الغربي في الجامعات الإسلامية ومن ثم فهم مروجو تلك الأفكار والنظريات ، وحتى "المبدعين " منهم إذا حللوا ظاهرة اجتماعية تحليلا سوسيولوجيا لابد وأن يكون التحليل غربيا محضا، بل هم يناضلون من أجل إخضاع الإسلام للتحليلات الاجتماعية المادية المحضة)) [٢]

ومـــن الملاحـــظ أن بدايات علم الاجتماع في البلاد الإسلامية تحمل سمات العداء للدين والأخلاق ومصادمة المسلمين في معتقداتهم و تصوراتهم الاجتماعية ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١) أول رسالة تقدم بها باحث عربي مسلم (منصور فهمي) إلى جامعة باريس سنة ١٩١٣م في علم الاجـــتماع تحـــت عنوان ((حالة المرأة في التقاليد الإسلامية و التصور الإسلامي)) بأشراف عالم الاجـــتماع اليهودي (لوسيان ليفي بريل) والذي وقع الباحث تحت تأثيره فخرجت رسالته تطفح جهـــلا وبعدا عن الحقيقة وتحاملا على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن عناوين الدراسة ((محمـــد يشرع للجميع، ويستثني من ذلك نفسه، آراؤه المعادية للمرأة)) يقول شحاتة سعفان عن هذا الفصل: ((فلا يستطيع قارئ أن يتصور فصلا يحتوي على نقد لاذع للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولحياته الزوجية والاجتماعية أكثر من هذا الفصل)) [٣]

٢) أول مؤلـــف بالعـــربية يحمل اسم علم الاجتماع صدر سنة ١٩٢٥م لمؤلفه النصراني نقولا الحداد بعـــنوان (علـــم الاجتماع — حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها) في مجلدين وقد روجت له الصحافة النصـــرانية وكُـــتابها في حـــين صدوره ويدور الكتاب في فلك الداروينية والتطورية، فقد تأثر كثيرا بمؤلفات أصحاب النظريات العضوية والتطورية، والتي سادت أوروبا في ذلك الوقت فقد قرأ أعمال هربرت سبنسر و ترجم نصوصا كاملة وقد سخر فيه من الأديان ووصفها بالخرافة و الاوهام. [٤]

ثالثا : موقف علماء الاجتماع العرب من الدين الإسلامي والصحوة الإسلامية

إذا كـــان مفكري الغرب قد صوبوا سهامهم على الدين الكنسي المحرف الذي كان يُحكم قبضته على جميع شؤون الحياة في أوروبا في العصور الوسطى ، بعدما أصبح رجال الدين الكنسي يتدخلون في كل شـــيء باسم الرب ويحاربون العلم و يشجعون الخرافة والأساطير من أجل إحكام سيطرتهم على الناس فإن

---

1 – أحمد حجازي – الفكر السوسيولوجي وأزمة التنظير ، مرجع سابق، ص٧٣

2 – أحمد المختاري – نحو علم اجتماع إسلامي، المسلم المعاصر، ع٤٣-١٤،٥-٤٣هـــ ص ٤١

3 – حسن شحاتة سعفان، موجز في تاريخ علم الاجتماع في مصر، ، مرجع سابق، ص ص ٤٢-٤٣

4 – منصور المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق، ص ٩١

تحامل المفكرين عليهم وسعيهم للخروج من هذه السيطرة قد يكون مقبولا وخاصة بعدما تعرضت المسيحية لعملـــية تحريف كاملة يستحيل معها البحث عن الحق فيها، وأصبح هدف المفكرين هو البحث عن صيغة جديدة تقوم عليها حضارتهم أمرا مقبولا.

لقـــد رفض (كارل مانهايم) العقيدة المسيحية كأساس يقوم عليه بناء المجتمع الاجتماعي، بحجة أن المسيحية لم تعد قادرة على أن تساير تطلعات المجتمع الحديث بعد أن تعقدت مشاكله وهو يؤكد هذا المعنى بقوله: ((إذا لم يكن إحياء العقيدة الدينية المتمثل في حركة جماهيرية وقيادة أشد قوة روحية وعزما مسايرا ومواكبا للنهضة الاجتماعية المرتقبة، فإنه لا يمكن للنظام الديمقراطي الجديد(العقيدة جديدة) في هذه البلاد (بريطانيا) أن يكون مسيحيا.))[1]

ويعلـــق بشير التوم على رفض مانهايم للعقيدة المسيحية بأن له ما يبرره ((لأن عقيدة الكنيسة غامضة وفاســـدة . و لأنهـــا، بالـــرغم من المحاولات التي قامت لإصلاحها، أصبحت أمرا باطنيا لا يوجه التربية الاجتماعية و لا يؤثر في المجتمع .)) [2]

ولكـــن إصرارهم على محاربة كل الأديان ورفضها قياسا على المسيحية فهذا أمر خارج عن الحقيقة والموضوعية التي نادى بها بعض عقلائهم إذ رأى في الإسلام حلا جديدا لمشكلة أوروبا وخاصة إن الكثير من مفكريهم تتلمذ على الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.

يقـــول الســـخاوي أحمد عن علماء الاجتماع إنهم ((خلطوا بين الدين أو نزعة الدين الفطرية عند الشـــعوب المختلفة على مر التاريخ وبين دين الحق وهو الإسلام حيث وضعوا حكمهم على الدين عموما كحكمهـــم علـــى المعتقدات الميتافيزيقية من الفلسفة مما اختلطت عندهم بالخرافات والأساطير والأفكار البدائية عن الدين وحتى مع المعتقدات المحرفة من النصرانية واليهودية فتجرءوا عليها وتصوروا أنهم بالفلسفة على علو فوقها .)) [3] .

ولهذا فان علماء الاجتماع يبنون آرائهم على معتقدات قديمة خرافية تختلف تماما عن الدين الحق الذي أرسل الله به جميع رسله قال تعالى ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ

1 – بشير حاج توم، التربية والمجتمع، سلسلة بحوث المؤتمر العالم الأول للتعليم الإسلامي – المركز العالمي للتعليم الإسلامي – جامعة أم القرى –مكة المكرمة ١٤٠٣هـ– ص ٩

2 - بشير حاج توم، المرجع السابق ، ص ١٠

3 – الســـخاوي أحمد، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – المحور الثاني – القاهرة ١٤١٣هـ . ص ٢٢٦

مَـــنْ هَـــدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل:٣٦)

ومن المؤسف له أن بعض علماء الاجتماع العرب قد سار وراء هذه المواقف المعادية للدين رغم اختلاف الثقافات والعقائد وإذا كان علماء الغرب قد عانوا من واقع عقائدي محرف وأفكار وتصادم العقل مـــع الـــدين الكنسي فان هذا لا ينسحب على علماء الاجتماع العرب وموقفهم من دينهم الحق فالدين الإسلامي جاء مناصرا للعلم وداعيا إليه من أول آية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى العلم ، ولهذا كان لزاما على هؤلاء العلماء أن يكون لهم نوعا من الثبات والتأصيل والرؤية العقلية الواضحة والمناصـــرة للعقيدة الإسلامية ولهذا سوف نعرض لبعض مواقف علماء الاجتماع العرب الذين تابعوا في تقليد أعمى أساتذهم في الجامعات الغربية والشرقية .

ومـــن هـــذه المتابعات للفكر العلماني ما يحاول بعض علماء الاجتماع العرب تأكيده في مؤلفاته و دروســـه لطلابه مع عدم تفريقهم بين الدين الحق السماوي وبين الأديان الوضعية التي ينسحب عليها مثل هذه الدراسات .

إذ يـــرى أحمـــد خشاب في كتابه (علم الاجتماع الديني:) : أن المرحلة الدينية قد سبقت المرحلة السحرية في الجماعات البشرية ويعرض إلى أن الدراسات تدعم وجهة نظر القائلة أن ديانة التوحيد البدائي هي الديانة التي كانت سائدة في فجر المجتمعات الإنسانية [1] .

وكـــذلك فعـــل محمـــد البيومي في كتابه (علم الاجتماع الديني) : والكتاب حاز على جائزة الدولة التشجيعية في مصر عام ١٩٨٢م وللمؤلف موقف تجاه مفهوم الدين بعامة والدين الإسلامي بخاصة يتنافى و العقـــيدة الإسلامية لدى أبنائها فهو يرى إن الدين مجرد (رمز) وكذلك الجنة والنار والملائكة ما هي إلا معـــان ومفاهيم لا تفسر إلا رمزيا وتأخذ شكل رموز معينة .أما وظيفة الدين الرئيسة فيه غطاء من الوهم ضد خوفه من الطبيعة و الإحباطات التي تتواجد داخل المجتمع، وبتقدم العلوم يصبح الجنس الإنساني أكثر عقلانية . بل إن الدين هو حركة وتجربة، بمعنى أنه من صنع الناس والجماعة والمجتمع .وقد يكون الدين لديه ضار فهو يقول: قد يكون الدين مفيدا في بعض الأحيان لأنه يحمي الإنسان من الشذوذ، لكنه ضار أيضا ،

1 – أحمد الخشاب– **علم الاجتماع الديني** ، مرجع سابق ، ص ٦.

لأنه يعزل الإنسان عن العلم، وهو يعمل على إعاقة التطور الاقتصادي في المجتمع. وأما المقدسات الإسلامية كالكعبة فهي – لديه – مثل المقدس لدى الهنود (البقرة) والصليب لدى النصارى . [١]

ويلاحــظ و للأســف بــأن أصحاب هذه المؤلفات (علم الاجتماع الديني)ينطلقون من مناهج ومــنطلقات تقلــيدية غربية في تخصص علم الاجتماع وقد لاحظ (إبراهيم رجب) أثر ذلك في إنتاجهم الإســلامي فيقول ((فبعض الكتاب يسلمون بمنهج المنطلقات التقليدية على أساس أنها منطلقات (علمية) صحيحة (لابد) من الالتزام بها، وأنه لا مجال لإعادة النظر فيها و لا مشروعية لذلك .)) [٢] .

أن عالم الاجتماع الإسلامي لابد أن يهتم بالقيم باعتباره يقوم بدراسات مقارنة بين الحالة المدروسة وبين النمط الاجتماعي المثالي ، أو النموذج الإلهي وهو المجتمع الذي ينشد تحقيقه، في ضوء هذه المقارنة يجد نفسه مضطرا لكي يطرح البديل النافع، فمهمته التغيير نحو الأحسن [٣]

وممن يعمل على نبذ الدين الإسلامي وأبعاده عن علم الاجتماع ، و يرى استبداله بالماركسية الباحث محمد عزت حجازي إذ يقول: (ومطلوب منا ثانيا، أن نختار منطلقا أيديولوجيا قادرا على أن يساعدنا في أداء عملــنا بكفاءة . وفي تصوري أن الاتجاه الصراعي والمادي التاريخي بعامة يلائمنا أكثر من غيره، لا في صوره الكلاسيكية، وإنما في صيغ أو تراكيب جديدة كفؤة)) [٤] .

و ممن يرى استحالة تخلي علم الاجتماع عن العقيدة – الأيديولوجيا – أحمد الزعبي إذ يقول: ((إن القول بوجود علم اجتماع بلا أيديولوجيا يشبه تماما القول بوجود إنسان بلا وجه أو بلا رأس أن مشكلة الأيدلوجيا الرئيسة هو أنها قدر لا مفر منه سواء كان هذا القدر خيرا أم شراً .)) [٥]

وللأسف أن الزعبي قد اختار أيديولوجيا الشر – الماركسية – بدلا من الإسلام الخير المحض.([6])

1 – محمد احمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية الإسكندرية ١٩٨٢م ،ص١٠ و ص١٦٠ و ٩٥ وص٣٠٥

2 – إبراهيم رجب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، دار عالم الكتب ، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م ص ١٦.

3 – محمد امزيان، تلازم الموضوعية والمعيارية في المينثودولوجيا الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٩٩

4 – محمد عزت حجازي –نحو علم اجتماع عربي ، مرجع سابق ، ص ٤٢

١ –. أحمــد الزعبي –التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي و علم الاجتماع الاشتراكي، سلسلة : السياسة والمجتمع – دار الطليعة – ط الأولى –بيروت ١٩٧٨م. ص ١٢

٢ – أحمد الزعبي –المرجع السابق ،ص١٢

ويـــنادي علماء اجتماع عرب برفع القداسة عن الدين الإسلامي وجعله ميداننا للبحث الاجتماعي ، ومن هؤلاء المنادين (محمد شقرون) حيث يقول:

((إلا أنـــه لا يمكن تجاهل الإشارة إلى هذا الصراع الأولي عندما نتكلم عن الشروط التي جعـــل العلـــم فيها الدين موضوعا له، لأنه قبل أن يصبح الدين موضوعا من بين مواضيع السوســـيولوجيا فإنـــه كان المنافس لها، ومازال ينافسها في مجتمعاتنا العربية الحديثة العهد بالعلم الحديث ...إن ضرورة تفكيك الدين من أجل التحرر الضروري لمجال الفكر وذلك لإنـــتاج تأويل علمي عن الاجتماعي لم تطرح بصراحة وجرأة في الوطن العربي كضرورة واضحة لممارسة العلم بصفة عامة وممارسة العلوم الإنسانية بصفة خاصة ..)[١]

ولقـــد ذهـــب (محمد أركون) إلى أبعد حد في حربه للإسلام إذ قدم عملا اسماه ((مشكلة أصالة قدسية القرآن)) باسم المنهجية العلمية الحديثة، مساويا في ذلك بين الإسلام واليهودية والمسيحية برغم من الاختلاف بينهم من ناحية الأصالة و الحقيقة، بل تعدى به الأمر أن طالب بإدخال ذلك في البرامج الدراسية الجامعية فهو يقول عن ذلك ((إن ضرورة تفكيك الدين من اجل التحرير الضروري لمجال الفكر ، وذلك لانتاج تأويل علمي عن الاجتماع لم تطرح بصراحة و جرأة في الوطن العربي ٠٠٠)).[٢]

ويهـــاجم (محمـــد شـــقرون، الأستاذ بكلية الآداب بالرباط المغرب) تمسك العرب بالحفاظ على أعراضهم وشرفهم واهتمامهم بتهذيب أخلاقهم بالتمسك بالسلوك القويم حسب التقاليد، ويدعو إلى قطيعة الماضـــي بـــل فقـــدان الذاكرة فيما يتعلق به . ويطالبنا بإعادة النظر فيما يسميه بالنظام القديم، وفي كل التصـــانيف التي يقوم عليها [٣]و هو رجل ماركسي التفكير، معاد للدين ينادي بالتصادم معه والسعي نحو تفكيكه وجعله موضوعا للبحث العلمي والتاريخي وذلك في مؤلفه [٤].

ولقـــد حاول شقرون في بحثه هذا(أزمة علم اجتماع أم أزمة مجتمع) أن يعيد سبب إخفاق علماء الاجـــتماع العـــرب ليس إلى مناهجهم وتصوراتهم الفكرية الغربية عن واقعهم إنما العيب يعود إلى المجتمع العـــربي الذي لم يستجيب لدواعي التغريب (التحديث) و الأخذ بالنموذج الماركسي كما ينادي به تحت

٣- محمد شقرون -شروط إمكانية قيام سوسيولوجيا دينية في المجتمعات العربية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية -١٩٩٠. بيروت .ص ص، ١٢٨-١٢٩

٤ - انظر، أحمد المختار، نحو علم اجتماع إسلامي، مرجع سابق ، ص ٤٦

3- محمد عزت حجازي ، نحو علم اجتماع عربي، ص ص ٧٠-٧١

4 - محمد شقرون -الظاهرة الدينية كموضوع للدراسة، الدين في المجتمع العربي، مرجع سابق ،، ص ص ١٢٧-١٣٦) وانظر أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع، ، مرجع سابق ، ص٣٤

عــنوان مبحــثه (سقوط الرأسمالي الرمز) وهو في هذا البحث المقدم إلى ندوة ٠ازمة علم الاجتماع التي عقــدها جمعية علماء الاجتماع العرب بتونس عام ١٩٨٥م ، وهو في هذا البحث قد شايع زملائه في هذه الندوة بالتنقيص من الدين والثقافة الإسلامية و الخصوصيات الاجتماعية العربية ٠[1]

وهــذا (علــي الكتر) عالم الاجتماع الجزائري بجامعة الجزائر يقول: ((قبل كل شيء علينا ترك الاعــتقاد بالــدين، لأنــه لم يبرهن على أن الدين أصبح بمثابة رؤية للعالم، أو فهو وظيفة عكسية للتطور التاريخي والاجتماعي)) (٢)

وهذه النظرة العدائية للدين الإسلامي من هؤلاء العلماء الاجتماعيين العرب الذين تلقوا علومهم و تخصصاتهم العلمية في الجامعات الغربية والشرقية التي هي قائمة على العداء للدين الكنسي المحرف ولجهلهم بدينهم الإسلامي الصحيح تبنوا هذه المقولة الفاسدة ٠

ويؤكد (أحمد خضر) أحد علماء الاجتماع العرب على حقيقة علم الاجتماع في بلدنا بأنها غربية صرفة معادية للبيئة الإسلامية وقد أكد على صحة مقولته بإيراده لمقولات أكثر من أربعة عشر عالم اجتماع عربي، بأنهم يعترفون بتبعية علم الاجتماع في جامعاتنا للفكر الغربي والماركسي، وبأن رجاله أكثر تشددا في تبعيتهم لهذا الفكر من أصحاب الفكر أنفسهم، ويعترفون بأن علم الاجتماع الذي يمارسونه ليس محايدا، و بــأنهم لا ينــتجون علما حقيقيا، وإنما يستوردون ويستهلكون بدون تبصر ، ويعترفون بأن مناهجهم قاصرة، وأساليب وأدوات بحثهم معيبة ومستوردة لا تلائم واقعنا ، وناتج بحوثهم هزيل، و لا يضيف معرّفة إلى المعرّفة القائمة عند المثقف أو الرجل العادي... وليس عندهم وضوح في الرؤية و لا في البحث المنهجي، ويحتقــرون تراث أمتهم و ينظرون إلى عاداتهم وتقاليدها على أنها جامدة . لا تثق الدولة فيهم و لا يستعان بهم في اتخاذ القرارات المتعلقة بالقضايا المجتمعة . ويتعاونون مع المؤسسات الأجنبية في تقديم ما تحتاجه من معلومات عن بلادهم . وهذا حال علم الاجتماع ورجاله في بلادنا . (٣)

رابعا: موقف علماء الاجتماع العرب من الصحوة الإسلامية المعاصرة

من العجب أن علماء الاجتماع العرب على كثرتهم و جلدهم في محاولة دراسة الظواهر الاجتماعية في الوطن العربي لم نجد أحدا منهم استطاع أن يتنبأ بالصحوة الإسلامية و ظهورها أو يحاولوا دراستها عند نشوئها دراسة حيادية علمية بل كان موقفهم منها غريب ، فلقد كان العداء لها والوقف ضدها ، و محاولة

1 – انظر أبحاث هذه الندوة في ، محمد عزت حجازي ، نحو علم اجتماع عربي ، مرجع سابق

2 – علي الكتر –الإسلام والهوية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ص، ١,٥

3 – أحمد خضر – اعترافات علماء الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٤.

التصدي لها ، واستعداء القوى السياسية والعسكرية ضدها وحتى الأجنبية ، بل وصل بهم الأمر إلى الوقوف مع قوى الاستعمار الغربي والشرقي ، و إمداده بالدراسات والمعلومات والبيانات عن هذه الصحوة من أجل هـدف مشترك للجميع هو الوقوف ضد تيار الصحوة ومحاولة إحجامه ولكن قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف .٢١)

مـع العلـم أن الصحوة الإسلامية هي ((أول اتجاه فكري اجتماعي يحيي في الأمة الروح الجهادية الفعالـة في سـاحة الصراع الحضاري بشموليتها، وعمق قضاياها، مما قد ينتهي إلى إعادة صياغة توازنات الحـركة الإنسـانية الدولية برمتها ، وهي أعظم حركة تجديد في الفكر والمجتمع العربيين أي أعظم حركة تجديد في الحالة الإسلامية، بوصف قضية العرب فكرا واجتماعا، وهي قضية إسلامية إن كان بحكم التاريخ أو بحكم الواقع العربي .))[1].

وعـن عدم توقع رجال الاجتماع للصحوة الإسلامية يقول عالم الاجتماع الجزائري علي الكنز في تعـريفه للصـحوة بأنها: ((تحديد سالب لكيان اجتماعي يستعيد حيويته و يتبلور في حركة سياسية)) ثم يصفها بـقوله:

((... بـأن هذه الظاهرة غير متوقعة لأن الانتصارات الوطنية التي شهدها الوطن العربي في الخمسـينات، وظهور حكومات وطنية - يعني بها العَلْمانية — كما كانت الحال في كل من سـوريا والعراق والجزائر ... ومن كان يظن بأن كبريات الأحزاب الوطنية المنجزة كقوى عقلانـية لهـذه الـتحولات العميقة لكل من الطبقة والمجتمع، مثل: حزب البعث السوري والعراق والاشتراكي في مصر والدستور في تونس وجبهة التحرير الوطني في الجزائر، سوف يـأتي يوم ينهار الواحد تلو الأخر ؟ وما هو ملفت للانتباه حقا في هذا الشأن هو أنه لم يحل مكـان هذه الأحزاب تنظيمات أخرى على يسار أو على يمين النهج المرسوم بالنسبة للكل، وإنمـا تنظـيمات غربية، وثقافة كان يعتقد آنذاك أن السير الوضعي للتاريخ قد تجاوزها إلى الأبد))[2]

بـل تعدى الأمر بعلي الكنز أن يعلن تحسره وغيظه على نجاح الصحوة الإسلامية فيقول:((من كان يظـن أيام ميثاق القاهرة بأن مصر الثمانينات سوف تواجه كمجتمع و كدولة تلك المسالة التي أصبحت محـورية، ألا وهـي طبيعـتها الإسلامية، وأن سيد قطب في مواجهته لعبد الناصر سيصبح يوما ما شهيد

---

1 - عبد الفتاح إبراهيم محمد، أضواء على التأصيل الإسلامي في مجال علم الاجتماع التربوي، بيادر — ع١٤-١٤١٦-ص ٢٢

2 - علي الكنز -الإسلام والهوية، الدين في المجتمع العربي، ، مرجع سابق ، ص ص ٩٣، ٩٦

الجماهير وأن حزب حسن البنا - الإخوان المسلمون - سيحظى يوما ما في أوساط بعض الشبان الجزائريين بمعرّفة تفوق معرّفتهم لتاريخ جبهة التحرير الوطني) [١]

وممن ناصب الصحوة الإسلامية العداء (عاطف عضيبات) أستاذ علم الاجتماع في جامعة اليرموك بـــالأردن حيث يقول: ((إن التاريخ العربي – الإسلامي - برمته يشهد استحالة الرجوع إلى الوضع الذي كان قبل العام الأربعين للهجرة، وجميع المحاولات للعودة إلى بدء عهد الدعوة الإسلامية، أو إلى مزج الزمني بالروحي، مصيرها الفشل في يومنا هذا كما كان حالها بالأمس و كما ستكون غدا)) [٢]

ومن صور التحامل على الصحوة ما يحتويه كتاب (الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العـــربية، بيروت ١٩٩٠م) حيث طفحت كتاباتهم في هذه الندوة بمكنون ذواتهم العدائية للدين والأخلاق الإســـلامية و دندنتهم بالقيم العقلانية والعَلْمانية، وللوقوف على حقيقة القوم انظر ما كتبوه في صفحات هذا الكتاب [٣] .

نقد هذه الآراء

هـــذه المخالفـــات الدينية تنم عن عدم تمكن من هؤلاء المؤلفين والعلماء الاجتماعيين بمعرّفة العقيدة الإســـلامية الحقة و اقتصارهم فقط على دراسة تخصصهم وفق منهجية علمانية غربية عمقت هذه الفجوة بينهم وبين عقيدتهم التي يدينون بها، ومن المحزن أن تجد هؤلاء العلماء الاجتماعيين يوردون أقوالهم وآراؤهم عن الدين على أنها مسلمات علمية مع أنها مجرد دعاوى كاذبة ، وأقوال مردودة .

ويقرر القرآن الكريم فطرية الدين في الإنسان قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم ٣٠)

والدين الإسلامي يقرر أن الدين فطرة في الإنسان فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن أساسه الاعتقاد في خالق الكون وأنه واحد لا شريك له .

---

1 – علي الكتر المرجع السابق، ص٩٥

2 – عاطف عضيبات– الدين والتغير الاجتماعي، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ص١٦١

3 –عاطـــف عضـــيبات، الـــدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، ص ص ١٥٠-١٥٥ عبد الباقي الهرماس، علم الاجـــتماع الديني، ص ٣٠ و علي الكتر، الإسلام والهوية، ص ص ٩٢-١٠٩و سمير نعيم، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، ص ص ٢٣١-٢٣٥

والدراســـات الاجتماعـــية أثبتت فطرية فكرة الألوهية وأن الدين أمر فطري وأن الإنسان جبل على حـــب التدين ، ويرى علماء اجتماع معاصرين (الانثربولوجيا) إن فكرة الله أو الدين على العموم فكرة فطـــرية وجدت في عقل الإنسان وأنه في كل المجتمعات ((الهندية الأمريكية البسيطة يحمل كل إنسان في نفسه فكرة العلية وهذه فكرة كافية لتكوين العقيدة بأن هناك إلهاً صانعا و خالقا لهذا الكون .. وقد اهتم عالم الأجناس (شيدت) بدراسته الديانات الإنسانية في القبائل البدائية وأثبت أن الديانات بدأت بالتوحيد ودعم رأيه بالعديد من الدراسات التي أجريت على أقدم الأجناس البشرية ، والتي قررت بأنهم كانوا يؤمنون بوجود اله أعلى)) .[1]

ولقد تعرض مفهوم الدين و الفطرة لدى علماء الاجتماع الغربي إلى خلل عظيم وتزوير كبير ونسبوا كـــل الـــنظم الاجتماعـــية التي وجدت عند الناس إلى أسباب فطرية وقد عرضنا لجانب من آراء علماء الاجتماع الغربيين حول الفطرة.

ويجب على عالم الاجتماع المسلم أن يفصل بين مفهوم الفطرة الإسلامي الذي فطر الله الإنسان عليه قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم .٣٠)

قال تعالى: ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء .٥١)

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾(طه .٧٢)

وفي السنة، إنَّ أبا هُريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ كان يُحدِّثُ قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ما من مَولود إلاَّ يـــولَدُ على الفِطرةِ، فأبواهُ يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه، كما تُنتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعاءَ، هل تُحسُّونَ فـــيها مِـــن جَـــدْعاءَ»؟ ثم يقـــولُ أبـــو هريـــرةَ رضيَ اللَّهُ عنه {فِطرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها} الآية (الروم: ٣٠).[2]

1 – محمد علوان – مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٧-٢٨

2 – محمـــد بن إسماعيل أبو عبد الله ،البخاري – صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى أديب البغاء ، دار القلم ، الطبعة الأولى- دمشق ، ١٤,١هـــ ، رقم الحديث ١٣٣٥

والتصــــور الإسلامي يرى ((أن الإنسان خلق على الفطرة، أي على التعبد، وهو مظهر من مظاهر غريزة التدين . وهذه الغريزة أو الفطرة لم تعينها مادة الحياة، فليس من طبيعة المادة أن تحدد غريزة التدين أو أن تخلقها في الإنسان أو أن تقتلعها منه، بل هي قُدرت في الإنسان .)) [1]

أن الغايـــة مـــن خلـــق الإنسان غاية تعبدية محضة قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات .٥٦)

ولهذا خلق آدم عليه السلام، و من أجل ذلك أرسل الله الرسل، عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت: ((يـــا نبي الله، فأي الأنبياء كان أوّل؟ قال: آدم عليه السلام، قال: قلت: يا نبي الله، أَوَنبيٌّ كان آدم قال: نعم نبي مكلم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه روحه، ...»)) [2]

ومن الثابت دينا إن الناس من عهد آدم إلى عهد نوح قرابة عشرة قرون كانت على التوحيد الخالص حـــتى حدث فيهم الشرك وعبادة الأوثان قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (نوح .٢١-.٢٤)

ثم إن السلوك الذي يبتدعه الإنسان مخالف لهذه الفطرة الإسلامية سلوك منحرف ناشئ عن انحراف ســـلوكي عـــند المجتمع ، أملته عليه شهواته أو أعداؤه ، وليس من الفطرة في شيء وكم هي السلوكيات المنحرفة التي ابتدعها الإنسان وخالف بها فطرته وسنن الحياة وانحط بها إلى أسفل سافلين ، ولعل ما نشاهده من هبوط لدى الغرب في الجنس والأخلاق يتنافى مع الفطرة السليمة .

كمـــا أن الأخـــلاق في المجتمع المسلم منبثقة من الدين أي أنها خاضعة للمقاييس الإسلامية من الحل والحرمة وهي سلوك تعبدي يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى ، وهي قيم سلوكية عملية ثابتة يجب على كل مسلم الخضوع لها والانقياد، لأنها من الدين ، ولا يتم الخلط بينها وبين العادات والأعراف والتقاليد التي

---

1 - عـــبد القـــادر رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، - دارية الثقافة - ط الأولى ١٤٠٤هـ الدوحة .ص ٢٣٨

2 - أحمد بن حنبل - مسند الإمام أحمد - دار الفكر - بيروت - د.ت، رقم الحديث ٢١٩١٣

يستحدثها المجتمع ، وقد تختلف من جماعة إلى أخرى ولكنها في غايتها لا تعارض تعاليم الإسلام، وبهذا يختلف مفهوم الأخلاق لدى علماء الاجتماع الإسلامي عن غيرهم.

ويمتاز المجتمع الإسلامي بأن كل علاقاته الاجتماعية ترتبط بالتشريع الإلهي الذي في غايته خدمة الإنسان وإسعاده في الدنيا والآخرة ، والبعد به عن متاهات الانحراف والشتات.

وعلى الباحث الاجتماعي سبر العلاقات الاجتماعية المنحرفة عن التشريع الإسلامي وتصحيحها ، وبيان مواقع العطب في المجتمع المسلم بسبب مخالفته السنن الإلهية.

ولقد اهتم الإسلام بالعلاقات الاجتماعية ووضع لها دستورها القويم الذي يقنن العلاقات والاتصالات بين جميع أفراد المجتمع المسلم وكما قنن علاقاتهم واتصالاتهم بالمجتمع الإنساني كافة على أسس من السلام والرحمة و الوسطية قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة/ ١٤٣)

لو نظرنا إلى ما سبق من الآراء للمفكرين الاجتماعيين الغربي نجد إن معظمها يعيد العلاقات الاجتماعية إلى التصادم والأنانية والصراع لأن الإنسان يترع إلى الصراع مع الآخرين ولهذا لا بد من سلطة اجتماعية ضابطة، وهذا يتنافى مع التأكيد الإسلامي بأن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد و إنهم أمة واحدة قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنبياء .٩٢)

ثم إن القيم الأخلاقية التي تحكم سلوك المجتمعات يعتبرها المنهج الغربي مسألة نسبية حيث (نسبية القيم) مسلمة لديهم فهي – القيم - ((يعتبر القيم إفرازا مجتمعيا متجددا تفرضه أعراف الناس وعوائدها ومتواضعاتهم، حيث يستقل كل وسط اجتماعي يرسم مثله وأخلاقياته وما ينبغي أن يكون عليه من الناحية العقلية والمادية والأخلاقية والدينية)) [1]

وهذه الدراسات جعلت جميع المعتقدات والأخلاق ما هي إلا مجرد مسألة ثقافية أنتجها الإنسان لقدر حاجته إليها ثم تتغير حسب الحاجات المستقبلية لديه.

ثم إن النظام التشريعي الذي يحدد ويضبط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ما هو إلا إفراز بشري وهو يخضع لظروف ذلك المجتمع والثقافة الاجتماعية والسياسية وهي تتطور وتتبدل حسب نظرة المجتمع لها.

---

1 – محمد امزيان — منهج البحث الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص ٣٤

و يمكن أن نوجز الرد في النقاط التالية:

١- إن الله تعـالى خلـق الجماعـة البشرية لكي تؤدي وظيفة الخلافة الأرضية وأعطاها المقومات والقدرات التي تساعدها على تحقيق الوظيفة التي خلق الإنس والجن من أجلها (العبادة)

٢- إن الكون كله مسخر للإنسان للانتفاع به وعبادة الله تعالى بشكره على تسخيره الكون له .

٣- إن العلاقات بين الناس في أصلها مبنية على التكافل والتعاون والإيثار وليس الافتراس والتصارع والحروب.

٤- إن جميع العلاقات الاجتماعية والتبادلات الاجتماعية مضبوطة بأحكام الشرع وأن التشريع الإلهي مفطور في الإنسان .

٥- إن الأخلاق التي يتبادلها المجتمع هي تشريعية ويتعبد بها لله تعالى .

ومـن النقد الأساسي الذي يوجه إلى العلوم الاجتماعية هو أنها نشأت و تبلورت في بيئات جاهلية تـؤمن بالعَلْمانـية و تتنكر للدين و تحاول إيجاد تفسير للدين بأنه مجرد ظاهرة اجتماعية تهدف إلى إشباع حاجـات الفـرد ، وهي تنتقل من جيل إلى جيل وفق عملية تطورية تناسب نمو الفرد والمجتمع ثقافيا وفق وظائف اجتماعية معينة .

والدراسـة الحالية لا تهدف إلى تقصي جميع خصائص علم الاجتماع الغربي ونقده ولكنها تهدف إلى محاولـة توجيه علم اجتماع التربية والذي هو فرع من علم الاجتماع العام ، ولهذا سوف نناقش القضايا المشتركة بين الفرع والأصل و محاولة تأصيلها ، أو توجيهها حسب المنهجية التي اقترحها الباحث في فصل التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية .

المبحث الرابع
علم الاجتماع الإسلامي

أولا : نشأة علم الاجتماع الإسلامي:

بعد أن طال اغتراب الباحثين الاجتماعين عن المنهج الإسلامي ، وطول عشرة في المنهج الغربي تبدت لهم حقيقة أن المنهج الغربي نشأ في بيئة علمانية غربية لا قيم دينية أو أخلاقية توجه المجتمع أو الفرد أو حتى الباحث .ومن هنا ظهرت دعوة العودة إلى الذات العربية الإسلامية و إلى مورثنا الحضاري المتكون من التراكمات والرواسب التي شكلت الشخصية الإسلامية عبر الزمان والتي حفظتها لنا كتبنا في جميع المعارف ، والتي من السهل العودة إليها والوقوف على تراثنا المحفوظ في طياتها بدلا من الانقياد للآخر ، و استعارت مفاهيمه القائمة في كثير من أصولها على خرافات أو أشياء لا واقع لها إلا في عقول الواهمين كمقولة اصل الإنسان المتطور و مقولة الأسرة الأمة ..الخ .

ومن المعلوم أن علم الاجتماع ظهر أول الأمر في المجتمع الإسلامي وعلى يد المفكر والمؤرخ الكبير ابن خلدون رحمه الله ، ومن هنا فيجب العودة إلى هذا المنبع و البدء في وضع نظرية اجتماعية إسلامية تقوم على المنهج الإسلامي.

يقول معن خليل عمر : ((إن علم الاجتماع العربي يكمن في إبراز الكتابات الاجتماعية للكتاب العرب الذين عاشوا ما بين القرن الثامن إلى الرابع عشر الميلادي ، وهي الفترة التي تمثل الإرهاصات الأولى لعلم معروف في الوقت الحاضر باسم علم الاجتماع ووصفوا فيها حياة مجتمعهم وظواهرها ، ومنشطها ، ومحيطها ، وطريقة دراستها بأسلوب علمي وموضوعي جدير بالاهتمام والاستناد عليها ، كقواعد رصينة للفكر الاجتماعي والإنساني وتفسيرات دقيقة وموضوعية لحياة العرب في تلك الفترة الزمنية)) [١]

ويرى حسين فهيم ، أن الدراسات الاجتماعية بجميع اتجاهاتها يجب أن تتم في إطار من النقد والتحليل والبحث عن البدائل المنبثقة من تراث العرب الفكري والعقائدي .[٢]

ومادام هؤلاء النفر من الباحثين العرب القوميين يرون إمكانية علم اجتماع عربي فإن الواقع يؤكد أن العرب لم تكن لهم قائمة فكرية متكاملة إلا في ضوء الإسلام ، وأن الدين الإسلامي هو الذي أوجد الكيان العربي المسلم القائم على القيم الإسلامية والمنهج الإسلامي الصحيح الذي يؤيده النقل والعقل .ولهذا لا بد

1 - محمد حجازي- نحو علم اجتماع عربي ، مرجع سابق ، ص ٢٠

2 - حسين فهيم- قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ع٩٨ _ الكويت ص٢٦٣

أن تكـون الدعوة إلى علم اجتماع إسلامي لا عربي قومي ينضوي تحته جميع أفراد المجتمع الإسلامي الكبير بأجناسه وأقاليمه.

ومن المعلوم أن الواقع الاجتماعي في البلاد العربية والإسلامية تأثر بالشريعة الإسلامية وقيمها الخالدة ولهـذا يجـب أن تكون المنهجية البحثية وفق أسلمة العلوم الاجتماعية يقول (معن خيل) أحد الباحثين الاجتماعـيين العـرب ((حتى المجتمع العربي الحالي لا زال يخضع للتوجيه القيمي لدرجة أن أصبح النظام القيمي أداة قومية في تنظيم سلوك أفراد المجتمع العربي)) [١]

ويؤكد محمد امزيان: (إن التراث الاجتماعي الذي يتحدث عنه هؤلاء ولد واكتمل شكلا ومضمونا ضـمن البيـئة الثقافـية والفكرية التي ولدت العقلية الإسلامية وفي ظل حضارتها ، ولم يكن هذا التراث الاجتماعي أبدا من مخلفات البنية الثقافية العربية المستقلة فكريا ومنهجيا عن التأثير الإسلامي.) [٢]

وحقـيقة إنه يلاحظ أن ما يسمى بعلم الاجتماع الإسلامي ومجمل ما يكتب فيه ((في هذا الاتجاه تغلب عليه الضحالة، ويكشف عن شيء غير قليل من السطحية والغفلة ، ولا يخلو الأمر في بعض الأحيان من الانتهازية وتملق مشاعر الجماهير، بل و المشاركة الواعية في تزييف الوعي))[٣]

وقـد يلاحظ ذلك فإن الكثير ممن كتب تحت عنوان علم الاجتماع الإسلامي كان يقع تحت ضمن مقـررات الجامعـات الإسلامية التي اهتمت في منهجها بالتأصيل ، حيث أن أغلب من قام بالتدريس في كلـياتها للعلوم الاجتماعية حاول صبغة كتابه بالروح الإسلامية ، مع الإبقاء على المحتوى الغربي والمنهجية الغربية وسوف نعرض نماذج لذلك في هذا المبحث.

وهـذه المحاولة – كما يصفها حيدر إبراهيم – هي مجرد ((وضع المشروع القديم نفسه في أكواب جديـدة، أو يظـنها جديدة . وهذا يعني عدم تغيير المضمون، وهذا هو المهم، لأن المفاهيم الغربية القديمة نفسـها توضـع عليها ملصقات جديدة، أي مجرد إضافة (إسلامي) أو مسلم لهذه المفاهيم أو النظريات ...ويمكن ربط هذا التحول بظروف عمل جديدة في بلدان تتبنى هذا التوجه الجديد.[٤]

ويقـول حسن حنفي في هذا الصدد: إن بعض هؤلاء المفكرين عندما عاد من الغرب أحس باغترابه وانعـزاله عن الثقافة القومية، فبادر – كمحاولة للتجديد- إلى دراسة التراث بمنظور مذهبه المنقول، لكن محاولته تلك تأتي من الخارج عرضا وليس قصدا . [٥]

---

1 – محمد حجازي- نحو علم اجتماع عربي ، مرجع سابق ، ص ٢١

2 – محمد امزيان — منهج البحث الاجتماعي، مرجع سابق ، ص ٢١٨

3 – محمد حجازي، نحو علم اجتماع عربي، ، مرجع سابق ، ص٢٣

4 – محمد حجازي، المرجع السابق ،ص ١٢٧

5 – حسن حنفي- التراث والتجديد، المركز العربي للثقافة والنشر — ط الأولى ١٩٨٠م القاهرة.ص ٣٢

ويصدق قول حنفي على كثير من علماء الاجتماع الذين حاولوا الكتابة في علم الاجتماع الإسلامي أمثال (سامية الخشاب، زكي إسماعيل .. وغيرهما).

وقـــريب مـــن هذا القول ما يراه محمد امزيان إذ يعتقد، أن بعض هذا لم تكن فيها الرؤية واضحة ، وبعضـــها الآخـــر كانت تدفعه الرغبة العاجلة في إصدار كتاب في هذا الموضوع ، وجاءت محاولاته غير مرضية .[1]

بـــل مـــن العجب أن ترى بعض علماء الاجتماع المنتسبين إلى الإسلام يعتقدون مثل هذه الأفكار ، ويـــروجون لها في أبحاثهم وكتبهم بل تعدى بعضهم الحد أن عنون لكتابه (بعلم الاجتماع الإسلامي) ثم أخذ يناقض الإسلام من أول أسطر كتابه ومن أمثلة ذلك:

١- علم الاجتماع الإسلامي، سامية مصطفى الخشاب: تقول في الفصل الأول:

الدين من الظواهر التي يصعب وضع مدلول محدد لها ...فلا شك أن الإنسان البدائي –هكذا تقول– في جميع أرجاء المعمورة — كانت تحيط به ظواهر كثيرة منها ما يتعلق بالطبـــيعة ومـــنها ما يتصل بالإنسان نفسه (كالموت مثلا) هذه الظواهر كان التفكير الإنســـاني يعجـــز عن تأويلها وتفسيرها ، ولقد تضافرت عوامل كثيرة مختلفة بالفعل دفعـــت الإنســـان إلى تفكير في القوى غير المرئية ، والتوجه بالفعل إلى محاولة ابتداع فكرة (الإله)٠))[2]

وقـــد كان من نتيجة غياب المنطلق العقائدي أن انتهت الكاتبة إلى نتائج مناقضة للرؤية الإسلامية في الوقت الذي تقع فيه الدراسة داخل علم الاجتماع الإسلامي .ولتوضيح هذه المسألة نأخذ بعض النماذج . فلقد قامت الكاتبة بتحليل ظاهرة الدين، واعتمدت في هذا التحليل على ما كتب في الموضوع في المصادر الأجنبية، التي تعتبر الدين مجرد ظاهرة اجتماعية مجردة من أصلها الإلهي.[3].

وفي تحلـــيلها حول أسباب الوازع الديني عند الإنسان المعاصر(ص ١٨)، تنقل لنا دراسة (لوكمتن) حـــول انحسار الدين القائم على التنظيم الكنسي . ولا نجد لديها تصوراً إسلامياً لأسباب هذا الوازع قائماً علـــى فهم إسلامي أصيل . وكذلك في تحليلها للتصوف في المجتمع الإسلامي (ص ص٦٧-٦٨) عرضت لدراسة وليم جمس وبرتراند رسل حول الخصائص المشتركة بين أنواع التصوف المختلفة، فهي إذا لا تصدر في دراستها للإسلام من رؤى إسلامية آو استشهادات من الفكر الإسلامي ٠ .

1 – محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ، مرجع سابق ، ٢٣٥

2 – سامية مصطفى الخشاب– علم الاجتماع الإسلامي– دار المعارف – ط الثانية ١٩٨١م – القاهرة – مصر –ص١٤

3 – محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ، مرجع سابق ، ٢٣.

نحـــو علـــم الاجتماع الإسلامي، زكي محمد إسماعيل: حاول مؤلف الكتاب الدعوة إلى هذا العلم – علـــم الاجـــتماع الإسلامي – ولكن بمواضيع ومناهج وطرق غربية ، بل أعطى علم الاجتماع الديني الغربي مناقشة كل شيء ((إذا كان علم الاجتماع الديني يدرس الظاهرة الدينية في عمومها سواء الإسلامية منها وغير الإسلامية في شتى الملل والعقائد)) ([1])ولكنه يحجر على علم الاجتماع الإسلامي فيقول:

((فـــإن علم الاجتماع الإسلامي يقتصر في دراسته على الظواهر الإسلامية)) ، ثم يحذر علم الاجتماع الإسلامي من إصدار أحكام توجيهية ، أو تعليل أسباب هذه الظواهر من الناحية الشرعية إذ يقول ((ومع هذا فلا يدخل في علم الاجتماع الديني ولا في إطار علم الاجتماع الإسلامي الحث على التمسك بالفضائل والنهـــي عن الرذائل على غرار ما يهدف إليه علم الأخلاق العامة، كما أن كليهما لا يهتم ببيان أثر إتباع القـــواعد الدينية ومزاياها ـــ ويزيد الطين بلة إذ يقول: إلا أن علم الاجتماع الإسلامي – وأن كان يركز علـــى دراســـة الظواهر الاجتماعية الإسلامية في المجتمع الإسلامي دون أن يشير إلى ما يتميز الإسلام عن الأديـــان الأخـــرى-)) [٢]، و لقـــد سلب علم الاجتماع الإسلامي أهم أهدافه، بل جعله مسخاً لعلم الاجـــتماع الـــديني ، حـــيث نفس الأدوات والنتائج، وحتى المنهجية الفكرية ، و لم يبق سوى الألفاظ الإسلامية خالية المضمون.

وفي هـــذا الكتاب يقرر بتبعية علم الاجتماع الإسلامي لعلم الاجتماع الغربي من حيث إنه فرع من فروع علم الاجتماع العام بل إنه يؤكد علي التقييد بقواعد المنهج في علم الاجتماع و بدعوى الموضوعية بمفهـــومها الغـــربي ، ويحذّر من المعيارية – إصدار الأحكام الأخلاقية – وذلك وفقا للمنهجية الموضوعية للمدرســـة الفرنسية لعلم الاجتماع ، ويرى أن علم الاجتماع الإسلامي يخرج من طائفة البحوث التقويمية ويرفض إصدار أي أحكام قيمية[٣]

٣- المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع – دراسة في علم الاجتماع الإسلامي ، نبيل السمالوطي[٤] :

ادعى المؤلف أن الهدف من إعداد هذه الدراسة هو وقف استيراد الأفكار والنظريات من الشرق والغرب، والـــبدء في حـــركة جادة و مخلصة لإيجاد علم اجتماع يستمد كيانه من القرآن والسنة، ولا يتعارض مع اســـتخدام الـــبحوث الواقعية لدراسة النظم والقيم والاتجاهات ، والأبنية الاجتماعية المعاصرة تنطلق من منطلقات إسلامية تستند إلى المفاهيم القرآنية الحقة (ص١.) ويصفه حيدر إبراهيم فيقول :((ومن العجب

-1- زكي محمد إسماعيل – نحو علم الاجتماع الإسلامي ، دار المطبوعات الجديدة – القاهرة ١٩٨١م –ص٧

2 – زكي محمد إسماعيل – المرجع السابق ،ص٧-٨

3 – زيـــدان عبد الباقي، علم الاجتماع الإسلامي،مرجع سابق ، ص ١، أحمد مختار، التفكير الاجتماعي دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية،مرجع سابق ، ص٥٢

4- نبيل السمالوطي ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، دار الشروق ، ط الأولى ، القاهرة ، ١٣٠٠هـ

في الأمر أن كل الكتاب عرض – محايداً تماما –للنظريات والمدارس الغربية فقط، و هو كتاب مدخل عادي في علـم الاجـتماع العام وذلك من (ص ص ٨٧–٣٢٨) وليس لعلم الاجتماع الإسلامي أي أثر عدا الصـفحات الأولى ... وهو يعج بالأخطاء والمغالطات المنهجية والتي تتعارض أحيانا حتى مع الاتجاه الذي يتبناه الكاتب .)[1]

ثانيا – تعريف علم الاجتماع الإسلامي:

يعـرّفه زكـي إسماعيل: بأن علم الاجتماع الإسلامي من حيث كونه علما يدرس الظواهر والنظم الاجتماعية دراسة وصفية تقديرية تعبر عما هو كائن من النظم ومن حيث هو إسلامي الاتجاه فإنه يدرس هـذه النظم والوقائع من منطلق إسلامي اجتماعي ، أي من حيث دراسة هذه الظواهر والنظم والعلاقات والـتفاعلات الاجتماعـية الناشئة من احتكاك المسلمين ببعضهم البعض وبغيرهم في معاملاتهم وعباداتهم وشـعائرهم ونسكهم ، أو دراسة نظمهم وعلاقاتهم الاجتماعية بغير المسلمين، وتتبع هذه النظم في نشأتها وتطـورها التاريخي الذي يعتمد على الوثائق و السجلات والأخبار المتواترة، كما يدرس مدى أثر الشريعة الإسلامية في هذه النظم ومدى تأثر الشريعة بالنظم التي أوجبتها الرواسب الثقافية التي تركتها تلك النظم في الثقافة الإسلامية في بلد ما .[2]

ويجـب علـى الباحث المسلم وفقا للتعريف السابق أن يفصل بين ما هو إسلامي يرجع إلى أحكام الإسـلام وشرعه وبين ما هو نتاج تطبيقات بعض المسلمين الذين لم يراعوا مقاصد الشريعة ، مما نتج عنه سـوء التطبيق الناتج عن سوء الفهم لمراد الشرع ، وذلك سببه عائد إلى الاجتهادات الخاطئة التي لم تراع الإقـتداء بالسـلف الصـالح في فهمهم و تطبيقهم لأحكام الإسلام ، وهذا الاختلاف والتجاوز في فهم النصـوص و دلالـتها واقـع في كل الأمم قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (البقرة ٢١٣)

---

1 – حيدر إبراهيم، ندوة نحو علم اجتماع عربي، ،مرجع سابق ، ص ١٢٩

2 – زكي محمد إسماعيل – علم الاجتماع الإسلامي ،مرجع سابق ، ص٤

ومصداق لما ورد في السنة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني إسرائيل قد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وأنتم تفترقون على مثلها، كلها في النار إلا فرقة». [1]

وعن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: «حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ــ يعني الأهواء ــ كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ...». [2]

ويقول إسماعيل الفاروقي في إضفاء الصبغة الإسلامية على علم الاجتماع :((إن إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الاجتماعية لابد أن يبين العلاقات بين الواقع المدروس وذلك الجانب أو الجزء من النموذج الإلهي المناسب له . ولما كان النموذج الإلهي هو العادة أو الناموس فإن الواقع ينبغي أن يحققه ، وتحليل ما هو كائن ينبغ أن لا يغيب عن نظره ما ينبغي أن يكون ، وبالإضافة إلى ذلك فإن النموذج الإلهي ليس عاديا فقط ، ومتمتعا بشكل وجود سماوي منقطع الصلة بالواقع إنه واقعي بمعنى أن الله تعالى قدر احتواء الواقع إياه أنه من نوع الوجود الفطري غرسه الله برحمته في الطبيعة الإنسانية في الفرد الإنساني أو المجموع في الأمة بوصفها تيارا مستمرا للوجود يستخرجه العمل المعنوي إلى حيز الفعل والتاريخ)). [3]

ثالثا: علم الاجتماع الإسلامي كبديل

ما إن ظهرت الدعوة إلى أسلمة العلوم الاجتماعية كردة فعل على التناقضات التي وقعت فيها العلوم الاجتماعية (الإنسانية بوجه عام) بسبب المنهج العلماني الإلحادي حتى بادر الغيورون من أبناء الإسلام إلى الدعوة لوضع تصور إسلامي لعلم الاجتماع، ومن المعلوم أن البدايات لا تكون كاملة بل يعترضها جوانب من النقص والتقصير حيث إن الخلفية الشرعية والمنهجية الإسلامية لم تكتمل أدواتها عند الكثير منهم ولكنها محاولات تصب في خدمة علم الاجتماع الإسلامي وتزيد من الإسهامات فيه ، وتثري الموضوع بالدراسات المختلفة التي تجعل من تعددها ساحة خصبة للانتقاء والاصطفاء ، لما يوافق المنهجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية.

وقد دعا (اليأس بايونس) إلى قيام علم اجتماع إسلامي ليسد الفراغ في كتابات علماء الاجتماع العرب والمسلمين المعاصرة حول المجتمعات الإسلامية من منظور الثقافة الإسلامية ؛ حيث ((أن الدراسة

---

1 - الإمام أحمد - المسند -رقم الحديث ١١٩٥٣

2 - - الإمام أحمد - المسند-رقم الحديث ١٦٦١٣

3 - إسماعيل الفاروقي - العلوم الطبيعية والاجتماعية- ،مرجع سابق ، ص٣٣

المنظمة للإسلام حقل مهمل إهمالا جسيما في علم الاجتماع، فلا تكاد تكون هناك دراسة اجتماعية للإسلام والمجتمعات الإسلامية.. أننا في حاجة إلى علم اجتماع إسلامي من أجل فهم المعتقدات والمجتمعات الإسلامية) [١]

وإن قيام علوم إنسانية واجتماعية إسلامية و تدريسها في الجامعات الإسلامية بات أمرا يقع في صميم المعرّفة الشرعية والثقافة الإسلامية، كما أن تعقيدات الحياة الراهنة يفرض التوسل بالإمكانات التفسيرية، التي يمكن أن توفرها العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذا ما يمكننا إدراكه إذا ما عرّفنا أن العلوم المذكورة صارت تشكل في تطورها الحديث خلفية ضرورية لاستنباطات الفقه والفكر الإسلاميين ، ناهيك عن ضرورتها في عمليات التخطيط ودعم عمليات البناء، فضلا عن ترشيد أنشطة الدعوة والتغيير .[٢]

وينتقد أحمد المختار أولئك الذين قصروا رؤيتهم على أن أسلمة علم الاجتماع تعني ((ضرورة إخضاع إنتاج الآخرين لمقياس إسلامي، وتقتضي ترجمة الأعمال الغربية، وهو شيء متوفر نسبيا، ومحاولة إضفاء الصبغة الإسلامية عليها ولو شكليا ...متناسين أن العلوم كل العلوم، هي نتاج اجتماعي مليء بالترسبات الاجتماعية والفلسفية والدينية وفي النهاية الخلفيات الإيديولوجية لاستراتيجية معينة صريحة أو مقنعة، وتاريخ العلوم الغربي، طبعا دليل على ما أقول .)) [٣]

ولقد امتازت بعض الدراسات في (علم الاجتماع الإسلامي) بالأصالة والعمق ، وعن هذه الدراسات يتحدث حيدر إبراهيم فيقول: ((يتميز هذا الاتجاه بأصالته، فقد تختلف معه ولكنك تشعر باحترامه لأنه رصين وجاد وعميق ومخلص في عرض أفكاره والدفاع عنها، وبعض ممثليه تمكنوا من الثقافة الدينية ومن العلوم الاجتماعية ...ومن أشهر ممثلي هذا الاتجاه الشيخ محمد المبارك، وله العديد من الكتابات عن المجتمع والإسلام)) [٤]

وممن تميز في هذا الاتجاه، رشيد فكار ـــ تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع وكتاب علي عبد الرازق جلبي: قضايا علم الاجتماع المعاصر و فيه فصل بعنوان ((نحو علم اجتماع المجتمعات الإسلامية)) يعالج فيه موضوعات تندرج تحت علم الاجتماع الإسلامي.

إن أهمية وجود علم اجتماع إسلامي، ضرورة حتمية أكثر من أي وقت مضي، فالأمة الإسلامية ممزقة إن لم نقل لا وجود لها من حيث الإرادة السياسية والاجتماعية [٥]

---

1 – بايونس،– التعليم في العالم الإسلامي — صدر عن مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر – ص ص ٤٢– ٤٤

2 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا ،مرجع سابق ، ص ١٤١

3 – أحمد المختار –نحو علم اجتماع إسلامي، ،مرجع سابق ، ص ٣٩

4 –محمد حجازي نحو علم اجتماع عربي، ،مرجع سابق ، ص ١٣١

5 – أحمد المختاري، نحو علم اجتماع إسلامي، ،مرجع سابق ، ص ٤٣

إن المطلوب هو إيجاد علم اجتماع إسلامي يقدم لنا قوانين الحياة الاجتماعية وسنن تطورها وتغيرها ، ويكـون هـذا العلـم نابع من قضايا الإسلام فهما وتحليلا وفكرا و ممارسة وعدم الركون إلى النظريات الاجتماعية الغربية مهما كانت شهرتها و دقتها الفنية ؛حيث إن ممارسة تلك النظريات على أرض الواقع لم تكن مجدية ، بل كانت مضيعة للوقت والجهد والمال .

إن الأسـس والقـواعد المنهجية التي يقوم عليها علم الاجتماع الإسلامي مصدرها الوحي (القرآن والسنة) ، و قد أشار إلى هذه الأسس القواعد المنهجية محمد المبارك – رحمه الله – ومنها:

أ- إن القرآن يشير إلى الطبيعة الاجتماعية والإنسانية باستمرار ، كما يشير إلى الطبيعة العامة التي هي أشمل منها ، وأعني إلى عالم الجماد والنبات والحيوان بأجزائها وأنواعها و حوادثها.

ب- وكـذلك يشير القرآن إلى الحوادث والظواهر الاجتماعية كما يشير إلى الحوادث الطبيعية كتراكم السـحب و نزول المطر ... ويذكر القرآن أمثلة من الظواهر الاجتماعية كظاهرة التقليد والترف والظلم ..والظواهر السياسية والاقتصادية و الأخلاقية.

ج- كمـا يشير القرآن الكريم إلى ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض ارتباطا مطردا منتظما بين، إذ يدل على تتابع حادثين سابق – جرت العادة أن يسمى سببا – ولاحق – جرت العادة أن يسمى مسببا أو نتيجة – تتبعا مطردا باستمرار .

د- إذا كـان القـرآن الكريم وكذلك الحديث يشير إلى ارتباط ظاهرتين اجتماعيتين ارتباطاً مطردا، فمعنى ذلك أنه يشير إلى قوانين الظواهر الاجتماعية أو سنن الله في المجتمع الإنساني .

هـ- الـتغير والتغـيير: المجتمع الإنساني كما يبدو في القرآن والحديث متغير متبدل ، و لتغيره عوامل وأسـباب . فما أكثر ما يتحدث القرآن عن تبدل الأجيال، واستعمل القرآن لفظ القرن والقرون بهذا المعنى .[1]

١- أنواع الدراسات الاجتماعية للمجتمع الإسلامي:

المجـتمع الإسلامي مجتمع كبير ومتعدد الأجناس والأعراق والبيئات ، وهو يغطي معظم قارات العالم فهـناك مجـتمعات إسلامية على هيئة دول مستقلة وهناك جماعات إسلامية على شكل أقليات إسلامية في محـيط غير إسلامي ، من هنا يجب أن تكون نوعية الدراسة الاجتماعية المزمع عملها محددة الهدف والاتجاه ونوع المجتمع الذي سيكون مجال الدراسة.

ويـرى الشيخ محمد المبارك رحمه الله أن هناك طريقتين للبحث ونوعين من الدراسة الاجتماعية لكل منها فائدته وضرورته وكل منهما محتاج للآخر.

1 - أحمد المختاري – نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، ،مرجع سابق ، ص ص ٣٢-٣٧

الطـــريقة الأول: دراســـة كل مجتمع إسلامي خاص دراسة مستقلة كدراسة المجتمع الإندونيسي أو الأفغـــاني مثلا، أي النظر إلى جميع الجوانب والظروف الخاصة بذلك المجتمع بالإضافة إلى العامل الإسلامي الحضاري والثقافي المشترك .

الطـــريقة الثانـــية: النظر إلى المجتمعات الإسلامية جملة واحدة وضمن إطار واحد ودراسة السمات المشتركة والظروف التاريخية المتشابهة والأطوار الاجتماعية والمراحل الفكرية المتوازية وهذا الجانب المشترك ضخم وكبير ومن الممكن بل من المفيد إفراده بالدراسة.[1]

٢- أهداف دراسة المجتمع الإسلامي ما يلي:

١- تغـــيير هـــذا المجتمع – الإسلامي المعاصر – وتطويره للأفضل و الأصلح .. لأن هذا المجتمع أصابه خلال القرون السابقة آفات و أمراض و إخفاقات فكرية واجتماعية ، وحصلت فيه انحرافات عقدية لبعده الزمني عن المصدر الإسلامي الأول، وتعرضه للغزو العسكري والعقائدي في أكثر من مرحلة، وكذلك جهل الكثير من أبناء المسلمين بأحكام الإسلام، و على علم الاجتماع الإسلامي دراسة هذا الواقع و تقويمه و وضع الحلول الشافية له .

٢- تحرير هذا المجتمع مما وقع فيه من بسط النفوذ الأجنبي وتسلطه عليه ومن جذبه كليا أو جذب فريق مـــن أبـــنائه لدوران في فلك التغريب وتحريره فكريا واجتماعيا من هذا التسلط الأجانب ورده إلى الإسلام عقيدة وسلوكا و ثقافة .

٣- فســـح المجال عن طريق هذه المعرّفة، للالتقاء الإنساني عل أكثر من صعيد واحد بين شعوب العالم الإسلامي التي تربطها روابط تاريخية وثقافية وحضارية .

توسيع ميدان بحث الظواهر الاجتماعية المتماثلة في مجتمعات الشعوب الإسلامية ..لمعرّفة نفسه معرّفة علمية ودراستها في شعوب متعددة يهيئ فرصة أكبر لكشف عوامل التطور وقانون الظاهرة. والتي بدورها تأصل قواعد علم الاجتماع الإسلامي.[2]

٣- خصائص علم الاجتماع الإسلامي:

١) إنـــه نابع من خصوصية الأمة الإسلامية ، هذه الخصوصية القائمة على التوحيد والإيمان بالله تعالى و بـــأن العـــالم ينقســـم إلى عالمي الغيب والشهادة، وأنه يستوحي أسسه وركائزه من وحي الشريعة الإسلامية .

1 – محمد المبارك – المجتمع الإسلامي المعاصر، دار الفكر –ط الخامسة- بيروت ١٤..هـــ ص١٣

2 – محمد المبارك – المجتمع الإسلامي المعاصر، ،مرجع سابق ، ص ١٥

٢) علم الاجتماع الإسلامي علم واقعي يصف الظواهر كما هي لا كما ينبغي أن تكون ، و هو يهدف إلى تشريح المجتمع تشريحا واقعيا علميا لكشف المشاكل الاجتماعية في واقع الأمة الإسلامية وتحليلها ، وإيجـاد الحلول الناجعة لها، أي أن علم الاجتماع الإسلامي يجب أن يكون نابعا من مشاكل الأمة الاجتماعية .

٣) إن علم الاجتماع الإسلامي يهتم بمشاكل الإنسان في واقع اجتماعي معقد وليس حرباً على الإنسان ومبادئه وقيمه كما هي المنهجية الغربية .

٤) علـم الاجتماع الإسلامي ليس قوميا أو عنصريا فيخدم قومية ضد أخرى أو يعمل على تقدم قومية إسـلامية علـى أخـرى لتكون لها القيادة بل القاعدة عنده هي، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات ١٣.)

((فعلم الاجتماع الإسلامي ليس من مهامه خدمة فئة اجتماعية دون غيرها، ولا استغلاله من طرف بعـض المسـلمين للسيطرة على الآخرين أو تبرير " تخلفهم " الاجتماعي. كما أنه ليس علما طبقيا يعمق الحقد و التراتب الاجتماعي وبالتالي الصراع الطبقي)) [1]

٥) علم الاجتماع الإسلامي علم شموليٌ يهتم بكل المجتمع وبكل نشاطاته ومؤسساته ويهتم بكل الروابط والعلاقات الاجتماعية .

٦) إنه يهدف إلى تقدم الإنسان المسلم خاصة والناس كافة ، ويخرجهم من الجهل والكفر وعبادة الأوثان والاضطهاد والصراع الحيواني على ملذات الدنيا إلى رحاب الإسلام

٤- عوامل نجاح علم الاجتماع الإسلام

أ- **الروابط والعوامل المشتركة بين شعوب المجتمع الإسلامي:** مما يؤكد نجاح الدراسات الاجتماعي في العـالم الإسلامي هي تلك الروابط والعوامل المشركة بين أفراد المجتمع الإسلامي مما يجعل نتائج الأبحـاث الاجتماعـية أكثـر علمية وشمول و إمكانية تطبيقه في أكثر من بيئة ومن تلك العوامل والروابط المشتركة .

1 - أحمد المختاري نحو علم اجتماع إسلامي، ،مرجع سابق ، ص ٤٣

ب- وحـــدة العقـــيد و المبادئ: المجتمع الإسلامي بجميع فئاته يدين بعقيدة واحدة جعلت منه أمة مترابطة الكيان قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ المؤمـــنون (٥٢) فوحدة العقيدة والهدف جعلت الأمة الإسلامية تعيش نموذجا وحداويا فريدا في التاريخ البشري.

ت- وحدة القيم الخلقية: يتميز المجتمع الإسلامي على مختلف أقطاره بوحدة تصوره للقيم الأخلاقية المســـتمدة من الدين الإسلامي فجميع القيم الأخلاقية في الإسلام تندرج تحت التشريع الرباني لهذه الأمـــة ، وليست وليدة اتفاق اجتماعي كما يدعي الغربيين بل هي مشرعة من الله تعالى يتعبد به الفرد والمجتمع لله تعالى.

ث- العادات: أن الاتفاق في هذا التقويم والتقدير للأعمال والأشياء .. جعل أفراد المجتمع الإسلامي يشتركون في كثير من العادات التي يحكمون فيها الإسلام تحليلا وتحريما..

ج- الثقافة: المسلمون في أكثر البلدان الإسلامية يشتركون في جزء كبير من ثقافتهم فهم يشتركون في الـــثقافة الدينية ، والتاريخية ، والأدب ، والمعاملات الأخلاقية ، والتوجهات ، واللغة التي هي أســـاس الثقافة الإسلامية هي اللغة العربية لغة القرآن ، والتي يقرأ بها عامة المسلمين القرآن الكريم جعلت منهم وحدة ثقافية ، ومرجعية تاريخية واحدة.

ح- التاريخ: إن التاريخ الإسلامي حق مشترك لكل المسلمين ينتمون إليه ويفتخرون به فهم شركاء في صفحاته المشرقة وانتصاراته العظمى .

خ- التشريع والأحوال الاجتماعية: خلال العصور الإسلامية كان التشريع الإسلامي المستنبط من الكـــتاب والســـنة هو قانون الحياة العامة والخاصة لكل فرد مسلم ، وأن حصل بعض الخلال في العصور المتأخرة من إدخال للقوانين الوضعية فهو بأمر قهري من المستعمر الغربي ، أو الشرقي ولو أعطي المجتمع المسلم فرصته في إدارة مجتمع ما رضي بغير التشريع الإسلامي. [1]

1 - محمد المبارك -المجتمع الإسلامي المعاصر، ،مرجع سابق ، ص ص ٢٨-٣٢

الفصل الثالث

علم اجتماع التربية

مقدمة

- المبحث الاول : نشـــأة علم اجتماع التربيـــــة
- المبحث الثاني : النظريات الاجتماعية في علم اجتماع التربية
- المبحث الثالث : المصادر الفكرية لعلم اجتماع التربية
- المبحث الرابع : المناهج المعاصرة لعلم اجتماع التربية
- المبحث الخامس: نماذج من مقررات علم اجتماع التربية

الفصل الثالث

علم اجتماع التربية

(Sociology of Education)

المدخل :

من المعلوم أن التربية والمجتمع مرتبطان بعضهما ببعض ارتباطا وثيقا ، ويمكن اتخاذ أي منهما دليلا ومؤشرا على كيفية الآخر و تطوره في أبعاده الأساسية ، بل إن التربية في ذاتها ظاهرة اجتماعية.[١]

وقـد نجحت التربية في القيام بكثير من الوظائف الاجتماعية في المجتمعات الحديثة ، و إعداد الفرد للقيام في حياته اليومية بالمشاركة في الأنشطة الاجتماعية ، ولهذا ارتبطت التربية بالمجتمع ، و اعتبرت من الظواهـــر الاجتماعية التي يهتم بها علماء الاجتماع ، لأن التربية من أكثر الظواهر الاجتماعية تأثيرا على غيرهـــا من الظواهر الاجتماعية الأخرى وتأثرا بها ؛ سواء من حيث نشأتها وتطورها أو أدائها لوظائفها ((ومن سمات الظاهرة التربوية ارتباطها بغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ، فهي لا تعمل في فراغ ، وإنما تربطها علاقة وثيقة بغيرها من الظواهر الاجتماعية ، فهي تؤثر و تتأثر بالظواهر الاقتصادية والسياسية والدينية ، وتعمل وفق حاجات المجتمع .)) [٢]

وهـــذا العلـــم الحديث (علم اجتماع التربية) مقارنة بغيره من العلوم الطبيعية والإنسانية حديث النشـــأة، ولكنه يشق طريقه بينها باقتدار، وذلك منذ بدأت دراسات عالم الاجتماع ((إميل دوركهايم)) في منتصف القرن التاسع عشر تستخدم المنهج الوضعي في دراسة الظواهر الاجتماعية، و التي أصبح علم الاجتماع بفضلها على رأس قمة العلوم الإنسانية التي دفعت بالتربية إلى الدراسة العلمية، وربما يرجع ذلك إلى العلاقـــة الوثيقة بين الفرد والمجتمع من الناحية العلمية و التربوية من ناحية أخرى، ومما يؤكد ذلك أن الاهتمام بالتربية كعملية اجتماعية صار من ضمن مجالات علم الاجتماع [٣]

1 – حسين رشوان ، التربية والمجتمع، دراسة في علم اجتماع التربية – المكتب العربي الحديث –الإسكندرية –٢٠٠٢م،ص٨٧

2 – حسين رشوان ، المرجع السابق ،ص ٩١

3- Dreeban, R.(1971) "Contemporary Views on Education" The Encycolpedia of Education, Vol.8,pp.311-319

- A.Dawe. "The Two sociologies" British Journal of sociology (Vol11,No.2)1970.pp.207-218.

((ومــن وجهة النظر الاجتماعية فإن النظام التربوي التعليمي يعتبر تنظيما اجتماعيا يشـــارك المنظمات الاجتماعية الأخرى في الكثير من خصائصها المميزة . ومن هذه الخصائص المميزة إن النظام التعليمي — شأنه شأن المنظمات الاجتماعية الأخرى — توجيه أهداف وغايات معينة، ومن هنا كان القول بأنه نظام تعليمي اجتماعي موجه ، والخاصــية الثانية أن هذا النظام يشتمل على شبكة متداخلة من الوظائف والمهام المحـــددة ؛ مـــنها على سبيل المثال (الإداريون والنظار والمدرسون) وهذه الوظائف تمـــارس عملها من أجل تحقيق الغايات المنشودة ... وتمتد دائر التفاعل بين العاملين داخـــل المؤسســـات التعليمـــية لتشمل عددا كبيرا داخل المؤسسة وخارجها وعلى مستويات مختلفة)) . [1]

ولهـــذا نرى لاهتمام المبكر من علماء الاجتماع بدراسة التربية كظاهرة اجتماعية و جدت مع الإنسان منذ وجوده على الأرض ، كما أن المجتمعات على اختلاف مشاربها تولي النظام التربوي جل اهتمامها ، وهذا ملاحظ اليوم حيث نجد الدول تجعل من أهم وظائفها النظام التربوية فتقوم بالإنفاق عليه وكذلك الإشراف عليه و متابعة كل ما يحدث فيه حتى يتوافق مع النظام العام للدولة .

((ونتيجة للتفاعل المباشر وغير المباشر بين النظام التعليمي من ناحية ، والمجتمع الذي يوجد فيه ومؤسســـاته مـــن ناحـــية أخرى ، وبالرغم من حداثة علم الاجتماع العام مقارنة بكثير من العلوم واستقلاله رسميا عن الفلسفة عام ١٨٣٧م على يد المفكر الفرنسي اوجيست كونت ، فإن كثير من التربويين يضعون هذا العلم على قمة العلوم الإنسانية التي دفعة بالتربية إلى الدراسة العلمية))([2])

وســـوف نعرض في هذا الفصل المراحل التطورية لعلم اجتماع التربية منذ نشأ في أحضان علم الاجتماع وحتى وصوله المرحلة التبلور الكاملة ، أي مرحلة العلم المستقل (علم اجتماع التربية) .

1 – ســـيد إبراهيم الجباز ، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية ، — التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية — مكتبة غريب — القاهرة — ١٩٧٨م٠ص ٩٤

2 – علي الشخيبي، علم اجتماع التربية دار الفكر العربي — ط الأولى ١٤٢٢هـــ — ٢٠٠٢م القاهرة ،ص٢٦

المبحث الأول :

نشأة علم اجتماع التربية

أولا:- علاقة التربية بعلم الاجتماع:

لقـــد مهـــد عدد من علماء الاجتماع المعاصرين (دوركهايم، فيبر، فريد كلارك، كارل مانهايم) الطـــريق أمام الباحثين والمفكرين نحو تطوير علم اجتماع التربية، ((وتتمثل جهودهم في وضع المقدمات الأولى الـــتي انصـــبت على دراسة الجوانب الاجتماعية للتربية ... من أجل استجلاء الحقيقة الاجتماعية للتـــربية في منظومة متواترة من الدراسات والأبحاث السوسيولوجية (الاجتماعية) ، التي تناولت المسألة التربوية في جوانبها الاجتماعية المختلفة.)) (١)

ولقد أورد دوركهايم المجالات التي يدرسها عالم الاجتماع في الميدان التربوي وبينها كالأتي:

- دراسة الظواهر الاجتماعية السائدة في المجال التربوي .
- دراسة العلاقة بين التربية والتغير الاجتماعي والثقافي .
- بحوث مقارنة عبر الثقافات في الأنواع المختلفة من النظم التربوية.
- دراسة الفصل والمدرسة على أنها نظام اجتماعي قائم. (٢)

وكـــان يرى كارل مانهايم أن أية معالجة لعلم الاجتماع التربوي كفرع من فروع المعرفة في الإطار الكلـــي للدراسة التربوية يجب أن تسبقها دراسة في مجال علم الاجتماع نفسه متضمنة بعض المعرفة عن النظام والبناء الاجتماعي ، وبعض الفهم لديناميات الجماعة .(٣)

ومـــع بداية القرن العشرين والذي كان يعيش مرحلة من التقدم العلمي والتكنولوجي دفعت الكثير مـــن الفلاسفة والمربين بأن يفكروا في مدى التغيير الاجتماعي وتأثيره على حياة الناس جماعات وأفرادا، ومدى المسؤولية التي ستقوم بها المدرسة في هذه المرحلة وخاصة أنها إحدى المؤسسات الاجتماعية الفعالة، المناط بها أحداث التغيير والتطور المطلوبين اجتماعيا .

ولهذا ظهرت الحاجة إلى ظهور فرع متخصص من فروع علم الاجتماع يهتم بالنظام التربوي ولهذا رأى علماء الاجتماع ضرورة بلورة علم جديد كفرع من علم الاجتماع تكون وظيفته الرئيسة هي بحث

---

1 – علي أسعد، علم الاجتماع التربوي، مكتبة الفلاح –الكويت – ط الثانية ١٤١٨هـــ – ١٩٩٨م.ص ص ٢٩-٣٠

2 – حسين رشوان، التربية والمجتمع ، مرجع سابق ، ص١٣٠

3 – أيفور موريش ،علم الاجتماع التربوي ترجمة حسن الفقي – دار العلم للنشر والتوزيع – ١٩٩٣م. ،ص٣٦

الخــدمات البحثــية الــتي يمكن أن تقدمها الدراسات الاجتماعية للتربية ، وذلك من وجهة نظر علماء الاجتماع ، وقد سمي هذا الفرع ((علم الاجتماع التربوي Educational Sociology))

يــرى (ســو يفت) أن العلاقة القائمة بين _ علم الاجتماع والتربية – تشبه العلاقة القائمة بين الهندسة وعلم الفيزياء . فهو التطبيق التكنولوجي للعلم البحت . إذ يأخذ الممارسون المعرفة والنظريات الـــتي يضعها العلماء النظريون المتخصصون ، أو الأكاديميون ، ويطبقونها لحل مشكلات عملية ، ويتعامل علم الاجتماع مع التربية وفق النقاط التالية :

- العملية التربوية كمظهر للتفاعل الاجتماعي .
- المدرسة كجماعة اجتماعية .
- تأثير المؤسسات والأنظمة الاجتماعية الأخرى على المؤسسات أو الأنظمة التربوية .
- الوظائف التي تؤديها مؤسسات التربية في المجتمع .[1]

ثانيا:– التطور التاريخي لعلم اجتماع التربية:

تتميــز اجتماعــيات التربية بأنها تتناول قضايا التربية والتعليم من خلال مستوى من النظر يتصف بالدقــة و المهارة في تسليط الضوء على قضايا التربية والتعليم ، وذلك من خلال أنها (نظام اجتماعي) يرتبط بعلاقات قوية و متداخلة مع النظم الاجتماعية الأخرى ، وذلك وفق نسق اجتماعي واحد ، وذلك من خلال علاقة تبادلية متسقة توجه جميع الأفراد والفئات و تحدد وتنسق العلاقات القائمة بينهم.

وهكــذا فــإن الحاجة إلى معرفة دقيقة بطبيعة الحياة الاجتماعية المعاصرة فرضت صورًا من المعرفة والــبحث المتميز لمساعدة الفرد والمجتمع في دراسة الظواهر الاجتماعية والنظم الاجتماعية ، ومن ضمن ذلك (النظام التربوي و المجتمع) ولهذا ظهر ما يسمى (بالدراسات الاجتماعية التربوية) ويمكن تقسيم مراحل ظهور هذا العلم إلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الدراسات التربوية الاجتماعية المبكرة:

ومن المعلوم أنه قبل ظهور هذا الفرع من علم الاجتماع في بداية القرن العشرين كانت هناك بعض الدراســات الاجتماعية التربوية، التي قام بها مجموعة من الفلاسفة والعلماء الذين تطرقوا إلى العلاقة بين التــربية وعلم الاجتماع، وخاصة مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ظهر كثير من المهتمين بالتربية ، وبدأ الاهتمام بالدراسة الاجتماعية للتربية .

1 – سو يفت– اجتماعيات التربية، ترجمة محمد سمير حسانين – مؤسسة سعيد للطباعة – طنطا – مصر – ط الثانية ١٩٧٧م ص ص١٢–٢٠

وقد عرض بعض الباحثين في تاريخ علم اجتماع التربية ((شمبو M. Shimbory)) لهذه الإرهاصات وقسمها إلى مدارس هي :

١) المدرســـة التربوية الاجتماعية: وقد ظهرت في ألمانيا وتزعمها كل من ((ناتورب بفلسفته الواقعية، وبتـــرجمان بواقعيـــته البيولوجـــية)) ، وقد اهتمت هذه المدرسة بدراسة طبيعة العلاقة بين التربية والمجتمع، وأن المجتمع كالكائن الحي والتربية جزء منه يقوم كل منهما بخدمة الآخر ، بمعنى أن كل من النظام التربوي والمجتمع المحيط به بنظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية يؤثر ويتأثر بالآخر .

٢) مدرســـة التربية الثقافية: وظهرت هذه المدرسة أيضا في ألمانيا وتزعمها كل من ((ديلثي ، واسبر نجر)) وقد اهتمت هذه المدرسة بدراسة التربية كعملية اجتماعية هدفها نقل واستمرار ثقافة المجتمع من جيل إلى آخر .

٣) المدرسة البرجماتية: وظهرت هذه المدرسة في أمريكا وألمانيا ، وتزعمها جون ديوي وبعض مفكري ألمانـــيا التربويين و أكدت هذه المدرسة على أن هدف التربية إعداد المواطن الديمقراطي في المجتمع وما المدرسة إلا صورة مصغرة من المجتمع المحيط بها .[1]

وهـــناك مـــن قســـم هذه المرحلة إلى مدارس فلسفية ومن أصحاب هذا التقسيم ((ملزر ودوبي وسميث)) وقد قسمها إلى أربع مدارس ولكل مدرسة منها وجهة نظر خاصة بعلاقة التربية بالمجتمع وهذه المدارس هي:

- مدرسة الفلاسفة: واهتمت بدراسة العلاقة بين القيم والتربية.
- المدرســـة التطبيقية: اهتمت هذه المدرسة بدراسة علم الاجتماع التربوي كعلم تطبيقي وفرع لعلم الاجـــتماع العـــام .ويرون أن يهتم علم الاجتماع التربوي بتخطيط وبناء المناهج وفقا لحاجات التلاميذ في مجتمع يتسم بالتغيير .
- المدرسة الوظيفية: اهتمت بدراسة الظاهرات والعمليات الاجتماعية داخل وخارج المدرسة .
- المدرسة الاجتماعية: اهتمت بتطور علم اجتماع التربية كعلم مستقل عن علم الاجتماع ، وتؤكد على ضرورة تحليل المؤسسات التربوية بهدف إضافة معلومات جديدة إلى المحتوى العلمي .[2]

المرحلة الثانية: مرحلة ظهور علم الاجتماع التربوي:

ومـــع بدايـــة القرن العشرين تولد علم الاجتماع التربوي كعلم مستقل له أهدافه ومحتواه وطرق الـــبحث فيه، وكان ذلك نتيجة لازدياد الحاجة إلى دراسة العلاقة بين التربية والظواهر الاجتماعية ، وقد

1 – علي الشخيبي، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق .ص ص ٢٩-٣٠

2 – علي الشخيبي، علم اجتماع التربية، مرجع سابق ، ص ص٣٠-٣٢

ذهب (كورين ١٩٦٥م) إلى أن علم الاجتماع التربوي يحاول أن يدرس الظاهرة التربوية على أنها مؤسسة اجتماعية ، وبطريقة علمية على رغم التحفظات التي يثيرها الكثير حول علمية هذه الدراسة(١).

ويرى فايز دندش أن علم الاجتماع التربوي بدأ في مرحلة ظهوره الأولى معتمدا في نموه وتصوره ونشـــأته وظهوره على نمو وتطور تلك المفاهيم ونظريات علم الاجتماع، وعلى ما أتت به أيضا البحوث والدراسات الاجتماعية من نتائج في كافة فروع العلم المختلفة . (٢)

ويلاحظ أن مصطلح علم الاجتماع التربوي يستخدم في قاموس التربية باعتباره فرعا من فروع علم الاجتماع يطبق المعرفة والتكنيكيات السيولوجية في مجال العلاقات الإنسانية، وما يرتبط به من مجالات أخرى . ويستخدم المصطلح الإنجليزي (Sociology of Education) في دائرة معارف التربية، تحرير (بلشن) ليشير لعلم الاجتماع التربوي كفرع من فروع علم الاجتماع ، كما يشير للدراسة العلمية للأحوال الاجتماعية التي تؤثر على التربية مع التركيز بوجه خاص على التنظيم والعمليات الاجتماعية للتربية . (٣)

ويعـــد (هنـــري ســـوزلو) أول من استخدم مفهوم علم الاجتماع التربوي في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في عام ١٩١٠م في جامعة كولومبيا، وفي عام ١٩١٧م نشر (وليام هاولي سميث) كتابا بعنوان ((مدخل إلى علم الاجتماع التربوي)) (٤)

وقد تم في هذه الفترة (١٩٢٠ – ١٩٦٠) إنشاء الأقسام المختصة (قسم علم الاجتماع التربوي) وذلك في كليات التربية بالجامعات الأمريكية ثم الأوربية وظهور المؤلفات التي تحمل اسم علم الاجتماع التربوي وظهور جمعيات مثل ((الجمعية القومية لدراسة علم الاجتماع التربوي)) سنة ١٩٢٣م وصدور مجلـــة علـــم الاجتماع التربوي عام ١٩٢٨م بإشراف (جورج باين _ الذي يلقب بأبي علم الاجتماع التربوي) والتي تولت نشر الدراسات المتعلقة بهذا الاتجاه (٥).

وكـــذلك قـــدم أول مقرر دراسي في هذا المجال بعنوان (علم الاجتماع التربوي) في كلية إعداد المعلمين بجامعة كولومبيا في عام ١٩١٠م، وفتح أول قسم بعنوان (قسم علم الاجتماع التربوي) بكلية

---

1 – أفكار سالم، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص ٢١

2 – فايز دندش– علم الاجتماع التربوي، بين التأليف والتدريس، دار الوفاء لطباعة والنشر – د ت – الإسكندرية . مصر ، ص ٣٩

3 – فاديه الجولاني، علم الاجتماع التربوي ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٦م القاهرة.ص ١٩

4 – علي أسعد، علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص٣٨

5 – Brookover , Wilbur, B (1949)" Sociology of Wducation: A Definition" American Sociological Review, 14june,407-15.

التربية بجامعة نيويورك عام ١٩١٦م وظهر أول مؤلف في هذا الحقل عام ١٩١٧م بعنوان (مقدمة في علم الاجتماع التربوي) . [١]

وعلى الرغم من اعتماد هذا العلم على تطور المفاهيم الاجتماعية ونتائج الأبحاث بغية تطوره ، فقد ظـل موضوعه خارج النطاق الرئيس لعلم الاجتماع لعدة أعوام، وبعيد عنه كجزء من دراسات التربية ، وكـذلك فإن اهتمام العلماء التربويين مثل ((جون ديوي)) قد كفل للموضوع بداية مبكرة، وحينئذ أصبح الموضوع عاما في كليات وجامعات الولايات المتحدة، حيث إنه بين عامي ١٩١٠ إلى عام ١٩٢٦م تزايد عدد الكليات التي قدمت مقرراً في علم الاجتماع التربوي، من ٤٠ إلى ١٩٤ كلية، وكذلك أُصدر ٢٥ كتاباً مدرسياً بين عامي ١٩١٦-١٩٣٦م . ومع ذلك فإنه في الأربعينيات انخفض عدد الكليات التي تقدم هذا المقرر، مما ترتب عليه فشل الموضوع في أن يحقق شهرة وانتشارا . [٢].

وعلم الاجتماع التربوي هو ((العلم الذي يختص بدراسة الإنسان حينما يدخل في علاقة مع إنسان آخر في إطار تربوي يهدف إلى تكوين الخبرة أو المعرفة أو الثقافة أو التعليم أو التدريب)) أي العلاقة التي تتم بين الأفراد في الإطار التربوي ، سواء أكانت هذه العلاقات بين تلميذ وآخر أو بين تلميذ ومعلم ، ثم بـين التلميذ والمعلمين، وبين كل من في المؤسسة التربوية والنظام التربوي بشكل عام ، وبين كل من في هذا الإطار التربوي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الكبير. [٣]

وقد عرف (أوتاري ١٩٧٠) علم الاجتماع التربوي على النحو التالي: ((علم الاجتماع التربوي هـو دراسة العلاقات بين التعليم والمجتمع ، وهو من هذه الناحية نوع من الدراسة الاجتماعية وطريقة في البحث علمية ، وتتركز مجالاته في أهداف التربية وطرائقها ومؤسساتها وإدارتها ومناهجها ، وعلاقة ذلك كله بالجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية في المجتمع وبالإطار الثقافي بأسره)) [٤].

ويـرى (روبـرت إنجـيل): أن علم الاجتماع التربوي ما هو إلا فرع من فروع علم الاجتماع الـبحت، وأن مفهـوم هذا العلم الاجتماعي التربوي يتصور أن المدرسة مؤسسة تعليمية تعتبر موضوعا للفعل الاجتماعي، وهي وحدة الدراسة والتحليل ، ومصدر البيانات لدى العلماء والباحثين، كما أنه لا يوافـق على أن علم الاجتماع التربوي علمٌ تطبيقيٌ ، أو تطبيق واستخدام علم الاجتماع وحده لدراسة

---

1 – عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٦-٣٧

2 – أولفا بنكس، اجتماعيات التربية _ ترجمة د/ محمد على المرصيفي –ط الأولى – بدون دار نشر ١٤٠٩هـ ص١٠ انظر :
Ballantine ,Jeanne.The sociology of Education. A Systematic Analysis, New york , Prentice Hall, Inc. Englewood Ctiffs. 1983 .P407.

3 – علي الحوت – أسس علم الاجتماع التربوي طرابلس – ليبيا جامعة الفاتح – ١٩٧٩م ص٤٨ – وإبراهيم ناصر – علم الاجتماع التربوي –دار الجيل – بيروت ط٢ –١٩٨٦م ص٨

4 – أفكار سالم، علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق ، ص ٢٤

التعلـيمات التـربوية، ومـن ثم يجب أن يهتم القائمون على إدارة المدرسة والعمليات التعليمية بضرورة استخدام علوم النفس، والسياسة، والاقتصاد وغيرها .)) [١]

وإذا كـان إنجيل يرى أن علم الاجتماع التربوي ليس علما تطبيقيا بل هو فرع من علم الاجتماع الـبحت فإن (فرنسيس براون) يخالفه في ذلك ، ويشير إلى أن علم الاجتماع التربوي لا يمكن اعتباره علـم تربية فقط، أو علم اجتماع فقط، بل هو مزيج منهما ، ولهذا يجب أن ينظر إلى الاثنين كمفسرين للعملـية التـربوية ، ولهذا يرى براون أن علم الاجتماع التربوي وعلم الاجتماع بأنهما علمان تطبيقيان يهـتمان بتحلـيل المبادئ السوسيولوجية وتطبيقها على العملية التربوية كلها، كما أنه يرى أن الدراسة الفعلية لعلم الاجتماع التربوي يجب أن تتضمن فهما واقعيا إلى الفرد وبيئته الاجتماعية .[٢]

كما عرفه (سو يفت) بأنه تطبيق معارف علم الاجتماع، وطرق التفكير وجمع المادة للمساعدة في فحص مدى الظاهرة الاجتماعية التي يطلق عليها اسم التربية . [٣]

وقريب من هذا التعريف عرفه (نيكن ميتشيل) في مؤلفه معجم علم الاجتماع إذ قال: ((إنه فرع من فروع علم الاجتماع يهتم بدراسة وتحليل المؤسسات والمنظمات التربوية في المجتمع)) [٤]

وعـرفته (فاديـة الجـولاني): بأنه فرع من فروع علم الاجتماع يتخذ من الأساس النظري لعلم الاجتماع منهجه ومدخله للدراسة النظرية والتطبيقية للظاهرة التربوية، وما يرتبط بها من أنساق اجتماعية، وما تشتمل عليه من نظم، وجماعات، وتنظيمات، وعلاقات، و أدوار، وعمليات اجتماعية، وما يرتبط بها مـن عـوامل (المنهج، وطرق التدريس، وأبنية إدارية، واتصال)، تؤثر على العملية التربوية ومردوداتها بالنسبة للمعرفة والشخصية والمجتمع والثقافة . [٥]

ويلاحـظ على هذا التعريف أنه يؤكد قيام علم الاجتماع التربوي على نظريات، ومناهج وقوانين ومبادئ علم الاجتماع، في دراسة السلوك الإنساني والعوامل المؤثرة عليه و فهم التربية كظاهرة اجتماعية

ويعـرف (سمـيث) علم الاجتماع التربوي بأنه ((العلم الذي يستخدم علم الاجتماع وطرائقه ومبادئه في دراسة قضايا التربية ونظرياتها .)) [٦]

---

1 – عـبد الله عـبد الرحمن، علم اجتماع التربية الحديث، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر – ط الأولى ٢٠٠٠م ص ص ٦٦– ٦٧

2 – عبد الله عبد الرحمن، المرجع السابق ، ص ص ٦٨–٦٩

3 – سو يفت –اجتماعيات التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٠

4 – ميشيل نيكن – معجم علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص٢٣٢

5 – فاديه الجولاني –علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص ٣٥

6 – علي أسعد، علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص ٢١

ويعرف كل من (فيشر آن، وفيس ك، و هايغر ٠ ت) علم الاجتماع التربوي بأنه ((علم يدرس الصلات والعلاقات المتبادلة بين المجتمع والتربية وتأثير الوسط الاجتماعي والمربين على نمو الأطفال))[١]

ويؤكد فايز دندش بأن علم الاجتماع التربوي لا يخرج عن كونه تطبيقا لتلك المفاهيم والتصورات والمصطلحات الواردة في علم الاجتماع العام في جانب من أهم ميادين المجتمع وهو الجانب التربوي ٠[٢]

ويرى ستالكب بأن علم الاجتماع التربوي هو: تحليل للعمليات الاجتماعية القائمة في مؤسسة التربية ٠ [٣]

ويلاحظ أن أغلب التعريفات التي سقناها لعلم الاجتماع التربوي تتفق بأنه مجرد تطبيق نظريات ومناهج علم الاجتماع في دراسة الظاهرة التربوية بأشكالها المتعددة، وذلك في ضوء تفاعلاتها مع الواقع الاجتماعي ٠

ويمكن أن نصل إلى تقرير تعريفا خاصا لعلم الاجتماع التربوي بأنه: العلم الذي يعالج الظواهر التربوية وفقا لمناهج علم الاجتماع العام وذلك وفق نظرياته ومدارسه المختلفة من أجل تفسير هذه الظواهر في إطار تفاعلاتها مع الواقع الاجتماعي ككل ٠

ويقول الثبيتي إن مصطلح ((علم الاجتماع التربوي)) منذ نشأته في بداية العشرينيات من القرن العشرين كان ((أقرب إلى فلسفة اجتماعيات التربية منه إلى علم اجتماع التربية ، وكان المهتمون بدراسة التربية من علماء الاجتماع يدرسونها تحت تصور اجتماعيات التربية التي تهتم بتنمية الجوانب الإنسانية والاجتماعية ...، دون التعمق في محاولة فهم العملية التربوية كعملية اجتماعية تخضع لقوانين النظم والظواهر الاجتماعية ٠)) [٤]

ويخالفه في هذا التصور ((حمدي علي أحمد)) فيقول: ((ومن ناحية أخرى، فإن هذا الخلط والجدل يرجع أيضا إلى الموضوعين الذين ينطلق منهما العلماء، فالكتابات التي تحمل عنوان (علم الاجتماع التربوي) تعني أساسا بالموضوعات المرتبطة بالتربية والنظام التربوي من الداخل، فهو رؤية تنظر للنظام التربوي كوحدة اجتماعية منفصلة ٠)) [٥]

---

1 – علي أسعد، المرجع السابق، ص ٢١

2 – فايز دندش –علم الاجتماع التربوي، بين التأليف والتدريس، ، مرجع سابق ، ص ٣٩

3 – أيفور موريش، علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص٣٩

4 – الثبيتي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٦٤

5 – حمدي علي أحمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر – ط الأولى ١٩٩٧ م ص ٧٥

وقد أدرك بعض الباحثين هذه الإشكالية التي تدور حول هذا العلم الوليد ، ولكنه مع ذلك يرى أن علـم الاجـتماع التربوي بدأ يفرض ذاته كعلم جديد يحقق نجاحا في ميدانه ، يقول (تيلور) عن ذلك: ((وعلـى الـرغم مـن وجـود إشكال قوي فإنه - أي علم الاجتماع التربوي - أتى بقدر طيب من الاستبصار في علم الاجتماع، وتأثيره على المشكلات التربوية، وأنه بدأ يصبح تحذيريا أكثر منه تجريبياً، و إيجابيا أكثر منه موضوعيا، وإجماليا أكثر منه تحليلياً .)) [١]

وقد انتقل هذا المصطلح مصطلح علم الاجتماع التربوي إلى البيئة العربية مع افتتاح الجامعات العربية و عودة المبتعثين إليها من الغرب ، وقيامهم بتدريس هذا المقرر فيها ، وفي نفس الوقت يلاحظ استخدام بعـض التـربويين العـرب اجتماعـيات التربية كترجمة عربية مرادفة لمصطلح علم الاجتماع التربوي Educational Sociology ، وقد يكون ذلك تأثرا بصدور مجلة علم الاجتماع التربوي تحت مصطلح (Sociology of Education) ، ولهذا جاء استخدام سعيد إسماعيل وزينب حسن لاجتماعيات التربية (Sociology of Education) باعتبارها فرعا من فروع علم الاجتماع ، و له نفس الدلالة التي يشير لها مصطلح علم الاجتماع التربوي . مع أن علماء الاجتماع الغربيين في هذه الفترة ما زالوا يستخدمون مصطلح علم الاجتماع التربوي في جامعات الغرب .

ومن الملاحظ أن العقود الأخيرة من القرن العشرين قد شهدت ((عزوفا كبيرا بين المتخصصين في العلوم الاجتماعية، وعدم التدخل في اختصاصات كل منهم للآخر سواء لأسباب أكاديمية، أو مهنية بحثية، أو فكرية ونظرية وهذا ما نعتبره أسبابا أساسية في قصور وتطور هذه العلوم التخصصية فيها بصورة عامة ، وجعلها متعثرة لعقود طويلة وعدم مواكبة التطور العلمي للعلوم الطبيعية)) [٢].

ولعـل هذا العزوف هو ما أثر على تأخر تطور علم الاجتماع التربوي خلال عقد الخمسينات من القـرن العشرين، يقول (ويلبور بروكوفر) ((إن علم الاجتماع التربوي حتى فترة الستينات من القرن الحالي — العشرين ـــ لا يمكن أن يوصف بالعلم الحديث الذي يتبنى الوسائل التكنولوجية في التربية)) [٣]

ولقد كان هناك أكثر من مصطلح يطلق على علم الاجتماع التربوي في هذه الفترة ومنها :

١) مصطلح اجتماعيات التربية: (Sociology of Education)

لقـد كـان هناك مصطلح موازٍ لمصطلح علم الاجتماع التربوي في هذه المرحلة، للدلالة على هذا الفرع من فروع المعرفة [٤]، وهو مصطلح اجتماعيات التربية .

---

1 – سو يفت، اجتماعيات التربية ، مرجع سابق ، ص ١٢

2 – عبد الله عبد الرحمن، اجتماعيات التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٦٤-٦٥

3 – عبد الله عبد الرحمن، المرجع السابق ، ص ٦٩

4 – أيفور موريش، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص٣٨

وقد عرف (ستالكب) اجتماعيات التربية بأنها: استخدام المبادئ العامة في علم الاجتماع ونتائجه في إدارة التـــربية وفي العمليات التربوية ٠ ويحاول هذا الاتجاه استخدام مبادئ علم الاجتماع في مؤسسة التربية كوحدة اجتماعية منفصلة (١)

وقـــد اقتـــرح تـــيلور: إنـــه من المفيد الإبقاء على الاصطلاحين بمعنيين متميزين تماما ٠وقد تعني اجتماعيات التربية التركيز على القضايا التربوية والاجتماعية، في حين يركز علم الاجتماع التربوي على القضايا الاجتماعية ٢

ويوضـــح (جـــنس) في كـــتابه اجتماعيات التربية الفرق بين المصطلحين، فيوضح بأن مشكلات اجتماعـــيات التربية مشتقة من مجال التربية، بينما مشكلات علم الاجتماع التربوي مشتقة من مجال علم الاجـــتماع .. ومـــع ذلك فالاهتمام الأول لعلم الاجتماع التربوي هو استكشاف الجوانب الاجتماعية للظواهر والمؤسسات التربوية، والمشكلات التي تبحث هنا تعتبر مشكلات أساسية لعلم الاجتماع وليست مشكلات للممارسة التربوية ٠ (٣)

ويفصـــل (أوليف بانكس) الجدال بين المصطلحين لصالح علم الاجتماع التربوي فيقول: ((لقد أصبح من المعتاد الآن أن نستخدم اصطلاح علم الاجتماع التربوي وليس الاصطلاح القديم والمشكوك فيه الآن وهو اصطلاح اجتماعيات التربية ٠ وبصفة عامة فلقد كان سبب هذا التركيز الجديد هو أن علماء الاجـــتماع أنفسهم قد بدؤوا في الاهتمام بالتربية كمجال للدراسة ٠كما أنه مما يجب أن نذكره هو أن عددا من علماء الاجتماع البارزين قد قدموا الآن إسهامات بارزة في التنظير العام لعلم الاجتماع والذي أخذ شكل دراسات في المؤسسات التربوية ٠)) (٤)

٢- مصطلح العمليات الاجتماعية:

ويقصد بها العمليات التي تتم بين الأفراد في المجتمع الواحد و أهمها في هذا المجال التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي٠ (٥)

1- أيفور موريش، علم الاجتماع التربوي مرجع السابق ، ص٣٨

2- أيفور موريش، المرجع السابق، ص ٣٨

3 - نقلا عن، المرجع السابق ، ص٣٩

4 - أيفور موريش، المرجع السابق - ص٣٩

5 - علـــي الشخيبي، علم اجتماع التربية، مرجع سابق ، ص ص٣٧-٣٩ - و- أيفور موريش ، علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص٤٠

ميادين علم الاجتماع التربوي :

إذا كان علم الاجتماع التربوي هو جزء من علم الاجتماع العام فإن علم الاجتماع التربوي يبحث في الإطار التربوي والمؤسسات التربوية ٠ومن ميادين هذا العلم :

- ⊙ إصلاح المجتمع: أي توظيف المؤسسات التربوية لإصلاح المجتمع وتقدمه ٠
- ⊙ تحديـــد أهداف المجتمع: إن أهداف التربية في جزء منها تهدف إلى تحقيق رغبات و آمال المجتمع وطموحاته ورغباته وهذا العلم سيساعد في تحديد هذه الأهداف واختيار المناسب منها للمجتمع
- ⊙ تطبـيق مفاهيم علم الاجتماع العام في المجال التربوي: أي نأخذ المبادئ والنظريات الاجتماعية من علم الاجتماع العام ونطبقها في مجال التربية والمواقف التربوية ٠
- ⊙ دراســة العلاقــات بين النظام التربوي والنظم الاجتماعية الأخرى: أي دراسة النظام التعليمي المدرســي وتــأثيره بالأنظمة الاجتماعية في المجتمع٠((ويهتم علم الاجتماع التربوي بالمفاهيم العامــة مــثل المجـتمع نفسه ، والثقافة ، والتخلف الثقافي ، والجماعة ، والطبقة الاجتماعية ، والبيئة، والتطبيع الاجتماعي ، والمكافأة ، والدور)) [١]

موضوعات علم الاجتماع التربوي :

حدد (بروكوفر) ثلاثة مجالات لعلم الاجتماع التربوي هي بإيجاز:

- علاقة النسق التربوي بالأنساق الأخرى في المجتمع ، وبعملية الضبط الاجتماعي ، ونسق السلطة وكــذلك دور النســق التــربوي في عملية التغير الاجتماعي و الثقافي وعلاقة التربية بالطبقات الاجتماعية ٠
- ويدرس علم الاجتماع التربوي المدرسة باعتبارها نسق اجتماعي ٠
- ويدرس علم الاجتماع التربوي المؤسسات التربوية وعلاقتها بالمجتمع المحلي ٠
- و يحدد (جورج ٠س ٠ هربجتون) ميادين هذا الفرع على النحو التالي :
- فهم دور المدرس في المجتمع المحلي ، وفهم دور المدرسة كأداء للتقدم الاجتماعي ، وفهم العوامل الاجتماعية التي تؤثر في المدرسة٠
- فهــم الإيديولوجــيات المتبايــنة ، والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية في علاقاتها بالمؤسسات التربوية.
- فهم دور القوى الاجتماعية و تأثيرها على الأفراد والمؤسسات والنظم التربوية بالمجتمع٠[٢]

---

1 – حسين رشوان ، التربية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص ٩٨

2 – حسين رشوان ، التربية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص ص ٩٨-٩٩

أهداف علم الاجتماع التربوي في هذه المرحلة (١٩١٠- ١٩٤٥م):

- تحليل التربية كوسيلة للتقدم الاجتماعي: أي أن هذا العلم يمكن أن يقدم لنا أسس التقدم الاجتماعي، وأن يقدم لنا بعض الحلول لبعض المشكلات الاجتماعية ، وأن تساعد المدرسة كمؤسسة اجتماعية في الضبط الاجتماعي .
- تحليل الأهداف التربوية من وجهة النظر الاجتماعية: أي أن هدف هذا العلم التحليل الموضوعي لأهداف التربية من وجهة النظر الاجتماعية .
- تطبيق علم الاجتماع في مجال التربية: حيث يرى بعض علماء الاجتماع أن علم الاجتماع التربوي ليس علما قائما بذاته ولكنه فرع تطبيقي لعلم الاجتماع العام ، ووظيفته تطبيق نظرياته ومفاهيمه ومبادئه في مجال التربية .
- دراسة التربية كعملية تنشئة اجتماعية: أي إن عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعلم فيه الفرد الخبرة الاجتماعية من خلال تفاعله مع الجماعة من الممكن أن تكون مجالا خصبا لهذا العلم .
- تدريب العاملين والباحثين في مجال التربية: إذ من أهداف علم الاجتماع التربوي تزويد المعلمين والمهتمين بالتربية بتدريب فعال من خلال دراستهم لعلم الاجتماع العام ومدى مساهمته في فهم العملية التربوية .[1]

ويرى حسين رشوان أن من أهداف علم الاجتماع التربوي كذلك :

- التعرف على الوقائع الثقافية والاجتماعية والشخصية المرتبطة بالظاهرة التربوية من حيث نشأتها وتطورها، والمبادئ والدعائم العامة التي تحكم الظواهر واختلافاتها باختلاف الأزمان والمجتمعات.
- الكشف عن أبعاد الوظائف الاجتماعية التي تؤديها الظواهر والنظم التربوية بالنسبة للجوانب الاجتماعية والثقافية والشخصية و تطور هذه الوظائف واختلافها من مجتمع إلى آخر.
- تحديد المضمون الأيديولوجي للتربية ، وآثاره على العمليات التربوية وما يرتبط بها من معرفة وعمليات تعلم وتفاعل بين الجماعات الاجتماعية في التنظيمات الاجتماعية التربوية .
- الوصول إلى القوانين الاجتماعية العامة ، التي تحكم الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية وثقافية وشخصية .[1]

---

1 -علي الشخيبي، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ، ص ص٣٦-٣٧ - انظر: فلدية الجولاني – علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص ص ٤٤- ٥٠

المرحلة الثالثة: مرحلة علم اجتماع التربية: (Sociology of Education)

إن علـــم الاجتماع التربوي تعرض في المرحلة السابقة إلى كثير من النقد الشديد في تلك الفترة ، وكان مصدر هذا النقد هم علماء التربية والاجتماع على حد سواء ، ولقد انصبّ النقد على مفهوم علم الاجــتماع التربوي ، وأهدافه ومجالاته ومدى علاقته بكل من علم الاجتماع العام والتربية، ومن أوجه النقد التي وجهت له ما يلي:

- إن علم الاجتماع التربوي علم تطبيقي يقوم بتطبيق نظريات ومبادئ علم الاجتماع العام في مجال التــربية. ويــرى أنصار هذا الرأي بأن علم الاجتماع التربوي لا يكفي وحده بتزويد المعلم أو الإداري في المدرسة بما يحتاجه ولا يستطيع تحديد مسار النظام التعليمي ككل ، بل هو في حاجة إلى فروع المعرفة الأخرى كعلم النفس والسياسة والاقتصاد والتاريخ ..
- إن علماء الاجتماع الذين وافقوا على تحديد مجالات و أهداف علم الاجتماع التربوي، هم الذين نصبوا أنفسهم زعماء لهذا العلم الجديد، ومن هنا أصبح هذا العلم فرعاً من علم الاجتماع العام أكثر منه علما مستقلا .
- إن موضـــوعات علم الاجتماع التربوي التي تدرس في كثير من الجامعات تتباين في محتواها، وأن موضـــوعات هذه المقررات اختارها علماء الاجتماع العام كي تخدم طلابهم المهتمين بالتربية ، بالإضـــافة إلى ذلك فإن المؤلفات التي نشرت تحت اسم علم الاجتماع التربوي بينها اختلافات كثيرة من حيث الأهداف والمضمون .

إن مجلة علم الاجتماع التربوي التي صدرت سنة ١٩٢٧م كانت تتضمن دراسات ومقالات أكثر ارتباطا بعلم الاجتماع العام منها بالتربية .وأن معظم المحررين والمشتركين فيها ينتمون إلى علم الاجتماع العام . [(٢)]

كـــل العوامل السابقة أدت إلى اهتزاز علم الاجتماع التربوي في هذه الفترة ولكنها في نفس الحال ســـاعدت علـــى ضرورة تغير أهداف ومحتوى بل واسم هذا العلم إلى علم اجتماع التربية وظهوره بثوبه الجديد وذلك في الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري) .

وهـــناك من يرى أن علم اجتماع التربية قد مرّ بثلاث مراحل لتطوره _ كنظام علمي أكاديمي — وذلك منذ:

1 – حسين رشوان– التربية والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ص١٠٢-١٠٣

2 – علي الشخيبي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ص٣٣-٣٤

((أن بدأت تتضح ملامحه ، و موضوعاته ، ومجالات البحث فيه كفرع من فروع علم الاجتماع، والمرحلة الأولى تحددت بفترة ما قبل ١٩٧٠م حيث تطور علم اجتماع التربية في تلك الفترة داخل الإطار العام للبنائية الوظيفية ؛ حيث كانت هذه الفترة بمثابة تحليل العلاقات البنائية الكبرى، فظهرت قضايا محددة في تلك الفترة مثل التعليم ، والطبقة التعليمية ، والاقتصاد ، والتعليم ، والحراك الاجتماعي، التعليم والتدريب، التباينات التربوية، أما المرحلة الثانية فتحددت بفترة ما بعد ١٩٧٠م، حيث أخذ علم اجتماع التربية شكلا جديدا من التحليل و الموضوعات تحدد فيما يطلق عليه (علم اجتماع التربية الجديد))[(١)].

فالتأكيد على الوظيفة وحتى البناء أفسح الطريق للاهتمام بالتعليم باعتباره جانبا من علم اجتماع المعرفة، ... أما المرحلة الثالثة من مراحل علم اجتماع التربية، فتحددت بسيطرة (الماركسية المحدثة) والاتجاه النقدي في علم اجتماع التربية وهي مرحلة ما زالت تسيطر عليه ، ...ولقد نما علم اجتماع التربية في العصور الماضية بسرعة تفوق أي ميدان آخر في علم الاجتماع .)) [(٢)]

وأما علم اجتماع التربية الجديد فإنه أصبح يهتم بالدرجة الأولى بما يحدث داخل العملية التعليمية من تفاعل بين المعلم والتلميذ داخل حجرة الدراسة والمنهج والمفاهيم التي يستخدمها المربون مثل: الذكاء ، والتقويم ، ومعايير النجاح المدرسي، كما أنه يهتم إلى جانب ذلك بالبحث في الفروق الفردية بين التلاميذ في التحصيل الدراسي ، من خلال البحث في الاختلافات في القيم ، والاتجاهات ، واللغة والأسرة الغنية ، والفقيرة ، وأثر ذلك على سلوك الطفل ، ومن ثم يهتم علم اجتماع التربية الجديد بدراسة الثقافات والاتجاهات الفرعية مثل : الأسرة والطبقة الاجتماعية ...والبحث في العلاقات المتبادلة بين التعليم والتغير الاجتماعي ، وتحليل المدرسة كمؤسسة اجتماعية . [(٣)]

1 - Parelius, Ann P. and Parelius Robert J (1978) The Sociology of Education , Prentice Hall Inc.PP.1-2

2 - عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق ، عمان ١٩٩٩، ص ص٥٤-٥٥

3 - علي الشخيبي، علم اجتماع التربية، مرجع سابق ، ص ٣٥

ويــدرس علــم اجــتماع التربية النظم التربوية التي كانت موجودة في المجتمعات البشرية سواء في الحضــارات القديمــة ، أو خــلال العصور الوسطي ، أو العصر الحديث ، و خاصة التي ارتبط بنوعية احتياجات المجتمع ، والمؤسسات الاجتماعية الأخرى [1]

ويعــرض (مــوريش) باعتباره أحد علماء اجتماع التربية البريطاني في الوقت الحاضر، وله عدة مــؤلفات حديثة حول تطور هذا العلم وعلاقته بعلم الاجتماع، بالإضافة إلى اهتمامه بميدان علم اجتماع التربية الحديث، وفي عرض هذا لتطور علم الاجتماع التربوي خلال عقدي الستينات و السبعينات، والتي ظهر فيها العديد من المعاهد والجامعات التي تفضل استخدام أو تسمية ((علم اجتماع التربية) بدلا من علم الاجتماع التربوي، فقد عرض لميزة كل من التسميتين عند جمهرة من العلماء المهتمين بكل من علم الاجتماع التربوي و علم اجتماع التربية .

تميــز علم الاجتماع التربوي بأنه العلم الذي يهتم بمعالجة القضايا الاجتماعية والتربوية ، بينما نرى أن علم اجتماع التربية يقوم بتحليل المشاكل السوسيولوجية التربوية .

علــم الاجــتماع التــربوي يهتم بتطبيق المبادئ والنتائج العامة لعلم الاجتماع على أنماط الإدارة والعمليات التربوية .

علــم اجتماع التربية يهتم بتحليل العمليات السوسيولوجية التي تعالج النظم والمؤسسات التربوية، وتعتــبر هــذه التحليلات بعيدا عن نطاق علم الاجتماع التربوي لأنه يركز على العمليات الداخلية التي توجد داخل المؤسسة التربوية .

الأســس الاجتماعية للتربية، هو المجال الذي يشتمل على كل من التربية والتربية المقارنة عموما، و هذا المجال يعتبر مجالا أوسع من كل من علم اجتماع التربية وعلم الاجتماع التربوي.

علــم الاجتماع التربوي تتركز موضوعاته حول موضوعات التربية ، بينما اجتماع التربية تنحدر أساسا من علم الاجتماع، ومن ثم يعتبر الأخير علما تطبيقيا ويعالج أنماط المعرفة السوسيولوجية التي ترتبط بالمشكلات التربوية.

تعددت الاهتمامات الحديثة في مجال علم اجتماع التربية الحديث حيث ، زاد التركيز على استخدام علم اجتماع التربية أكثر من استخدامها لعلم الاجتماع التربوي ، ويعود ذلك إلى اهتمام علماء الاجتماع أنفسهم بدراسة التربية كأحد المجالات الجديدة لعلم الاجتماع .

---

1 – حسين رشوان ، التربية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص٩٨

توسع علم اجتماع التربية الحديث في استخدام الكثير من التحليلات والتصورات التي توجد في النظريات السوسيولوجية، والفلسفية، والتاريخية، والاقتصادية، والسياسية و الأنثروبولوجية الاجتماعية، والتحليلات النفسية . [١]

ويشير جنسن في كتابه (علم الاجتماع التربوي) ((أن ثمة تمييز بين مصطلحي علم الاجتماع التربوي، وعلم اجتماع التربية، فالأول يهتم أساسا بالقضايا التي تستمد من التربية، بينما تستمد قضايا موضوعات علم اجتماع التربية من ميدان علم الاجتماع ؛ حيث يؤكد أن محور اهتمام علم اجتماع التربية هو البحث عن الجوانب السوسيولوجية للظاهرة التربوية، والعلاقة بين النظام التربوي والنظم الاجتماعية الأخرى في المجتمع ،كذلك المشكلات التربوية ذات الطابع الاجتماعي ،)) [٢]

إن علم اجتماع التربية عندما أتعتق من سيطرة علماء الاجتماع انطلق إلى قضايا التربية ذات العلاقة الاجتماعية مثل مناقشة وتحديد أهداف التربية والمناهج الدراسية وطرق التدريس ، كما اهتم علم اجتماع التربية بالقضايا ذات الطابع التربوي المدرسي وخاصة العلاقات الاجتماعية التي تحدث أثناء العملية التعليمية مثل علاقة المدرسين بعضهم ببعض وعلاقتهم مع التلاميذ وداخل الحجرة الدراسية ، وعلاقة المدرسي بالإداريين و وعلاقة مجتمع المدرسة بالمجتمع الخارجي من حوله كذلك الاهتمام بنوع الثقافة والمعرفة التي تقدم للتلاميذ سواءً من خلال المنهج أو الأنشطة المفتوحة داخل المدرسة (المنهج الخفي) وكذل سبر القضايا التربوية ذات الصبغة الاجتماعية مثل: تكافؤ ، والثقافة الاجتماعية والثقافة التربوية داخل المدرسة وحق الاقليات في التعليم و حقوقهم الثقافية ، وإعداد المنهج وغيرها من قضايا الاجتماعيات التربية التي تحدث أو تستجد أثناء التقدم الاجتماعي أو يحدثها التغير الاجتماعي .

ويوضح حمدي علي الفرق بين المصطلحين الأول مصطلح علم الاجتماع التربوي والمصطلح الثاني علم اجتماع التربية ؛ حيث ((يشير الأول إلى استخدام الأسس العامة ومناهج علم الاجتماع في إدارة العملية التربوية ومؤسساتها، فهو مدخل يتناول دراسة النظام التربوي كوحدة اجتماعية منفصلة، بينما يشير المصطلح الثاني — علم اجتماع التربية- إلى نظرة شمولية، فهو بالإضافة إلى ما يشير إليه المصطلح الأول، يتناول العلاقة بين النظام التربوي والبناء الاجتماعي بمكوناته)) [٣]

1 – عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع التربية الحديث، ، مرجع سابق ، ص ص ٧٠-٧٦

2 – حمدي علي أحمد، مقدمة علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص٧٤

3 – حمدي علي أحمد، المرجع السابق ، ص ٧٤

وفي الغالب يضم علم اجتماع التربية في دراسة مادة علم التربية، وأسس منهج التربية العام، أو سوسيولوجيا [١]

١– مراحل تطور علم اجتماع التربية:

يرى بعض الباحثين التربويين أن علم اجتماع التربية مر في تطوره بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: بدأت قبل عام ١٩٧٠م ؛ حيث تطور علم اجتماع التربية في تلك المرحلة داخل الإطار العام للبنائية الوظيفية ، واهتمت هذه المرحلة بمناقشة القضايا الكبرى مثل التعليم ، والطبقة التعليمية، والاقتصاد، والتعليم والحراك الاجتماعي، والتعليم والتدريب، والتباينات التربوية .

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور علم اجتماع التربية في هذه الحقبة التاريخية :

١– نمو الاتجاه الإيجابي نحو الدور الاجتماعي والاقتصادي التربية ، حيث زاد وعي الحكومات والأفراد بأهمية التعليم في عملية التنمية المتكاملة لكل من الفرد والمجتمع .

٢– توطيد العلاقة بين التربية وعلم النفس نتيجة الاهتمام بأبحاث علم النفس في تطوير العلمية التعليمية .

٣– النظرة الجديدة إلى التربية بأنها علم تبادلي أي يتبادل المنفعة والفوائد مع العلوم الأخرى ، وخاصة العلوم الإنسانية .

٤– استخدام المنهج العلمي في التربية وذلك في كثير من مجالات التربية المختلفة .

٥– اهتمام الدول بالنظم التعليمية وسبل تطورها ،وقيام كثير من المنظمات الدولية المهتمة بالتربية لمساعدة الدول والمجتمعات بالنصائح العلمية والتربوية .[2]

المرحلة الثانية: تمتد ما بعد عام ١٩٧٠م وخاصة بعد الهجوم الشديد على البنائية الوظيفية وتركيزها على الوحدات الكبرى، ويقصد بالوحدات الصغرى في علم اجتماع التربية هي العلاقات الاجتماعية التي تحدث داخل جدران المدرسة بين المعلمين أنفسهم وبينهم وبين الإداريين أو التلاميذ كما يقصد بها العلاقة الاجتماعية داخل الحجرة الدراسية وعلاقة المعلم بالتلميذ وعلاقة التلاميذ بعضهم ببعض وكذلك نوع الثقافة والمعرفة التي تتم بينهم داخل حجرة الفصل حيث انصب اتجاه علم اجتماع التربية في هذه المرحلة على الاعتماد على تحليل الوحدات الصغرى ، والى جانب هذا النقد كانت هناك بعض العوامل ذكرها (علي الشخيبي) التي ساعدت على ظهور هذه المرحلة ومنها:

1 – ريناتا غوروفا، مقدمة في علم الاجتماع التربوي- ترجمة نزار عيون السود – دار دمشق – دمشق –١٩٨٤م،، ص ٥٣

2 – علي الشخيبي ، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠-٤٢

١- التناقض بين النظرية والتطبيق في المؤسسات التربوية ، بمعنى حدوث اختلافات كبيرة بين أهداف المدرسة وغيرها من المؤسسات التربوية ،وبين ما يحدث في الواقع داخل هذه المؤسسات ، حيث صارت هذه المؤسسات التربوية تزود طلابها بمعلومات كثيرة ليست لها علاقة بمتطلباتهم أو متطلبات مجتمعهم وأهدافه.

٢- تبعية المدرسة : حيث اصبح هناك قناعة لدى القائمين على التربية بضرورة أن تكون المدرسة مؤسسة مستقلة بدلا من تبعيتها للسلطة السياسية ، وجماعات الضغط في المجتمع مما جعل المدرسة مؤسسة بيروقراطية تسيطر عليها اللوائح الرسمية والقوانين .

٣- استخدام المدرسة للمقاييس والاختبارات العقلية ، مما أدى إلى مشكلات التفرقة بين أبناء المجتمع الواحد طبقا للنوع أو اللون أو الفرق أو المستوى الاقتصادي والاجتماعي أو المنطقة الجغرافية أو السكنية .([1])

وفي عقد السبعينات من القرن العشرين ظهرت موجة من الباحثين والمفكرين المتبنين للفكر الماركسي المحدث (الاشتراكية) المطعم بالنظرة الرأسمالية و التي لاقت قبولا هائلا لدى علماء وفلاسفة الحضارة الغربية وخاصة بعد الحربين العالميتين وما جرته على أوروبا من كوارث وأخذ هذا الفكر ينتشر في الغرب واصبح له أحزاب تنافس على السلطة مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي (ومن أقطابه الجارودي) و الألماني والبولندي ولعل الأخير أشهرهم إعلاميا والذي افتتح هذه الموجة ثم أمتد ذلك إلى العلماء والباحثين في الاقتصاد وعلم الاجتماع ومنه علم اجتماع التربية ومن اشهر إنجازاته في الاقتصاد والتربية نظرية (الاستثمار في راس المال البشري) .

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة سيطرة المدرسة الماركسية المحدثة و الاتجاه النقدي في علم اجتماع التربية و العودة إلى التحليل على مستوى الوحدات الكبرى وتحديد خاص لمفهوم النسق . [٢]

ويرى علي الشخيبي أن ((من المتفق عليه بين علماء اجتماع التربية أن علم اجتماع التربية الجديد ظهر أولا في بريطانيا خلال الخمسينات على يد كل من فلود وهالسي و مارتن ويونج . وقد بدأ الاهتمام بهذا الاتجاه في كليات التربية أكثر منه في أقسام علم الاجتماع العام في الجامعات، حيث لعب كل من معهد لندن التربوي والجامعة المفتوحة _ التي تهتم بدراسة مشكلات المناهج و طرائق التدريس –

[1]- علي الشخيبي ، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٤٨-٤٩

2 - حمدي علي أحمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ص ٨٧-٨٨

دورا هاما في تطوير هذا الاتجاه الجديد، ثم ما لبث أن انتقل إلى كثير من الدول الأوربية و الولايات المتحدة الأمريكية)) [1]

وفي هذه المرحلة اهتم علم اجتماع التربية بالبحث في الثقافات الفرعية داخل المجتمع ، و عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية ، واثر ذلك على قيم الطفل واتجاهاته ومستوى تحصيله الأكاديمي واللغوي ، كما يهتم علم اجتماع التربية في هذه المرحلة ، بالبحث في طبيعة العلاقة المتبادلة بين التعليم والتغير الاجتماعي ، وضرورة المساواة بين التلميذ وفقا لحاجاتهم وليس وفقا لقدراتهم ، كما انه يهتم بالبحث التاريخي للتربية . ([2])

٢- أسباب تطور علم اجتماع التربية:

شهدت مرحلة السبعينات وما بعدها مجموعة من المظاهر والمؤشرات التي أسهمت في بلورة معالم علم اجتماع التربية ومنها:

- اهتمام الحكومات الأوربية والأمريكية في سياساتها التربوية على أهمية تطوير النظم التعليمية، وإنشاء مراكز البحوث والدراسات التربوية المتخصصة، والاهتمام بالأبحاث الميدانية عن سير العملية التربوية، والاهتمام بسياسات القبول والالتحاق في جميع المراحل التعليمية و أخذها بسياسات تكافؤ الفرص التعليمية .
- ظهور الاتجاه البنائي الوظيفي وسيطرته على العلوم الاجتماعية ، وخاصة في فروعها المتخصصة مثل علم اجتماع التربية ؛ حيث وجهه إلى الاستفادة من النظريات السوسيولوجية في توجيه كافة الدراسات والمسوح الامبريقية التي أجريت في هذا الفرع .
- تطور أهداف الجمعية القومية لدراسة علم اجتماع التربية ، وأيضا المجلة العلمية المتخصصة التي تصدرها باسم هذا العلم ، مع نشر نتائج الدراسات الميدانية والتقارير الرسمية وغير رسمية والتي تركز على هذا العلم .
- زيادة الاهتمام الدولي وخاصة في منظمات الأمم المتحدة (اليونسكو) ، وتوجيه اهتماماتها بقضايا التعليم والتربية و مشكلات التنشئة الاجتماعية ، و الأمية ، وتعليم و المرأة ، والثقافة الجماهيرية ، وإقامة المؤتمرات والندوات واللقاءات العملية والثقافية والتربوية ، وتدريب المدرسين و إعدادهم بصورة تتلاءم مع طبيعة مشكلات التنشئة الاجتماعية التي ظهرت في المجتمعات الحديثة .

1 - علي الشخيبي - علم اجتماع التربية المعاصرة، ، مرجع سابق ، ص ٦٦

2 - علي الشخيبي ، المرجع السابق ، ص ٦٦

ظهـور حـركات التمـرد الطلابي والثورات الثقافية والفكرية التي قام بها الطلاب أو المفكرون والباحثون حول أهمية تطور وتحديث سياسات التعليم وأنماط ونظم التعليم المختلفة على المستوى العالمي[1]

٣- ميادين و مجالات علم اجتماع التربية :

لقد قسم علي الشخيبي مجالات وميادين علم اجتماع التربية إلى قسمين:

أولا: دراسة المدرسة من الداخل أي دراسة المدرسة كنظام اجتماعي قائم بذاته ، وذلك في الميادين التالية :

- المكانة الاجتماعية (الدور) لكل من المعلم والتلميذ ومدير المدرسة ... الخ
- الـنظم الاجتماعـية: حجـرة المدرسة، بناء السلطة، بناء القوة، البناء الاجتماعي، النظام الإداري، نظام القيم ...الخ .
- العملـيات الاجتماعـية: التفاعل الاجتماعي، الظبط الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية، التغير الثقافي ...الخ.
- المفاهيم الاجتماعية: القيم، اللغة، الاتجاهات، الثقافة ...الخ.
- المشـكلات الاجتماعـية: التسرب، الرسوب، التخلف الدراسي، الحرمان الثقافي، التحيز الاجتماعي ...الخ .

ثانـيا: دراسة المدرسة من الخارج: ويقصد به دراسة التفاعل بين المدرسة كمؤسسة اجتماعية مع نظم ومؤسسات المجتمع الأخرى و يتضمن:

- التفاعل بين المدرسة والمؤسسات الاجتماعية كالأسرة وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام ودور العبادة والأندية ...
- العلاقة بين المدرسة وبناء القوة في المجتمع .
- العلاقة بين المدرسة وبناء السلطة في المدرسة .
- العلاقة بين المدرسة والبناء الاجتماعي .
- المدرسة والعمليات الاجتماعية كالحراك الاجتماعي و الضبط الاجتماعي والتغير الثقافي.
- المدرسة ومبدأ تكافؤ الفرص .
- المدرسة وبعض مشكلات المجتمع، مشكلة السكان، التخلف، الجريمة، الفقر .

1 - عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع التربية الحديث ، مرجع سابق ، ص ص ٩٥-٩٧

- التعليم المدرسي و غير المدرسي .
- المدرسة وبعض الظاهرات الاجتماعية مثل : تعليم المرأة والتنمية ...[١]

وقد اختصر ((برو كوفر)) مجالات علم اجتماع التربية و وافقه ((فرانسيس براون)) في ثلاثة مجالات تتمثل في:

أ- علاقة النسق التربوي بالأنساق الأخرى في المجتمع .

ب- دراسة المدرسة كنسق اجتماعي .

ج- يتحدد في الاهتمام بدراسة المؤسسات التربوية وعلاقتها بالمجتمع المحلي .[٢]

ولقد حدد (أوليف بانك) ميادين البحث في علم اجتماع التربية على النحو التالي :

- ❖ العلاقة الوظيفية بين النظام التربوي والنظم الاجتماعية الأخرى بالمجتمع مثل : الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة .
- ❖ دراسة المؤسسات التعليمية باعتبارها تنظيمات .
- ❖ التعليم والحراك الاجتماعي بالمجتمع .
- ❖ الاهتمام بدراسة العلاقة بين البيئة الأسرية للطالب و قيم الإنجاز ، وهذا من شأنه دراسة مقارنة تضع في ذهنها الأسرة والطبقة الاجتماعية .
- ❖ دراسة سياسات التعليم ؛ حيث ينصب الاهتمام هنا على دراسة بناء علاقات القوة بالمجتمع ، وأنماط الضبط الإداري ، المدرسة والمجتمع المحلي ، ثم الوظائف السياسية للنظام التربوي .
- ❖ الاهتمام بفحص وتحليل ما يعرف ((بالمعرفة التربوية)) والكيفية التي تنقل بها هذه المعرفة داخل النظام التعليمي ، وعلاقة ذلك بالأهداف والوظائف المنوطة بالنظام التعليمي بالمجتمع من خلال دراسة مقارنة ترتبط أساسا بأيديولوجيا المجتمع التي يعمل بها النظام التعليمي .[٣]

---

1 - علي الشخيبي ، علم اجتماع التربية مرجع سابق ، ص ص ٦٩-٧٠

2 - حمدي علي، مقدمة في علم اجتماع التربية، مرجع سابق ، ص ٧٩ - انظر في ميادين ومجالات علم اجتماع التربية ـ حمدي علي أحمد، مرجع سابق ، ص ص ٧٧- ٧٨ و انظر حسين رشوان ، التربية والمجتمع مرجع سابق ، ص ص١٠٠-١٠٣
Brookover,W.B Opcit, p410 ,--

3 - حسين رشوان ، التربية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص ١٠٠

٤- أهداف علم اجتماع التربية:

لقد هدف علم اجتماع التربية الجديد إلى تحقيق واقع أفضل للنظام التربوي يقوم أساسا على وجود مجتمع يحقق المساواة والعدالة الاجتماعية بين جميع أفراده ، وذلك حين حاول العديد من علماء اجتماع التربية مناقشة الكثير من القضايا المتعلقة بالعملية التربوية كالعلاقة بين التلاميذ والمعلمين ، أو الإداريين والمعلمين ، والمنهج المعرفي الذي يقدم للتلاميذ وعملية انتقائها، وقضايا تكافؤ الفرص ومناقشة القضايا الكلية ، مثل طبيعة الإنسان والمعرفة ومصادرها، وكذلك مناقشة عمليات التفاعل داخل البناء المدرسي والفصل الدراسي ، وقضية السلطة والقيود التي تحكم العملية التربوية داخل المدرسة أو الفصل [١] .

ومن أهداف علم اجتماع التربية :

- دراسة الظواهر والنظم التربوية من حيث طبيعتها ، و ما تتسم به من خصائص وسمات تميزها عن غيرها من نظم الاجتماعية .
- التعرف على الأبعاد الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالظواهر والنظم التربوية .
- فهم طبيعة العلاقة الثنائية التي تربط النظم التربوية في المجتمعات الحديثة بغيرها من الظواهر والنظم الأخرى.
- تحديد المضمون الأيدلوجي للنظام التربوي و تأثيره على المعرفة التربوية. [٢]

حيث أن كثيرا من الأنظمة السياسية والعقائدية تجعل من النظام التربوي وسيلة لتحقيق أهدافها وترسيخ قواعدها وخلق القبول الاجتماعي لها في وجدان الأجيال القادمة ، وكذلك حاول أنصار المذاهب الفكرية الماركسية والقومية والبعثية وغيرها التسلل من خلال النظم التربوية إلى عقول الناشئة من اجل خلق أجيال تتبنى هذه المقولات والأفكار ، وعلم اجتماع التربية يحاول دراسة مثل هذه الظواهر ومدى تأثيرها أو قبولها لدى الناشئة ، وما هي الوسائل المتخذة في تحقيق ذلك ومدى تأثيرها على السلوك الاجتماعي العام .

ويميز ((رولاند ميجهان بين نوعين من الأهداف لعلم اجتماع التربية هي ، الأهداف النظرية والتطبيقية (ميادين البحث) فأهداف علم اجتماع التربية من حيث أبعادها النظرية لا تختلف عن

---

١ - يمكن الرجوع إلى :

حمدي علي – مقدمة في علم اجتماع التربية مرجع سابق ، ص ص ٩٩-١٠١ ، وحسن حسين البيلاوي – تحرير الإنسان في الفكر التربوي – دراسات في تطور وتصنيف الاتجاهات المعاصرة في علم اجتماع التربية – دار الفكر المعاصر –١٩٨٦م٠ص١٧

2 - حمدي علي أحمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، مرجع سابق ، ص ص ٧٧-78

أهداف علم الاجتماع التي تتحدد أساسا في فهم الحياة الاجتماعية و نظما المتباينة واوجه التفاعل ، أما الأغراض التطبيقية فيشير إلى استخدام هذا الفهم النظري في المجال العملي))([1])

ويرى أنصار اتجاه علم اجتماع التربية الجديد أن من أهدافه ضرورة الاهتمام بما يحدث داخل العملية التعليمية من مناهج و طرائق التدريس، والتفاعل بين المعلم والتلميذ داخل حجرة الدراسة، لاهتمامه بالفروق الفردية بين التلاميذ وأثرها على التحصيل الدراسي ، وما هي الأسباب الاجتماعية المؤثرة في ذلك كاللغة ، والقيم، والأسرة الفقيرة ، والغنية وأثر ذلك على سلوك التلاميذ، كما يهتم علم اجتماع لتربية الجديد بالبحث في الثقافات الفرعية داخل المجتمع، وعملية التنشئة الاجتماعية وأثرها على الطفل و تبني مبدأ المساواتية الذي يشير إلى المساواة وفقا لحاجة التلميذ وليس وفقا لقدراته [٢]

ومن أهداف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى ما سبق ما يلي :

ومن اجل الوصول إلى علم اجتماع تربية إسلامي فإنه يجب علينا أن ندرك التباين الكبير بين المجتمعات الإسلامية وما تدين به من عقائد و شريعة تنظم لها حياتها ونظمها ومؤسساتها وبين الحضارة الغربية وما يحكمها من عقائد وأفكار ، ولهذا فإن علم اجتماع التربية الإسلامي له مواضيعه وأهدافه التي قد يتفق جانبا منها مع أهداف وقضايا علم اجتماع التربية الغربي و يختلف في جوانب أخرى هي من سمات وخصائص كل مجتمع وحضارة .

وبما أن طبيعة المؤسسات و القضايا التي يهتم علم اجتماع التربية بدراستها تختلف باختلاف المجتمعات ، فإن المبادئ والمسلمات التي تسود علم اجتماع التربية الغربي وتنطلق منها الأهداف وتسعى إلى تحقيقها ، لا تلائم المجتمع الإسلامي، فمثلا القيم المتغيرة في المجتمعات الغربية تقابل القيم والأخلاق الإسلامية الثابتة التي لا تخضع للتأثيرات البيئية .

١- كما أن من أهداف علم اجتماع التربية الإسلامي دراسة النظم الاجتماعية والمؤسسات التربوية وتميزها عن غيرها من النظم الاجتماعية ولهذا فإن دور المسجد في المجتمع المسلم غير دور الكنيسة، و التنشئة الاجتماعية ومسؤولية الأسرة المسلمة التي تمارس تربية أفرادها على أنها قربة إلى الله ؛ وتكليف ديني وهي تختلف في طبيعة تكوينها و وظائفها والعلاقة السائدة بين أفرادها وبين غيرها من الأسر في المجتمع الإسلامي مغايرة تماما عن مفهوم الأسرة في المجتمعات الغربية ، والتوجيه الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية في

[1]– حمدي علي أحمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، مرجع سابق ، ص ٧٧

2 – علي الشخيبي – علم اجتماع التربية المعاصر، مرجع سابق ، ص ٦٧

المجتمع الإسلامي مصدرها الإسلام الذي كفل حقوق الفرد والمجتمع، أما ما يقابلها في المجتمعات الغربية فالتوجيه الاجتماعي مصدره الأفراد والمؤسسات الاجتماعية . وغير ذلك من مواضيع علم اجتماع التربية .

٢- ومن أهداف علم اجتماع التربية الإسلامي التعرف على الابعاد الثقافية والاجتماعية المنبثقة من التشريع الإسلامي التي لا نجدها في علم اجتماع التربية الغربي منها مثلا، الآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في حياة الناشئة، و محاربة الأمراض الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية مثل البدع والخرافات، والتقاليد المخالفة للدين والجهل، و المشاكل التي تواجه الأقليات المسلمة، ومفهوم التنمية وفق الشريعة الإسلامية الشاملة .

٣- دراسة الظواهر والنظم التربوية المنتشرة في العالم الإسلامي من حيث طبيعتها و موافقتها للتربية الإسلامي ، وما تتسم به هذه النظم من خصائص وسمات تميزها عن غيرها من النظم التربوية المعاصرة .

٤- المقارونة بين هذه النظم التربوية المنتشرة في العالم الإسلامي ومدى الاستفادة من عوامل النجاح والاصلاح فيها .

٥- التعرف على الابعاد الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالظواهر والنظم التربوية في الساحة الاسلامية من اجل نقدها و توجيهها .

٦- فهم العلاقات التي تربط الأنظمة التربوية في المجتمعات الإسلامية بغيرها من النظم الاجتماعية ومدى التقارب أو البعد ومدى قدرتها على الوصول إلى تحقيق المثالية الاسلامية في حياة المجتمعات المسلمة .

٧- التعرف على العلاقات الصغرى داخل النظام التربوي ومدى تمثلها لتعاليم الإسلام وتوجيهه وخاصة علاقة المعلمين ببعضهم البعض أو علاقتهم بالتلميذ أو علاقة التلاميذ ببعضهم البعض داخل وخارج جدران المدرسة ، من اجل خلق علاقات اجتماعية إسلامية تساهم في بلورة المجتمع الإسلامي .

٨- دراسة سياسات التعليم في العالم الإسلامي وأهدافه وغاياته .

٩- التعرف على المعرفة التي تقدم للتلاميذ من خلال المنهج والنشاط ونقدها وتوجيهها .

ويظهر مما تقدم– في الفصول السابقة – أن علم اجتماع التربية لا يصلح بشكله الكلي الذي هو عليه، أن يدرس في الكليات التربوية والجامعات الإسلامية، بل يجب أن يمر بمرحلة من التأصيل لبعض المفاهيم والأفكار ، وكذلك التوجيه لبعض الآراء والدراسات للتناسب والدين الإسلامي، وتأصيل بعض المفاهيم التي لا تنسجم مع التصور الإسلامي الكلي للمجتمع المسلم وغاياته وأهدافه .

ولهذا قام الباحث بهذه الدراسة التي سوف يحاول فيها توجيه قضايا هذا العلم _ علم اجتماع التربية– توجيها إسلاميا يخدم التربية الإسلامية والمجتمع الإسلامي .

٥– علاقة علم اجتماع التربية بالعلوم الأخرى:

١– علاقة علم اجتماع التربية بالتاريخ: تأتي العلاقة بين المجالين من كون علم اجتماع التربية في حاجة إلى التعرف على المظاهر التاريخية للظاهرة التربوية و تطورها ، والعوامل والظروف التي تحكمت في نشأتها وتطورها، وهذا لا يتأتى إلا بالاستفادة من معطيات التاريخ الذي هو سجل الماضي الذي أودع كل مظاهر النشاط الإنساني، لهذا فعلم اجتماع التربية بحاجة إلى علم التاريخ بجميع فروعه الاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي ، والتربوي لان النشاط الإنساني مزيج كبير من الظواهر الاجتماعية يجب الإلمام بها من أجل أن يستفيد منها علم اجتماع التربية ليكتشف العوامل والظروف الحضارية المنبثقة منها النظرة الكلية لتربية معينة، و معرفة النظم و التنظيمات الاجتماعية التي ارتبطت بها تلك النظم التربوية ومعرفة أهدافها و وظائفها التربوية التي تقدمها لذلك المجتمع .[1]

٢– علاقة علم اجتماع التربية بعلم الجغرافيا: علم الجغرافيا يكشف الظروف الطبيعية والبيئية لحياة الشعوب، وما يمكن أن تعكسه تلك الظروف من آثار على النشاط الإنساني عموما، ولهذا يستفيد علم اجتماع التربية من علم الجغرافيا الكشف عن تأثيرات البيئة على النشاط الإنساني وأسلوب حياة ، والتي تحدد متطلبات تربوية معينة تتناسب و حياة الناس وتلك الظروف الجغرافية، كما يساهم علم اجتماع التربية في إرشاد الناس إلى الاهتمام بعلم الجغرافيا و توجيه الدراسة فيه بما يخدم أهداف المجتمع التربوية .([2])

---

1 – فاديه الجولاني، علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق ، ص ٩١

2 – فادية الجولاني، المرجع السابق نص٩٢

٣- علاقـــة علم اجتماع التربية بعلم النفس: علم النفس يهتم بدراسة القدرات والقوى التي تنطوي علـيها الطبـيعة البشـرية و ما تنطوي عليه من ملكات واستعدادات بالإضافة لعملياتها العقلية ومظاهـــر سلوكها، وكون الفرد لا يمكن أن يكون مستقلا عن المجتمع بل هو عضو يجب توجيه ســـلوكه وانفعالاته بما يخدم المجتمع ويخلق التكيف بين جميع الأفراد، وعلم اجتماع التربية عندما يتعرف على هذه الجوانب النفسية للفرد يستطيع توجهها فيما يخدم المجتمع ، و كذلك يوجد البيئة الاجتماعـــية الـــتي تساعد على نمو جميع القدرات الفردية، ولقد نتج عن هذه العلاقة بين هذين العلمين تولد علم جديد هو (علم النفس الاجتماعي) ٠([1])

ويلتقـــي علم اجتماع التربية مع علم النفس التربوي كواحد من العلوم التربوية التي تسهم مع علم اجتماع التربية في فهم العمليات التربوية من أبعادها المتنوع ؛ حيث يسهم علم النفس التربوي في تناول العملية التربوية من زاوية الفرد ومتطلبات نموه وتشكيل شخصيته، في حين يتناول علم اجتماع التربية من زاوية المجتمع ومتطلباته بذلك تتكامل العملية التربوية بشقيها الفردي والاجتماعي ٠[٢]

٤- علاقـــة علـــم اجتماع التربية بعلوم اللغة: لاشك أن للدراسات اللغوية التي يقوم بها علماء اللغة وتحليلاتهم لمضمونها الثقافي والاجتماعي ، ومظاهر الاتصال اللغوي بين الثقافات المختلفة، والنمو اللغـــوي وانتشـــار اللغات ، تدخل ضمن نطاق اهتمام عالم اجتماع التربية، كما يستفيد منه في تحلـــيله للحقائق التربوية، وعمليات التعلم وأثر اللغة على مسارها، وأثرها على اللغة السائدة في المجتمع، خاصة وأن اللغة بمثابة قنوات الاتصال والتفاعل في العملية التربوية [٣]

٥- علاقـــة علم اجتماع التربية بعلم المناهج: علم المناهج يهتم بالمادة الدراسية التي يبنى المنهج على أساســـها، وشخصـــية التلمـــيذ الذي توجه له المناهج ، و المعلم الذي سوف يقدم ذلك المنهج والطريقة التي يوصل بها المنهج ، والبيئة المدرسية التي تتم فيها عملية التدريس ، والعلاقات القائمة بـــين أعضـــاء المدرسة، وذلك في إطار احتياجات المجتمع وطبيعته وخلفياته الاجتماعية، الدينية والثقافـــية والاقتصـــادية والسياسية ، كل ذلك ينطوي تحت مظلة علم المناهج، و حيث أن علم اجـــتماع التربية يقدم لعلم المناهج فهما واضحا حول طبيعة المجتمع وأهدافه وتوجهاته ومتطلباته المســـتقبلية ويرســـم لـــه أهداف التربية المتعلقة بصياغة شخصية هذا المجتمع ٠ كما يساعد علم

1- فاديه الجولاني، المرجع السابق ،ص٩٢

2 - فادية الجولاني، المرجع السابق ، ص ١٠١و عبد الله رشدان علم اجتماع التربية مرجع سابق ، ص ٦٣

3 - عـــرفات عـــبد العزيز، ديناميكية التربية في المجتمعات، ص ٣٨ نقلا عن، فادية الجولاني، علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق ص ٩٤، حسين رشوان ، التربية والمجتمع مرجع سابق ، ،ص ١٠٨

اجتماع التربية علم المناهج بدعم قدراته بما يحتاجه من تنمية ومهارات وخبرات تساعد على تنفيذ العملية التربوية ، و تتناسب والدور التربوي والاجتماعي المنوط بها .

٦- علـــم اجـــتماع التربية وعلم الاقتصاد: هناك ارتباط وثيق الصلة بين العلمين والمدرسة باعتبارها إحدى المؤسسات الكبرى في ميدان علم اجتماع التربية وجدت في البداية كعامل مهم من عوامل ضبط العملية الاقتصادية كما أن العملية الاقتصادية كانت بحاجة إلى من يضبطها فنشأت المدرسة من أجل هذا الغرض.[١]

٧- علـــم اجـــتماع التربية و علم الإدارة : الإدارة عملية إنسانية ، ونشاط إنساني مستمر ، تعمـــل على تحقيق أهداف محددة باستخدام الجهد البشري ، والاستعانة بالموارد المادية المتاحة وهي عامـــل هام في إشباع الحاجات الأساسية للفرد في الحياة ، وتبدو العلاقة بين علم اجتماع التربية و علـــم الإدارة في العلاقة بين علم اجتماع التربية والإدارة التربوية . فالأخيرة باعتبارها مجموعة من العملـــيات المتـــرابطة المتكاملة ، على مستوى المجتمع ، وداخل المؤسسات التعليمية تسهم في تحقيق الأهداف التربوية للمجتمع والأهداف التعليمية للمؤسسة التربوية ، ويستفيد علم اجتماع التربية من معطيات علم الإدارة في فهم طبيعة التنظيم الاجتماعي للإدارة التربوية ، والعوامل المؤثرة عليها[٢]

1 – عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية مرجع سابق ، ص ٦٢

2 – حسين رشوان ن التربية والمجتمع مرجع سابق ، ص ١١٧

المبحث الثاني
النظريات في علم اجتماع التربية

من المعلوم أن النظريات في علم الاجتماع قد تعددت وتباينت وخضعت في تلونها ذلك إلى فلسفات وعقائد وضعية متنافرة جعلت هذه النظريات تتأثر بالمجال الفكري الذي ولدت فيه ، والذي يعود بجذوره الفكرية إلى الحضارتين الإغريقية واليونانية التي انبنت عليهما الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي، وكذلك أطروحات علماء عصر التنوير ونظرياتهم في العلوم الطبيعية مع مزيج بسيط من الأفكار اللاهوتية الكنسية المحرفة وهذا واضح في كثير من هذه النظريات التي تدعي المنهجية الوضعية .

ويتضح صعوبة أيجاد نظرية شاملة تندرج تحتها جميع النظريات في علم الاجتماع ، ففي إحدى الدراسات التي تناولت هذا الموضوع يشير (أنتوني جدنز ١٩٨٧م) إلى عدم الاتفاق على معنى للنظرية الاجتماعية التي تعكسه الخلافات الفكرية بين الباحثين حول الموضوع الأساسي للنظرية ، وما يرتبط بذلك عن طبيعة الواقع الاجتماعي ، وعن الخواص الأساسية التي تميز هذا الواقع.[١]

كما نلاحظ أن أحد أهم الدارسين (أنتوني) لعلم الاجتماع الغربي يقضي باستحالة أن يكون هناك نظرية اجتماعية متفق عليها يمكن تعميمها على المجتمعات أو حتى الفكر الغربي نفسه ، إذ هو منقسم على ذلك، وهذا يعود إلى عدم موضوعية هذه النظريات أو علميتها المنهجية ، بل إن أصحابها يدعون لها ذلك من أجل الرواج وليس هناك نظرية في علم الاجتماع اتفق عليها أو سلمت من النقد والنقض .

ومن الملاحظ أن نظريات علم الاجتماع لم تسلم من النظرة الثنائية المتناقضة ، وذلك للخروج من الإشكاليات التي تصادفهم أثناء أعمالهم ، ويستحيل عليهم تفسيرها أو محاولة تحليلها ما لم يتبعوا الطرق الثنائية في التفسير، إذن فلا غرابة ((أن يحمل علم الاجتماع الغربي في ثناياه وفي سياق تطوره النظري والمنهجي، أهم خصائص الفكر الفلسفي الثنائي المتمثلة أساسا في الصراع بين شكلين فلسفيين، لكل منهما تاريخه الخاص: العضوية برومانسيتها و الوضعية بماديتها ... وتعد معظم مدارس علم الاجتماع امتدادا طبيعيا لهما ...وبما أن هذه المنطلقات المعرّفية غير متجانسة ، وتعاني من توتر داخلي بسبب ثنائياتها المتناقضة، فإن نتائج البحث الاجتماعي ستتأثر لا محالة بهذه المرجعية))[٢]

---

1 - حكمت الأعرابي – النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٥٢

2 - فضيل دليو، علم الاجتماع الغربي وثنائياته النظرية، إسلامية المعرّفة، عدد١١ سنة ١٤١٨هـ ، ص٨٣

ومــن المعلــوم أن هناك الكثير من النظريات الاجتماعية في علم الاجتماع و التي ينادي بها علماء الاجــتماع، ولكن أشهرها و أكثرها بروزا و أتباعا ، وعليها مدار الدراسات الاجتماعية أربع نظريات هي:

١) النظرية الأم (العضوية الوضعية)

٢) النظرية المحافظة (النظرية الوظيفية)

٣) النظرية التقدمية (نظريات الصراع)

٤) النظرية الموضوعية (نظرية التفاعلية الرمزية)

النظرية الأولى تنادي بالمحافظة على الأوضاع السائدة ، أما النظرية الثانية فتنادي بالتغيير ولكن نحو الأفضل ، أما النظرية الثالثة فهي تجديدية في نظرتها و موضوعية ، فهي لا تنادي أيديولوجيا بل تحاول أن تكون موضوعية. [١]

وقد وضع (فرد ريش) تصنيف للنظريات حسب الفلسفة التي تنطلق منها وحصرها في ست فئات هــي: نظــرية الاتســاق ، ونظــرية الصراع ، والنظرية الماركسية ، والنظرية الجدلية ، ونظرية العقل الاجتماعي، ونظرية التبادل .[٢]

وقد قام بعض علماء اجتماع التربية بمحاولات جادة لتصنيف نظريات هذا العلم ومنهم ((بولستن)) الذي قسم نظريات علم اجتماع التربية إلى اتجاهين .

((أمــا الاتجاهات النظرية الأولى فهي تشمل النظرية الوظيفية البنيوية ، والنظرية التطورية ، والتطورية الجديدة ، وتحليل النظم ،أما الاتجاهات النظرية الثانية فتشمل النظرية الماركسية الجديدة))([3])

وسوف نتحدث عن بعض هذا النظريات بإيجاز .

أ- النظرية العضوية الوضعية:

لقــد نشــأ علــم الاجتماع متأثراً بالإطار الفكري المحيط به والذي تنازعه اتجاهان متعارضان من اتجاهات الفكر الغربي الفلسفي واللذين كانا سائدين خلال القرن- التاسع عشر - وهما:

١- الاتجاه العضوي .

٢- الاتجاه الوضعي .

1 - بسامة خالد المسلم – علم اجتماع التربية ذات السلاسل – الكويت-١٩٩٦م –ص٢٣

2 - حكمت الأعرابي،– النظريات المعاصرة لعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص٥٦

3- حسين البلاوي ،((٠طيبولوجي)) مقترح لتصنيف نظريات علم اجتماع التربية المعاصر مرجع سابق ،ص ٢٠٣

ولقد حاول علماء الاجتماع التوفيق بين هذين الاتجاهين في منهجيتهم العلمية، حيث كان التصور العضـــوي تصوراً نسقياً ينظر إلى المجتمع على أنه نسق يماثل النسق العضوي، حيث إنه نوع من الكائنات العضوية ، وله من الخواص الحياتية ما يماثلها ، وكانت جذور النظرية العضوية في علم الاجتماع تستمد أصولها الفلسفية من الفلسفة المثالية .

أما الاتجاه الوضعي فهو تصور منهجي يستند إلى المشاهدات والتجريب للوصول إلى القوانين العامة الـــتي تخضع لها الظواهر، والذي يسعى إلى أن يجعل التفسير في علم الاجتماع محاكيا لنماذج التفسير في العلوم الطبيعية مستخدما الأساليب المنهجية ذاتها .[١]

وتقوم هذه النظرية السوسيولوجية الوضعية على مسلمة مؤداها أن علم الاجتماع ينبغي أن يدرس كعلم طبيعي ، و يطبق عليه مناهج البحث التي تطبق في علوم الطبيعة.

ويعتـــبر سان سيمون أول من استخدم مصطلح ((الوضعية)) والذي يشير به إلى منهج علمي يمتد ليشمل الفلسفة أيضا، و تقوم الوضعية على مبدأ أن العلم هو المصدر الصادق والوحيد للمعرّفة والحقائق ، وتـــتخذ الوضعية موقفا عدائيا من الدين، ولهذا فهي تنكر كل جوهر يذهب وراء حقائق العلم وقوانينه، وتـــرفض أي نوع من الميتافيزيقيا، واستبدلت الدين المعروف بدين وضعي كما وضعت أخلاقا وسياسة وضعية .[٢] وقد وصف الشيخ مصطفى صبري هذه الفلسفة بالفلسفة الوضعية (الاثباتية) الإلحادية [٣].

وقد لخص محمود الحجازي الظروف الاجتماعية لظهور النظرية العضوية كالآتي:

١. الظروف الاجتماعية، الثورة السياسية، الانهيار الاجتماعي، النمو الصناعي.

٢. حالة المعرّفة: المذهب الطبيعي ، المذهب العقلي، فكرة التطور الاجتماعي، الوضعية.

٣. الظروف الحياتية: من الشريحة العليا الاقتصادية الاجتماعية، ثقافة عصر التنوير، جامعيون.[٤]

وأما رواد هذه النظرية فهم (أوجست كونت، وهربرت سبنسر، وأميل دوركهايم) ، حيث يعد (أوجست كونت) من رواد هذه النظرية التي حاولت التوفيق بين الاتجاه العضوي والاتجاه الوضعي في علم الاجتماع، والتي حاول من خلالها دراسة الظواهر الاجتماعية وفق المنهج العلمي .

1 – حكمت الأعرابي، المرجع السابق ، ص ص ٦٤-٦٥

2 – أحمد خضر؛ اعترافات علماء الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٧٦

3 – مصطفى صبري موقف العقل و العلم والعالم من رب العالمين دار إحياء التراث العربي – بيروت .ص ١٤٨

4 – محمد فؤاد الحجازي ، النظريات الاجتماعية ، مكتبة وهبة – مصر – ط الأولى ١٤..هـــ – ١٩٨٠م ، ص٤٦

وهــذه النظــرية قائمة على النظرية التطورية الداروينية وقد ثبت في الغرب فشلها وإبطال جميع مسلماتها وفروضها ، وتخلت عنها الدراسات الاجتماعية إلى غيرها من النظريات التالية لها لما تحمله هذه النظرية من ثغرات.

ومــن الملاحظ على هذه النظرية، أخذها بأن التطور من حال إلى حال - صعودا وهبوطا كما هو شــأنها - مسألة ميكانيكية بحتة، لا تحكمه غاية، ولا يسعى نحو تحقيق خطة مرسومة من خارج الكائن الحي، وهذا نوع من التحكم باسم العلم، وقد انتهى بعض الباحثين المحدثين أمثال ((وآيت هيد و هولدن وسوليفان — إلى أن نظرية الانتقاء الطبيعي مليئة بالفجوات عندما تدرس بالتفصيل، أننا نحتاج إلى مجهود عظـيم حتى نستطيع الاعتماد — ولو مؤقتا — بأن جميع التطورات التي حدثت للكائنات الحية على ظهر هذا الكوكب جاءت لتغيرات عشوائية، و للصراع من أجل البقاء، وإن النظرية لا تفسر — ولو من جانب بعــيد- أكثر الحقائق وضوحا فيما يتعلق بالعملية كلها، أي اتجاه الكائنات الحية نحو الارتقاء ، فلو أن مجرد البقاء كان المطلب الوحيد فإن نوعا من الحياة البدائية يبدو لنا كافيا ليفي بالغرض.))[١]

وبناء على ما سبق من ملاحظات علمية وجهة إلى النظرية الوضعية فان هناك بعض الملاحظات من الوجهة الإسلامية لها ومنها :

١- أن النظرية الوضعية أنكرت البعد الغيبي وتجاهلت التفسير الديني لبعض قضايا الاجتماع البشــري مــثل اصــل الإنسان ن وتأثير الدين على السلوك البشري وكذلك حاولت النظــرية الوضعية أن توجد لها دورا يوازي التفسير الديني وجعلتها وحدها التي تستطيع تفسير واختزال الحقيقة الإنسانية في حدودها المادية والغيبية

٢- إنكــار الجانب الأخلاقي في دراسة الظواهر الاجتماعية ، وأن جميع القضايا ذات النسق الأخلاقي أو الغيبي أو الديني ليست لها قيمة حقيقية .

٣- أصبحت النظرية الوضعية هي المرجعية للباحث الاجتماعي وخلفيته العقائدية ومنطلقاته المنهجية ، مما يترتب على ذلك أن الباحث الاجتماعي المتشبع بالمنهجية الوضعية لا يفرق بين الظاهرة الطبيعية الحسية القابلة للملاحظة و الاختزال المباشر وبين الظاهرة الاجتماعية اللادينية والأخلاقية ذات الطابع المخالف للظواهر الطبيعية .

٤- دراســة الطبيعة الإنسانية في جانبها المادي وتجاهل أو إنكار الجانب الروحي كالعاطفة الدينية والسمو الروحي والقيم وكل ما لا يخضع للقياس الكمي .

1 - محمد عبد الستار نصار، كيف نوجه العلوم نحو الإسلام - مؤتمر التوجيه الإسلامي، القاهرة — ١٤١٣هـــ ص ١٩٣

٥- تفسير كل سلوك إنساني بأنه صادر عن طلب عضوي وليس هناك مكاننا للشعور الأخلاقي والدوافع النبيلة مثل الآثار والنجدة والعفو وغيرها من مكارم الأخلاق التي تحث عليها الأديان السماوية .

٦- إخضاع الدين ونصوص الوحي لبحث والدراسة كظاهرة اجتماعية أنتجها المجتمع لسد بعض العجز أو الحاجة وان الدين ليس إلا نظام اجتماعي و تنكر النظرية الوضعية الوحي والألوهية .

٧- نصب علماء الاجتماع أنفسهم كهنة للدين الجديد ((الوضعية)) وعدوا أنفسهم القادرين على الإشراف على الحياة الفكرية والأخلاقية وتسيير الأمور الاجتماعية في ظل النظام الجديد وفقّ طريقة عملية تحكم حركات وسكنات المجتمعات الإنسانية ، ومثل هذه النظرة تكررت على لسان سان سيمون و أوجست كونت و دوركهايم في تبشيرهم بالوضعية الجديدة.([1])

٨- أكدت نصوص القران الكريم حاجة الإنسان الدائمة إلى التوجيه الرباني وبعث الرسل مبشرين ومنذرين وهادين للناس لما فيه صلاح دنياهم وأخرتهم .

٩- حاولت النظرية الوضعية إنكار القيم المطلقة والأخلاق واستبدلتها بالنسبية وان الواقع الاجتماعي في تغير وصيرورة دائمين وان ليس هناك سوى حقائق نسبية مرتبطة بظروف الوسط الاجتماعي .

١٠- أكدت الأديان أن الطبيعة الإنسانية الفردية والاجتماعية تظل دائمة وفي جميع العصور والأمكنة وأنها معروفة معرفة كاملة إلى درجة يستطيع الإنسان أن يحدد قواعد السلوك التي تناسبها على اكمل وجه وفي كل الظروف وكل المذاهب الأخلاقية تفترض هذا المبدأ.([2]) وهذا ما تؤكده دائما بان الأخلاق الإسلامية والتشريع الإسلامي صالح لكل زمان ومكان ، لأنه وضع من لدن المولى عز وجل وهو العارف بطبيعة النفس البشرية وبمقومات الثبات فيها ولهذا نجد الأحكام تمتاز بالثبات المطلق وقابلية التطبيق على جميع أفراد المجتمع الإنساني .

[1]- علياء شكري ، علم الاجتماع الفرنسي ، مرجع سابق ص١٠

[2] – ليفي بريل ، الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية ، مرجع سابق ،ص١٢٨

١١- النظـرية الوضعية تنكر المثال العام ((الإنسان القدوة مثلا)) الذي يمكن أن يضعه المجتمع صورة يسعى إلى تحقيقها أو التحاكم إليها .

١٢- رفضـت النظـرية الوضعية الدراسات والأبحاث القيمية علما أن هذه الدراسات هي ما يسـاعد المجـتمعات الإنسانية على تجاوز الأزمات وتعطي الدراسات الاجتماعية قابلية التطبـيق والاسـتفادة مـن نتائجها، كما أن هذه الدراسات القيمية تعطي المجتمعات والظواهر الاجتماعية خصوصيتها والتفسير المنطقي لنتائجها .

١٣- النظـرية الوضـعية تعزز النظرة الإلحادية حتى قيل في ذلك أن الإلحاد والوثنية خاصيتان شـكلتا المضمون الأساسي للفكر الغربي وهذا تفسير للعداء الدائم للدين الإسلامي من لـدى الغـربيين عموما والمتأثرين بهم وعلماء الاجتماع خصوصا ، كما تفسر اهتمام الغـرب بمظاهر الشرك وتقديسهم لها ((كتماثيل والمعابد القديمة)) و التصورات الوثنية لدى الإغريق والرومان .

ب- النظرية الوظيفية:

((بدأ الاتجاه الوظيفي البنائي في الانتشار في أوربا وأمريكا خلال النصف الأول من القرن العشرين ، و أعلـن سيادته على الفكر الاجتماعي التربوي في كثير من دول العالم ٠٠ويهتم الاتجاه الوظيفي البنائي بالبحث في أن كل مجتمع يتكون من مجموعة أجزاء أو عناصر مختلفة نتيجة لا اختلافها في العمر آو النوع آو العرق ، آو القوة الجسمية ، آو الحكمة ، آو الخلفية الأسرية ، آو الثروة ، ٠٠))([1])

تهـدف النظرية الوظيفية البنائية إلى محاولة تفسير السلوك الاجتماعي بالرجوع إلى تأثير النتائج التي يحققهـا هذا السلوك في عمل سلوك اجتماعي آخر، أو بالنسبة لأداء نظام اجتماعي ما، أو ما تحققه هذه النتائج بالنسبة لما يقوم به المجتمع كله [٢] .

ويلاحـظ أن النظرية الوظيفية تعتمد في أصولها التاريخية على النظرية الوضعية، التي حاولت تفسير المجتمع الإنساني، و وظائفه عن طريق مقارنته بالتطورات الطبيعية للكائنات الحية، وتركز النظرية الوضعية علـى الـنظام العـام الذي يسود المجتمع القائم على الوئام والانسجام بين أعضاء المجتمع - التوازن بين المجتمعات و التضامن الاجتماعي - فهذه النظرية تنكر أن يكون هناك علاقة صراع بين أعضاء المجتمع .

---

[1]- علي الشخيبي، علم اجتماع التربية المعاصر، مرجع سابق ، ص٥٤

2 - حكمت العرابي - النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ١,٣

وتهـتم هذه المدرسة بالبحث في أن كل مجتمع يتكون من مجموعة أجزاء أو عناصر مختلفة ، نتيجة لاختـلافها في العمر، أو النوع، أو العرق، أو القوة الجسمية أو الحكمة أو الخلفية الأسرية، أو الثروة، أو العضوية، في المنظمات أو المؤسسات، أو التخصص الاقتصادي، وأن العلاقة بين هذه العناصر أو الأجزاء قائمة على الاتساق والتماسك والتعاون والتبادل والثبات والمثابرة، وأن التكاملية هي الخاصية السائدة بين هذه العناصر و الأجزاء نتيجة للتشابه بينها في الاهتمامات وحاجة كل منها إلى الآخر لتحقيق أهدافه أو إشباع ميوله وحاجاته .

ولقد هيمن الاتجاه الوظيفي على إنتاج كثير من علماء اجتماع التربية يقول شبل بدران وزميله عن هذا الاتجاه ((ونعني بالاتجاه الوظيفي ذلك الاتجاه الذي يشمل النظريات آلاتية : النظرية البنائية الوظيفية ، ونظرية راس المال البشري ، ونظرية التطور، وتحليل النظم ٠٠ وقد هيمن هذا الاتجاه الوظيفي على علم اجتماع التربية هيمنة كاملة)) ([1])

إذن النظـرية الاجتماعـية الوظيفـية البنائـية تحلل الكائن الاجتماعي – أي المجتمع والمؤسسات الاجتماعية – ككائن حي متكامل ومتفاعل مع غيره من الكائنات الاجتماعية ، وقد بدأ أصحاب هذه النظرية بدراسة طبيعة وأثر المنظمات الاجتماعية على تصرفات الإنسان وسلوكه .

((وكـان أوجست كونت من بين أولئك الذين نظروا إلى المجتمع على أنه يمثل الأنساق الحية . أما هربـرت سبنسـر فكان أكثر وضوحا من كونت، لأنه درس بجدية كلا من الكائن العضوي والمجتمع ، وذهـب إلى أن بينهما الكثير من التشابه ...و كان دوركهايم قد أضاف إلى هذا التحليل مجموعة أخرى من الاستبصارات الهامة أهمها أن المجتمع يجسده فكرة النسق في الحقيقة))[٢]

ومن المفاهيم السائدة في المدرسة الوظيفية ما يلي:

١– البنية والوظيفة: وهي تشير إلى أن المجتمع كالعضو البيولوجي يتكون من مجموعة من الأجهزة والعناصر، لكل منها وظيفة محددة يؤديها من خلال تفاعله مع غيره من العناصر والأجهزة.

٢– التكاملية: وتعني أن هذه العناصر أو الأجهزة تعمل في تكامل ؛ حيث يكمل كل عنصر منها وظائف العنصر الآخر ويؤثر فيها ويتأثر بها .

٣– الثبات: ويشير إلى أنه لا يوجد مجتمع ثابت، وأن التغير حتى ولو في جزء من المجتمع ضرورة حتمية .

---

[1] – شبل بدران ،حسن البلاوي – علم اجتماع التربية المعاصر ، مرجع سابق ،ص ١٨

2 – غريب سيد أحمد، عبد الباسط عبد المعطي، المدخل إلى علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص١٢٨

٤- التماســك: ويشير إلى أن كل مجتمع أيا كان ، بسيطاً أو مركباً، بدائياً أو متقدماً، فحكمة الافتراضات المشتركة كالعقائد و القيم والمبادئ العامة التي تحافظ على تماسكه و استمراريته، والتي بدونها يستحيل أن يكون هناك مجتمع .

٥- لوم الضحية: يرى أنصار هذا الاتجاه أن المجتمع أو النظام هو الموجود قبل ظهور الفرد الذي يولد فيه ، وأن العلاقة بينهما يجب أن تكون إيجابية ، و أن أي مشكلة تقع بين الفرد والمجتمع أو الــنظام فإن سببها يعود إلى الفرد لا المجتمع، وإذا خرج الفرد (انحرف) عن المجتمع فإن وظيفة النظام أن يعيده إلى مظلة المجتمع عن طريق العقاب والجزاءات . (١)

((وينظــر التصور البنائي الوظيفي عند بارسونز للواقع الاجتماعي باعتباره نسقا تتكون من أجزاء ويتميز بسمتين أساسيين أولهما: إن هناك اعتماداً متبادلاً بين الأجزاء التي يتكون منها النسق، وثانيهم: إن النسق يحافظ على ذاته فإذا ما أصابه تغيرٌ عاد إلى حالة توازنه الأولى)) (٢)

ويشير ((جاي روشر)) إلى أن: ((هناك الوظيفية المطلقة، و هناك الوظيفية النسبية ، وهناك الوظيفية البنائية، وهناك الوظيفية الكبرى، و الوظيفية الصغرى ... كل هذا في إطار مدرسة واحدة ضمن عدة مدارس متصارعة كالوظيفية والتحليلية و الرمزية والتفاعلية والتبادلية و الصراعية و الظاهرية)) (٣)

أضف إلى ذلك ، انه قد تبنى بعض الباحثين في علم اجتماع التربية بعض الاتجاهات النظرية الأخرى التي تستمد جذورها من النظريات السابقة في معالجة النظم التربوية في المجتمعات ، ومن أهمها نظرية التربية والتدرج الاجتماعي ، ونظرية النظم ، ونظرية التربية والتغير الاجتماعي ،والنظرية الأساسية في التغير الأكاديمي .(4)

ومن لمآخذ التي تنسب إلى الاتجاه الوظيفي البنائي في علم اجتماع التربية ما يلي(5) :

١- أن النظام الاجتماعي ليس فقط كياناً قائماً بذاته كما يرى أنصاره ، وهذه نظرة ميتافيزقية ، بل إن له العقل وإرادة .

1 - علي الشخيبي، علم اجتماع التربية المعاصر، مرجع سابق ، ص ص ٥٥-٥٦

2 - غريب سيد أحمد، وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص١١٢

3 - نبــيل السمالوطي، التوجيه الإسلامي وصراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية –مصر – ط الأولى –١٩٩٦م. ص٨٢

4- عبد الله الثبيتي ، علم لجتماع التربية ، مرجع سابق ،صص١١١-١١٢

5- باسمة خالد المسلم ، علم اجتماع التربية والتنمية ؛ مرجع سابق ،ص٨٧

٢- يبالغ أنصار هذا الاتجاه في دور التكنولوجيا ويقللون من دور الصراعات الأيدلوجية والثقافية في التغير الاجتماعي .

٣- تأكيد أنصار هذا الاتجاه على عمليات الاختيار والتدريب التقني في المدرسة أدى إلى إهمال مضمون العملية التربوية بوجه عام ، والعملية التعليمية بوجه خاص .

٤- يبالغ أنصار هذا الاتجاه في الاهتمام باستقرار ووحدة وانسجام النظم الاجتماعية ، وإهمال التغير وانعكاساته على النظم والمؤسسات الاجتماعية ومسؤولياتها في المجتمع .

والنقد الذي قد يوجه إلى النظرية الوظيفية هو نفس النقد الذي وجه إلى النظرية الوضعية عموما ، حيث أن النظرية الوظيفية امتدادا طبيعيا وتاريخيا للنظرية الوضعية وأنها خرجت من رحمها ، وهي منبثقة منها ، ولكن النظرية الوظيفية نظرة إلى المجتمع الإنساني بمؤسساته الاجتماعية على أنه كائن عضوي متكامل ومتفاعل مع غيره من الكائنات الاجتماعية ، وهذه النظرية وأصحابها متأثرين بالمدرسة الداروينية وخاصة ((هربرت سبنسر)) حيث كان عالم حيوان وتأثر بالدراسات الحيوانية ، ثم نقل هذه النظرية إلى الدراسات الاجتماعية البشرية ، ولهذا فكل النقد الذي وجه إلى النظرية الداروينية ((التطورية)) و ما بها من خلال وفجوات يوجه إلى النظرية الوظيفية في علم الاجتماع

ج – نظرية الصراع:

لم تستطع النظرية الوظيفية أن تصمد أمام نقد بعض علماء الاجتماع المعاصرين وخاصة أثناء الخمسينات من القرن العشرين، إذ ظهرت الرغبة في التخلص النظري من خطايا الماضي والبحث عن حلول جديدة للظواهر الاجتماعية الحديثة، و بدلا من التصور الخيالي (الوظيفي) الذي يدعي أن النظم الموجودة في حالة توازن، والتي يكذبها الواقع، كما أن حالة الفوضى والتغيير التي أصابت كثيراً من المجتمعات الإنسانية، مما خلق حالة من الصراع والفوضى والانحراف، واستغلال بعض الجماعات لجماعات أخرى، وكذلك نقص بعض الموارد أو شحها مما خلق حالة من الصراع يجب الوقوف على دراستها وتحليها.([1])

يقول علي الشخيبي عن أنصار هذه النظرية أو الاتجاه انه يطلق عليهم أصحاب ((الاتجاه المناهض أو المعارض أو اتجاه الصراع أو الاتجاه النقدي ويشمل كلا من الماركسيين الجدد الذين ترجع أصولهم التاريخية إلى كار ماركس ..ومن المتفق عليه أن كثيرا من زعماء الاتجاه الردكالي بدأ حياتهم الفكرية

[1]-انظر في ذلك : حمدي على ، مقدمة في علم اجتماع التربية ،فصف الاتجاه الماركسي التعليم : وإعادة الانتاج ،ص ص ١٤٩-١٧٠

داخل إطار علم اجتماع التربية التقليدي باتجاه الوظيفي البنائي ، وتتلمذوا على أيدي علمائه وتأثروا بهم ..ويتـزعم هـذا الاتجاه عدد كبير من المفكرين والباحثين في مجال علم اجتماع التربية ومنهم بولز ، وجينتس ، وكارنوى وايلتيش ..)) ([1])

ولهـذا ظهرت نظرية الصراع التي تحاول تفسير هذه الحالات المتناقضة بأن الصراع جزء من الكيان الاجتماعي، إذ يرى (دافيد لو كورد) وهو من أنصار نظرية الصراع:

((إن وجود آليات في المجتمعات تجعل الصراع حتما لا مفر منه وعنيفا كذلك في نفس الوقت فعلى سبيل المثال إن العوامل المتعلقة بالتفاوت والتفاضل في القوة داخل المجتمع تؤكد استغلال بعض الجماعات لجماعات أخرى وفي نفس الوقت تعمل على تكوين مصدر كامن ومبيت للتوتر والصراع داخل الأنساق الاجتماعية، وكذلك الأمر بالنسبة لنقص الموارد أو شحها في المجتمعات فإنه سيؤدي إلى الصراع على توزيع تلك الموارد، و أخيرا فإنه حقيقة أن جماعات المصالح المختلفة في الأنساق الاجتماعية تسعى وراء تحقيق أهداف مختلفة ، لا بد وأن يحدث صراع بين بعضها البعض ، فالصراع على المصالح بينها أمر حتمي.)) [٢].

ومن المنظور التاريخي فإن فكرة الصراع قديمة ، فهي أساسا مستوحاة من أعمال المفكرين الألمانيين (كار ماركس وجورج زيمل) اللذان اعتبرا الصراع سمة أساسية وحتمية للنظم الاجتماعية [٣].

وقـد نضـيف إلى هـذين المصـدرين مصادر أخرى أفرزت مفهوم الصراع وروجته كأعمال (مكيافيللي، وهوبز، دارون، وهيوم) الذين بنوا كثيرا من تصوراتهم وتحليلاتهم على عقيدة الصراع والقوة وقد استقى بعضهم من بعض- اللاحق من السابق- وما زالت هذه الأفكار تغذي كثيرا من الباحثين في كثير من المجالات الاجتماعية .

ولهـذا ظهـرت نظرية الصراع لتضيف مجالا واقعيا في الفكر الاجتماعي وهي التي اتخذت مفهوم الصراع كمدخل لتفسير بعض الظواهر الاجتماعية التي عجزت عن فهمها و تحليلها النظريات السابقة ، بل واستبدلت بعض المصطلحات التي كانت سائدة سابقا لدى الوظيفيين ، كالإنسانية والمجتمع وأظهرت بدلا منها مصطلحات الجماعات الخاصة ، والجماعات المعادية لها ، ومصطلحات التغيير بالقوة ، والصراع الطبقي ، وشح الموارد الطبيعية ، وغيرها من مصطلحات نظرية الصراع .

[1]– علي الشخيبي، علم اجتماع التربية المعاصر، مرجع سابق ، ص ص٥٦-٥٧

2 – عدلي أبو طاحون، في النظريات الاجتماعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧٣-٢٧٤

3 – عدلي أبو طاحون، المرجع السابق ص ٣٫٩

((وهذا النوع من النظريات يهتم بالظروف الاجتماعية التي في ظلها ينبعث الصراع، كما تهتم بالخواص السيولوجية للسيادة في المراحل المختلفة للتطور، مثل هذه النظرية تقدم محاولة هامة لعمل تحليل ديناميكي للصراع والسيادة في المجتمعات المعاصرة، مستخدمة في ذلك الأفكار المبكرة عن الصراع .))[1].

ويرى معن خليل أن نظرية الصراع تشتمل على صور عديدة من الصراعات المسالمة التي لا يدخل فيها العنف والكراهية حيث إن نظرية الصراع ((تفترض أشكالا عديدة من الصراعات منها: التنافس الذي يصف الصراع حول السيطرة على المصادر والمنافع والغائب المنتفعة عند الآخرين . وفي هذا الشكل الصراعي لا يتضمن العنف الجسدي الحقيقي و لا يستخدم فيه . وهناك المنافسات المنتظمة التي تمثل أحد أنواع الصراع السلمي الذي تم حله ضمن الإطار القانوني المتفق عليه)) [٢]

ومن أهم المبادئ التي تقوم عليها نظرية الصراع هي:

١) أن المجتمع ينطوي على صراع و تناقض بين قواه الاجتماعية .

٢) أن التغيير يحدث دائما، كنتاج للتناقضات والصراعات .

٣) أن أي قوىً اجتماعية مسيطرة في المجتمع تحاول دائما أن تفرض مصلحتها وأسلوب حياتها على بقية القوى الاجتماعية في المجتمع، حتى تحقق لها عوامل السيطرة والاستغلال.

٤) أن التربية هي مؤسسة اجتماعية تعكس الأوضاع القائمة في المجتمع .

٥) أن المدارس شكلت بطريقة تحقق في النهاية الحفاظ على الهيمنة المسيطرة في المجتمع.[٣]

ومن المعلوم أن هذه النظريات السابقة تنبثق منها النظريات التي تسيطر على دراسات علم اجتماع التربية ولهذا تعددت الدراسات في هذا العلم ويؤكد ذلك حمدي علي فيقول :

١- ((وعليه تعددت وتنوعت الدراسات بتعدد الاتجاهات والرؤى كل منها تحاول فهم طبيعة الـــنظام في ضوء القضايا والمفاهيم التي تستند إليها ، وكان من نتيجة ذلك التنوع إن برزت ضرورة تصنيف تلك الاتجاهات النظرية ، ففي محاولة قام بها كل من (كارابل و هالس) ... لتصنيف تلك الدراسات في علم اجتماع التربية تحت ((أربع)) تصنيفات رئيسة : تضم المجموعة الأولى تلك الدراسات التي تتسم بالترعة ((امبريقية منهجية))...اما المجموعة الثانية : فشملت تلـــك الدراســـات التي انطلقت مم النظريات الوظيفية ..أما المجموعة الثالثة :فتضم نظريات

---

1 – محمد حجازي، النظريات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٤٣

2 – معن خليل ، معجم علم الاجتماع ، مرجع سابق، ،ص١٦٧

3 – شبل بدران، حسن البلاوي، علم اجتماع التربية المعاصر، دار المعرفة الجامعية – مصر ط الثانية ٢...م.ص ٦٧

الصراع ، وتلك النظريات التي انطلقت من منظور ماركسي ٠٠أما المجموعة الرابعة : فهي تلك التي استندت إلى المفاهيم الفينومينولوجية (دراسة المدرسة من الداخل)٠))([1])

ونظـــرية الصـــراع يوجه لها من النقد كل ما وجه للنظريات السابقة إذا جميعها ينطلق من مشكاة واحـــدة هـــي الموضوعية زد على ذلك اعتماد نظرية الصراع على التفسير المادي والاقتصادي و التركيز علة نظرية الصراع والتي سبق وان تكلمنا عنها ٠

د- تناقض نظريات العلوم الاجتماعية الغربية

تدعي علوم الاجتماعية الغربية العلمية والمنهجية الموضعية ، ولو أننا ألقينا نظرة على علم الاجتماع (الماركســـي) ونظـــرته إلى المنهجية العلمية الغربية (الرأسمالية) في علم الاجتماع ووصفه لها بأنها غير علمية وأنها مجموعة من الأساطير إذ يقول:

((علماء الاجتماع الماركسيون)) عن النظريات التي تتقاسم الأدوار في علم الاجتماع الرأسمالي بأن شـــدة اخـــتلافها وكثـــرة تناقضها دليل على عدم علميتها ، ويقول ((اوسيبوف)) – عالم الاجتماع الماركســـي — عـــن نظـــريات الغرب بأنها علم الأساطير الاجتماعي وأنها لا ترقى إلى صياغة القوانين الاجتماعية لدى الماركسيين السوفيت.

وهـــذا دليل آخر على تناقض علم الاجتماع الغربي وحتى الشرقي أنهم لم يتفقوا على منهج علمي موحد لدراسة علم الاجتماع الإنساني.

كما نجد المدارس الغربية (الرأسمالية) تهاجم الماركسيين وتنتقد منهجهم بشدة ، فلقد أصدر عالم الاجـــتماع (باريـــتو) كتابه عن المذاهب الاشتراكية ووصفها بأنها نزعات ومذاهب غير علمية ، لأنها تخاطب العاطفة أكثر مما تخاطب العقل .[٢]

ولعلنا نعرض بعض أسباب تناقضات نظريات علم الاجتماع:

أ- **عدم الاتفاق على إطار مرجعي موحد:** الحضارة الغربية تعاني من التشتت الذي تعيشه على كل القـــنوات وكثرة الفلسفات التي تعيش حالة من التناقض الرهيب والخواء الروحي والأخلاقي يقول (كـــارل مانهايم) ((لقد حصل تصدع هائل في المنطلقات الفكرية الغربية بعد أن تولت- غربت – الرؤية الدينية والتي فتحت الطريق أمام التيارات الذاتية والنزعات الشخصية))[٣]

1- حمدي علي احمد ، مقدمة في علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ،ص ص١١٩-١٢٠

2 – انظر، محمد على محمد – علم الاجتماع والمنهج العلمي دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ط٣-ص٨٦.

3 – محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي، مرجع سابق ، ص١٢. _ و عماد الدين خليل، شيء عن الفكر الوضعي، مجلة المسلم المعاصر، عدد٣٩، عام ١٤،٤ هـــ، ص٦

ب- **التفسير الأحادي**: يرى كل عالم اجتماع غربي أنه هو وحده الذي لديه القدرة والمنهج على تفسير الواقع وهو المقياس الأفضل للحقائق ويرى إن ما يعتقده ويصل إليه هو الحقيقة لا غيرها ، فتجد كل منها يدعى إن الحقيقة معه وأن نتائجه لا تقبل الجدل كما ادعى ذلك (دوركهايم) وهناك بعض المفكرين تحيز إلى آرائه وأفكاره إذ ليجعل لنفسه المرجعية الوحيدة المقبولة.

كما أن علم الاجتماعي الغربي ينطلق من منظور أحادي للمعرّفة وهذه المعرّفة ((تعتمد على مصدر واحد يتمثل بكل ما هو محسوس أو تجريبي، وبما يرتبط بالحس والتجربة من تفكير عقلاني، وهذا هو المنظور المادي الذي اتخذته المنهجية المعرّفية الغربية أساسا في تفسير الظواهر و معرّفة الحقيقة. وقد تشكل هذا المنظور عبر ظروف تاريخية واجتماعية شاعت بفعلها المدرسة ((العقلية)) التي تعتبر التفكير العقلي أساس المعرّفة والمصدر الوحيد الذي يقود إلى فهم الطبيعة والإنسان والمجتمع، وساعد على اكتشاف قوانينها، بعيدا عن أي منطق غيبي أو رؤية ميتافيزيقية .))[1]

ج- **تضخيم النتائج**: يقول عماد الدين خليل: ((لقد شهدت العلوم الإنسانية صفة الانفراد والذاتية والادعاء والتضخيم .. ولذا لم تستطع أن تقدم للإنسان عشر معشار ما قدمته العلوم النظرية والتطبيقية ولهذا أيضا آلت إلى الفشل والسقوط الواحدة تلو الأخرى..))[2]

ولعل هذا واضح على نظريات علم الاجتماع ، حيث نجد هناك اختلافات حادة بين العاملين فيها وتناقض صارخ بين النظريات الداعين إليها كما إننا نجد الانقسام واضح بين أنصار الاتجاه الواحد.

وأما دعوا التضخيم و تكييل المديح أو ادعوا الأفضلية فهذا واضح عند معظم علماء الاجتماع فتجد الماركسيين ينسبون كل المنهجية العلمية والموضوعية في المشروع الماركسي بينما نرى أصحاب الاتجاه الرأسمالي يصمون الماركسيين بأصحاب العواطف ، بينما الغربيون هم العقليون والمنطقيون في أسلوبهم العلمي.

---

1 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، ، مرجع سابق ، ص٣.

2 – عماد الدين خليل – شيء عن الفكر الوضعي – ، مرجع سابق ، ص٦

المبحث الثالث

المصادر الفكرية لعلم اجتماع التربية

أولا: مسلمات ومصادر علم اجتماع التربية :

هـناك حقـيقة تعمم على كل معرّفة أو علم ؛ بأنها تعتمد في آرائها النظرية والمنهجية على الإطار الفكـري المحيط بها منذ ولادتها وخلال تطورها، لا تنفك عن ذلك، وهذه هي طبيعة الفكر الإنساني إذ يخضع للظروف و العوامل البيئية المختلفة التي ولد فيها.

وقـد تخضع هذه النظريات إلى مناهج فكرية مختلفة ولكنها في مضمونها مناهج بشرية قابلة للأخذ والرد فلا يمكن أن تعتبر آراؤها ونتائجها مطلقة القبول، ومن هنا فإن علم الاجتماع يخضع لمصادر فكرية، وفلسفية، وتاريخية تؤثر فيه وفي أبحاثه وتوجهاته، ومنها أربعة أصول فكرية تتمثل في ((الفلسفة السياسية، وفلسـفة التاريخ، والنظريات البيولوجية في التطور، والحركات التي قامت تنادي بالإصلاح الاجتماعي والسياسي، ووجدت أنه من الضروري أن تجري لهذا الغرض دراسات مسحية للظروف الاجتماعية)) [١]

فمـن قـبل فلسفة التاريخ والتي كان لها التأثير الأكبر ؛ حيث قدمت لعلم الاجتماع أفكار النمو والتقدم ، و مفاهيم المراحل التاريخية، و الأنماط الاجتماعية، ومن قبل المسح الاجتماعي أيضا، الذي قدم لعلـم الاجتماع إمكانية دراسة الشؤون الإنسانية بمناهج العلوم الطبيعية – فالظواهر الإنسانية أيضا يمكن تصنيفها وقياسها – وإمكانية إصلاح المجتمع، حيث اهتمت المسوح الاجتماعية بمشكلة الفقر، انطلاقا من أنها مشكلة نتجت عن الجهل الإنساني أو الاستغلال [٢]

وحـيث إن علم اجتماع التربية فرع من فروع علم الاجتماع العام، فإنه من المؤكد أن يتأثر هذا الفـرع بالمفاهيم السائدة في الأصل الذي تفرع منه، ولهذا يرى الباحث أن من المفيد التعرّف على بعض المفاهـيم العامة ، التي تتعلق بمصادر ومسلمات علم الاجتماع العام والقضايا الاجتماعية التي بنيت على هذه المفاهيم .

---

1 – بوتومور، تمهيد علم الاجتماع، – ترجمة محمد الجوهري و آخرين – دار المعارف – ط السادسة ١٩٨٣م. ص ٣٢

2 – منصور زويد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥-٢٦

ومـــن المعلوم أن هناك مسلمات فكرية ينطلق منها المفكرين الغربيين ، وأن هذه المسلمات تتحكم في تصـــوراته الفكـــرية للوجـــود من حولهم ، وعلى ضوء هذه المسلمات يفسر علماء الاجتماع الغربي العلاقات الاجتماعية ويربطون جميع قوانين علم الاجتماع بهذه المسلمات.

((ومـــن المعلوم أن نظريات علم الاجتماع الغربي نمت وتطورت من أصول وقواعد منحرفة عن المنهج الإلهي ، وتصطدم مع الفطرة السوية والمنطق الصحيح ، ولهذا لم تؤد إلا إلى تعثر الخطى))[1]

و لهذا فسوف نعرض لبعض المصادر و المسلمات التي يقف عليها علم اجتماع التربية الحديث .

١- مسلمة إنكار الدين والأخلاق:

يقوم علم اجتماع التربية على إنكار الدين السماوي ويعد التدين ظاهرة اجتماعية اخترعها الإنسان لعجـــزه عـــن سد بعض الحاجات ، أو تفسير بعض الظواهر، وحاجة الإنسان سببها قائم على إحساس الإنســـان بالعجـــز وبحثه عن قوة خارجية تساعده ، ويدعي أن الدين احتاجه الإنسان عندما كان بدائيا وجاهلا لتفسير حقائق الكون من حوله فاستعان بالخيال والأسطورة والدين من أجل خوفه من الطبيعة من حـــوله ، و التوسل إليها بهذه المعتقدات، وأما الآن فإن الإنسان يستطيع أن يتحدى الطبيعة وأن يكتشف قوانينها من أجل تفسيرها و ضبطها والتنبؤ بها ، وأحكام السيطرة عليها وأنه الإله الحقيقي في الكون.

وهذه النظرة التي تليق بالأديان الوضعية والدين الكنسي فأنها تتخطى ذلك إلى الأديان السماوية الصـــحيحة وعلى رأسها الإسلام الذي حفظه الله من كل تحريف أو تبديل ، ومعا هذا نجد جميع علماء اجـــتماع التـــربية العرب يتابعون المنهجية الغربية في تصورها للدين ويتعاملون بها في نظرتهم إلى الدين الإسلامي .

ويـــؤكد أحـــد علماء الاجتماع العرب هذه المسلمة - إنكار الدين - فيقول ((والحق أن علماء الاجتماع يظهرون عداء للدين وأحكامه ؛ الأمر الذي يظهر جليا في نظرياتهم وأحكامهم، حيث اعتبروا أنفسهم ممثلين للعلم الذي يعتبر مضادا للدين - بزعمهم -)) [2]

مفهوم الدين في النظريات الاجتماعية:

يـــزعم (أوجســـت كـــونت) وهـــو أبو علم الاجتماع الحديث أن الفكر في تطوره مر بثلاث مراحل هي:

---

1 - محمد علوان — مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع — دار الشروق — جدة — ط١ ١٤٠٤هـ.ص١٣

2 -محمد عطف غيث ، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، — دار الشروق — جدة — ط١ ١٤٠٤هـ.ص ١٩.-

أ- اللاهوتية (الخرافة): وهي التي تعلل الأشياء بقوى خارقة .

ب- الميتافيزيقية (الدين): وهي التي تعلل الأشياء بمبادئ مجردة.

ج-الوضعية (العلم): وهي التي تعلل الأشياء بالمشاهدة والتجارب المعملية.

ثم يزعم أن الدين من اختراع الإنسان الأول لينسب إليه تفسير الأشياء الخارقة التي تخرج عن إرادته ولا يستطيع التحكم فيها أو دفعها .

ويرى كونت أن تعاليم الأديان يمكن تلخيصها في معتقدين: (الله و الخلود) والدين الوضعي يعمد إلى اختيار المضمون الوضعي لهذين المعتقدين (فالمضمون الوضعي يعمد لفكرة الألوهية وهو ((فكرة موجود كلي عظيم أزلي تتصل به نفوس العباد فيضفي عليها القدرة على قمع ميولهم الأنانية المتنافرة ...)) والمضمون الوضعي للخلود هو ((فكرة مشاركة أهل الحق والعدل ... في جانب الحياة الأزلية للموجود الإلهي)) ومن هذين المضمونين يستخلص كونت فكرة واحدة شاملة هي ((الإنسانية)) فالإنسانية هي فكرة الوضعية المتطورة لفكرتي الله والخلود اللتين كانت البشرية تدين بهما في المرحلة الثانية. و يعتقد كونت أن الإنسانية إذا فهمت على هذه النحو، فإنها هي تكون نفسها الإله الذي ينشده الناس، أي الموجود الحق العظيم الأزلي الذي يتصلون به اتصالا مباشرا، ويستمدون منه الوجود والحركة و الحياة . (١)

وبهذا يصل كونت إلى هدفه الحقيقي وهو إلغاء العقائد الدينية والغيبية و ما يتعلق بها من أخلاق وقيم ونظم اجتماعية، واستبدالها بالإله الوضعي ((الإنسانية)) ، الذي حدد كونت معالمه وطقوسه ، وهذه العقيدة التي كان يبشر بها ويدعو إلى ترك المسيحية ، والأخذ بالدين الجديد الذي تنبأ به .

أما تلميذه إميل دوركهايم (اليهودي الفرنسي) فهو يهدم الدين والأخلاق من الجذور ، وقد عرضنا لبعض أفكاره سابقا وهو الذي أخرج فكرة (ألوهية المجتمع) .

ويعرّف دوركهايم الدين فيقول ((أن الدين عبارة عن نظام متضامن من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدسات - أي المنفصلة والممنوعة- و إن هذه المعتقدات والممارسات توحد جميع من يعتنقها في مجتمع معنوي واحد يسمى الكنيسة)) (٢) إذن الدين هو تجربة المقدسات، فلا يمكن بالتالي تفريقه عن

1 - سفر الحوالي، العَلْمانية، جامعة أم القرى -مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مطابع جامعة أم القرى ص ص ٣٧٨-٣٧٩

2 - دوركهايم - الأشكال الأولية ص ٦٥ نقلا عن سفر الحوالي - العَلْمانية.

تجـربة الجماعـة كما أن الدين يولد التجمعات مما يزيد من صفته الجماعية، وهذا ما يفرقه عن السحر حسب دوركهايم .[١]

ومن أفكار دوركهايم قوله إن العلم ورث الدين ((إن العلم وحده الذي أعد المفاهيم الأساسية التي تهـيمن على تفكيرنا .. وقبل أن تتكون العلوم كان الدين يقوم بنفس المهمة لأن كل مثيولوجيا تشتمل على تصور مبدئي للإنسان والكون ، وقد كان العلم وريث الدين)) .[٢]

وقد حاول دوركهايم أن يؤكد على وهمية الدين ، وأنه مجرد نتاج اجتماعي لمرحلة الضعف البشري الأولى ، ويعلل ذلك في مؤلفه (قواعد المنهج) بأن:

١. الدين ليس الإلهي لأن فكرة الألوهية – في نظره –ليست إلا تعبيراً عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها ، ويكون الإله فيها رمزاً للدرجة التي توصل إليها لتطوره.
٢. إن الـدين ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض البيئات والمراحل دون أن يكون لهم حرية الاختيار في ذلك .
٣. إن الدين ليس فطريا ومثله الأخلاق والأسرة [٣]
٤. والمذهب الاجتماعي عند دوركهايم: يقوم على إرجاع كل شيء إلى المجتمع بما في ذلك الدين.[٤]

وهـذا أحـد تلاميذه مارسيل موس يصف الدين في كتابه ((الفلسفة الدينية)) بأن الدين ظاهرة اجتماعية ، فيقول في تعريف جوهر الدين:

((في الواقع، ليس من شيءٍ، أو من جوهرٍ يسمى الدين، فما هي إلا ظواهر دينية مجموعةٍ إلى حد ما في أنظمةٍ تسمى الديانات لها وجود تاريخي محدد في مجموعات بشرية ، و حقبات محددة ما تمت برهنته هـنا هو تشابه هذه الظواهر والأنظمة جميعها بما يكفي لإطلاق التسمية ذاتها عليها ، وجعلها موضوع دراسة وحيدة، غير أن نقاط التشابه هذه لا تشكل شيئا بحد ذاته أو مادة قد يكشف جوهرها بالحدس أو يعرّف بالاستنتاج)) [٥]

1 – جـان – بول ويليم، الأديان في علم الاجتماع – ترجمة بسمة بدران – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت – ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م ص٢٦

2 – محمد أمزيان – نقد منهج العلوم الإنسانية ، مرجع سابق ، ص ٢,٣

3 – سفر الحوالي، العَلْمانية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣٨٣-٣٨٥

4 – محمد أمزيان – منهج البحث الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص ٩١-٩٤

5 – جان – بول، الأديان في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٣٣

ومارسـيل موس –اليهودي– هذه أفكاره وجهوده في محاربة الأديان والأخلاق وهذا ديدن علماء اليهود وعداؤهم الواضح للأديان والأخلاق قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة / ٦١)

يقول طه جابر العلواني ((بل جاء بعد ذلك من فسر الدين تفسيرا حسيا مثل ((دوركهايم) الذي فسر التدين بأنه محاولة إنسانية يعبر المتدين بها عن إخلاصه للنظام الاجتماعي .. ومع تطور المعرّفة تطورت حساسـيات العلمـاء الجدد ضد الدين إلى حد أنهم صاروا يحاصرون النظريات التي يمكن أن تؤدي إلى إيحاءات دينية يمكن أن تستخدم لدعم مقولات أو أطروحات دينية في أي مجال)). [١]

وأمـا برجسون (وهو يهودي فرنسي) فقد زعم في كتابه (منبعا الأخلاق والدين) والذي عرض من خلاله أن الدين والأخلاق من وضع (الملكة الوهمية) عند الإنسان ، وهي ملكة تصنع الخرافة ليستفيد منها الإنسان في حياته فيقي نفسه من آثار المخاوف التي يتعرض لها ، ومن ضمن هذه الخرافات (الخرافة الدينية)

وأما هربرت سبنسر فيرى أن ((الأديان تخضع لقانون التطور كما تخضع جميع الظواهر الأخرى)) وكـذلك يـرى أن الدين ما هو إلا مجرد رابطة اجتماعية ((وإذ فقدت هذه النظم بعد التطور الشديد لاعـتقادات الناس و اعتمادهم على هدفها الأول ، فقد ظلت قائمة كرابطة اجتماعية ، وهي صفة بالغة الأهمية خلعها التطور على هذه النظم ، وأصبحت هذه الأديان من الآن فصاعدا تمثل استمرار الجماعات ولذلك كان للأفراد مصلحة عظمى في احترامها)) [٢]

ويلاحـظ أن هربرت سبنسر كغيره من علماء الاجتماع يعطي خياله الحرية في محاولة تفسير أصل الأديان وإنكار الألوهية و النبوة .

آراء بعض علما الاجتماع حول الدين:

١) إرجاع أصل الدين إلى السحر وهذه النظرية لـ (فر يزر) ويؤكد أن أصل نشأة الدين يرجع إلى السحر .

---

1 – طه جابر العلواني – إشكاليات التحيز ص٩ – تحرير عبد الوهاب المسيري ، مرجع سابق ،

2 – بوترو، العلم والدين ، مرجع سابق ، ص ص ٧٨-٧٩

٢) إرجـــاع الدين إلى الأسطورة لـــ (هيبر) حيث يعتقد أن الدين مهما كان عمليا فإن للتفكير المحـــض مكانـــة فيه ، و إخراج الأسطورة من الدين أمر مستحيل في نظره فلا غنى للدين عن الخيال والأساطير فهي تصورات دينية والتصورات الدينية تصورات اجتماعية .

٣) المـــذهب الطبيعـــي عند (ماركس مولر): ويرى أن الدين محاولة أولى قام به الذكاء لتفسير الظواهر الطبيعة.

٤) نظرية عبادة أرواح الموتى عند (سبنسر): تقوم هذه النظرية على أساس عبادة أرواح الأجداد واعتبارها آلهة .

٥) علمـــاء المذهب الماركسي: يعتبرون الدين انعكاسا خياليا ووهميا في رؤوس البشر لتلك القوى الخارجية التي تهيمن عليهم في حياتهم اليومية .

و يصف زعيمهم ماركس الدين بأنه ((أفيون الشعوب)) ويعتبر الدين ((سعادة الشعب الوهمية)) وكذلك تلميذه إنجلز يصف الدين بأنه ((نسيج من السخافات صنعه غشاشون)) [١]

وإنـــه لمـــن باب العقوق والغرور أن يقرر بعض الناس أن العلم ظاهرة متأخرة في حياة الناس، وأن الدين بدأ بالخرافة والشرك، و لم يبدأ بالتوحيد، مع أن القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة تؤكد أن أول أسرة ظهرت على وجه الأرض هي آدم وحواء كانت على التوحيد والإيمان بالله تعالى . وقد أبانت النصوص القرآنية الكريمة أن الإنسان الأول قد أنزل الله تعالى عليه شريعة قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (فاطر /٢٤) وآدم علـــيه الصلاة والسلام وذريته أمة، وهو نذيرهم ومبلغهم شريعة ربهم.

ثم تتابعت الرسل كما هو معلوم في تاريخ الرسالة الربانية .وبما أن العلم لم يقطع بنوعية الديانة لدى الإنســـان الأول، فلا مناص من الاعتماد على الرواية الحقة الصادقة، والتي بينت أصل الديانة الأولى وهي طـــريق الوحي، والوحي الصادق يتمثل في القرآن الذي لم يدخله ولن يدخله التحريف والتبديل لأن الله تعـــال تكفـــل بحفظه إلى يوم القيامة. ومعلوم أنه لم توجد حقبة في التاريخ خلت فيها البشرية من الدين والرسل، حتى ختم الله تعالى الأديان والرسل برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي الإسلام . و لم توجد فترة من حياة البشر خلت من العلم، حتى وأن تخللها الضعف في بعض فترات مسيرة البشرية الطويلة . [٢]

1 - جان – بول ويليم، الأديان في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص ١٥- ١٦

2 - محمد أبو يحي، وآخرون، الثقافة الإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع – ط الثالثة ١٤٢٢هـــ - الأردن .ص١٤.

علماء اجتماع التربية الغربي و الأخلاق:

الأخــلاق هي معالم الترابط الاجتماعي بين الناس ، أسس قوانين العدل الحامية للحقوق بين الناس وهي الإطار الاجتماعي الذي يسلكه الناس في حياتهم العامة والخاصة وبه يتواصلون ويتدافعون.

ولقــد حــاول علماء الاجتماع الغربيين تدمير هذه الأخلاق وتوجيه قانون التبديل والتغيير عليها وعمــدوا إلى ســحب شعار القداسة والدين عنها ، ووصموها بأنها سلوكيات اجتماعية متغيرة اختلقها المجتمع لفترة زمنية معينة ثم يخلعها ليستبدل بها ثوبا أخلاقيا لفترة أخرى.

وقــد حــاول زمرة من المفكرين الاجتماعيين اليهود أن يوحدوا جهودهم في هذا الاتجاه — نفي الأخلاق — ومنهم كارل ماركس، و دوركهايم أبو علم الاجتماع التربوي و زميله لفي برول، و مارسيل موسي، وللفي برول كتاب، (الأخلاق وعلم العادات) نفى فيه ما يسمى بالأخلاق أو علم الأخلاق، ثم تــابعهم (الــسبيرابايت) في كتبه (علم الظواهر الأخلاقية)، وإن الفرد ليس ملزما بهذه الأخلاق بل هي هيمنة اجتماعية هدفها إخضاع الأفراد للمجتمع.

ومن وسائلهم في هدم الأخلاق، ما يلي:

أ- توجــيه الافتــراءات والأكاذيب والشتائم ضد مفاهيم الأخلاق السائدة في المجتمعات وضد تطبيقاها في السلوك.

ب- بــث الأفكــار والآراء والفلســفات المشحونة بالزيوف والمغالطات لزلزلة أسس الأخلاق وقواعدها وقوانين العدل المشتقة منها أو المنبثقة عنها ثم نسفها من جذورها .

الوســيلة الأولى: والتي هي توجيه الافتراءات والأكاذيب والشتائم فأهمها ما تجده لدى الشيوعيين (الماركسيين) ، إذ تتهم أئمتهم الأخلاق والقوانين المنبثقة عنها بأنها أوهام وضعها أصحاب مصالح طبقية ليســتروا بهــا مصالحهم ، وأنها نتاج أوضاع اجتماعية معقدة .. لذلك يجب عدم الاكتراث بها بل يجب محاربتها .

يقــول (كــارل ماركس) ورفيقه (إنجلز): ((إن القوانين والقواعد الأخلاقية و الأديان أوهام برجوازية تتستر خلفها مصالح برجوازية)).

أمــا أصحاب الادعاء الثاني: فهي آراء روجها الماديون الملحدون وجنودهم .. ادعوا إن الأخلاق أمور اعتبارية ليس لها قيم ذاتية فهي لا ثبات لها وهي تختلف من شعب إلى شعب ومن زمان إلى زمان .. وأن الأخلاق أمور نسبية .

ويضــــربون على ذلك أمثلة ليست من الأخلاق في شيء بل هي عادات أو طقوس دينية تختلف من مجتمع إلى مجتمع ولا علاقة لها بالأخلاق .

٢- مسلمة العقد الاجتماعي:

ويرى بعض علماء اجتماع التربية الأخذين بنظرية العقد الاجتماعي والتي ترجع بجذورها إلى الفكر الإغريقـــي - الوثني - و كان مذهب أرسطو أن الإنسان ((حيوان اجتماعي))[1] وكانت هذه إحدى مسلمات هذا الفكر .

وقد اخذ علماء اجتماع التربية هذه النظرية من عالم الاجتماع (هوبز) والتي يرى فيها أن الإنسان لم يكـــن في الأصل إلا ذئبا على أخيه الإنسان - على حد تعبيره- وأن الحالة الفطرية أو الطبيعية كانت حربا لا هوادة فيها بين أفراد النوع الإنساني ولذلك احتاج الناس إلى عقد يتنازل بواسطته بعضهم لبعض عن شيء من الحقوق في سبيل أمن وسلامة الجميع . ولما كانت طبيعة الإنسان التي يراها هوبز هي الشر دائماً استلزم الأمر وجود قوة نفوذها أعلى من العقد تكون مهمتها تنفيذ العقد إجباريا على الأفراد ، هذه القوة هي الدولة أو الحكومة.[2]

ويـــرى هوبز أن المصلحة الذاتية هي المحرك الأساسي للسلوك الإنساني حيث كانت دوافع الإنسان في مرحلة الفطرة تتمثل في مصالحه الأنانية دون أن يعرّف العقل أو مصلحة الآخرين ، وهذا بدوره كما يرى يفسر الصراعات التي شهدتها هذه الحقبة من تاريخ البشرية . [3]

ويلاحظ انحراف هوبز عن المنهج الإلهي وهذا يجعلنا نرفض هذا التصور لا نه منحرف عن الحقيقة الثابتة دينا، عن أصل الإنسان وطبيعته ، والغاية من خلقه، و لأنه يصعب إثبات مثل هذه المرحلة عقلا ، ثم هـــل يعقل أن يكون المحرك الوحيد للسلوك الإنساني هو العدوان والأنانية ؟ بل هذا يتناقض مع الخيرية التي جبل الناس عليها ، وعلى والإيثار والتضحية التي اتصف بها الكثير من أفراد المجتمع .

ويـــرى بعض الباحثين أن نظرية هوبز ما هي إلا تلفيق ((واضح لأفكار سلطة رجال الكنيسة التي فقدت كل حياتها في عهده ، و لم يبق لها لكي تعيش إلا أفكار ملفقة مثل أفكار هوبز)) [4]

---

1 - جاستون بوتول، تاريخ علم الاجتماع، ص ٩ ، نقلا عن سفر الحوالي العلمانية ،ص ٢١٣

2 - سفر الحوالي، العَلْمانية، ، مرجع سابق ، ص ٢١٣

3 - محمد علوان — مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ١٣

4 - محمد علوان — المرجع السابق ، ص ١٥

ومـــن القائلين بهذه النظرية (جون لوك) والذي تابع هوبز في وجود هذا العقد حيث يرى جون لوك إن حالة المجتمع مرتبطة بحالة الفطرة أيضا وهو يرى إن حالة الفطرة تتسم بالسلام والصفاء والإرادة الخيرة والحرية والمساواة وبسبب هذه الحالة ترى المجتمعات الإنسانية، تهدف إقامة عقد اجتماعي بالعيش في جماعة مقابل أن يتنازل كل فرد عن بعض حقوقه من أجل إقامته في المجتمع الإنساني .

وفي هذه النظرة لحالة الفطرة وأنها خيرا محضا وسلاما محضا ليس على إطلاقه إذ لا يمكن قيام المجتمع على هذه التصورات والذي أنكر فيه مبد التدافع الاجتماعي الذي خلق الله عليه الناس إذ من سنن الله في الكـــون الـــتدافع الاجتماعـــي قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (البقرة /٢٥١)

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.(البقرة / ٢٥٣)

يقـــول الدكتور محمد علوان أحد علماء الاجتماع الإسلاميين في الرد على أرى هوبز وجاك لوك حـــول الفطرة ((ونرى كيف قضى الشرع الإلهي على هذه التناقض الصارخ في النظرة إلى الإنسان والى الجماعة الإنسانية . فالإنسان كما خلقه الله منذ آدم ﷺ ليس شرا أو أنانية مطلقة كما ادعى هوبز كما أنـــه لـــيس فضـــيلة كافة كما ادعى جون لوك فالإنسان في تصور علم الاجتماع الإسلامي هو هذان العنصـــران المخـــتلفان مترابطان ممتزجان في كيان واحد، فقبضة من المادة في (عتامتها) الشديدة وأعني الطين، ونفحة من روح الله تعالى)) .[1]

٣- مسلمة العقل المشترك (العقل الجمعي):

إن منظـــري الدراســـات المجتمعـــية يميلون للقول بالعقل الجمعي الذي هو عندهم تفكير الجماعة كمجمـــوعة، ســـواء في موقـــف واحد أو في سلسلة من المواقف، وهو في نظرهم يمثل بناء مكوناً من خصائص ومزايا الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، ويزعمون أن سلوك الفرد يفسر به[2]

وأصحاب هذه المسلمة والمنظر لها هو دوركهايم زعيم المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع دوركهايم يهـــودي فرنســـي صار رائد علم الاجتماع بعد (كونت) وأستاذ كرسي التربية بالجامعات الفرنسية و

1 - محمد علوان مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص١٥

2- عبد القادر رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، ص ٢٣٣

مؤســـس علم الاجتماع التربوي وهو الذي عزى إلى العقل المشترك للمجتمع (العقل الجماعي) أصل الــدين والأخــلاق وكـــذلك بعض التصورات الأساسية كالزمان والمكان ((و إن كل معرّفة إنسانية نسبية))[1]

ولقد ((شكلت أعمال دوركهايم السوسيولوجية على مستوى المنهج والنظرية والممارسة الأكاديمية ، المخاض الأول لولادة السوسيولوجية التربوية ،وتعد المحاضرات الأولى التي ألقاها دوركهايم في السربون والــتي بــدأت عـــام ١٩-٢م بمثابة اللحظات الأولى التي بددا فيها علم الاجتماع التربوي يأخذ صيغته ومنحاه))(٣[2]

ونسبية المعرّفة لديهم تعود إلى تغير الظواهر الاجتماعية التي تنبثق منها المعرّفة، حتى أن الفرد نفسه، ما هو إلا ظاهرة مجتمعية، وأن المجتمع هو غاية الإنسان [3]

ومن أهم أفكارهم:

١) هـــدم الدين والأخلاق وإنكار مصدرهما الرباني و إنكار الرسل والأنبياء وجعل بدلا من ذلك العقل المشترك للمجتمع فهو الموجه لكل فرد فيه وهو المكون لأفكار الأفراد ومذاهبهم وعاداتهم و مفاهيمهم وذلك عن طريق إلزام المجتمع للفرد بما يحيط به من قوة اجتماعية ضاغطة.

ولقـــد حاول دوركهايم خلال أبحاثه تأكيد أن أصل التدين لدى البشرية هو الوثنية وليس التوحيد وقد قسم أصل الديانات إلى قسمين:

أ- المذهب الطبيعي: وفيه أن الإنسانية اتجهت في بدأ نشأتها إلى عبادة مظاهر الطبيعة التي تتمثل في الشمس والكواكب والقمر والنبات....

ب- المذهب الروحي: وفيه أن البشرية لجأت في بدأ تدينها إلى عبادة الكائنات الروحية التي تتمثل في الآلهة والملائكة و أرواح الموتى . [4]

٢) تفسير أي ظاهرة اجتماعية تفسيرا ماديا، لا يعترف بوجود الله ولا بأي قوة غيبية .((أن نظرية دوركهايم في الدين تحط من قيمة الوحي والإلهام اللذين يعتبران مصدر الرسالات السماوية))[5]

٣) التركيز على إلغاء الفطرة الإنسانية .

1- أحمد الخشاب، الاجتماع التربوي و الإرشاد الاجتماعي، ص٢٢

2- على اسعد وطفة ، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ،ص ٢٥

3- انظر، عبد القادر رمزي، مرجع سابق، ص ٢٣٤

4 - عدلي الطاحون، في النظريات الاجتماعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

5 - علي الحوت، النظريات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١١٩

٤) تفسير ظاهرة الدين والأخلاق بأنهما وليدتا أسباب اجتماعية فقط.. [1]

يقول على حوت: أن تحليل دوركهايم للدين هو تحليل مشتق من نظريته في الظاهرة الاجتماعية، بمعنى أن الفعل الجمعي هو الذي يصنع المقدسات والمعتقدات الروحية، وهذا التحليل مرفوض وغير مقبول من جميع الديانات السماوية، فالدين ليس من صنع المجتمع ولكنه من عند الله سبحانه وتعالى، وهو رسالة ودعوة روحية وأخلاقية يبلغها الأنبياء والرسل للبشر على الأرض، وعلى ذلك فنظرية دوركهايم في الدين هـــي نظرية مادية وعضوية تستمد أصولها الأولى من تحليل علماء الحياة والتطور، وكما قلنا فهي نظرية مرفوضة من وجهة نظر الإسلامية والديانات السماوية الأخرى (اليهودية والمسيحية) [2]

وهـــذا الموقف الإيجابي من (الحوت) في نقده لنظرية دوركهايم وتحليله للدين، والتي تفرد به على الكـــثير مـــن علماء الاجتماع المسلمين المعاصرين الذين ينقلون هذه الآراء والنظريات المناقضة لأصول الإسلام و لم يكن لهم أي تعليق على ذلك بل يستنتج منهم التأييد لذلك أو الموافقة. [3]

٤- مسلمة نشأة الجماعة الإنسانية:

المدرســـة الفرنسية بزعامة دوركهايم ثم ستروس حاولت وضع تصور فكري جديد (لقضية نشأة الجماعة الإنسانية) هذا التصتور قائم على ركام ثقيل من العقائد المنحرفة والأفكار التائهة ..و هدف هذه النظـــريات الـــتي تعج بها كتب علم اجتماع التربية هو تأكيد فكرة التطور المطلق، وإنكار فطرة الدين والأسرة والزواج و إنكار أن الوحي الإلهي قد تدخل في تنظيم الأخلاق أو الأسرة بل اعتبارهم أن الدين عائقا للتطور والتغيير.[4]

وأصـــحاب هـــذا الاتجاه يأخذون بنظرية (ماكلينان) التي عرضها في كتابه ((الزواج البدائي)) وشـــايعه فـــيها لويس مورجان، والتي تبحث في أصل الزواج، حيث تقسمه إلى مراحل تبتدئ بالمرحلة الإباحية، ثم مرحلة تعدد الأزواج للمرأة الواحدة، ويكون النسب فيها إلى الأم، ثم مرحلة تعدد الزوجات

1 – عبد الرحمن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة- دار القلم – دمشق-ط٣- ١٤١٩، ص٣٨-٣٩

2 – على حوت، النظرية الاجتماعية، ، مرجع سابق ، ص١١٥

3 – انظر مثلا: عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧٣- ٢٧٧، و عبد القادر عرابي، النظريات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ص ١١١-١٢٢

4- جميع كتب علم اجتماع التربية تتبنى هذا التصور ولا يكاد يخل منه كتاب .

للــرجل الــواحد، حــيث النســـب إلى الأب، ثم تطــور نظام الزواج إلى أرقى أشكاله، وهو الزواج الأحادي . [1]

وحــيث تــرى هذه المدرسة أن قضية التبادل الاجتماعي في الجنس – أي تبادل الإناث – أي أن يعطي أحدهم أخته للآخر مقابل أخته حتى لا يحصل الزنا في الأخوات ، والتي قام عليها فيما بعد نظرية الزواج من غير الأقارب وهو حل يبسط مشكلة الحصول على زوجة حيث وجد الحل في تبادل الأخوات الإناث مع أفراد آخرين متشابهين ، وهذا التبادل جنّب الإنسان الزنا في المحارم – إذا لم أستطع أن أحصل علــى أختي وأنت كذلك فلماذا لا نتبادل الأخوات –، وعلى ضوء هذه النظرة نشأت فكرة التبادل بين الناس فكل شؤون الحياة من الهدية إلى بيع (الاقتصاد) إلى الزواج.[2]

ومــن الــنقد الذي وجه إلى مسلمة ، قصة نشأة الجماعة الإنسانية و النظريات التي صيغت حول ظاهــرة الــزواج ، وان الأصل فيها الإباحية (الأسرة الأم) ومصطلح الأسرة الأم عرّفه (إدوارد ويستر مــارك) في كتابه (موسوعة تاريخ الزواج) بقوله ((تعريف النسل الأموي (المفترض) الناجم عن أبوة غير معروفة وهو ناتج عن الإباحية القديمة ، وهذا ما يحتويه مفهوم النسل الأموي)) [3]

وقد حاول إدوارد وستر مارك[4] التصدي لهذه النظريات التي تدعي الإباحية والرد عليها من خلال علمــاء الأجــناس والرحالين الأوائل ، و الدارسين للقبائل البدائية في مواطنها الأصلية ، وقد نقض هذه النظريات القائمة على التخمين والتلفيق والأساطير التي هدفها الأصلي هو إيجاد أصل تاريخي للإباحية التي انغمست فيها الحضارة الغربية المعاصرة.

انظر إلى تعليقه على هذه النظريات القائلة بالأسرة الأم (الأم واحدة والآباء متعددون) أي مرحلة الــزنا المشاع إذ يقول: وحتى لو كانت لدينا أسباب للاعتقاد بأن بعض الشعوب قد عاشت فعليا حالة كهذه، فيكون من الخطأ الشديد الاستنتاج بأن تلك الحالات التي تكون شاذة بالفعل قد شكلت مرحلة مــن التطور البشري يفترض أن تكون البشرية بكاملها قد مرت بها ... وسوف ترى بأن الغالبية العظمى

---

1 – منصور المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص٧٩

2 – محمد علوان – مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص١٧-٢٠.

3 – إدوارد ويستر مارك – موسوعة تاريخ الزواج تعريب، مصباح الصدر – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط الأولى ٢٠٠١م – بيروت ص٢٣٩

4 – إدوارد ويستر مارك (١٨٦٢-١٩٣٩) فيلسوف وعالم فنلندي ، أستاذ علم الاجتماع في جامعة لندن ، ركز على العائلة البشرية و دراسة تاريخية اجتماعية لنقد نظرية النسب الأمي .

لتلك الشعوب هي أحادية الزوج بشكل حاسم أو شبه حاسم، و بأنه يقال إن الطلاق غير معروف لدى البعض منها . [١]

ولا يتردد في موقع آخر أن يؤكد قوله بأن ((خلاصة القول حتى في حال وجود شعوب قد عاشت حالـــة إباحية جنسية، وهذا ما لم يحصل تأكيد له، و يصعب تصديقه كثيرا، فإن تلك الشعوب لا تشكل في حال وجودها برهانا على أن المشاعية قد وجدت كمؤسسة اجتماعية في العصور البدائية .)) [٢]

وممن أنكر هذه المرحلة و نفى وجودها (بوبرت لوي) عالم الاجتماع الأمريكي في كتابه (المجتمع البدائــي) وعلى هذه الصورة الإباحية للجنس وقال : ((ما هي إلا صورة وهمية لا يلاحظ لها وجود في أي مجـــتمع مـــن المجتمعات البشرية ، وأنه ليس ثمة ما يثبت أن هذه الحالة قد وجدت في أية مرحلة من مراحل تطور الجنس البشري .)) [٣]

بـــل يؤكد كثير من الباحثين في مجال علم الأجناس أن الانحلال الخلقي ما هو إلا نتيجة للحضارة الأوربية المعاصرة ، والتي انفلتت من كل قيد وقيمة أخلاقية، فأصبحت تمارس من الرذائل ما يعاف الرجل البدائي في استراليا أو أمريكا الجنوبية عن ممارسته .

يقـــول إدوارد ويستر مارك ((غالبا ما يقال لنا بأن مجون البدائيين ناتج عن اتصالهم بشعوب أكثر تحضرا)) [٤].

ويؤيده على هذا القول فريق من علماء الاجتماع والأجناس فهذا (إدوارد ستينفر) فإنه يقول عن القبائل التي كانت تقيم في سهول (اديلايد) في استراليا الجنوبية : ((إن القاعدة العامة التي ليست لها أي اســـتثناء هي أنه إذا كانت قبيلة من السود تعيش على مقربة من إقامة البيض فإن أشد هؤلاء رذيلة كانوا يـــبذلون جهدهم للتعرّف على السكان المحليين، وذلك بهدف غير أخلاقي... و إنني أقول دون خوف إن جمـــيع مشاكلهم تقريبا قد جاءتهم من لا أخلاقية البيض ومن مشروبات البيض .)) ويشير (كيور) من ناحـــية إلى أن قبائل (البانجيرانغ) في فكتوريا كانوا، قبل مجيء البيض يفرضون الإخلاص على زوجاتهم والعفة على بناتهم . [٥]

---

1 – إدوارد ويستر – موسوعة تاريخ الزواج ، مرجع سابق ، ص١١٤
2 – إدوارد ويستر – المرجع السابق ، ص١١٥
3 – طـــلال عـــبد المعطـــي مصـــطفى – أبحـــاث في علـــم الاجتماع ، نظريات ونقد – دار هادي – ط الأولى –دمشق ١٤٢٣هـــ ، ص١٦
4 – إدوارد ويستر – موسوعة تاريخ الزواج، مرجع سابق، ص ١١٨
5 – إدوارد ويستر – المرجع سابق، ص ١١٨

وأمـــا (تشالمرز) فيقول عن آكلي لحوم البشر في غينيا الجديدة ((إنني لا أفهم لماذا نتكلم عن لا أخلاقيات المتوحشين، إنهم ليسو فاسقين حتى بالنسبة لسكان العالم الأكثر تحضرا، وإنني آسف إذ أقول : إن البيض هم الذين يفسدونهم ، وعندها تبدأ تقاليدهم بالانحلال) [١]

إذن نلاحظ أن الإنسان البدائي في القارات الجديدة كان أكثر عفة وإخلاصا في علاقاته الزوجية من إنســـان الحضارة الأوربية التي نشرت الفحشاء في الأرض ، ثم ذهبت باسم العلم تبحث عن سندٍ تاريخي لانحـــرافها الأخلاقـــي ؛ حيث إن ظاهرة الزنا قبل الزواج بين الجنسين أصبحت شبه عامة إذا ((تؤكد الدراسات بأن الجنسين قبل الزواج يمارس الجنس بحرية مطلقة)) [٢]

وهـــناك من يصم المسيحية الكنيسية المعاصرة بأنها هي التي قضت على العفة والطهر لدى الشعوب المســـتعمرة من قبلِها ، وأن الرجل الأبيض الذي كان يستعمر هذه الأمم بحجة أنه رسول المسيح ، وأنه جـــاء لإنقـــاذهم وتحضرهم ، ما هو إلا باحث عن الشهوة الجسدية المنحطة ، اسمع إلى ما يقوله (السير بازيـــل طومسون) الذي ذهب إلى القول بأن المسيحية هي التي أدخلت ذلك التغيير الأخلاقي إلى هذه الشعوب ، وهناك كتاب آخرون يلقون بلائمة و التهمة على التجار الأوربيين. [٣]

وقد لاحظ (فاتكوفر) وهو يستكشف جزر (سندويش) مع (كوك) أن الرذيلة لم تكن معروفة لـــدى النساء، ولكنه عندما عاد بعد بضع سنين وجدها متفشية، ويرد سبب ذلك الانحلال الأخلاقي إلى الاتصـــال بالأجانـــب (الأوربيين) ، وهذا ما لاحظه كذلك (هارد نيوزع) عن قبائل (هويتوتو) إذن ((نســـاؤهم عفـــيفات بطبيعتهن ولكن قدوم جامعي الكاوتشوك جعلهن يفقدن فضيلتهن البدائية شيئا فشيئا، و الفضيلة هي مزية موجودة لدى الشعوب التي لم تدخل بعد في تواصل مع البيض)) [٤]

ونخلـــص إلى القول إن هناك عشرات الباحثين الاجتماعيين و علماء الأجناس والرحالة ينفون عن هـــذه الشعوب البدائية ظاهرة الإباحية الجنسية (الأسرة الأم) ، و يعيدون سبب انتشار هذه الظاهرة في العصر الحاضر عائد إلى الجنس الأوربي والحضارة الأوربية التي نبذت الدين والأخلاق ، و روجت للرذيلة والإباحية باسم الحرية والمتعة الجنسية والحقوق الشخصية .[٥]

---

1 – إدوارد ويستر – المرجع السابق، ص ١١٩

2 – إدوارد ويستر – المرجع السابق ، ص ١١٥

3 – إدوارد ويستر – المرجع السابق، ص ١١٩

4 – إدوارد ويستر – المرجع السابق، ص ص ١١٩-١٢.

5 – انظر إدوارد ويستر مارك، موسوعة تاريخ الزواج، ص ص ٩٦-١٣.

وعلـــم الاجتماع الإسلامي يرى أن الحياة الأسرية قامت وفق تعاليم الوحي الإلهي ، منذ وجدت أول جماعة إنسانية متمثلة في آدم و أبنائه ، وكذلك قامت النشأة الاجتماعية المشروعة ، والتي هي أصل المجتمعات الإنسانية على هدى من الله وشريعة ، لا الإباحية البهيمية و التبادلات الاقتصادية المحرمة ، كما تدعـــي مدرسة علم الاجتماع الفرنسية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء /١)

بين الله تعالى نشأة الجماعة الإنسانية ، وبين بدايتها بالزوج ، ثم الزوجة ، ثم تتابع الخلق حتى وصل إلى درجة المجتمع الكبير.

((كما أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً أن يبدأ كون الله بالزنا كما تبدأ الجماعة الإنسانية بالزنا كما تدعـــي معظم النظريات والوضعية ، وإنما آدم وزوجه خلقا كبداية لخلق الجماعة الإنسانية.. و لم يعرّف المجتمع الإنساني أبدا إباحية جنسية في فتراته الأولى كما يدعي الخارجون عن منهج الله ، وإنما الجنس في صورته المشروعة بمعنى الزواج)) [1]

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف. ٣٣)

واهم ما يرد على هذه النظرية من وجهة إسلامية:

١- الإسلام يرى أن التبادلات الاجتماعية القائمة على الشرع أصل المجتمعات الإنسانية

٢- توازن التصور الإسلامي لنشأة الجماعة الإنسانية .

٣- رفض الإسلام أن يبدأ الكون والحياة الإنسانية بالزنا.

٤- لم يعرّف المجتمع الإنساني الإباحية أبدا في مراحل وجوده الأولى

٥- إن الجماعة بدأت بالزواج الشرعي وفق النظام التشريعي الإلهي.

٦- إن التشـــريع سابق على التحريم ، وإن الإنسان لم يتوصل إلى التحريم بالخبرة الاجتماعية و إن التحريم عملية تشريعية من الله سبحانه وتعالى.

1 - محمد علوان – مفهوم الإسلامي جديد لعلم الاجتماع ص٢٤-٢٥

٧- إن التبادلات الاقتصادية آخر أنواع التبادلات التي عرّفها الإنسان. [1]

٥- الأساطير والخرافات:

إن البيئة التاريخية والعقائدية التي نشاء فيها علم الاجتماع كانت تعاني من صراع حاد بين الكنيسة وتراثها الخرافي ، وبين التفكير العلمي الجديد ، و يصف (مناع قطان) هذه المرحلة فيقول:

وهذه العلوم الغربية بضروبها المختلفة، الطبيعية والإنسانية إنما نبتت ونمت واستوت على سوقها بعد صراع عنيف مع الطغيان الكنسي المنحرف الذي صادر الفكر الحر، واحتكر كل رأي، واعتبر أصحابه خارجين عن الدين، وحاكمهم وأنزل بهم أشد العقوبات التي وصلت إلى حرق أجسادهم بالنار، لأن هذا في نظرهم يعارض المصالح الدنيوية للكنيسة، ونشأ من ذلك العداء بين العلم والدين، حتى انتصر العلم في النهاية ، لا على حقيقة الدين المترل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولكن على خرافات الكنيسة وتحريفاتها وسلطانها المشترك مع الملوك .

نشأت العلوم الغربية في هذا المناخ، وانبثقت من فلسفة لا تؤمن بالدين، ولا بإله خالق مدبر للكون، إنما ترى أن الظواهر الكونية ينبغي أن تفسر بأسباب طبيعية لا دخل فيها للإرادة الإلهية فعلى العلم الطبيعي أن يستبعد في بحثه أي تفسير ديني لقدرة عليا، وأن يبدأ بفرضيته متجردا من هذا التفسير، ثم يتابع المشاهدة والتجربة ليصل إلى الحقيقة العلمية.)) [2]

ومن المعلوم أن الباحثين الغربيين ينطلقون من مسلمات عندهم هي بنت بيئتهم ونتيجة رد فعل المسيحية الغربية التي هي مزيج عجيب من الوثنية الرومانية والفلسفة اليونانية ، و قليل من النصرانية الأصلية التي جاء بها عيسى عليه الصلاة و السلام ، وقد أكد ذلك كثيرا من فلاسفتهم أمثال (برتراند رسل) في كتابه (المسيح ليس مسيحيا) و (شارل كنيبير) في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) [3]

1 - محمد علوان – المرجع السابق ص٢٢-٢٦

2 - مناع خليل مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم – أهدافه وأسسه العامة – مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – القاهرة – ١٤١٣هـ ، ص ٧٩

3 - انظر، محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع ،مرجع سابق ،ص ٢٧،

ومـــن المصـــادر الفلســـفية والتاريخية التي استمدت النظرية في علم الاجتماع منه أسسها المنطقية والمنهجـــية الفلسفة اليونانية ((وكانت النقطة المهمة بالنسبة لتأثير الفلسفة اليونانية على النظرية في علم الاجتماع أن قواعد المنطق الارسطي أصبحت هي الركيزة لهذه النظريات)) [١]

ولقد حاول مفكروا الغرب التأكيد على نسبة الأصول الفكرية لحضارتهم إلى أصول يونانية ، ومن القائلين بهذه : الفيلسوف الإنجليزي (برتراند راسل) القائل: ((بأن الفلسفة هي (معجزة يونانية) وأن العالمين الشرقي والغربي قد تطورا كل بمعزل عن الآخر، بحيث يمكن تقديم عرض يكون فيه الفكر الغربي مكتفـــيا بنفســـه...وإن التراث الفلسفي الغربي يختلف في جوانب أساسية عن تأملات العقل الشرقي . فالحضارة اليونانية هي وحدها التي سارت فيها الحركة الفلسفية مع التراث العلمي جنبا إلى جنب)) [٢]

وهـــذه النظرة العنصرية من (برتراندرسل) هي صبغة عامة للفكر الغربي حيث من مسلماته إنكار تـــأثير الحضارة الإسلامية في دفع عجلة المعرّفة الإنسانية ، والذي لولا هذا الجهد لما حققت الإنسانية أي تقدم يُذكر، أما أسلافه اليونانيون ((فقد فتشوا المكاتب والمدارس والخزائن عما فيها من كتب فجمعوها و كدسوها في الدهاليز والأقبية - وحالوا -بينها وبين طلاب العلم و رواد النور والباحثين عن الحقيقة . ولقد أجمع مؤرخو الفلسفة على أن الروم (اليونانيين) قد طمروا هذه الكتب .)) [٣]

وفي الـــوقت نفسه، عُرضت الأسطورة اليونانية، التي كانت تمثل في معابد الأيام الخالية، للعالم في شكل فني فذ، بوصفها الإطار والصيغة للكثير من مضامين " الوثنية الحديثة " لقد قدمت الأسطورة للعقل (الغربي) الحديث الأنماط والمفاهيم والمعايير التي شكلت وعيه وصقلته ومكنته من التعبير عن الذات، والتي لا زلنا نتفاعل معها اليوم بوصفنا علماء اجتماع يفكرون في ميدانهم بطريقة نقدية [٤]

ويمكـــن أن نصل إلى حقيقة أن كثيرا من مواضيع علم الاجتماع عند المدرسة الفرنسية خاصة تقوم على الإلحاد الصريح وجهل شنيع بالإنسان وأصله ، ومن العجيب أن يسمى ذلك علما بل هو قائم على الأساطير والأوهام وسفسطة وإلحاد.

ومن العجب أن ترى بعض أبناء المسلمين يتقمصون تلك النظريات ويروجون لها باسم العلم ، ولا يقبلون النقاش حولها وعندهم من دينهم غنية عن ذلك .

---

1 - حكمت الأعرابي – النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص٤٩

2 - برتراندرســل، حكمـــة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا – الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – ١٩٨٣م.ح٢، ص ٣١٦

3 - عمر فروخ، وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية –بيروت ١٤١٠.هـــ ص١١

4 - منى أبو الفضل، النظرية الاجتماعية المعاصرة، نحو طرح توحيدي، إسلامية المعرّفة عدد السادس ١٤١٦هــ، ص ٨٧

إن نظـريات علم الاجتماع في دراستها لأصل الإنسان اعتمدت التزييف الحقيقي لتاريخ الإنسان وهذا ما فعلته .

((فقـد تواطأت منذ القدم على تزييف التاريخ الإنساني بتأثير نزعة عرقية عنصرية طاغية حكمت العقل والسلوك الأوربيين منذ عصر الإغريق ، واستمرت إلى يومنا هذا ، وقد أضيف إلى العرقية الأوربية عامـل آخر لا يقل خطراً ، ساعد على إتمام عملية التزييف بصورة بشعة وهذا العامل الإضافي هو فلسفة الـتطور الإلحاديـة التي هدمت التاريخ الإنساني المعروف ووضعت مكانه تاريخا مزيفا على أسس مقولة التصور الإلحادي للطبيعة الذي هدفها وضع تاريخ أوربا على قمة العالم ، وهذا التزييف للتاريخ الإنساني لا يتمثل فقط في إهدار التاريخ الإنساني في خارج أوربا وإنكار الأصل الحقيقي للإنسان ، و إنما يتمثل في موقـف أخلاقـي شـديد الشـناعة يتمـثل في سـرقة هذا التاريخ ، ونسبة ما فيه من منجزات إلى الأوربيين .)) [1].

ثم انظر إلى أحد علماء الاجتماع العرب الذي يدعو في بحث له تحت عنوان تأصيل العلوم — المفهوم والخطـوات و عوامل النجاح — والذي حدد فيه مصادر جمع المعلومات عن الطبيعة البشرية بأنها بصفة عامة خمسة مصادر رئيسة يمكن جمع المعلومات منها وهي:

١- الأمثال و الحكم الشعبية .

٢- الأساطير والقصص.

٣- الآداب والفنون .

٤- الخبرة الشخصية

٥- العلم. [2]

فهـو يغفـل (الوحي) أهم مصادر المعلومات عن الطبيعة البشرية ويتبع في ذلك المنهجية الغربية العَلْمانـية الـتي ترفض التفسيرات الدينية ، والتي تتناقض مع مفهوم منهجية التأصيل الإسلامية التي تعتبر الوحي بشقية أول المصادر وأيقنها . وليس الاعتماد على الأساطير والخرافات الشعبية .

1 - محمد رشاد خليل، علم النفس الإسلامي ،مرجع سابق، ص٤

2 - مدحت محمد أبو النصر، تأصيل العلوم، مجلة شؤون اجتماعية، العدد السبعون ١٤٢٢هـ، ص١١٨

٦- العَلْمانية (اللادينية)

العَلْمانـــية كلفظ هي ترجمة خاطئة لكلمة secularism الإنجليزية أو secularite الفرنسية و هي كلمـــة لا صـــلة لهـــا بلفـــظ العلـــم و مشـــتقاته على الإطلاق ، أما الترجمة الصحيحة للكلمة فهي اللاديـــنـــــية أي ما لا صلة له بالدين ، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد ، و تقول دائرة المعارف البريطانية مادة secularism .عن العَلْمانية بأنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس و توجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ، أي أنها ترفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة ، و تهـــدف إلى ترسيخ الاعتقاد بأن الدين و الشؤون الكنسية لا دخل لها في أمور الدولة ، و لا ينبغي أن يكـــون الـــدين أساسا للأخلاق و التربية ، و أن يتم فصل الدين تماما عن الحياة ، أي فصله عن شؤون الحكم و السياسة والاقتصاد ، و فصله عن النظام الاجتماعي و الأخلاقي و فصل الدين عن العلم الثقافة و الفنون و الآداب ، و من ثم ينبغي أن يظل الدين محبوسا خلف جدران الكنيسة مدى الحياة دون أن يسمح له أن يتطلع إلى خارج الحياة ، و من أراده من أفراد الشعب فعليه بالكنيسة . [١]

ويـــؤكد الباحث في اللغات السيد احمد فرج بان كلمة العَلْمانية لا صلة لها بالعلم فيقول : ((وقد اجمع الباحثون في اللغات الأجنبية و الأوربية ، وكذلك الشرقية ، على أن ما يقابل العَلْمانية في اللغات لا صلة له بالعِلم (بكسر العين) البتة ، أو الدين .)) [٢]

إن العَلْمانـــية أو الدنيوية هي القاعدة التي ترتكز عليها الفلسفات والعقائد الغربية بل و طبيعة شتى صـــور الحياة الغربية اليوم ، فقد نتج عن ذلك تصور للوجود بعيدا عن حقيقة الربوبية لله تعالى ، و نتج عن ذلك الكراهية الشديدة للأديان جميعا وكل ما يمكن أن يصل بهم إلى الكنسية البغيضة ، و قصر الإيمان علـــى الظاهـــر المحسوس ، وإنكار الغيب ، وجميع أفكاره ، و وصفها بالخرافات ، و الهرقطات الدينية والسحرية .

يقـــول محمد قطب عن هذه التصورات الغربية الفاسدة ((لقد أصبح الطابع المميز للفكر الأوروبي مـــنذ النهضة هو التمرد على الدين، والتمرد على الله، وكان ذلك نابعاً من تأثيرين في آن واحد، التأثير الأول : هـــو روح رد الفعـــل الذي قام ضد الدين والكنيسة، والثاني هو تأثير الجاهلية الإغريقية في هذا الشأن بالذات)) [٣]

---

1 – علي عبد العال، العَلْمانية، الشبكة العنكبوتية – ص١,٤

2 – السيد احمد فرج – جذور العَلْمانية ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، ط الخامسة – المنصورة ١٤١٣هـ مصر ، ص ص٦-٧

3 – محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق — القاهرة — ط الأولى. ص ٤٥٨

وقـد سـبق إلى هذا التصور محمد المبارك فعرض كثيرا من المصادر الفكرية التي يستقي منها علم الاجتماع أفكاره ونظرياته يقول رحمه الله:

((يلاحـظ الـدارس لعلم الاجتماع في عصرنا هذا أن لمؤلفيه والباحثين في صياغة علم الاجتماع واتجـاه النظـريات ، و وضع الافتراضات والتعليلات . وهذه المذهبية التي نعنيها ليست منبثقة عن علم الاجـتماع نفسـه بل هي خارجة عنه ، وقد لا تظهر للباحث مباشرة ولأول نظرة لأنها قد تختفي وراء البحث . وإنما نعني بها المنطلقات العقائدية التي انطلق منها أصحابها مزودين بل مدفوعين بها قبل الشروع ببحثهم في علم الاجتماع .

وأبـرز هـذه الاتجاهـات المذهبـية: الاتجـاه العقـلاني والاتجاه الماركسي والاتجاه المسيحي ، وخاصـة الكاثوليكـي ، وبعض أصحاب هذه الاتجاهات يخفون مذهبهم واتجاههم كأصحاب الاتجاه المسيحي ..)) [١]

إن المطلـوب مـنا نظرة نقدية لمسلمات علم الاجتماع الغربي ، و علم اجتماع التربية أو مصادره ورفض الادعاء بعالمية العلوم الاجتماعية الغربية. ورفض الأساس الخاطئ الذي تقوم عليه وهو (العَلْمانية).

إن موقف العلوم الاجتماعية الغربية منا يقوم على أساس تفوق الغرب وتخلفنا الأبدي. ومن ثم تُبرر تحكّمه فينا وتسلطه علينا ، والوصفة (الجاهزة) التي يقدمها لنا للخلاص من التخلف هي (التحديث) على النمط الغربي وهي عديمة الفائدة، فليس من الممكن أن يؤدي التحديث الاقتصادي إلى تقدم حقيقي أصيل في حالة بقاء كل شيء على حاله.

غير أن أخطر ما في النظريات الاجتماعية الغربية، وأخطر ما يتسرب إلينا منها هو قيم العَلْمانية التي سادت مع ذيوع مذاهب اللذة والمنفعة.[٢]

ولقد حاولت العَلْمانية أن تجعل الوجود كله منحصر في الإنسان والطبيعة وأن الطبيعة وجدت هكذا بنفسها وهي التي سنت سننها و قوانينها ، فهي قادرة بنفسها وليس لها موجد خارج نفسها وليس هناك قـوة قـادرة على فك أسرار الطبيعة غير العقل ، ولا دخل للأخلاق والقيم و المفاهيم الغيبية في تفسير ظواهر وأسرار الوجود حيث كلها لا سند عقلياً يرفضها أو يؤكدها ، وهي – الأخلاق والقيم – نسبية ومتغيرة .

1 – محمد المبارك – نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠-٢١، ع ١٢-١٣٩٧هـ
2 – حسنين محمد تقي، فقه المصطلحات، الإنترنت، ص١,٤

ونتـيجة لذلك فليس هناك تصورٌ لدى العَلْمانية لوجود الإله أو الوحي والنبوات أو المثل العليا أو عالم الغيب ، فكل ذلك نتاج فترة زمنية كان الإنسان في حاجة إلى السيطرة على الطبيعة فأوحى له خياله بذلك ليسد عجزه وضعفه .

وعلـى كـل حال ، فالعلوم الاجتماعية الغربية تقوم على هذه الأفكار و تروج لها و تستمد منها مناهجها و غاياتها، ويؤكد ذلك محمد مهدي شمس الدين في تعريفه للعلمانية بأنها: ((النهج الحياتي الذي يستبعد أي تأثير أو توجيه ديني على تنظيم المجتمع، والعلاقات الإنسانية داخل المجتمع، والقيم التي تحتويها هذه العلاقات، وتركز عليها، ومن ثم فهي نهج حياتي مادي تكون نتيجة لنمو الفلسفات المادية اللادينية، وهذا النهج هو الروح المحركة والموجهة في الحضارة الحديثة بجناحيها الرأسمالي والماركسي)) (١)

والحق أن بعض علماء الاجتماع يظهرون العداء للدين وأحكامه، الأمر الذي يظهر جليا في نظرياتهم وأحكـامهم ، حـيث اعتبروا أنفسهم ممثلين للعلم الذي يعتبر مضادا للدين ، وقد كانت المشكلة التي يعالجهـا رواد علـم الاجتماع و اعتبروها جوهرية، كما قرر ذلك ((ريموند ارون)) هي التناقض بين الاعتقاد الديني – يعني الكنسي – وبين العلم . (٢)

ومن المعلوم أن نتائج العَلْمانية إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلماني ، وذلك عن طريق بث الأفكار العَلْمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ والطلاب في مختلف مراحل التعليم.

ويرد عبد الغني عبود على القائلين بفصل الدولة عن الدين فيقول: ((ومن ثم يغدو فصل الدين عن الدولة، أمر أبعد ما يكون عن الدين وعن العقل معا، لأن الدولة جزء من الدين، أراد ذلك و أرادته الدولة أم لم يـريداه، كما يغدو – من ثم – الإيمان ببعض الدين، والكفر ببعضه الآخر كفرا مطلقا، لأن الإيمان الحقيقـي (بـبعض) الدين، يدفع دفعا للإيمان (بالكل)، ويلغوا الإيمان باللسان، دون أن يصاحبه عمل يطابق هذا الإيمان أشد من الكفر .)) (٣)

ثانيا : تحيز علم اجتماع التربية للفكر الغربي

١- بدعوى الموضوعية:

إن الحضارة الغربية قد فرضت نفسها على الشعوب منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، وقد تبنت كثير من شعوب الأرض مكرهة أو مختارة بتعديلات طفيفة ((النموذج الغربي)).

1 – محمد مهدي شمس الدين – العَلْمانية، ص٧

2 – منصور زويد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص٧٩

3 – عبد الغني عبود– التربية ومشكلات المجتمع، دار الفكر العربي – مصر – ط الثانية ١٩٩٢م. ص ٧٨

ولـــذلك ســـادت مفاهـــيمه ونظرياته المختلفة في كل المعارف ، و أزاحت بالقوة كل ما يعترض وجودها أو يقف سدا أمامها ((و همشت على سائر الرؤى الأخرى وهمشتها أو أذابتها أو أخرجتها من حلبة المنافسة ، فصار العلم ما يراه ذلك النموذج الأوربي علما . والمنهج ما يراه ذلك النموذج منهجا ، أما ما خرج عن ذلك فيمكن أن ينبذ بأي شيء فيمكن أن يعتبر خرافة أو شيئا ناقصا .)) (١)

ومـــن المعلوم أن العلوم الاجتماعية تطورت إلى جانب العلوم الطبيعية في الغرب، ومنه انتشرت إلى المســـتعمرات ، وثمـــة مـــنظمات دولية عديدة و مؤسسات تابعة للحكومات الغربية وشركات متعددة الجنســـيات تســـعى الآن إلى تشجيع هذه العلوم بمساندة فعالة من الحكومات الوطنية لبلدان العالم العربي والإسلامي أو بمبادرة منها (٢)

ولقـــد حـــاول علماء الاجتماع الغربيين أن يضفوا على مناهجهم وأبحاثهم الصبغة الموضوعية التي يزعموها ليتسنى لهم تعميم نتائجها وتوجيهاتها على المعارف الأخرى ، وأن يقصون المعارف والحقائق التي لا تتوافق مع أهدافها ونتائجها بأنها غير علمية وغير مطابقة للواقع .

ويـــرى رفيق حبيب، أن من أهم إشكاليات العلوم الاجتماعية هو ذلك المفهوم المقدس عن الحياد العلمـــي والموضوعية المطلقة، أو النسبية ، ولكن في حدود ضيقة . فالعقل العربي جرى وراء وهم الحياد ونقل العلم الاجتماعي، لأنه موضوعي بالضرورة، ولهذا فهو صالح لكل مجتمع .. (٣)

ويـــؤكد حيدر إبراهيم بأن فكرة الموضوعية أو العلم الخالي من القيمة والأحكام الأخلاقية، فكرة مضللة للباحثين العرب، وهي كذلك لأنها تؤدي إلى نقل الحقائق العلمية وتطبيقاتها ومنجزاتها فقط، ولكن إلى نقـــل القـــيم و الأحكام الأخلاقية المتضمنة في هذه المنجزات العلمية، فعندما نستورد مع هذا منهج تـــربوي، كتطبـــيق لأحـــد العلوم الاجتماعية، فإننا نستورد مع هذا التطبيق قيم وأخلاق المجتمع المصدر للعلم . (٤).

ومصطلح الموضوعية الذي دندن حوله الغرب مصطلح شفاف ابتدعه الغرب من أجل منح نتائجهم الفكرية سمت العلمية و ((الموضوعية)) و تعني في عرّفه:

1 – عبد الوهاب المسيري – إشكالية التحيز –مقدمة في فقه التحيز، مرجع سابق ، ص١.

2 – بلقاسم الغالي، محاولات في تأصيل علم الاجتماع، مجلة الشؤون الاجتماعية العدد الثالث والستون، ص١.

3 – عبد الوهاب المسيري، تحرير، إشكالية التحيز محور علم النفس، ، مرجع سابق ، ص ٣.

4 – حيدر إبراهيم ،علم الاجتماع والصراع الأيديولوجي في المجتمع العربي،تحرير، محمد عزت حجازي – الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، نحو علم اجتماع عربي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ١٩٨٦م. ص١١١

إن الموضـــوعية تعني إمكانية إعادة اكتشاف الحقيقة من خلال العديد من الباحثين، أي تعني وجود اتفاق جمعي حول هذه الحقيقة، ولكن ذلك ينتج أولا عن محاولة اكتشاف الواقع بمنهج مضبوط علميا . أما عندما نستورد مفاهيم ومكونات علمية، فإننا نحاول إعادة اكتشاف هذه المفاهيم في واقعنا قصرا، ولا نحاول اكتشاف الواقع في حد ذاته.[١]

تُعبِّر الموضوعية عن إدراك الأشياء على ما هي عليه دون أن يشوبها أهواء أو مصالح أو تحيزات، أي تستند الأحكـام إلى النظـر إلى الحقائق على أساس العقل، وبعبارة أخرى تعني الموضوعية الإيمان بأن لموضوعات المعرّفة وجودًا ماديًا خارجيًا في الواقع، وأن الذهن يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقيقة الواقعية القائمة بذاتها (مستقلة عن النفس المدركة) إدراكًا كاملاً. و إن للقوانين الإنسانية صيغة موضوعية تتحكم في ذات الوجـود الإنساني العقلي والنفسي والمادي، وهي قائمة بذاتها، مثلها كمثل قوانين المادة الطبيعية التي تتحكم في تنظيم العالم المادي من حيث واقعيتها واستقلالها وترابطها وترتيب نتائجها.

إن فكـرة الموضعية بهذا الشكل في العلوم الاجتماعية و خاصة علم الاجتماع و تفريغه من القيمية والأحكام الأخلاقية ، ((قد تعتبر للباحثين في العالم الثالث وسيلة مضللة لإبعادهم عن النظر في قضاياهم المجتمعية الحادة من الداخل والتفاعل معها، تحت ستار موضوعية باردة فارغة المحتوى .))[٢]

((إن البشـر يسـتطيعون أن يقدمـوا تلك الحقائق الواقعية العلمية كما هي دون التأثر بأهـوائهم وميولهم ومصالحهم فلا يصيبها شيء يمكن أن يؤدي إلى مغايرة الواقع العلمي نتيجة نظرة ضيقة أو تحيز أيدلوجي أو غيره .. وتفترض الموضوعية بأن هناك منهجا علميا واحـداً يمكن أن يوصل إلى الحقائق الموضوعية إذا قام العلماء والباحثون بدراسة الظواهر الطبيعـية المختلفة ، وكذلك الإنسانية والاجتماعية وفقا له . وهذا المنهج يمكن العالم من تصـوير الحقائـق الموضوعية تصويرا دقيقا صحيحا وبالشكل الذي تقتضيه تلك الحقائق وكذلك تفسيرها ، وكل ذلك يمكن للمنهج العلمي أن يفعله بقطع النظر عن هوية العالم ومعتقداته ورؤيته الكلية ومصالحه و أهوائه .))[٣]

ولقـد انخدع بهذه الفكرة كثير من جماهير الباحثين والمثقفين والمتعلمين وأصبح لديهم يقينية بعلمية العلوم الغربية ، و منها الطبيعية والاجتماعية والإنسانية وأنها جميعا موضوعية ، وأنها وصلت إلى درجة من اليقين جعلنا نسلم بها ، ونمررها بدون نقد أو نقاش .

---

1 – عبد الوهاب المسيري ، تحرير، إشكالية التحيز محور علم النفس مرجع سابق ، ص ٣١

2 – غالي شكري، نحو علم اجتماع عربي، مرجع سابق ، ص١١١

3 – عبد الوهاب المسيري – إشكالية التحيز –مقدمة في فقه التحيز، مرجع سابق ، ص١٢

وما إن بدأت مدارس النقد الغربية تبين وتكشف خطأ الكثير من تلك المسلمات سواء على مستوى العلـوم الطبيعـية أو الإنسانية ، وظهرت حقيقة تحيز هذه المناهج إلى الفكر الأوربي وظهر فيها حقيقة أهـداف الباحـثين أو الدول أو التيارات الفكرية التي تحرك الباحث وأصبحت مكشوفة أمام المفكرين الغربيين أنفسهم، في حين مازال الكثير من الباحثين في العالم الإسلامي يدورون في فلك الموضوعية الوهمي

ولقد أصبح من الواضح أن أوربا بدوائرها العلمية أعادت صياغة التاريخ ليوافق رؤيتها ، ولهذا نراها تبـنت تاريخ العلم ونظرياته وفلسفاته وتصنيفه ، وبنت مناهجه وفق منظورها الفكري ، وربطت ذلك بالمجـال التراثي لدى الإغريق والرومان ، وانتقت من التراث الإسلامي ما راق لها ، ونسبته إلى أبنائها أو حالـت إعادته إلى جذورها الإغريقية والرومانية ، وحصرت دور المسلمين فقط في حفظ التراث اليوناني وترجمته فقط دون أن يتدخل المسلمون فيه بالنقد والتوجيه عكس ما بين ذلك بعض المنصفين من نقادهم ؛ إذ أكـدوا أن المسلمين لم يكونوا مجرد ناقلين لتراث الأمم السابقة ، بل أخضعوا هذه العلوم لمناهجهم الإسـلامية ، وأعملـوا فيها العقل بالنقد والتمحيص ، ونفثوا عنها الخرافات والأساطير وعرضوها على منهج التجريب الذي ابتدعوه ولم يسبقهم أحدٌ في تلك المنهجية العلمية المقننة .

يقول إسماعيل الفاروقي رحمه الله:

((إن علمـاء الاجتماع يعلنون في جرأة أن بحوثهم موضوعية ، ولكننا نـعلم أنهم متحاملون ، وأن نتائجهم محدودة الفحوى، فلم يكن كتاب (ديلثي، علم اجتماع المعرّفة) موجوداً بعد ليعلمهم أن موضوعيتهم المدعاة كانت حلما . فقد كان علم الإنسان أجرأ العلوم جميعا لأن موضوعاته — المجتمعات (البدائـية) في غـير العـالم الغـربي — كانت مادة صامته لا تستطيع إن ترفع إصبع النقد في وجوه أصحابها .)) (١)

يقـول عـبد الـوهاب المسيري ((لقد بدأت الأسطورة تهتز قليلا كما اهتزت الثقة ((بالموضـوعية)) ، الـتي بقيت فترة طويلة باعتبارها الأساس الذي تتحلى الحقائق الاجتماعـية والإنسـانية به . لقد استخدمت الموضوعية كعقيدة دينية لاهوتية بديلة لصكوك الغفران ، وفي نفس الوقت لها قرارات الحرمان التي تدمغ بها من لا يلتزم بها ولا يسـلك طريقها .. ولا تزال الموضوعية لدى الآلاف من المتعلمين المسلمين فكرة علمية تسول لهم أن الحقيقة في الكون يمكن الإمساك بها والتعبير عنها بصورة كاملة من قـبل الباحث الموضوعي .. والتي تفترض أن الباحث شخص محايد بلا هوية ولا

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي — العلوم الطبيعية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٧-٢٨

ثقافــة ولا عقــيدة ولا أفكار مسبقة .. ولقد تم توظيف هذه الفكرة توظيفا سياسيا واستعماريا وأيديولوجيا في غالب الأحيان إن لم يكن في جميعها ؛ حيث خضع البحث العلمــي لســيطرة الأقوياء سياسيا وماليا وأيديولوجيا ، وفي نفس الوقت قدمه على الحقيقة الموضوعية)) [١]

ولهــذا ترى جميع مناهج العلوم الاجتماعية و التربوية في جامعاتنا مازال يخضع لهذه النظرة الغربية ســواء في المحــتوى أو فكر المدرسين له، فنراهم يقدمون النظريات الغربية في علم الاجتماع بأنها قوانين محكمــة ، وأبحاث موضوعية ، ونتائج عمومية ، وإنها حيادية ، وهدفها العلم و للعلم فقط، ومثل هذه الدعوى باطلة في الغرب نفسه فما بالك بالأمم والحضارات المناقضة للفكر الغربي.

ولــو ألقينا نظرة على بعض الباحثين في العالم الإسلامي في علم الاجتماع لوجدناهم يرددون هذه الدعوى بدون دليل إلا تقليدا للغرب في منهجه العنصري ، ومثال ذلك ما تقوله حكمت الأعرابي بقسم الدراسات الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود في كتابها (النظريات المعاصرة في علم الاجتماع) عن النظرية في علم الاجتماع : ((بهذا المعنى مجموعة من القواعد والاتجاهات النظرية والمنهجية التي يدعو إليها دوركهايم في كتابه ((قواعد المنهج في علم الاجتماع)) وتشرح ذلك بقولها: ينبغي دراسة الظواهر الاجتماعية على إنها أشياء خارجية تقدم نفسها للمشاهدة ليتيسر للباحث أن يدرسها في صورة موضوعية ، وتحــرره من أهوائه الذاتية .- ثم تعلق على ذلك فتقول : لكي يكون لهذه النظرية أتباع يسيرون عليها فهــذه قواعدها النظرية والمنهجية ، وتتحول إلى مدرسة فكرية من المدارس التي يأتلفها علم الاجتماع في نطاقه .)) [٢]

انظــر إلى أي مدى أصبح النموذج الغربي هو المقياس الذي تقبل بموجبه المعرّفة الإنسانية ، فإذا لم تكن على شرعة دوركهايم ومناهجه فلن يكون لها أي إتلافا مع مدارس علم الاجتماع .وقس على هذا التصور لدى الباحثين المسلمين في مجالات المعرّفة الأخرى ؛ إذ أن المنهجية الغربية هي الميزان الذي توزن به المعارف ، فما قبله المنهج الغربي فهو إذا مقبول علميا ، وما رفضه فليس له شرف العلمية.

إن من أهم المعضلات التي تواجه علم الاجتماع في تحديد كنه مجاله " ثنائية الموضوعية والذاتية " التي عــبر عــنها (بورديو) بالمعارضة الظاهرية بين وجهتي نظر متناقضتين، وبين منظورين متنافرين ، وهي المعارضة القائمة بين " الاتجاه الفيزيقي " والاتجاه النفسي " والاتجاهان معا يعبران عن الفجوة الموجودة في

1 – عبد الوهاب المسيري – إشكالية التحيز ، مرجع سابق ، ص١٤

2 – حكمت الأعرابي – النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص٨

بحوث علماء الاجتماع ودراساتهم بين مادة الإدراك الحسي و مادة التفكير النظري، أي بين المادة والفكر ، والحس والعقل ، والموضوعية والذاتية .[١]

يقول محمد عزت حجازي : ((يجب أن نسلم بحقيقة بسيطة ومهمة، وهي أنه لا يوجد شيء اسمه علم محايد، وإذا كان هذا يصدق على العلم بعامة، فإنه يصدق على علم الاجتماع بدرجة أكبر)) [٢]

وهـــناك من يرى أن عقم علم الاجتماع في بلادنا يرجع إلى أن المشتغلين به ينطلقون في تفكيرهم وبحـــثهم ، أو يتأثـــرون فيهما باعتبارات إيديولوجية ، وأن خلاص العلم يمكن أن يتحقق بالتزام الحياد والموضـــوعية ، وهذا تفسير يطعن في صحته تاريخ العلم بعامة، وعلم الاجتماع بالذات ، بل إن فكرة الموضوعية ذاتها توظف عند بعض أهم دعاتها لخدمة أهداف إيديولوجية.[٣]

وينكـــر ســـيف الدين إسماعيل على الباحثين المسلمين انخداعهم لمصطلح الموضعية في المنهجية الغربية و عدم مراجعتهم لذلك المصطلح فيقول:

((يـــبدو للـــباحث أن مقولة الموضوعية التي تنتشر في جل كتابات الباحثين المسلمين، أو غيرهـــم، إنمـــا هـــي في حاجة إلى مراجعة، أو على الأقل رؤية هذا المفهوم برؤية نقدية إســـلامية، وذلـــك أن تلك المقولة تستبطن في داخلها مجموعة من القيم الغربية التي تؤمن بالمركـــزية الأوروبية والغربية ، وتحقق الانتشار والغلبة للمفاهيم الغربية في العلم والدين ، بـــل والتقسيمات المختلفة والتصنيفات الحضارية النابعة من الحضارة الغربية، بل وحتى في أســـلوب الطـــرح و الاستخدام المنهجي ومصادر المعلومات، كما تدعي (الحقائق) أو دعوى النمط الثقافي العام والثقافة الإنسانية من حيث المعايير والمقاييس .)) [٤]

ويـــتأكد لـــنا حقيقة أن العلوم الاجتماعية لم تلتزم حيادا علميا زعمته، بل اعتمدت نظرياتها على الـــتخمين، والأخذ بالخيال والمضاربة العقلية أكثر من اعتمادها على الحقائق الامبريقية . والأخذ بالعلوم الاجتماعـــية هـــو أساس الضياع الذي تعاني منه البشرية، وقد سربت نظريات هذه العلوم معايير وأطر الحادية مادية وعلمانية إلى حياة الناس [٥]

---

1 – فضيل دليو، علم الاجتماع الغربي وثنائية النظرية، إسلامية المعرّفة العدد الحادي عشر، ص ٨٥

2 – محمد عزت حجازي –نحو علم اجتمع عربي، مرجع سابق ، ص ١٧

3 – محمد عزت حجازي – المرجع السابق، ص ٣٢

4 – سيف الدين إسماعيل – بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، المعهد العالمي للفكر إسلامي، ج٢ ص٢٥٣

5– انظر: محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، مرجع سابق ، ص ص ٧٠-٧٦ – و إبراهيم رجب، منهجـــية التوجـــيه الإســـلامي للخدمـــة الاجتماعية، دار عالم الكتب – الرياض– ط الأولى ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م . ص ص ٣٦-٤٢

٢- استغلال الغرب للأبحاث الاجتماعية:

لم تكن الأبحاث في علم الاجتماع العام أو علم اجتماع التربية علمية بحتة كما يروجون لذلك بل هــي في الحقــيقة مســلطة لخدمة أهداف سياسية واقتصادية وتبشيرية واستعمارية وقد يدرك ذلك من اعترافات الباحثين أنفسهم أو من الدوائر التي تقف خلفهم وتنفق بسخاء على أبحاثهم ومشاريعهم .ويمكن أن نحدد هذه الأهداف بما يلي:

اســتغلال الأبحــاث الاجتماعــية والعلوم الإنسانية لخدمة الأهداف القومية الغربية على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري ، بل والثقافي ، وظهر في هذا التوظيف السافر والمكشوف في كثير من النتائج التي انتهت إليها الدراسات الاجتماعية الأنثروبولوجية، ولقد وظفت هذه الدراسات بشكل مباشر أو غير مباشر في تبرير مشروعيّة استغلال الاستعمار الأوربي في المرحلة العسكرية السابقة كما في المرحلة الثقافية والاقتصادية الحالية . ويلاحظ محمد حجازي أحد الاجتماعيين العرب، أن علم الاجتماع والبحث الاجتماعــي في المــنطقة العربية نشأ كرأس حربة للاستعمار، وتطور في خدمته ، وبعد ((الاستقلال)) السياسي لبلدان المنطقة، وأصبح جانب مهم من علم الاجتماع يعمل – بطريق غير صريحة في الغالب – علــى تكريس تبعية المنطقة للإمبريالية... أن بعض النظريات الأوربية الغربية قد وظف في خدمة استعمار المنطقة العربية ونهبها، و يوظف الآن لتكريس تخلفها و تبعيتها.[1]

ويظهــر ذلك في استخدام فرنسا لعلماء الاجتماع في تعزيز سيطرتها على شعوب المغرب العربي ((فقــد كــان كامبون (الحاكم الفرنسي للجزائر) من الدعاة إلى توظيف الدراسات الاجتماعية في الغزو الكولونــيالي ... وهكذا يتبين أن السوسيولوجيا في بدايتها في المغرب كانت مؤسسة إدارية وسياسية في خدمة الحماية)) [2]

١- النــــزعة العنصرية تطبع أبحاث العاملين في العلوم الإنسانية في بداية تأسيسها كما في مراحل لاحقة من تطورها وأمثلتها:

أ- إن ((جوبنــيو)) وهــو واحــد من المؤسسين الأوائل لكرسي أبحاثه لإثبات فرضية تفوق الأجــناس الشمالية والآرية ، وأن هذه الشعوب هي صانعة الحضارة المعاصرة ، ولهذا يجب الحفــاظ على هذه الشعوب و نقائها وعدم اختلاطها بغيرها من الأجناس المتدنية. باعتبار أن هــذا يهــدد العقلــية الخلاقة و الفردانية للجنس الأبيض الذي تدين له الحضارة المعاصرة

1 - محمد حجازي – نحو علم اجتمع عربي،مرجع سابق .ص ص ٣٤ -٣٩

2 - المختار الهراس، نحو علم اجتمع عربي، مرجع سابق ، ص ص٢٩١-٢٩٣

بوجـــودها، ((وانطلاقا من ذلك روج اليمين المتطرف في فرنسا وألمانيا وغيريهما للرد على ظاهرة المهاجرين اليوم بـــ ((قانون التنافر)) وهو ما سبق أن عمدت إليه النازية والفاشية بعد الحرب العالمية الأولى)) [١]

ب- وهـــي نفس الفكرة التي نجدها عند ((لايوج)) الذي أعطى الجنس الآري كل الصلاحيات ليتصرف في العالم كيف يشاء.

ج- وكـــذلك نرى الفكرة نفسها عند (ماكس فيبر) من رواد علم الاجتماع الألمان فهو يؤمن بتفرد الحضارة الغربية والنمط الثقافي الغربي والعلم في تصوره لم يتم إلا في الغرب وهو وحده الذي صاغ تاريخا علميا ، وهو وحده الذي يتمتع بنظم سياسية وقانونية واقتصادية متينة على أسس عقلية متينة .

د- وهـــذا (مـــارس موس) - صاحب الترعة الاستعلائية - يردد أن الشعب الأوربي في نظره وحده الذي استحق أن يسمو بين شعوب العالم .

هـــ- ثم تطور مبدأ اللامساواة الطبيعية على يد (شارل مونت) ومع عالم السلالات (فيكتور كورتيه دوليل) الذي طالب بتشديد الفرو قات العرقية لإزالة كل مبررات المطالبة بالمساواة ، وراح يـــدعم حججـــه عـــن التفوق الأوربي بما يستوحيه من العلماء الألمان من فكرة العرق الأسمى ...، وإلى هذه الأفكار أضيفت أفكار ((الداروينية)) من الدرجة الثانية تؤكد السريان العلمـــي للتقسيم العرقي للشعوب ، وتصنيفها إلى شعوب متقدمة ومتخلفة، أو أوربية – آرية وشرقية – أفريقية . [٢]

٢- وتســـتخدم الدراسات الاجتماعية في المجال السياسي (الاستعماري)حيث توجه هذه البحوث إلى دراســـة الدول المتخلفة لتقديم بيانات تفصيلية حول أوضاع تلك البلدان من أجل إحكام الســـيطرة علـــيها باسم تحضير هذه الدول وحاجتها إلى معونة تقوم على تنظيم شؤونها. كما تهدف الدول الغربية من وراء هذه الدراسات إلى السيطرة على الأمم الأخرى في مجال الاقتصاد والمجال العسكري.

---

1 - علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، سلسلة كتاب الأمة – وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية –قطر – ع٩٦ رجب ١٤٢٤هـــ ص٣٧

2 - علي القريشي، المرجع السابق،، –.ص٣٧

وهذا ما أكده عالم الاجتماع الأمريكي ((أر نولد جرين)) بقوله: ((إذا كانت حكومة الولايات المتحدة ترغب في إقامة روابط اقتصادية وسياسية وثيقة مع بلدان العالم بأسره، فإن علينا – نحن – أن نعرّف أكثر ما نعرّفه عن هذه البلدان وعن شعوبها وما هي ثقافتهم ؟ وما هي اتجاهاتهم السائدة نحو النمو التكنولوجي ؟ وما هي معتقداتهم و انحيازاتهم التي يمكن التعرّف عليها والإفادة منها لجذبهم إلى نفوذنا؟ وما هي المعتقدات و الانحيازات التي يجب أن نعدلها أو نتقبلها ؟ قبل أن نتمكن من تحقيق ذلك، ما هي الأبنية الاجتماعية الطبقية السائدة و مراكز القيادة ؟ ومن هم هؤلاء الذين نحتاج تعاونهم أشد الاحتياج ؟ قبل الشروع في تنفيذ مختلف البرامج، وبعد البدء في هذه البرامج ..) (١)

ويؤكد القريشي أن الهاجس الذي يحرك هذه الدراسات هو دعم التصورات الاستعمارية (٢)

٣- ويبرز الباحث محمد وفيدي العلاقة بين الإيديولوجية والعلم، فيعرض للسمات الإيديولوجية للعلوم الاجتماعية الاستعمارية فيلخصها في عدة مظاهر هي: ((أولا: إن العلوم الاجتماعية الاستعمارية ، استمرار للأبحاث الاجتماعية الغربية التي بدأت مع علم الاجتماع عند كونت ، إذ دعا كونت إلى دراسة الظواهر الاجتماعية في المجتمعات الأقل تقدما .وثانيا: تظهر السمة الإيديولوجية للعلوم الاجتماعية الاستعمارية في ارتباطها بالأهداف العلمية للحركة الاستعمارية، وتهدف السلطة الاستعمارية إلى أن تجعل ظاهرة الاستعمار مقبولة من طرف من هم موضوعون لها. وثالثا: تبرز السمة الإيديولوجية للعلوم الاجتماعية الاستعمارية في موقفها من ظاهرة الاستعمار، فإن تلك العلوم لا تضع أبداً هذه الظاهرة موضوع سؤال وان اتجاه البحث يسير في طريق البحث عن السبل التي تضمن استمرار هذه الظاهرة . (٣)

٤- تعزيز التبعية و ربط الدول العربية والإسلامية بدول الاستعمار وذلك في جميع شؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى أصبحت التبعية ((ليست مجرد موقف نفسي فردي أو فئوي، وإنما هي حالة واقعية موضوعية شاملة، من أهم أبعادها ومظاهرها الانشغال بقضايا ((المركز)) (الدول الاستعمارية))، والنقل المباشر – غير الواعي في كثير من الأحيان – للمداخل والمناهج وأدوات البحث والابتكار والنظريات، بل والقيم التي توجه سلوكنا واللغة التي تكتب بها، و

1 – أو سيبوف .ج، قضايا علم الاجتماع، دراسة نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي – ترجمة دار المعارف – القاهرة –١٩٧٠م. ص ٦٢

2 – أو سيبوف .ج، المرجع السابق، ص ٤٢

3 – محمد وفيدي – العلوم الإنسانية والإيديولوجية، نقلا عن رشدي طعيمة ، معوقات توجيه العلوم توجيها إسلاميا – – مجلة شؤون اجتماعية – ع ٣٨ – ١٤١٤–١٩٩٤م –، ص ٨٣

نحـــن نفكـــر كمـــا يفكرون، ونعبر عن أنفسنا بطرق تشبه تلك التي يستعملونها للتعبير عن أنفسهم))[١].

٣- التحكم الأيديولوجي في علم اجتماع التربية :

إن التعصب المـــذهبي والعقائد الفلسفية أمر شائع لدى علماء اجتماع التربية ، فتجد الماركسيين يدعـــون أن النظريات الغربية ما هي إلا مجموعة من الأساطير ، وأن المنهج الماركسي المادي الجدلي هو الوحيد القادر على دراسة علم اجتماع التربية دراسة علمية منهجية.

يقول ((اوسيبوف)): إن النظريات الغربية في نظره لم تتوصل إلى صياغة القوانين الاجتماعية كما هـــو الحـــال عند الماركسيين الذين أخضعوا كل بحوثهم لقانون المادية الجدلية والتاريخية واستطاعوا أن يخرجوا الفكر الاجتماعي من تيه الفلسفات المثالية الامبريقية . [٢]

كما أن الاتجاهات الدينية ، كاليهودية والصهيونية استغلت علم الاجتماع لتحقيق أحلام الصهيونية في هدم الأديان والأخلاق و إظهار الفساد ، على أنه عادات اقتضتها حالات الشعوب للتطور والتغيير ، وهـــذا واضح في سعي علماء الاجتماع اليهود في إنكار الدين والأخلاق و إرجاعه إلى اختراع الإنسان الأول لها.

وإذا كـــنا لا نقـــر بأن العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية قد شهدت تطورا وتجديدا في مناهجها وأدواتها التحليلية ، إلا أن شقها المتخصص في المجتمعات غير الغربية ظل متخلفا وظلت منهجيته محكومة بالتحيز . [٣]

كمـــا أن النزعـــة الاســـتعمارية والتبشير استغلت هذه النظريات والدراسات الاجتماعية لتحقيق أهدافها.

يقول عالم الاجتماع الأمريكي (أر نولد جرين) وله اهتمامات كبيرة بعلم اجتماع التربية : ((إذا كانـــت حكومة الولايات المتحدة ترغب في إقامة روابط اقتصادية وسياسية وثيقة مع بلدان شعوب العالم بأسره فإن علينا نحن – يقصد علماء الاجتماع – أن نعرّف أكثر ما نعرّفه عن هذه البلدان وعن شعوبها ما هي ثقافتهم؟ ما هي اتجاهاتهم السائدة نحو الولايات المتحدة ونحو النمو التكنولوجي ؟ ما هي معتقداتهم و انحـــيازاتهم التي يمكن التعرّف عليها والإفادة منها لجذبهم إلى نفوذنا ؟ و ما هي المعتقدات و الانحيازات الـــتي يجب أن نعدلها أو نتقبلها قبل أن نتمكن من تحقيق ذلك ؟ ما هي الأبنية الاجتماعية الطبقية السائدة

---

1 - محمد حجازي نحو علم اجتمع عربي ، مرجع سابق ، ص ٣٤

2 - غريب سيد أحمد علم الاجتماع وقضايا الإنسان، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية- ١٩٨٩م ص٦٤

3 - علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا ، مرجع سابق ، ص٣.

ومراكز القيادة ؟ ومن هم هؤلاء الذين نحتاج تعاونهم أشد الاحتياج قبل الشروع في تنفيذ مختلف البرامج وبعـد البدء في هذه البرامج فإن علينا أن نواصل جمع الإجابات على هذه الأسئلة جميعها بحرص والتأكد منها.))[١]

ويـذهب رفيق حبيب في بحثه ((العلوم الاجتماعية بين التحديث والتغريب ...)) إلى أن أي علم يتحيـز إلى مجمـوعة من القيم التي نبع منها، أي أن العلم، خاصة الاجتماعي، متحيز بالضرورة لوظيفة اجتماعـية وُجِـد من أجل تحقيقها، وهو ما يعتبر تحيزا في اختيار الموضوع، وتحيزا في السعي لاكتشاف حقائق دون أخرى تتأثر بتحيز عنصري أو تحيز لطبقة اجتماعية، فهناك حتمية التحيز أما الحياد التام فهو أقرب للوهم منه للحقيقة .[٢]

كما أن النزعة المركزية الأوربية التي ترى بأن الغرب هو المركز وهو العقل والآخرون هم الأطراف وهم الخرافة، و الغرب هو التحضر و الآخر هو التخلف والغرب العالم الأول والأخر العالم الثالث، هذه النظـرة هي المسيطرة على عقول النخبة من المفكرين والسياسيين بل حتى الإنسان الأوربي العادي تشبع بهذه النظرة الاستعلائية .

((وفي مقامـنا هذا، إذ نشير إلى هذه الظاهرة الغربية التكوينية – نزعة المركزية الأوروبية – ضمن الوسط الأكاديمي فإنها تبدو أكثر وضوحا، حتى ليبدو أمامنا الباحث الغربي غير قادر على فهم (الآخر) إلا في ضوء مقاييسه الثقافية ورؤيته الحضارية، التي تقوده إلى اعتبار أن الجنس الأوربي وما يرتبط به من أنماط معرّفية وتجارب اجتماعية هو النموذج الذي يقاس عليه، وبالتالي لا تقوم الثقافات والتجارب الأخرى إلا علـى أساسه ...ولا يرى غير ضرورة أن ينصاع (الآخر) إلى رؤيته و أطروحاته على النحو الذي يفقد ذلك (الآخر) شروط وجوده الحضاري))[٣]

1 – انظـر، غـريب سيد أحمد، علم الاجتماع وقضايا الإنسان، ، مرجع سابق ، ص٦٤، محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي، ، مرجع سابق ، ص ١٤١

2 – محمد المسيري، تحرير، إشكالية التحيز محور علم النفس، ، مرجع سابق ، ص ١.

3 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، ، مرجع سابق ، ص ص ٣٥-٣٦

المبحث الرابع

المناهج المعاصرة لعلم اجتماع التربية

(في جامعات العالم العربي)

١- علم اجتمـاع التربية في جامعات العالم العربي:

كثير من الجامعات في العالم العربي تقدم لطلابها مقررات دراسية في العلوم الاجتماعية والتربوية من ضمن هذه المقررات مقرر مادة علم اجتماع التربية والذي يقدم تحت عدة مسميات منها (علم الاجتماع التربوي، علم اجتماع التربية، علم اجتماع المدرسة)

ومن الجامعات التي تقدم هذا المقرر واستطاع الباحث أن يقف على ذلك من خلال الأدلة الجامعية أو من خلال مواقع الجامعات على الشبكة العالمية (الانترنت) ومنها ما يلي:

١- جامعـة الملك سعود: كلية الآداب وصف مقررات قسم الدراسات الاجتماعية (علم الاجتماع التربوي رقم المقرر ٣٢٩) ، وقد أوضحت الكلية مفردات هذا المقرر كما يلي:

يهدف هذا المقرر تعريف الطلاب بموضوع علم الاجتماع التربوي، ومدى مساهمة علماء الاجتماع في إثـراء علـم الاجـتماع التربوي، تحديد المقصود بالتربية ظاهرة اجتماعية – علاقة التربية بالأنساق الاجتماعـية الأخـرى – دور التربية في المجتمع المعاصر – دور التربية في التغير الاجتماعي – التربية في الإسلام. إسهامات المفكرين المسلمين في التربية، خصائص التربية الإسلامية. [1]

٢- جامعة الملك فيصل: كلية التربية شعبة علم الاجتماع ، مقرر علم الاجتماع التربوي:

تعـريف المقرر: الاجتماع التربوي من حيث النشأة وموضوع الدراسة وميادين البحث فيه، علاقة علم الاجتماع التربوي بالعلوم الاجتماعية الأخرى؛ وظائف النظام التربوي في المجتمع، الأسس الاجتماعية للعملية التربوية، النظم الاجتماعية التربوية، المدرسة، الأسرة، والجماعات الاجتماعية، النظام التربوي في الإسلام، التربية والتغير الاجتماعي. [2]

٣- جامعة أم القرى : تقدم كلية التربية ومن خلال قسم التربية الإسلامية والمقارنة ثلاثة مقررات هي:

١- مادة علم الاجتماع التربوي (٢٣٣ت) وقد وصف المقرر بما يلي ((ماهية علم الاجتماع التـربوي : (نشـأته ،تطـوره ، أهم النظريات في مجالاته) و دراسة التربية كظاهرة اجتماعية

---

1 - موقع جامعة الملك سعود على شبكة الإنترنت للعام الدراسي ١٤٢٤هـ http://www.ksu.edu.sa/

2 - موقـع جامعـة الملـك فيصـل علـى شـبكة الإنتـرنت للعـام الدراسـي ١٤٢٤هـ www.kfu.edu.sa/Colleges/college5/college5-24-2.asp

وتحليلها من حيث بنائها ووظيفتها والتنشئة الاجتماعية ، ودراسة وتحليل تطور المؤسسات التربوية كالأسـرة والمدرسة من حيث بنائها والدور الوظيفي الذي تلبيه في المجتمع ، ودراسة العلاقة بين النسق التربوي والتغير الاجتماعي ، دور النظام التربوي في تحقيق التقدم الاجتماعي ، دراسة اثر العقيدة الإسلامية في ترابط المجتمع وفي عملية التطبيع الاجتماعي ([1]).

٢- مـادة اجتماعيات التربية (٥٤٨ت) ووصفة المادة بأنها : تهدف هذه المادة إلى إعطاء لمحة أساسـية لمفهوم علم الاجتماع وتعرض النظريات الاجتماعية التي لها علاقة بالبناء الاجتماعي لمساعدة الدارس على فهم النظريات الاجتماعية وتطبيقها في مجال علم الاجتماع التربوي كما تهدف المادة إلى دراسة نشأة علم الاجتماع التروي كما تهدف المادة الدراسية إلى دراسة نشأة علم الاجتماع التربوي و تطوره واهم ميادينه .([2])

٣- اجتماعـيات التـربية (٥٤٨ت) وصـف المقـرر بأنه : يعطي هذا المقرر فكرة عن نشأة (اجتماعيات التربية) بهدف إبراز مراحل النشاط الإنساني من خلال وصف وتفسير اثر الأنظمة والعلاقـات الاجتماعـية علـى شخصـية الفرد ، ومن خلال النظر إلى المدرسة وغيرها من المؤسسـات التربوية كمؤسسات اجتماعية داخل البناء الاجتماعي العام تؤدي دورها الوظيفي داخله وتسهم بدور إيجابي في تقدمه وتطوره ، ويمكن أن يتضمن ذلك المقرر العناصر التالية :

أ- مقدمة عن نشأة وتطور مفهوم علم الاجتماع التربوي .

ب- التربية كظاهرة اجتماعية وتشمل (التنشئة الاجتماعية : المعنى م العوامل المؤثرة) وبعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية \ . الأسرة / المدرسة / المسجد / وسائل الإعلام)

ت- التربية والتغير الاجتماعي (ماهية التغير الاجتماعي / عوامله / أنواعه مراحله / وأنواعه) دور التربية في التغير الاجتماعي .

ث- دراسة بعض العمليات الاجتماعية (التعاون م التكيف / المنافسة)

ج- الـثقافة والتفاعل الاجتماعي (عناصر الثقافة / الخصائص / التفاعل الاجتماعي / الأسس الثقافية للتربية).

ح- اثر العقيدة الإسلامية في ترابط المجتمع وفي عملية التنشئة الاجتماعية . ([3])

[1]- جامعة أم القرى – دليل كلية التربية –١٤٢٥هـ ص٤٨

[2]- جامعة أم القرى – دليل كلية التربية –١٤٢٥هـ ص٥٢

[3]- جامعة أم القرى – دليل كلية التربية –١٤٢٥هـ ص٦٦

٤- جامعة الكويت: قسم أصول التربية ويشمل تخصصات ، ومنها اجتماعيات التربية ، ويقدم خلال هذا القسم مادة علم الاجتماع التربوي.[١]

٥- جامعـــة بـــيروت العربية : المقررات الدراسية:كلية الآداب قسم اللغة العربية ، وقد فصلت الكلية محتوى علم الاجتماع التربوي (٣٣٠) كما يلي:

علـــم الاجتماع التربوي: نشأة العلم وتطوره. النماذج والاتجاهات النظرية. البناء الاجتماعي والتعليم. التعليم والنظم الاجتماعية. اقتصاديات التعليم. الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والتحصيل العلمي. النسق القيمي والتعليم. المدرسة كنسق اجتماعي. المدرسة كمؤسسة رسمية. الحراك والتعليم. [٢].

٦- جامعـــة حلب ، الجمهورية العربية السورية وهي تقدم مقرر علم الاجتماع التربوي لطلاب قسم التربية، و لم يقدم الموقع توصيفا للمقرر . [٣]

٧- جامعة الجزائر : قسم علم الاجتماع ومن مقرراته علم اجتماع التربية وتم توصيف المقرر بأنـــه : يـــدرس تاريخ التربية ونظرياتها والتحليل السوسيولوجي للمؤسسات والأنظمة التربوية واقتصاديات التربية و التنشئة الاجتماعية ومشكلات التربية والتكوين في الجزائر .[4]

٨- الجامعات الأردنية وخاصة في أقسام علم الاجتماع وأقسام أصول التربية ، ومن أشهر هذه الجامعات التي تقدم مقرر علم اجتماع التربية الجامعة الأردنية /كلية العلوم التربوية — قسم أصول التربية .كما ذكر ذلك عبدالله رشدان في مقدمة كتابه بأنه يقدمه لطلاب الجامعات الأردنية [5]

٩- ومن الجامعات التي تقدم هذا المقرر و لم تذكر توصيفا له جامعة الملك خالد —السعودية بأبها ـــوجامعة الإيمان باليمن ، وجامعة المنصورة بمصر، وجميعها ذكرت هذا المقرر كمتطلب أساسي في مرحلة الجامعية وخاصة لطلاب التربية ، وطلاب قسم الاجتماع .[6]

---

1 – موقع جامعة الكويت ، عنوان الموقع في مراجع الدراسة .

2 – موقـــع جامعـــة بـــيروت علـــى شـــبكة الإنتـــرنت للعـــام الدراســـي ١٤٢٤هـــــ www.bau.edu.lb/bau/faculties/Arts/sociocurril

3 – موقع جامعة حلب على شبكة الإنترنت للعام الدراسي ١٤٢٤هـــwww.alepuniv.shern.net/fac/edu

4– موقـــــع جامعـــــــة الجزائـــــــر علـــــــى الإنتـــــــرنت .- http://www.univ-alger.dz/arabic/FaculteHumainespsycho.htm

5– عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق — ط الأولى، ١٩٩٩م الأردن. ص٨

6– عناوين المواقع لهذه الجامعات على الإنترنت مثبتة في قائمة المراجع

المبحث الخامس
نماذج من مقررات علم اجتماع التربية
التي تقدم في بعض الجامعات في العالم العربي:

سوف يعرض الباحث في هذه الدراسة لأشهر الكتب التي تقدم لطلاب الجامعات في العالم الإسلامي خلال مقرر (علم الاجتماع التربوي سابقا – علم اجتماع التربية حاليا –) ولهذا فجميع الكتب التالية هي في الأصل مقررات جامعية تدرس بواسطة مؤلفيها أو غيرهم في الجامعات العربية والإسلامية، و مما يلاحظ على هذه الكتب (خاصة) وغيرها في هذا المجال ما يلي:

أولا: كتاب: د / علي محمد شلتوت، علم الاجتماع التربوي، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٠م [1] يعد هذا الكتاب من أوائل ما ألف في هذا المجال ، ولهذا فهو مرجعٌ رئيسٌ لكل من كتب في علم اجتماع التربية، و القارئ لهذا الكتاب يلاحظ أبرز اتجاهات المؤلف في هذا الكتاب والتي منها اعتماده الفكر العلماني كقاعدة ينطلق منها، و التي من مسلمات هذا الفكر فصل الدين عن العلم والحياة ، و تجاهل أثره ودوره في الحياة الإنسانية عموما، كما إن المؤلف يميل في هذا الكتاب إلى الاعتماد على الترجمة والنقل عن الكتب الغربية في هذا المجال دون أن يذكر هذه المراجع في كثير من المواقف، مما يتنافى والأمانة العلمية، ويلاحظ عليه تأثره بالبيئة الأمريكية والدراسات الأمريكية ، والاتكاء عليها و محاولة تعميمها عالميا، دون أن يراعي أن لها خصوصية تسمها بعدم قابلية تطبيقها في مجتمع أو بيئة أخرى لا تحمل عناصر و مكونات البيئة الأمريكية، ولكنه الانبهار والانهزام أمام ثقافة الغير و الانخراط في بوتقة النظرية التبعية .

وللوقوف على حقيقة غربة هذا المؤلف انظر الفصول التالية : (الفصل الثاني، تسكين الأفراد وتكافؤ الفرص [2] حيث يحدثنا المؤلف عن أمريكا فيقول : ((كل الدلائل تشير إلى أن هذه الجماعة ستنمو بشكل أكثر عددا وفي أمريكا، ينتظر أن ..) ليمضي المؤلف... يقارن ويحلل ، ويقيم المعادلات الإحصائية في أمريكا و يورد النقولات والمراجع من تلك البيئة ويتحدث عن قضية تكافؤ الفرص في أمريكا وليس في مصر. وفي جميع فصول الكتاب يعرض المؤلف للقضايا الاجتماعية والتربوية في أمريكا .

---

1 - علي محمد شلتوت، علم الاجتماع التربوي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٠م

2 - علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص ص ١١٤-١٢٥

وحــين يقول ((ومن المهم ، أن كل الذين يهتمون بالتربية يجب عليهم أن يفهموا دور العائلة في حــياة الشخص)) [1] ثم ينطلق ليحدثنا عن ذلك في حياة العائلة الغربية عموما والأمريكية خصوصا في قرابة ستة صحائف لا نجد سوى قضايا المجتمع الأمريكي، و يخلو الكتاب من ذكر شيء عن بيئة المؤلف أو الطلاب والقراء المستهدفين — في مصر- الذين عناهم المؤلف في مقدمته عندما ادعى ذلك.

وفي الــباب الســادس يقيم ثالثة الأثافي فيتحدث عن ((التربية في المجتمع الاشتراكي العربي)) من الرأسمالية كنموذج تطبيقي لعلم الاجتماع التربوي الذي تحدث عنه في (٢١٠ صحائف) ينقلب التصور مــن الــرأسمالية الأمريكية، إلى الاشتراكية بل (الاشتراكية العربية) مدعيا أنها أجمل نموذج فكري يمكن إقامــته في البيــئة الإسلامية (مصر) ويمضي المؤلف في التنظير لهذه الاشتراكية العربية من خلال التربية مدعيا أن هذه الاشتراكية قابلة للتطبيق والنجاح في الأقطار الإسلامية، وصدق الله إذ يقول :

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾ (الكهف ..٥)

ومما يلاحظ على المؤلف تبنيه لبعض الأفكار والقضايا المنافية للتشريع الإسلامي والتي أوردها المؤلف كمسلمات أو أفكار علمية دون أن يقوم بتوجيهها إسلاميا أو نقدها، مثال ذلك:في الفصل الأول وتحت عنوان (العائلة كجماعة أولية)[2] يعرف الأسرة و العائلة حسب المفهوم الغربي (العلماني) ويعترف بمبدأ التــبني كأحــد مكــونات الأســرة مــع العلــم أن هذه يتنافى مع الدين الإسلامي ، إذ أبطل دعوى التـــــبني ، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ ﴾ (الأحزاب ..٤-..٥)

وعندما يكون الحديث عن تاريخ العائلة يردد النظريات القائلة بـــ (عائلة الأم)[3] أي الأم واحدة والآبــاء مجمــوعة وهي مرحلة الجنس المشاع (الزنا) [4] والتي لم يكن هناك نظام اسري أو تشريع لهذا النظام ثم يتحدث عن نشوء مفهوم الزواج من السبي إلى الشراء إلى التبادل.

1 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص١٦٧

2 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص١٦٨-١٧٥

3 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص١٧٧

4 – علي محمد شلتوت، لمرجع السابق – ص ص١٧٦-١٨١

ومصطلح الأسرة الأم عرفه (إدوارد ويستر مارك) في كتابه (موسوعة تاريخ الزواج) بقوله : ((تعريف النسل الأموي (المفترض) الناجم عن أبوة غير معروفة ، وهو ناتج عن الإباحية القديمة ، وهذا ما يحتويه مفهوم النسل الأموي)) [١] .

ويورد المؤلف (شلتوت) كل تلك الأساطير التي ليس لها سند علمي أو عقلي على أنها مسلمات يجب أن تعلم و تترجم الأبناء المسلمين، متجاهلا أن كل ذلك منافٍ للتصور الإسلامي لمفهوم العائلة والأسرة ، وفكرة نشوئها وسيرتها الأولى .

وتحت عنوان (وظائف الأسرة)[٢] ذكر جميع الوظائف التي يمكن أن تقوم بها الأسرة ، و كذلك الأدوار ، ولكنه لم يذكر إطلاقا أي وظيفة أو دور (للدين) يمكن أن تقوم به الأسرة بل حتى الدين لم يذكر له تأثرا أو دوراً وظيفياً في حياة الأسرة، وهذا يخالف الواقع سواء في حياة الإنسان الأمريكي المعاصر والذي للدين دور كبير في حياته، وما عدد الكنائس و القنوات الدينية – التي تتجاوز الآلاف والمنتشرة على الخارطة السكانية في أمريكا – إلا دليل على أن للدين دوراً في حياة الفرد الأمريكي سواء ذكرته الدراسات الاجتماعية والتربوية أو تجاهلته، ثم العجب كل العجب أن يتجاهل المؤلف الأسرة المسلمة والدور الذي تقوم به اتجاه دينها وعقيدتها والإسلامية ، وأثر ذلك في حياة الأسرة المصرية خصوصا .

أما موقف المؤلف من الاشتراكية: فأنها تثير العجب من موقف المؤلف اتجاه ثقافته ولغته الأجنبية ، وجميعها (رأسمالية) وبتحديد أمريكية فهو حصل على الابتعاث إلى جامعات أمريكا ، ودرس علم الاجتماع التربوي الأمريكي بوصية من أستاذه – في مصر – الأمريكي طبعا (أولرخ) والذي يترحم عليه – علما أنه يحرم الترحم على من مات كافرا معلوما كفره – ثم هو يترجم عن هذه الثقافة وينقل عنها ويدعو إلى علم اجتماع تربوي على هذه الشاكلة (الأمريكية)، ثم نجده يتجه إلى أقصى اليسار فيكون بوقا اشتراكيا مبشرا بميلاد حضارة اشتراكية على ثرى الإسلام ، بل إنه يؤكد أن الدولة السياسية أما أن تكون ((دولة اشتراكية أو شيوعية أو رأسمالية)) [٣] ثم يمضي في تبشيره بالنظام الاشتراكي في مصر ، وأنه فاتحة عصرٍ جديد للشعب المصري .

وينادي المؤلف بجعل التربية وسيلة فعالة في خدمة الفلسفة الاشتراكية إذ يقول: ((و الفلسفة الاشتراكية في مصر تضع أهمية كبيرة للتربية على أنها الوسيلة الناجحة لنشر الفكر الاشتراكي وتوسيعه

---

1 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص٢٣٩

2 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص ص ١٨١-٢١٢

3 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص٢١٣

وتعمـــيقه في قلوب المواطنين جميعا.)) [١] ، وأما القيم التي يجب أن تقوم عليها فلسفة التربية فهي قيم اشتراكية ((والقيم توجد في الإطار المرجعي العام في المجتمع ، والإطار العام هو الفكر العام ، أو الفلسفة أو نوع الثقافة السائدة في المجتمع، ونمثل هنا للإطار العام بالفلسفة الاشتراكية في مجتمعنا- متى كان المجتمع والفـــرد المصري اشتراكيا[٢]-، وقد خلقت هذه الفلسفة الاشتراكية قيما جديدة في المجتمع، كما غيرت قـــيما أخرى كانت سائدة فيما قبل – يقول الباحث هي قيم الإسلام – ...ومجتمعنا الاشتراكي مجتمع جديـــد ، ولـــه إطاره العام وفلسفته وثقافته الجديدة، ومجتمعنا الجديد وفلسفته الاشتراكية أنشأت قيما جديدة))[٣].

ثم يمضـــي المؤلف في عرضه لاستغلال علم الاجتماع التربوي في ترسيخ قيم الاشتراكية في المجتمع المصري الإسلامي .

ثانيا: كتاب:د/ نبيل عبد الهادي، علم الاجتماع التربوي، ط١، ٢٠٠٢م الأردن [٤]

ويلاحظ على المؤلف أنه لم يخرج عن نمط الكتب الأخرى في خطوطها العريضة والتي أوضحناها سابقا ، كمـــا يلاحـــظ عليه أنه في حديثه عن أنواع التربية [٥] تلكم عن أنواع التربية عبر العصور وقسمها إلى (التـــربية البدائـــية، التربية في العصر القديم، العصور الوسطى، المجتمع المدني والصناعي، التربية في العصر الحـــديث)) .ويلاحظ أن هذا التقسيم التاريخي يناسب الحضارة الأوربية ، ويغفل الحضارات الأخرى، وكـــذلك إغفاله تاريخ التربية النبوية التي نادى بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عهد آدم إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه تجاهل التربية الإسلامية والتي تمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، وكانت في معظم هذه الفترة الزمنية تربية عالمية

وفي حديثه عن ((أسس التربية،)[٦] تكلم عن الأساس الديني للتربية وفق المفهوم الغربي أو ((كما تشـــير الدراســـات الأنثـــروبولوجية إن هناك عبادات مبعثها الظواهر الطبيعية ..) علما أن هذه المرحلة (البدائـــية) تتـــناقض مـــع المفهوم الإسلامي لتاريخ الإنسان، والحياة البدائية هي حياة الخرافية وقع فيها الإنسان بسبب بعده عن الدين والحضارة الدينية السوية وانعزل في بيئة جغرافية عزلته عن بقية الحضارات الإنســـانية المتعاقبة، أما الإنسان الأول (آدم عليه السلام) فقد خلقه الله بيده فهو على أفضل وأكمل

---

1 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص ٢١٦

2 – هذه الفلسفة الاشتراكية دخيلة على المجتمع المصري الإسلامي أقحمه فيها النّظام السياسي حقبة من الدهر ثم انقلب عليها.

3 – علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص ص ٢٦٥-٢٦٧

4 – نبيل عبد الهادي، علم الاجتماع التربوي، دار اليازوري، ط١، ٢٠٠٢م الأردن.

5 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص ص ٥٥-٥٨

6 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص٦٨

صورة ، ولن يكون في ذرية آدم من هو أجمل خلقا منه انظر إلى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ (التين ..٤-..٥) إن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم هو آدم ثم جعل سلالته من ماء مهين قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ (السجدة ..٧-..٨)

ثم أغفل المؤلف الحديث عن الأديان السماوية وأثرها في المجتمعات، كما أنه لم يتحدث عن فلسفة التربية الإسلامية حين حديثه عن الفلسفات التربوية ٠ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل ٣٦ ٠)

وفي التقسـيم الطبقي الاجتماعي [1] اعتمد النموذج الأوربي و تقسيماته الطبقية والتي تعتمد على النسـب و مسـتوى التعلـيم والثـروة وأسـلوب الحياة، والتي هي بطبيعة الحال تختلف عن تكوين المجـتمع الإسلامي القائم على المساواة و التفاضل في التقوى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾ (الحجرات ١٣٠)

وعندما تكلم عن تطور الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الحديثة ، أخذ المجتمع الأمريكي نموذجا في تقسـم الطـبقات إلى (عليا، وسطى، دنيا) [2] ٠ ويعتمد المؤلف تقسيم (ورنر للمجتمع الأمريكي) نمـوذجا ، والذي قسم المجتمع إلى ثلاثة طبقات (الطبقة البرجوازية ، الطبقة الوسطى ، الطبقة الدنيا) و كان الأحرى به أن يتبع منهج الإسلام ((إن كرمكم عند الله أتقاكم))٠

وفي حديثه عن التغير الاجتماعي عبر التاريخ، تجاهل دور الدين في التغيير٠ [3]

وفي الـوحدة الثامنة من الكتاب (تعريف التفاعل الاجتماعي والعمليات الاجتماعية) تجاهل أثر الدين عموما والإسلام خصوصا في رسم التصور المثالي للتفاعل الاجتماعي، وضبطه للعمليات الاجتماعية

1 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص١١٣

2 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص١١٥

3 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص ١٣١و ص ١٩٧

والتشـــريع لها، بل أنه في حديثه عن العمليات الاجتماعية (التعاون، التوافق، المنافسة)[1] ، لم يضمن ذلك نظـــرة إسلامية لهذا العمليات الاجتماعية التي اهتم بها الإسلام كثيرا ، بل إن المؤلف اعتمد على المفهوم الغربي لهذه المصطلحات ، و يبدو كلامه ترجمة غربية وليس إبداعيا ذاتيا . ومن المعلوم أن الإسلام كان له منهجه الواضح في الضبط الاجتماعي لكل من الفرد والمجتمع ، وهناك مبادئ كلية إسلامية ترعى هذه العمليات الاجتماعية ، بل ولها نظامها و مؤسساتها. قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٤)

وعـــن حديثه عن الصراع الديني ضرب مثالا فقال: ((من أظهر إشكال الصراع الديني ما عرف بالحروب الصليبية بين المسيحيين والمسلمين))[٢]. دون أن يعلق على هذه الحروب الحاقدة من الصليبيين، والـــتي أزهقت فيها أرواح المسلمين ظلماً و عداوناً ، والتي مازالت آثارها ظاهرة، و لم يتكلم كذلك عن الحـــروب الصليبية المعاصرة (الاستعمار) والتي من آثارها زرع اليهود في وسط العالم الإسلامي ، وهذه الحروب التاريخية والمعاصرة يغلب عليها شعارها الديني المسيحي .

ثم في الـــوحدة الحادية عشر (البناء الاجتماعي الأردني وخصائصه)[٣] فالمؤلف يغفل الجانب الديني في تكـــوين حـــياة الأسرة والمجتمع الأردني ، كما يعلم هو وغيره أن من أعظم أهداف الأسرة الأردنية المســـلمة هـــو القيام بدورها الرئيس في زرع العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائها وتربيتهم على الإسلام خاصة، وأن الأردن يقع في مواجهة أعداء الإسلام على مدى التاريخ ، ولا بد من التنشئة الإسلامية الحقة للأعداد لهذه المواجهة التاريخية .

وفي حديثه عن مصادر القيم في المجتمع الأردني ذكر: ((ورث مجتمعنا القيم من مصادر مختلفة منها:

١- المصدر الجاهلي ...، ٢- مصدر إسلامي كالإيمان بالله...))[٤].

وقـــد يثور التساؤل التالي: لماذا قدم المؤلف المصدر الجاهلي وجعله المصدر الرئيس للقيم في مجتمع إسلامي ؟

ومن المعلوم أن الإسلام هو المصدر الوحيد للقيم وما كان له شبيه في الجاهلية ، فإن قيمته ما ثبتت إلا بعد أن أثبتها الإسلام .

وعـــن المؤسسات الاجتماعية التربوية تحدث عن دور (أماكن العبادة) و المؤلف يمعن في منهجية الاغترابي فيقول: ((و أماكن العبادة شأنها شأن أي مؤسسة تربوية أخرى تؤثر في حياة الأفراد ...وكثير

1 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص ص ١٦١-١٦٦

2 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص١٦٨

3 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص ٢٢٧

4 – نبيل عبد الهادي، المرجع السابق – ص٢٤٢

من المؤسسات الدينية (وخاصة في أمريكا) تقوم بالعملية التربوية)) . انظر إلى هذه الشهادة : إن التربية الأمريكية تعتمد على دور العبادة وتعترف بالدين مصدرا للتربية فليت المؤلف و أمثاله في علم اجتماع التربية أن يعطوا الإسلام وظيفته الحقيقية في توجيه هذا العلم وغيره من العلوم ، وأن يبرزوا دور هذا الدين في حياة الأمة وكذلك إحياء دور المسجد ورسالته فذلك من صميم الدراسات الاجتماعية التربوية .

ثالثا: كتاب: د/فايز مراد دندش، علم الاجتماع التربوي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط١، ٢٠٠٢م الإسكندرية[1]، تابع المؤلف نفس الاتجاه السائد في هذا الميدان مرتكبا نفس الأسلوب الذي يميل للمنهجية الغربية ، و الاعتماد على ترجمة هذه الأفكار ، ونقلها إلى عقول الطلاب المسلمين دون أن يكون للمؤلف أي دور توجيهي أو نقد لهذه الأفكار أو تقويمها أو تقديم مادة علمية تتناسب والبيئة الإسلامية التي قدم لها الكتاب .

واستمرارا على خط من شاركه في هذا الميدان سار دندش في إعداده لكتابه هذا ، ومن الأفكار التي انفرد بها أو حاول إظهارها وتوظيفها ما يلي:

تبنى المؤلف نظرية الصراع وأثرها في العملية التربوية وتحت عنوان (تحليل عملية الصراع في المدرسة،)[2] أقحم هذه النظرية على المدرسة الإسلامية التي تنبذ الصراع ((أغلب صور السلوك العدواني التي توجد في المدرسة تتمثل في عمليات مثل التنابذ أو الرفض ...و مسؤولية المدرسة ودورها في إثراء مشكلة الصراع ...ولعل ما يشفع للمدارس الرسمية العامة أنها تجمع بين جدرانها أولاداً من مختلف الفئات العنصرية(انظر العنصرية) والوطنية والدينية والسياسية والاقتصادية ..))[3] علما أن المدرسة الإسلامية والتربية الإسلامية لم تكن ولن تكون يوما ميدان صراع و عنصرية وتنابذ! ، بل هي ميدان ترابط وإخاء وتنافس مشروع ، ذلك التنافس الذي ينبني على قاعدة (الأخوة الإيمانية) ((عن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِه))[4].

1 – فايز مراد دندش، علم الاجتماع التربوي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط١، ٢٠٠٢م الإسكندرية .
2 – فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص ٩٦
3 – فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص ص ٩٦-٩٧
4 – محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح رقم الحديث، ١٣

وعن النعمانَ بن بشيرٍ رضي الله عنه، يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكىٰ عُضواً تَداعىٰ له سائرُ جسَدِه بالسّهَرِ والحُمّى)) [1].

وإما وصف الإسلام للمجتمع الإسلامي والذي يجب إن تكون عليه المدرسة ، فكما يروي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضاً. ثم شبَّكَ بين أصابعه)) [2]

والمؤلف في كتابه هذا لم يذكر للمدرسة [3] مسؤولية دينية تجاه تلاميذها يجب أن تضطلع بها، وكذلك كان ديدنه عند الحديث عن مسؤولية الأسرة تجاه أفرادها [4]

وعن دور المؤسسات و الأنشطة الدينية يقول بلهجة ملؤها الاحتقار والسخرية : ((فالمسجد والكنيسة وصلاة الجمعة ومدرسة الأحد (انظر للمساواة) والمذاهب الدينية ، وما تتضمنه من عداء وكراهية (لا أدري ماذا يقصد بهذا التناقض) والموسيقى المقدسة، والموالد وغير ذلك من الاهتمامات و الأنشطة الدينية كان لها في الماضي ولا تزال تأثير تربوي كبير في حياة الملايين من البشر وحتى أولئك الذين لا يهتمون بالدين أو لا يعترفون به)) [5]

وأما عن حاجات الفرد في فترة المراهقة [6] فيقول : ((**أولاً**: تكوين ميول جنسية غيرية: أ- تكوين ميول نحو الجنس الآخر، ب – تحويل الحب العميق الموجه نحو الأشخاص الكبار (يقصد الأبوين) إلى الأنداد من الجنس الآخر..ج- اختيار رفيق من الجنس الآخر، وأنها مرحلة التجريب في اختيار الرفقاء.) وهذه الأفكار لا تحتاج إلى تعليق فقد بدا عورها.

ويستمر دندش في هذه الوصايا التربوية الغربية التي يريد بثها في البيئة الإسلامية – وللأسف – دون وازع من دين ، أو بقية من ضمير وحمية وغيرة ((**ثانياً** : التحرر من السلطة المترلية: أ- التخلص من إشراف الوالدين ..)) [7] وهذا بدلا من أن يدعو الشاب إلى البر بالوالدين والإحسان إليهما **قال تعالى:**

---

1 – محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث، ٥٨٧٤

2 – محمد بن إسماعيل البخاري المرجع السابق رقم الحديث، ٥٨٨٨

3 – فايز مراد دندش، علم الاجتماع التربوي – ص٩٩ وص١٣٣

4 – فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص١٢٠

5 – فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص١٦٦

6 – فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص٢١٥

7 – فايز مراد دندش، لمرجع السابق – ص٢١٥

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾(الإسراء ٢٣٠)

ولم يتوقف المؤلف عند هذا الحد من السخف ، بل وصل به الأمر إلى تهميش الدين الإسلامي الحنيف إلى مجرد موقف صوفي وجداني، إذ يقول تحت عنوان (مفهوم الطاقة الإيمانية،)[1] ((الدين حقيقة ليس ظاهرة اجتماعية، إنما هو موقف صوفي خالص بين يدي الله، والدين منطلق مشاعر تجيش في الوجدان، وجماع معان تقع في الوجدان)) انظر كيف فصل الدين عن الجانب المادي وعن السلوك وعمل الجوارح قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام ٠٣٨)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(الزلزلة ..٦٠-..٨٠)

رابعا: كتاب: د/ ناصر ثابت، دراسات في علم الاجتماع التربوي، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢م ، الكويت . وكما هو مألوف من المؤلفين في مجال اجتماعيات التربية فإنهم لم يستطيعوا الخروج من قوة التأثيرات الفكرية الغربية التي طبعت جميع مؤلفاتهم، و التي هي متأثرة بها تأثرا كليا سواء في الفلسفة العامة، أو على مستوى الفكر التربوي والاجتماعي، وكذلك في المنهجية العلمية التي هي قائمة على العَلْمانية، و إنكار حقيقة الدين، وعرض التصور الغربي على أنه هو المثال والواقع الذي يجب أن يتبع أو أن ينقل بحذافيره إلى البيئة الإسلامية .

وثابت ناصر لم يخرج عن هذه المنظومة بل هو من أشد المتحيزين لها قلبا وقالبا ، وكتابه الذي بين أيدينا هذا يحتوى الملاحظات ذاتها التي سبق وأن سقناها سالفا ، وربما زاد عليهم في جوانب لم تطرح لدى غيره ؛حيث إن كتابه أوفر صفحات مما سبق (حيث بلغ ٤٥٠صحيفة) .

ومما يؤخذ على المؤلف اعتماده على المصطلحات والمفاهيم الغربية التي تتنافى و التصور الإسلامي العام ، ففي تعريفه للأسرة ترك المؤلف التعريف الإسلامي للأسرة ، و عرض لنا التعريف الغربي الذي يقر مسالة التبني (كانوا أطفالا حقيقيين أم بالتبني))[2] والتي فصل فيها الإسلام بنص قرآني قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ

1 – فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص٢٦٠

2 – ناصر ثابت، دراسات في علم الاجتماع التربوي، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢م، الكويت ،ص١٣٣

ﭐلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ ﴾ (الأحزاب ..٤-..٥)

ومـن المصـطلحات الـتي اعتمد عليها الباحث ومنطلقاً من مفهومها الغربي ، متنكرا للمفاهيم الإسلامية مصطلح (التعاون ، التنافس ، الصراع).[١]

ثم إنه في حديثه عن وظائف الأسرة لم يتطرق للوظيفة الدينية والأخلاقية ، بل ذكر الوظائف المادية فقط (الجنسية و الاقتصادية و الإنجابية والتربوية)) [٢] وكذلك في وظائف التربية [٣] .

و لم يذكـر من عوامل التغيير الاجتماعي، عامل الدين [٤] متأثرا بالنظرة العَلْمانية التي تتنكر للأديان عمـوما .بـل هـو يميـل إلى الاتجاه العلماني الذي يعتبر الدين مجرد ظاهرة أو نظاماً اجتماعياً [٥] وفي دراسـته الميدانـية التي ضمنها آخر الكتاب بعنوان ((دور المعلم في تربية الناشئة وفي المجتمع ، والعوامل المؤثرة فيه)) [٦] والتي طبقها على مجتمع دولة الأمارات العربية المتحدة لم يتطرق أو يذكر البعد الديني لدى المعلم أو المجتمع ، بل أغفله نهائيا مع إن الدراسة تهتم بالعوامل المؤثرة، أليس الدين من أهم العوامل المؤثرة في المجتمع والتربية في دولة الأمارات الغربية المتحدة .

وفي حديثة عن وسائط التربية لم يذكر المؤسسات الدينية والمساجد التي هي من وسائط التربية في المجتمع الإسلامي [٧]

خامسا: كتاب: د/سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٩٨م مصر.
اعـتمدت المؤلفة في هذا الكتاب المنهجية العَلْمانية ، مما يجعل الكتاب يتنافى محتواه مع البيئة الإسلامية ، ويتعذر تقديمه لطلبة المسلمين في الجامعات الإسلامية ، لأنه باختصار لا يتناسب فكرا ومنهجا وتصور مع التصـور الإسلامي، وليس هذه خاصا بهذا الكتاب بل هو أمر شائع في جميع الكتب التي أسلفنا الحديث عـنها سابقا، والمؤلفة تعتبر الدين (الإسلامي) مجرد عامل وجداني يهتم بالوجدان مما يوحي بفصله عن

1 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص١٨٨ ، ص١٩١ ،ص١٩٥
2 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص١٣٥
3 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص ١٩٩
4 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص ١٥٥
5 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص٢٧٦
6 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص٢٩٣
7 – ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص١٧٧

الجانب الديني والاجتماعي والسياسي، تمشيا مع المنهج العلماني الذي تتبناه المؤلفة في طرحها الفكري خلال هذا الكتاب والذي تقدمه المؤلفة كمقرر لطالباتها بجامعة الملك سعود بالرياض.

وهي عندما أرادت أن تراعي الشعور الإسلامي للطالبة السعودية قدمت له هذه المبحث (الدور التربوي لدور العبادة) [1] والذي لم تذكر فيه آية أو حديثا ، أو أثرا إسلاميا أو مرجعا إسلاميا ، بل ذكرت مرجعا أجنبيا واحدا فقط (غربي) (روبرت لوي)، ثم تستخدم مصطلح (دور العبادة، رجل الدين، القيم المركزية، الجانب الوجداني)بل إنها لم تذكر أن الدين الإسلامي مصدر من مصادر المكونات للثقافة الإسلامية [2] ومثل هذا التجاهل لدور الدين نجدها في إهمال دور الدين في إحداث التغير الاجتماعي والتربوي في المجتمع [3] .

وفي حديثها عن الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام [4] لم تذكر الدور الديني والأخلاقي لهذه الوسائل ، والذي يجب أن يكون من أهدافها نشر وتبليغ الإسلام وتهذيب سلوك المسلمين وردهم إلى مصادر الإسلام الأصلية .بل ركزت على أن من أهداف الإعلام ((استخدام الموسيقى التصويرية والغناء والتمثيل ...ليكون لها تأثير كبير على تقبل الرسالة الإذاعية)) [5]

سادسا كتاب: د / عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق – ط الأولى، ١٩٩٩م الأردن يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفه في علم اجتماع التربية ، فهو يمتاز بالشمول لكثير من قضايا وميادين علم اجتماع التربية، ولكنه وفق منهجية غربية في العرض والمحتوى كسابقيه في هذا المجال، حيث برزت الروح العَلْمانية و التبعية الفكرية لدى المؤلف ، واختفت الروح الإسلامية والوطنية، وهذا ملاحظ في جميع فصول الكتاب علما أن المؤلف في مقدمته يؤكد أنه يقدم هذا الكتاب لطلاب وأساتذة الجامعات الأردنية والعربية – الجامعة الأردنية /كلية العلوم التربوية – قسم أصول التربية [6]

وقد تجاهل المؤلف الدين عموما، و أثره في حياة المجتمعات ، متبعا المنهج العلماني الذي يتنكر ويتجاهل الدين، بل يحاول جهده في طمس كل ما يمت إلى الدين بصلة كوظائف الدين الاجتماعية والتربوية والأسرية والثقافية وغيرها، وفي حديثه عن وظائف التربية يتنكر للدين، ومن المعلوم أن من

1 – سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٩٨م مصر. ،ص ٩٣
2 – سميرة أحمد السيد، المرجع السابق ، ص١٢٣
3 – سميرة أحمد السيد، المرجع السابق ، ص١٣٦
4 – سميرة أحمد السيد، المرجع السابق ، ص٩٩
5 – سميرة أحمد السيد، المرجع السابق ، ص١٠٢
6 – عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق – ط الأولى، ١٩٩٩م الأردن. ص٨

وظائــف التــربية في المجتمعات الإسلامية (الوظيفة الدينية) وهي تربية الأجيال على الإسلام وتعليمهم شرائعه .

وعــند حديثه عن وظائف التربية [1] تجاهل الوظيفة الكبرى للتربية في البلاد الإسلامية – الوظيفة الدينــية – ونجــد الأمــر نفــس عند حديثه عن أهداف التربية وأهميتها [2]، و في الفصل الثاني التطبيع الاجتماعي ؛ حيث تجاهل المؤلف أثر الدين و دور المسجد ودور العبادات والقيم الأخلاقية الإسلامية في تحقــيق التطبيع الاجتماعي [3]، كما أنه يتجاهل أن من وظائف المدرسة [4]، الوظيفة الدينية ، ولم يذكر المؤلف للدين أي أثر أو دور في وسائل التربية [5]، علم أن جميع وسائل التربية في المجتمع الإسلامي تتأثر بالدين ، وتستقي منه مصادرها وأهدافها وخطط تطبيقها ، و استمرارا لهذه المنهجية العَلْمانية، نجد المؤلف يهتم بالعادات والتقاليد الاجتماعية [6]، على الطريقة الغربية ويعطيها حجما كبيرا ، و يغفل ويتنكر لدور الــدين في حــياة المجــتمعات، ويتنكر لدوره في الضبط الاجتماعي [7]، أو في عوامل التغيير الاجتماعي والتــربوي [8]، وصدق الله تعالى في وصفهم قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (التوبة ٠٣٢)

وفي حديثه عن النظام الاجتماعي [9] يتحدث عن الفكر الغربي الذي لا يمت بأي صلة لحقيقة النظام الاجتماعــي في الأردن خاصــة ، والعــالم الإســلامي عامة ، بل من العجيب أن تجد في هذا المبحث المصــطلحات التالــية (الــنظام الديني، القس، والعضو، الكاتدرائية و المعبد، الصليب، المذبح القداس، الأرثوذكســية، خاتم الزواج...الخ) [10] مع أن الكتاب يخلو من أي مصطلح إسلامي و ذكر شعيرة من شعائر الإسلام ، وقبل هذا كله (يخلو من النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية، والاقتباسات الإسلامية).

وعن الأسرة كنظام اجتماعي يتحدث المؤلف عنها كمؤسسة اجتماعية غربية ، ويجعل منها نموذجاً أو مثالاً عالمياً يجب أن يكون هو السائد ، متجاهلا الخصوصية الدينية والثقافية والاجتماعية لمفهوم الأسرة

---

1 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص٣١

2 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص٤٣

3 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ص٧٥–١٢٠

4 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١٢٩

5 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ٢١٧

6 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١٣٩

7 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١٩٢

8 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص٢٥٥

9 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ص ١٠٩–١١٧

10 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ص ١١٠–١١١

من مجتمع إلى مجتمع، وعن تعريفه للأسرة يختار تعريفا غربيا و يمجده فيقول: ((ومن أحسن التعاريف التي وضعت للأسرة تعريف برجس ولوك فيعرفها بأنها: مجموعة من الأشخاص يرتبطون معا برابط الزواج أو الدم أو التبني ...)) (١) فهو يعترف بقضية التبني مع أن الإسلام ألغى هذه العادة من أجل حفظ الأنساب والحقوق ، ولكن المؤلف لا ينتبه لذلك أو يعلق عليه ، بل إنه يعترف بهذه القضية كأحد مكونات الأسرة فيقول ((وتتكون الأسرة في الأقل من ذكر بالغ وطفل سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني)) (٢)

وعن تطور الأسرة ومراحلها يتحدث المؤلف عن ((مرحلة الأمومة والتي تتميز بزعامة الأم للأسرة) (٣) المؤلف هنا يؤمن بهذه المرحلة والتي تعني تعدد الآباء و الأم واحدة ، أي مرحلة إباحة الزنا ، وهذا لم يحصل في التاريخ ، وليس هناك أي دليل علمي على حصول هذه المرحلة بل أنهم يدعون إنها الأصل ، وهم مطالبون بالدليل على ذلك . قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة ١١١)

وقد ناقشنا هذه القضية (الأسرة الأم) في الفصل الثاني (٤) من هذا البحث المرجع السابق ، وبينا تهافت هذه النظرية التي لا تستقيم مع الأديان السماوية، أو المنهج العلمي، كما أن المؤلف يتجاهل إن من وظائف الأسرة الوظيفة الدينية سواء كان ذلك تاريخيا أو حاضرا (٥) .

ومن المعلوم أن للدين الإسلامي تصوره الخاص (للكون والحياة والإنسان) هذه التصور نابع من الوحي ينسجم مع حقيقة الوجود المرجع السابق ، وهذه النظرة الإسلامية تختلف عن النظرة المادية التي تنبني على الإلحاد و الأيمان بالمحسوس فقط (العالم المادي) .

والمؤلف في هذا الكتاب لا يتحدث عن التصور الإسلامي للوجود بل يتحدث وفق المنهج العلماني الذي تبناه في خطته لهذا الكتاب و يتضح إغفاله للتصور الإسلامي للوجود عند حديثه عن ((محددات أساليب النظرة إلى الحياة)) (٦) كما أن المؤلف يعتمد على المصطلحات الغربية دون أن يقدم لها تعريفا أو تفسيرا وكأن المتلقين لها من أبناء الجامعات الإسلامية يدركون مضمونها أو فلسفتها التي تنبثق منها

1 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١١٦

2 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ١١٦

3 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١٢١

4 –- عبد الله رشدان، المرجع السابق ، **ص ١٢٢**

5 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١٢٣

6 – عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ٢٥١

ومنطلقاتها و غاياتها، بل إننا لا نجد في الكتاب أي مصطلح إسلامي أو عربي بل اعتمد على المصطلحات الأجنبية مثل (الديمقراطية [1] و الطبقات الاجتماعية [2] والتربية والطبقات [3] ...الخ ، وأكثر في الحديث عن هذه القضايا في الوطن العربي علما إن هذه المجتمعات العربية لا تعاني في مثل هذه المرحلة هذه القضايا أو المصطلحات ، بل هي مشغولة بقضايا أخرى أكثر إلحاحا و حاجة إلى البحث و إيجاد الحلول المرجع السابق ، كقضايا الأمية و نقل التكنولوجيا ، وإيجاد فرص العمل و رفع مستوى المعيشة ، و احترام حقوقه الإنسانية .. وغيرها من القضايا العربية العالقة .

طغيان الفكر الغربي على كتب علم اجتماع التربية:

ولد علم اجتماع التربية كما هو معلوم في أحضان الفكر الغربي منذ بداية القرن العشرين الميلادي و خاصة في الجامعات الأمريكية والبريطانية ، وكان الهدف منه سدّ الفجوة بين علم الاجتماع والتربية ، و خاصة أن التربية ظاهرة اجتماعية ، وكذلك المدرسة مؤسسة اجتماعية، فكان لابد من الاهتمام بهذا الميدان و دراسة جميع القضايا المتعلقة به ، وذلك من أجل إيجاد مجتمع متجانس تساهم العملية التربوية في خلقه ودراسة كثير من القضايا الاجتماعية والتربوية المتعلقة بالنظام التربوي .

ولأهمية هذا المجال المعرفي لا تكاد تخلو منه جامعة عصرية ، بل أصبح له مناهج تقدم من ضمن المقررات الجامعية التي يحصل عليها طلاب قسم علم الاجتماع و أقسام التربية، وسيطر على هذه المقررات الفكر الغربي من خلال الترجمة أو الاستعارة الكاملة لهذا الفكر دون مراعاة للخصوصية الفكرية الغربية أو موقفها من الثقافات الفكرية الأخرى ، والتي قد تصل إلى درجة التناقض والتصادم خاصة وأن هذه المجال علم اجتماع التربية (والتي عرض الباحث لنماذج لها) والذي يندرج تحت مظلة العلوم الإنسانية التي تتسم بالخصوصية والتباين، من ثقافة إلى أخرى ، وتخضع هذه العلوم الإنسانية للعقائد، و للأفكار الفلسفية أكثر مما تخضع للمنهج العلمي .

من هنا كان الكثير من الكتب الدراسية التي تقرر على طلاب الجامعات العربية تحت مسمى (علم الاجتماع التربوي - و - علم اجتماع التربية) تحتوي على كثيرٍ من المواضيع الدراسية والقضايا

---

1 - عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ٢٩٥

2 - عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ٣٣٧

3 - عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص ٣٤٣

الاجتماعية والتربوية التي لا تمت بأي صلة للواقع الاجتماعي والثقافي الإسلامي([1]) ، و التي يراد تعليمها للدارسين لهذه المادة، مما ينتج عنه خلل و فصام فكري ، و تناقض تطبيقي مع الواقع المراد حل المشاكل الاجتماعية والتربوية فيه، والكتب التي سوف نعرض لمحتواها، والتي تقدم كمقررات دراسية في معظم الجامعات الإسلامية ، و التي جل محتواها لا يتناسب مع البيئة الإسلامية ، إذ الغالب على هذه الكتب أنها ترجمة للحضارة الغربية ، و التي من سماتها الرئيسة العَلْمانية ، وإنكار الدين والقيم والأخلاق الاجتماعية القائمة عليها .والتي هي مناقضة بطبيعتها للبيئة الإسلامية .

وإجمالا يمكن أن يصدق فيهم قول علي القريشي: بأن القيم والاتجاهات التي كان يتم غرسها في سياق المنهج التعليمي تقوم على إضعاف الذات، وتفتيت الهوية في مختلف مقوماتها، الدينية واللغوية والاجتماعية، ناهيك عن بث روح الفرقة، ومحاربة القيم المحلية، وبالتالي لم يكن التعليم يستهدف غير تكريس فقدان الثقة والحيلولة دون امتلاك الوعي وحيازة الفاعلية.[٢]

وخوفا على مستقبل النشء المسلم في كل أنحاء العالم الإسلامي بسبب سوء إعداد المعلم، حيث أن الطلاب المسلمين يتشربون الكثير من الاتجاهات العَلْمانية عن طريق المعلمين القائمين بالعمل بالتدريس في مدارس اليوم، مما جعلهم يبتعدون أكثر فأكثر عن المبادئ والقيم والأخلاقيات الإسلامية، من أجل ذلك يجب اجتذاب العناصر الإسلامية التي ترى في التدريس مهنة ذات رسالة تترسم خطى الأنبياء إلى مزاولة مهنة التعليم ..[٣]

ولهذا سوف نضع لأهم السمات التي اتصفت بها كتب علم اجتماع التربية–وعلم الاجتماع التربوي – والتي تم تقديمها كمقررات دراسية في بعض الجامعات العربية وهذه السمات المشتركة بين جميع هذه المؤلفات هي وفق ما يلي:

١- الصبغة العلمانية .

٢- الاعتماد على الترجمة والنقل الحرفي .

٣- موقفهم الرافض للدين .

٤- موقفهم الرافض للاستدلال بالوحي (الكتاب والسنة) .

[1]- انظر المبحث التالي ص١٥١ وما بعدها

2 – علي القريشي –الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، مرجع سابق ، ص ١٣٧

3 – عبد الرحمن النقيب، التربية الإسلامية رسالة و مسيرة، الكتاب السادس – سلسلة آفاق البحث في التربية الإسلامية – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٤م. ص ٦٢

٥- موقفهم الرافض للتراث وعدم الاعتماد أو الأخذ منه .

٦- موقفهم التبعي للفكر الغربي .

٧- اعتمادهم على المصطلحات الغربية .

١- **الصبغة العَلْمانية:** سبق وأن عرضنا موقف العلمانيين من الأديان عموما والإسلام خصوصا كما عرضنا لموقف علماء الاجتماع العرب من الدين، وتصورهم له على أنه مجرد ظاهرة اجتماعية أنتجها المجتمع للتغلب على بعض المشاكل، أو لعجزه عن تفسير بعض الظواهر الكونية، و خوفه منها، وأن الإنسان كلما استطاع السيطرة على الظواهر الكونية كلما قلت حاجته إلى الدين، وهذا التصور الفكري للدين انعكس بدوره على القائمين على علم اجتماع التربية تأليفا أو تدريسا أو بحثا، فنلاحظ عليهم جميعا إغفال الدين ودوره في حياة الأفراد والمجتمعات، و إنكار تأثيره على السلوك الفردي والاجتماعي، وما ينتج من ذلك التأثير من ظواهر اجتماعية أو علاقات أو تغيرات على الفرد والمجتمع.

وللأسف فإن هذه النظرة العَلْمانية وجدت صداها عند القائمين على تدريس مقرر علم اجتماع التربية من أبناء المسلمين دون أن يميزوا بين الدين الإسلامي الإلهي ، وبين الديني الكنسي المنسوب إلى المسيحية – والمسيحية تعرضت للتحريف والتزوير منذ مرحلة مبكرة – وما أحدثه هذا الفكر الكنسي الأسطوري الخرافي من جرائم و خزعبلات، ورفضه للحق والحقيقة باسم الدين المسيحي مما نتج عنه صراع بين العلم وحملته ، وبين الدين المتمثل في رجال الكنيسة أدى إلى الفصل بينهم ، ورفض العلم لكل ما يمت إلى الدين والكنيسة مهما كان نصيبه من الحق ما لم يخضع ذلك لمنهج العلم التجريبي .

وهذه النظرة العَلْمانية التي روج لها أعداء الدين الإسلامي وخاصة من نصارى ويهود العرب بمساعدة وتأييد من الاستعمار الغربي والشرقي من أجل تحقيق أهدافهم و مخططاتهم، الرامية إلى عزل المجتمعات الإسلامية عن دينها و حضارتها ، و عن مصدر عزها ونهوضها ، ولهذا روجوا لهذه الأكذوبة – العَلْمانية – و تبعهم ثلة من أبناء المسلمين المغرر بهم والموعودين بتحقيق شهواتهم الفانية ، مقابل أن يوجهوا سهامهم إلى أغلى ما تملكه أمتهم ألا وهو الدين الإلهي المحفوظ بحفظ الله له .

ولقد تأثر كثير من مؤلفي علم اجتماع التربية بالمنهج العلماني الذي يفصل بين الدين والحياة العامة أو الاستشهاد بنصوصه و أحكامه في قضايا الحياة الاجتماعية ، ومثال ذلك ما نجده عند كل من ((علي شلتوت)) في كتابه علم اجتماع التربية والذي بناه على المنهج العلماني بل انه عرض الكثير من القضايا

التي تناقض الأديان عموما والإسلام خصوصا مثل مصدر الدين و قضية اصل الإنسان وقضية تكون الأسرة الأولى و تأييده المطلق للاشتراكية كعقيدة للمجتمع المصري بدلا من الإسلام ٠([1])

ويمكن رد أسباب تأثر هذه الكتب التربوية ومنها - علم الاجتماع التربوي – بالاتجاه العلماني إلى عوامل متعددة ذكرها محمد جميل خياط في كتابه [٢] ومن أهمها:

أ- إن معظم النظم التربوية السائدة في العالم الإسلامي قد تأثرت بالاتجاهات العَلْمانية المقتبسة من الغرب، وبالتالي أصبح خريجو تلك النظم يشعرون بالدونية إزاء الحضارة الغربية، فيملؤون مؤلفاتهم بالأفكار الوافدة ٠

ب- كثير من علماء التربية في العالم الإسلامي هم ممن تلقوا تعليمهم في الغرب العلماني، ولا زال بعض أولئك يعيش في غياب عن التصورات الإسلامية الصحيحة، ومع تمكنهم من علومهم المتخصصة – وفق نظرة الغرب – سواء في أصول التربية، أو علم الاجتماع التربوي، أو علم النفس التربوي، أو تاريخ التربية، فإنهم يخفقون في تكوين الرؤية الإسلامية الشاملة، التي تمثل القاعدة الأساسية لتوجيه الأفكار التي يصوغونها في مؤلفاتهم المتخصصة ٠

ج- من أكثر آثار الاتجاه العلماني سلبية على معظم المتخصصين في التربية، التركيز على فكرة التخصص، ومع أهميتها فإنها قد تؤدي عند بعض التربويين إلى رؤية العلوم التربوية من منظور جزئي لا يتفق مع طبيعة الإسلام المتمثلة في النظرة الكلية الشاملة المتوازنة ٠

٢- **الترجمة:** يؤكد علي أبو العينين الباحث في التربية:

((ظن بعض التربويين المسلمين الذي تلقوا تعليمهم في الغرب أن التربية علم جديد وحديث، لا أصل له في الإسلام، ومن ثم كان هاجسهم الأعظم الاقتباس التربوي المبني على الانبهار بما كان يسمى التربية الحديثة آنذاك، وقد ساعد على ذلك، وأعان عليه وجود المستعمر بامتداداته الثقافية والحضارية في كثير من بلدان العلم الإسلامي، و لم تكن التربية هي المتأثر الوحيد بتلك النظرة، بل كانت كافة العلوم متأثرة بها تأثراً كبيراً، حيث جرى نقل تلك العلوم، ومنها العلوم التربوية دون أن

[1]- علي شلتوت – علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق انظر الصفحات التالية ص٢٦٧،٢١٦،١٨١،١٧٦،١٧٥،٦٨ ونظر كتاب ،نبيل عبد الهادي ، مرجع سابق ص ٦٧

2 - محمد جميل خياط- الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية -،ضمن كتاب سلسلة البحوث التربوية والنفسية – جامعة أم القرى –مكة المكرمة -١٤٠٧هـ٠ ص ص ٢٢-٢٤

تتوفر لدى ناقليها رؤية تحليلية نقدية لها، الأمر الذي جرهم إلى تبعية فكرية وتقليد أعمى، كانت ابرز نتائجه ظهور الأزمة التربوية في المجتمعات الإسلامية.[١]

ولقد غلب على كتب علم اجتماع التربية، - علم الاجتماع التربوي - صفة الترجمة من مؤلفات غـربية رغم تنكر هؤلاء لذلك وعدم تصريحهم بذلك مما يعد في عرف البحث العلمي و الأمانة العلمية (سـرقة فكـرية) ، وهـذا واضح في الأسلوب والمحتوى و المصطلحات ، والأمثلة المضروبة للظواهر والمشـاكل الاجتماعية والتربوية المراد التحدث عنها حيث يستحيل أن تجد مثالا واحدا عن البيئة العربية والإسلامية ، وسوف نعرض لنماذج من ذلك عندما نتحدث بالتفصيل عن محتوى هذه الكتب في المبحث التالي .

ولعـل أكثرها اعتمادا على الترجمة كتاب (علي شلتوت ، علم الاجتماع التربوي) ([2])وهو أول كتاب قدم بالعربية لعلم الاجتماع التربوي ، ويقول عنه عبدالله الثبيتي ((والذي اعتمد فيه على ما كتبه ونشره (ولبر بر وكوفر) في عام ١٩٤٩م في المجلة الاجتماعية الأمريكية عن التعريف بعلم اجتماع التربية مـن حيث المفاهيم والمجالات)) ([3]) وقد أوسعنا النقد عليه في هذا الجانب وغيره في المبحث التالي .ص ١٥٤) وما بعدها

ويـؤكد عـبد الرحمن النقيب أن التأليف في العلوم التربوية لا يفترق كثيرا في معظم الأحوال عن التـرجمة الحرفية في نقله المباشر من الفكر التربوي الغربي، دون أن تظهر ذاتية الباحث المؤلف .مما ينقل الطالب العلم إلى أجواء فكرية غير إسلامية ويشعر بالاغتراب عن ثقافته و مجتمعه .[٤]

ولقـد خيم على معظم المؤلفين في علم اجتماع التربية ((الاعتقاد بأن كل الإنجازات التكنولوجية والمحصول المعرفي في الغرب نافع ومفيد بالضرورة للجنس البشري أينما كان ومهما اختلفت خصوصياته التاريخـية والتراثية أو الطبيعية ...فكلما زاد محصول الأمة من التعليم الغربي والمتعلمين لعلوم الغرب كلما زاد نموها وتطورها في مدارج الرقي .)) [٥]

---

1 - علـي أبـو العيـنين - دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية، ط الأولى- مكتبة إبراهيم حلبي المدينة النبوية- ص٤

[2]- علي محمد شلتوت، علم الاجتماع التربوي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٠م

[3]-عبدالله الثبيتي — علم اجتماع التربية ، ص٢١

4 - عبد الرحمن النقيب، التربية الإسلامية رسالة و مسيرة ، مرجع سابق ، ص ١١٢

5 - محمـد عيسى فهيم، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب، ، ضمن كتاب سلسلة البحوث التربوية والنفسية — جامعة أم القرى —مكة المكرمة ص١٩

٣-مـــوقفهم مـــن الـــدين: لقد كان جليا للمتصفح لكتب علم اجتماع التربية التي تقدم لطلاب الجامعات العربية أن مؤلفيها يهملون الدين كمقوم رئيس للمجتمعات العربية و كمصدر وحيد للفكـــر والثقافة ، و تخلوا كتبهم من الاستدلال بالنصوص الدينية ، ثم هم يهملون دوره في حياة المجتمعات العربية وهم في ذلك متأثرين بالمنهجية الغربية التي تفصل الدين عن الحياة ، وفي تحليلنا الأشهر الكتب في هذا المجال في المبحث التالي (١٥٤) وما بعدها وأوضحنا ذلك .

لقد كان تصورهم للدين عموما والإسلام خصوصا قائم على أنه مجرد ظاهرة اجتماعية، و لم نجد أي مؤلـــف منهم حاول الدفاع عن الإسلام أو شرائعه أو الرد على بعض الادعاءات التي تحط من قيمة الدين ، بل أنه ينقلها ويمررها كالموافق على ما تنادي به الحضارة الغربية وتصورها عن الدين المسيحي الكنسي – فهمُ في الجرم سواء .([1])

وهذا ما نشاهده من إهمال كتب علم الاجتماع العربية من تجاهل الدين وآثره بل أن هذه الكتب تخل من ألا ستشاهد أو الاقتباس من نصوص الدين الإسلامي (القران والسنة) بل جميع هذه الكتب تعتبر الدين مجرد نظام اجتماعي أنتجته البشرية وليس وحيا من الله تعالى .[2]

وخلاصـــة القول كما يقول الباحث سند الحربي: أن الكتب المؤلفة تقع تحت تأثير الاتجاه العلماني تهمل مناقشة الدين، وتعتبره موضوعا بعيدا عن التربية – كما يريدونها – والغربيون –خاصة – يميلون في الغالب إلى اعتبار الدين عقيدة من صنع البشر، ويؤيدون إبعاده عن أمور الحياة، وإذا كان الغربيون محقين في مـــوقفهم من الدين المحرف الذي كان يعتنقه الرهبان في العصور الوسطى –كما يسموها – فإن هذا الموقف لا ينطبق على الدين الإسلامي بأي حال من الأحوال فهو الدين الذي أكمله الله تعالى ورضيه دينا . قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ (المائدة ..٣)

والمدهش حقا أن بعض الكتب المتداولة بأيدي شباب المسلمين تروج لفكرة اعتبار الدين من صنع البشر . (٣)

٤-مـــوقفهم من الوحي: خلت كتب علم اجتماع التربية([1]) من الاستشهاد بأي نصوص قرآنية أو نـــبوية، علما أن الدين الإسلامي أشتمل على أفضل وأنقى تصور لكثير من القضايا الاجتماعية

---

[1]– انظر في ذلك : علي محمد شلتوت، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق .

[2]– انظر كل من : علي شلتوت مرجع سابق ص ١٧٦ و نبيل عبد الهادي ص٦٨ نص٢٢٧ و فايز دندش ص١٢٦ ص ٢١٥ نص٢٦٠ و ناصر ثابت ص١٣٥ وسميرة احمد ص١٢٣

3 – سند الحربي– التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية، مرجع سابق ، – ص ٢١٥

والفـــردية وعلـــى سبيل المثال التنشئة الاجتماعية للفرد والمجتمع المسلم، وكذلك تعرض الإسلام لوظائـــف الأسرة المسلمة و نشأتها، و تحدث التشريع الإسلامي كذلك عن كثير من العلاقات الاجتماعـــية ، ووضع لها الضوابط الأخلاقية والتشريعية من أجل خلق مجتمع متماسك، كما أن هـــناك كثيراً من الآداب الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام، وهي من لب القضايا التي يبحثها علم اجتماع التربية.

٥- **موقفهم من التراث الإسلامي:** من المعلوم أن التراث الإسلامي كان يجب أن يكون مادة رئيسة لكتب علم اجتماع التربية وخاصة أن هذا التراث غني بكنوزه التراثية الاجتماعية والتربوية والتي هي مصدر ثري للباحثين في علم اجتماع التربية بدلا من توجههم إلى التراث الإغريقي و اليوناني تماشيا مع الفكر الغربي ، و يلاحظ إغفال هؤلاء المؤلفين الاستشهاد بأي مرجع إسلامي؛ علما أن التراث الإسلامي غنيٌّ بالمؤلفات المهتمة بالجانب الاجتماعي والجانب الأخلاقي.

ولا يوافق عبد الرحمن النقيب على سلبية هؤلاء المؤلفين والمترجمين عن الفكر الغربي اتجاه التصدي لكثير من المغالطات التي تزخر بها مؤلفاتهم عن الإسلام والمسلمين ثم لا يذبون عن دينهم أو أمتهم فيقول: ((إذا كانـــت الكتب المترجمة خالية من الأثر الإسلامي، وهذا مفهوم رغم عدم الموافقة الكاملة على هذا الاتجاه في الترجمة . إذ من الممكن أن يوضح المترجم وجهة النظر الإسلامية في بعض المواضع التي تتطلب ذلك ... مما يترك طالب العلم وجها لوجه أمام تلك الأفكار الوافدة بدون فكر إسلامي أصيل يستطيع أن يتعامل معها التعامل العلمي السليم، أخذاً ورفضاً، تقديراً ونقداً .)) . [٢]

٦- **مـــوقفهم مـــن الفكر الغربي:** لقد كان واضحا أن مؤلفي كتب علم اجتماع التربية قد امتاز موقفهم بالقبول التام لنظرة الغرب وتفسيره لكل القضايا الاجتماعية ، والتسليم بأن المفهوم الغربي مفهومٌ عالميٌّ صالح لكل زمان ومكان ، متجاهلين الخصوصيات الثقافية والاجتماعية فترى بعضهم يسوق نتائج الأبحاث الغربية و يطبقها على الواقع العربي والإسلامي ، مع الفارق بين المجتمعين في الـــثقافة والحضارة والتطورات المادية ، وما ينتج عن ذلك جميعا من مشاكل يستحيل وقوعها في البيئة العربية المباينة كليا للبيئة الأمريكية، والغربية . ([3])

[1]- انظر في ذلك ما كتبناه في المبحث التالي ص١٦٧ وما بعدها

2 - عبد الرحمن النقيب، التربية الإسلامية رسالة و مسيرة، ، مرجع سابق ، ص ١١٢

[3]- انظر ما كتبه : علي محمد شلتوت، المرجع السابق - ص ص ١٨١-٢١٢ عن الآسرة الأمريكية .

إن من أعظم الفجوات التي تعاني منها العلوم الإنسانية عامة وعلم اجتماع التربية خاصة هو سيطرة النظرية التبعية على عقول العاملين في هذا الحقل ، والذي أدى إلى خلق صورة من القداسة والهالة لكل ما هو غربي ، واعتقادهم بأن هناك:

أ- علاقــة خطية وسببية بين التعليم الغربي والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والاعتقاد بأن هـــذا التعليــم نافــع ومفــيد بالضــرورة لكــل الناس والأمم على اختلاف مشاربهم وتاريخهم وخصوصــياهم، وبأنـــه من الممكن الاستفادة المباشرة من هذا التعليم في عمليات التنمية والرقي الحضاري.

ب- الافتراض بأن مكونات المعرفة وطرق البحث في الغرب غير أيدلوجية وغير سياسية ، وقابلة للنقل المباشر إلى كل بيئات العالم .

ج- الافتــراض بــأن التحديث والرقي يأخذ اتجاها وخطا واحدا هو الذي سارت عليه دول الغرب وأمريكا ، وأن كل الدول النامية لا بد وأن تسير آجلا أو عاجلا في ذات الخط والاتجاه . (١)

ولم يــدرك هــؤلاء التبعيين بأن ما جاءت به نظرية التبعية من تصورات حول التنمية التخلف، قد أكدت الدراسات المعتمدة التي قام بها علماء علم الاجتماع المعرفي وعلم فلسفة العلم، وعلم تاريخ العلم التي وضحت أن المعرفة ما هي في مجملها إلا خلق وإيجاد اجتماعي، وأنها مرتبطة ارتباطا مباشراً بأيدلوجية الأمة وفلسفتها عن الحياة والكون ، وأن الحقائق العلمية والاجتماعية ليست مطلقة بل محدودة بحد البيئة التي ظهرت فيها .(٢)

ولهذا ترى جميع كتب وأبحاث علم اجتماع التربية تتبنى النموذج الغربي في التغي والتنمية والضبط الاجتماعــي والتنشئة الاجتماعية ، من اجل الوصول إلى قيام حضارة ونهضة حضارية مشابهة للحضارة الغربية .(3)

ونجــد الباحــثين في علم اجتماع التربية يهتمون بالبحث في الفكر الغربي ، والاعتماد على التراث الغربي وتجاهل التراث الإسلامي وغيره من الحضارات العالمية التي سبقت الفكر الغربي ، و كان لها الفضل علــيه، فهذا باحث مسلم يتكلم عن علم اجتماع التربية وأصوله لدى الإغريق و اليونان متجاهلا التراث

1 – محمد عيسى فهيم، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب، مرجع سابق ، ص١٥

2 – محمد عيسى فهيم، المرجع السابق، ص١٧

3 – انظر كل من : علي محمد شلتوت، المرجع السابق – ص ص ١٨١-٢١٢ و ناصر ثابت، المرجع السابق ، ص و عبد الله رشدان، المرجع السابق ، ص١١٦ فايز مراد دندش، المرجع السابق – ص٢١

الإسلامي، فيقول ((يمكن العثور على أصل هذا العلم (علم في الدراسات التاريخية، وعلم الأعراق، فلقد أبـــدى المؤرخون، وكتاب السير، وعلماء الأعراق اليونان والرومان اهتماما كبيرا بالتربية ولقد تزايد هذا الاهتمام في العصور الحديثة ..) [1]

٧-**المصطلحات الغربية:** امتازت كتب علم اجتماع التربية بان مؤلفيها كان اعتمادهم الكلي على المصـــطلحات الغـــربية وفق مفاهيمها التي ولدت فيها وعدم مراعاتهم تنافر هذه المصطلحات ، والواقع العربي والإسلامي ، بل وغربة مثل هذه المصطلحات على الفكر الإسلامي، مثلا مصطلح الديمقـــراطية، والاشتراكية الإسلامية، والصراع، والطبقة البرجوازية، والطبقات الاجتماعية العليا والدنـــيا، والحـــراك الاجتماعـــي، و دور العـــبادة ، والأسرة الأم، والأسرة الأب) مع وجود مصطلحات عربية تقوم بنفس التعبير عن المفهوم نفسه ([2]).

1 – عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٥٢

2 --سبق وان تكلمنا عنها في أول هذا المبحث حين استعرضنا هذه المؤلفات

الفصل الرابع

التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية

مقدمة

- المبحث الاول : المنهجية الإسلامية لتوجيه العلوم الاجتماعية
- المبحث الثاني : تطور التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية
- المبحث الثالث : مراحل التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية
- المبحث الرابع : التوجيه الإسلامي لخطوات البحث في علم اجتماع التربية

الفصل الرابع

التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية

مدخل :

في خضم الصراع الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية المعاصرة منذ بدأ احتكاكها بالقوى الاستعمارية خاصة بعد سقوط الخلافة الإسلامية ، و تفكك الوحدة الإسلامية و ظهور العصبيات والقوميات والدعاوى الوطنية التي سهلت على القوى الاستعمارية فرض سيطرتها على معظم الأقاليم الإسلامية ، ظهرت بعض النداءات الصادقة والهادفة إلى رد الأمة الإسلامية إلى دينها وحضارتها و منازلة الأعداء و السعي إلى تحرير البلاد والعباد من قبضة الاستعمار ، كانت جميع هذه الدعوات تحمل شعار الإسلام مما بعث في قلوب أبناء الأمة القوة والعزيمة على طرد المستعمر والسعي إلى الاستقلال ، و تحقق لها ما صبت إليه بعد أن قدمت الملايين من أبنائها في سبيل الله تعالى .

ولكن ثمار هذا النصر لم تقطف بسبب تسلط أذناب الاستعمار والقوى الخفية إلى زرعها المستعمر في جسد الأمة قبل خروجه مما جعل هذه القوى تستمر في الانقياد والتبعية بكل صورها خلف المستعمر ، وكأن الأمة لم تحصل على استقلالها و سيادتها مما زاد الفجوة بين جماهير الأمة و عقيدتها التي سعت إليها و ناشدة بالعودة إليها وتطبيقها في الحياة العامة والخاصة ، بل تغلب أصحاب التيار التبعي(التبعية) و سيطروا على مؤسسات المجتمع وفرض نمط الفكر والحياة الغربية بشقيه (الرأسمالي – والماركسي).

وبعد إخفاق أصحاب هذا الاتجاه و إعلان إفلاسهم و وفشل كل صور التنمية والنهوض الحضاري الذي كانوا يروجون له و عدم تقبل المجتمعات الإسلامية لهذا الأفكار و المشاريع المستعارة ، خرجت الدعوات القائلة بالعودة إلى الهوية الإسلامية والاصالة الحضارية و الاستعانة بعقيدة الأمة وتراثها في رسم نهوض حضاري يتوافق و الخصوصية الإسلامية للمجتمع المسلم ، و يستمد تصورها الكلي والجزئي من الشريعة الإسلامية مع الأخذ بما وصلت إليها الحضارة المعاصرة من إنجازات علمية و تقنية ، و رسم منهجية علمية إسلامية لكيفية الاستفادة من هذه المنجزات و توجيهها بما يخدم الإنسان المسلم.

ومن أجل الوصول إلى هذه المنهجية تعددت الرؤى والمقترحات حول خطوات و طرق التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف المعاصرة التي كانت نتاجا للفكر الغربي ، أو خضعت لعملية إعادة صياغة للتناسب و هذا الفكر .

وفي هذا الفصل يسعى الباحث إلى وضع منهجية للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ثم اتبع ذلك بخطوات منهجية لكيفية توجيه علم اجتماع التربية توجيها إسلامياً ، حتى يستفاد من هذا العلم في البيئة الإسلامية المعاصرة .

المبحث الأول

المنهجية الإسلامية لتوجيه العلوم الاجتماعية

١- مفهوم المنهجية:

يجب بادئ ذي بدء أن نفرق بين مصطلحين (المنهجية والمنهج) و أنهما ليسا حقيقة واحدة وإنما أحدهما يمثل إطارا للآخر ولهذا سوف نركز على مصطلح المنهجية الذي يغيب عن كثير من الباحثين الإسلاميين فنجدهم ينطلقون دائما إلى مناهج البحث – تاريخي – وصفي – تجريبي – بحجة أنها مجرد وسائل وأنه ((يغتفر في الوسائل مالا يغتفر في المقاصد)) غائبا عنهم التساؤل التالي:

ماذا وراء المنهج (ما قبل المنهج أو ما قبل العلم)[1] ما هي الفلسفة التي تكمن وراءه ؟

لهذا يرى الباحث وجوبا أن يكون هناك إطارا مرجعيا لمنهجية الباحث في التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية والتربوية ينطلق من خلال مسلماته وتصوراته التي تحكم الفكر والمعرفة التي ينتمي إليها الباحث.

ومن المعلوم أن لدينا ثلاثة مناهج ظاهرة تتنازع الهيمنة على الساحة الثقافية في العالم الإسلامي المعاصر ، بينها (عادل التل) في مقال له بمجلة البيان بما يلي:

أولا: التفكير الإسلامي (الديني): ويتمثل هذا المنهج بالاعتماد على النصوص الشرعية، المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون القيمة الأساسية فيه لهذه النصوص، وتقدَّم على كل ما عداها من مصادر المعرفة عند الاختلاف.

ثانياً: منهج التفكير الفلسفي (العقلي): ويتمثل هذا المنهج بالاعتماد على المذهب العقلي، وتكون القيمة الأساسية فيه للعقل كمصدر للمعرفة، ويقدم على غيره من المصادر عند الاختلاف.

ويذهب العقلي إلى تفسير كل شيء في الوجود من خلال العقل، سواء في إثبات الشيء أو نفيه ، أو تحديد معانيه..

ثالثاً: منهج التفكير المادي (الوضعي): ويتمثل بالاتجاه المادي، الذي ينظر إلى العالم الخارجي باعتباره يمثل الحقيقة الكبرى الكاملة، وأن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل عن وعي الإنسان، وغير خاضعة لشيء، وأن المعرفة الصادرة عن المادة تقدم على كل معرفة أخرى عند التنازع.

---

1 – هناك من يرى أن تعبير ((ما قبل العلم)) اشمل دلالة من تعبير ((ما قبل المنهج)) وهناك من يرى أن تعبير (ما وراء المنهج) أكثر دلالة من سابقيه ونحن نميل إلى الرأي الثالث، ويقصد بهذه التعابير ((النموذج المعرفي)) الذي يشمل ما قبل العلم ويمتد إلى ما بعده أي ((المسلمات التي تمثل المنطلقات الكلية – الفلسفية – والرؤى الكلية المتصل بالله تعالى وبالكون والإنسان والحياة و الأهداف والغايات والتوظيفات العلمية والعملية لها (ما قبل العلم وما بعد العلم) .

والمـــذهب المادي: هو نظرية تقوم على اعتبار أن المادة هي الحقيقة الوحيدة، وأن الوجود ومظاهره وعملياته، يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة.

ثم بـــين المعـــيار الـــذي يحدد بموجبه الانتماء إلى أحد هذه المناهج هو أسلوب التعامل مع النصوص الشرعية:

أ- في المـــنهج الإســـلامي: نـــتعامل مع النصوص الشرعية بإثباتها وكما فهمها الصحابة الذين عايشوا التنـــزيل وكما فهمها التابعون من الصحابة، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، و طريقة السلف الصالح وأسلوب المدرسة التجديدية.

ب- في المـــنهج الفلســـفي: يكـــون التعامل مع النصوص الشرعية بطريق التأويل وفقاً لمعطيات العقل، وبـــتقديم العقل على النقل، وهذا منهج الفرق الضالة كالمعتزلة والرافضة وأمثالهم، وأسلوب المدرسة العقلية المعاصرة.

ج- في المـــنهج المادي: يكون التعامل مع النصوص الشرعية بإلغاء دلالتها واعتبارها كأنها غير موجودة، والحصـــول علـــى المعرفة من مصادر أخرى مثل التاريخ أو السير في الأرض أو أحداث الكون، مما يســـتدعي -حسب رأي أصحاب هذا المنهج - إلغاء النبوة والاعتماد على السنن (القوانين الطبيعية والاجتماعية) بديلاً عنها (آيات الآفاق والأنفس)، وإعطاء تفسير جديد لمفهوم الوحي ومفهوم التلقي من الله، والاعتماد على قوانين تطور الطبيعة وقوانين تطور المجتمع في سلم الدلالات الموضوعية، وهذا هو منهج المدرسة المادية التغييرية. (١)

ولهذا سوف نبسط القول في تحديد هذه المنهجية (المنهجية الإسلامية لتوجيه العلوم الإنسانية).

تعريف المنهجية:

في اللغة : المنهج مأخوذ من مادة (نَهَجَ)، (النّهْجُ والمنهج، والمنهاج) هي تعني: الطريق الواضح في أمر ما من علم وعمل ... إذ يقال: أنهج إذا استبان وصار شيئاً واضحاً بيناً .. ونهجت الطريق إذا أبَنْته و أوضحته، ونهجت الطريق أيضا إذا سلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه، ..وهو الطريق الـــذي يسلكه الإنسان وفق قواعد عامة تهديه وتقوده إلى الطريق السليم في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية ..فالمنهاج هو الطريق الموصل للمقصد ، وبعد اكتمال المقصد وبيانه يكون المنهاج المؤدي إليه كذلك. (٢)

1 - عادل التل أخطار الترعة المادية في العالم الإسلامي نقد كتابات جودت سعيد، مجلة البيان، ع ٦٣، ١٤١٣، ص ص١٤-١٥

2 - أنظـــر: معـــاجم اللغة مادة نهج، ابن منظور، لسان العرب، الجوهري، الصحاح، ج١ص٣٤٦، و سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، مرجع سابق، ج٢ ص٢٤٧)

وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة ٤٨٠)

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: شرعة و منهاجا، سبيلا وسنة، وفي تفسير الجلالين: "شرعة" شريعة "ومنهاجا" طريقا واضحا في الدين يمشون عليه (تفسير سورة المائدة الآية٤٨)

وفي حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ حيت قص رؤيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ورد لفظ (مَـنْهَجٌ) بمعـنى الطـريق كما هو واضح في لفظ النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: ((فَإِذَا جَوَادٌّ {طريق} مَنْهَجٌ عَلَىٰ يَمِينِي. فَقَالَ لِي: خُذْ هٰهُنَا. فَأَتَىٰ بِي جَبَلاً. فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ. قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَىٰ اسْتِي. قَالَ: حَتَّىٰ فَعَلْتُ ذٰلِكَ مِرَاراً. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ بِي عَمُوداً. رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَأَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ. فِي أَعْلاَهُ حَلْقَةٌ. فَقَالَ لِي: اصْعَدْ فَوْقَ هٰذَا. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هٰذَا؟ وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ. قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي. قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ. قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: «أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. قَالَ وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. ٠)) [١]

وفي مسـند الإمام أحمد عن النعمان بن بشير قال: قال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تكـون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على **منهاج النبوّة** فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على **منهاج** النبوّة،)) [٢]

المنهج والمنهجية في الاصطلاح:

والمنهج يعني السبيل الفكري والخطوات العلمية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم[٣].

وعـرفه البعض بأنه: ((فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين)) [٤]

ويـؤكد سيف الدين عبد الفتاح بأن ((المنهاجية والمنهج مفهومان متمايزان ومنفصلان ، فالمنهاجية هي علم دراسة الطرائق وتكوينها وبنائها وتفعيلها وتشغيلها ، فهي منهج المناهج بهذا الاعتبار ، وأما المنهج

1 – الإمام مسلم بن الحجاج القشيري– صحيح مسلم ، مرجع سابق، رقم الحديث ٦٣٣٦ ج١٦ص٣٧

2 – الإمام أحمد بن حنبل – المسند، مرجع سابق ،رقم الحديث١٨٠٦٢ .

3 – محمد صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ،ص٨٩

4 – عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث، ، مرجع سابق، ص٦٠

أو المناهج فهو مفردات هنا أو هناك ، و أدوات و وسائل ، وقواعد وخطوات وإجراءات هي من مكونات المنهاجـية ولكـن تستوعبها ، ذلك أن علم المنهاجية يتواصل في رؤية فيما قبل المنهج والمنهج ذاته وفيما بعد المنهج في سياق وأصل ورابط بين هذه المنظومة والعناصر المنهاجية وعمليات التفاعل والتشغيل المرتبطة بها.)) [1]

ويـرى حلمـي صابر أن المنهج : ((هو الأساس الذي ينطلق منه الباحث في بحثه لحل المشكلة أو نقدها، أو إدراك الحقيقة، واختبار صحتها)) [2]

ويرى سيف الدين إسماعيل أن المنهج: ((هو أساس المفاهيم التي يوظفها الباحث في معالجة موضوعه والطريقة التي يوظفها بها.)) [3]

ويعـرف كمـال زيتون المناهج بأنها: مصطلح يشير إلى مجموعة مشروعة وصادقة من المعتقدات ، والقيم والمعارف والمهارات و الاتجاهات العلمية، من شأنها أن تدفع من يكتسبونها _ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، واعية أو غير واعية — إلى القيام بأنماط معينة في التفكير وفي السلوك[4] .

و يعـرف محمد نصر عارف المنهجية (Methodology) بأنها: هي العلم الذي يدرس كيفية بناء المـناهج واختيارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، يبحث في كلياتها و مسلماتها وأطرها العامة، فهـو الواصـلة مـا بـين النموذج المعرفي والمناهج التي تمثل الوسائل والطرق التي تستخدم للوصول إلى الحقيقة.[5]

ويعرف احمد المهدي مصطلح ((منهجية)) بأنه : مصطلح عام يتضمن مصطلحات فرعية تدخل في أعمال البحث .[6]

ويحدد أحمد فؤاد باشا(المنهجية) : بمعنى استخدام منهج علمي يتفق وطبيعة البحث في موضوع معين أو عدة موضوعات منتظمة في سياق، بهدف الوصول إلى معرفة علمية جديدة يستفيد منها الإنسان لخدمة أغراضه و طموحاته .[7]

---

1 - سيف الدين عبد الفتاح – حول المنهجية الإسلامية ، مرجع سابق، ص٥٥.
2 - حلمي صابر – منهجية البحث العلمي و ضوابطه في الإسلام، ، مرجع سابق، ص١٩
3 - حلمي صابر، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، مرجع سابق، ج٢ ص٢٤٧
4 - كمال زيتون ،نحو صيغة إسلامية لمناهج العلوم في المجتمع العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص٤٨٣
5 - محمد نصر عارف ، مقدمة (محرر) قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، ، مرجع سابق، ص٨
6 - أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية البحث الاجتماعي والتربوي، مرجع سابق، –ص ٥١
7 - أحمد فؤاد باشا، تصور مقترح لمجالات البحث في فلسفة العلوم برؤية إسلامية، ، مرجع سابق، ص٤٥

وفي بحث آخر يطلق أحمد فؤاد باشا على المنهجية مسمى (علم مناهج البحث) والذي يشمل دراسة وتحليل كل ما يتعلق بالعلوم ولغاتها وتطورها وتقنياتها من مختلف النواحي المعرفية والمنهجية و القيمية و الانطلوجية والاجتماعية والتاريخية وغيرها بهدف التعرف على مكانة العلم في حياتنا ودوره في تكوين نظرة الإنسان الشاملة للقضايا الوجود والحياة .[١]

ويعرف محمد أبو يحيى، و زملاؤه (المنهجية) بأنها : ((المحاولات العلمية والقواعد والمحاور المنظمة التي تقوم عليها دراسة مسائل وحقائق موضوعات الثقافة الإسلامية، حتى تصبح علما مستقلا له كيانه القائم بذاته . فالمنهجية هي التي توجه مسيرة هذا العلم للوصول إلى بنائه وتأسيسه و كينونته . وجوهر العلم يكمن في دقة المنهج وأحكامه وبغير المنهج فليس ثمة طريق يوصل إلى النتائج والأهداف مهما بذل من جهد .))[٢]

ويمكن أن نرتضي التعريف التالي الذي يرى: ((أن المنهجية الإسلامية هي مجموعة القواعد المقررة للتنظيم والوسائل والبحوث التي يتوصل بها إلى معرفة الأحكام الشرعية العملية التي تتعلق بسلوك الإنسان وأفعاله في مجتمعه . ويمكن أن نصف هذه المنهجية بأنها القواعد الأساسية المستمدة من المثالية الإسلامية* ، أو ما نسميه ((الشرعية)) التي تحدّد موضوع كل علم من العلوم السلوكية ونمط النظام الذي يحكمه، وتبين الأحكام الجزئية اللازم توافرها لبناء هياكل هذا النظام)).[٣]

والخلاصة ، إن ما ندركه من الواقع ليس إلا خلاصة تفاعل عناصر ثلاثة ذكرها نصر محمد عارف: وهي المسلمات الكامنة في أذهاننا ، أو هي المنهجية التي نعتمد عليها، والأدوات أو المناهج المستخدمة في الدراسة والحقائق الواقعية ... ومن ثم فالبحث القائم على منهجية سليمة متسقة لا يعني أنه ينقل الحقيقة كما هي بصورة كاملة، بل ينقل أقرب صورة منها ...وإنما يقول فيه قولا قد يختلف عليه ومعه آخرون ، ومن ثم دائما هناك قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف ٠٧٦)

و دائما نقول " والله اعلم ".[٤]

ومن المعروف أن علماء المسلمين كانوا قد بدؤوا البحث في المسائل العلمية قبل البحث في المسائل الاعتقادية أو النظرية، ونتج عن هذا أسبقية المنهج الأصولي لدى علماء أصول الفقه قبل منهج المتكلمين في

1 – أحمد فؤاد باشا ،نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، مرجع سابق، ص٦٧

2 – محمد أبو يحيى، و زملائه، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

* لا يرى الباحث استخدام تعبير المثالية الإسلامية بل الإسلام أو الشريعة الإسلامية

3 – محمود أبو السعود، المنهجية للعلوم السلوكية الإسلامية ، مرجع سابق، ج٢ ص ٤٢ .

4 – المرجع السابق، ص١٠

المسائل الاعتقادية . وقد وضعت قواعد الاستدلال والاستقراء، و تكونت على نحو متكامل على يد الإمام الشافعي رحمه الله .[1]

هذا مع الفرق الشاسع بين المنهج العلماني والمنهج الإسلامي بسبب الاختلاف في التصورات والمفاهيم والمبادئ ؛ إذ المنهج جزء من التصور مما جعل نتائج أبحاثهم ودراساتهم مناقضة للأحكام الإسلامية و واقع المجتمع الإسلامي و حياته.[2]

والاهتمام بالمنهجية تعد تأصيلا للفكر المنهجي و ليتحقق بعد ذلك التحصين الثقافي والتميز الحضاري للأمـــة الإســـلامية و لا يتأتى ذلك إلا بالعودة إلى الجذور والينابيع الأصيلة للفكر الإسلامي و التي أصلها الأوحـــد هو الوحي من أجل ضبط حركة الفكر في انطلاقته وأهدافه ، و سائله و حمايته من الانحراف و الانتكاس وفق منهجية التلفيق والتجديد من الآخر ، وربطه بمحور العبودية لله من أجل زيادة الدافعية في الإنجـــاز و الإصرار على المضي في تحقيق التفوق الحضاري للدين الإسلامي ، ومواكبة التحديات الحضارية التي تفرضها طبيعة الصراع الأبدي بين الخير والشر .

٢- مقومات منهجية التوجيه الإسلامي:

إن الواقـــع الإنســـاني والاجتماعي تحكمه عوامل وعلاقات متشابكة ومعقدة و متبدلة تفرض على الـــباحث حسن صياغتها واختيارها واختيار المنهج المناسب لها، وأن ينطلق من مسلمات وحقائق تصدق علـــى الواقـــع مصـــدرها منبثق من خالق الوجود كله والعالم به قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك ٠١٤)

١- يجـــب تأصيل المفاهيم و المبادئ المتعلقة بالإسلام، وبيان معانيها الصحيحة، ورد المفاهيم الخاطـــئة الـــتي راجت في عصور التخلف، أو أدخلت على المسلمين من أديان ومذاهب مختلفة .[3]

٢- تأكـــيد أن المناهج ليست محايدة في تناولها للقضايا المراد بحثها بل إنها متحيزة وينقل من الواقع ما يتناسب معه ويكون على مقاسه وما يمكن أن يدخل في تكوينه الداخلي، ولهذا فمن الضروري أن تكون لنا مناهجنا التي تناسب قضايانا وتحتويها دون أن تختزل منها ما يناسبه ، وتتجاهل ما يكون خارج إطارها .كما تفعل المناهج المستوردة عندما تستخدم في بحث القضايا الإسلامية (كحقوق المرأة ، التدين).

1 – حلمي صابر، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، ، مرجع سابق ، ص ٢٤

2 – محمد أمحزون منهج التفسير التاريخي قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها ، مرجع سابق، ص ٤٥

3 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٩

٣- إن المنهجية هي فلسفة وإجراءات: الفلسفة تكمن في النموذج المعرفي ، و الإجراءات هي المناهج والأدوات، ويترتب على ذلك:

ن المناهج تستبطن فلسفتها، وإن الإجراءات المنهجية والأدوات البسيطة تحمل في طياتها وثناياها فلسفة المنهجية التي تنبعث منها وتبنى عليها٠٠((وتخدم هذه النظريات أهداف قومية وطبقية منحازة لخدمة مصالح ذاتية ٠))[1]

٤- إن بناء فلسفة المنهجية خطوة أولى ضرورية سابقة على بناء أدواتها ومناهجها، أما محاولات البدء من الفرع قبل الأصل فلن تؤسس منهجية ٠

٥- إن الإطار المرجعي: هو ذلك الجزء الحي الواعي من النموذج المعرفي الذي يكون حافزا في ذهن الباحث، فيشكل رؤيته ويحدد مسلماته و مقولاته الكبرى ، ... وتحديد المسلمات والافتراضات منبثق عن النموذج المعرفي و التي تمثل أساس المنهجية، فلكل نموذج معرفي مسلماته و معاييره، وقواعده ورؤيته التي تميزه عن الآخر ، فهذه المسلمات والمعايير تشكل أساسا للمنهجية ٠

٦- كما يجب تحديد مصادر المعرفة التي تنطلق منها المنهجية فليس المصدر الوحيد للمعرفة الوجود الحسي بل هناك مصادر الوحي و الرؤية العرفانية الباطنية، والتي تعطي الباحث مجالا رحبا للتأمل والبحث ٠

ومن المعلوم أن تحديد العناصر والمتغيرات يخضع للمنهجية ومدى تقبلها لجميع العناصر والأبعاد المؤثرة في الظواهر المراد بحثها، فهل يكتفي بالتقسيم العلماني المادي، اقتصادي ، اجتماعي ، النفسي ، بيئي ، تاريخي ٠٠الخ، وأيها المؤثر الأكبر الذي يخضع لمدرسة الباحث الفكرية ، والتي لها أولوية ؟ ، أم أن المنهجية الإسلامية تفرض عليه بُعدا آخر هو (الغيبي) كذلك البعد الديني الذي له تفسيراته و أولياته التي تختلف عن المنهجية الغربية تماما ٠ [٢]

٧- ويجب أن ندرك أن الثوابت الإسلامية هي التي تضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا ينفلت زمامها كما وقع لأوروبا عندما أفلتت من عروة العقيدة، كما أن الثوابت الإسلامية هي التي تصون الحياة البشرية وتضمن مزية تناسقها مع النظام الكوني العام، وتحكم قوانين التطور فلا تتركها على إطلاقها٠ [٣]

---

1 – محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٨٨-٣٩٢

2 – أنظر: محمد نصر عارف، مقدمة (المحرر) قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، ، مرجع سابق ، ص ص ٩-١٢

3 – أحمد فؤاد باشا، نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي، مرجع سابق ، ص٧٣

ولهذا فقد أدى انحراف العلم ومفهومه إلى ظهور العَلْمانية التي دنست الفطرة الحنفية – قال رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن مَولودٍ إلاّ يُولَدُ على الفِطرَةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمجِّسانه، كما تُنْتَجُ البَهيمةُ بَهيمة جمعاء، هل تُحِسُّونَ فيها مِن جَدعاءَ»؟ ثم يقولُ أبو هريرةَ رضيَ اللّهُ عنه {فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النّاسَ عليها، لا تَبديلَ لِخَلْقِ اللّهِ، ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ}.(١)– وصرفت الناس عن البحث عن دين الله الحق، وابتدعت قضية الفصل بين العلم والدين وإنكار الأخلاق، واستبدلتها بالأديان الوضعية وغرت الناس باعتناقها بحجة العلمية والعقلانية .

ومن المعلوم أن الصيغة السائدة في البحث الاجتماعي والتربوي في البلاد العربية والأكثر شيوعا هي تلك الصيغة التي يطلق عليها اسم ((الصيغة التجريبية التحليلية)) ، وهي تعتمد على مقومات رئيسة منها: وجوب أن يجري البحث وفقا للنموذج الذي يجرى عليه البحث في العلوم الطبيعية، وأن تصاغ فيه شؤون البشر على هيئة قوانين تحاكي في كيفيتها قوانين العلوم الطبيعية ، وأن غايات القوانين في العلم الاجتماعي تفسير سلوك الفرد والتنبؤ بما يمكن أن يقوم به، ومن ثم التحكم في هذه الإحداث ، وأن يتسم الباحث بالموضوعية و البعد عن التفسيرات الذاتية والقيم، سواء ما كان منها كامنا في الموقف الاجتماعي، أو ما يعتقده الباحث .(٢)

ومن المعلوم أن هذه الصيغة قد نشأت في بيئة الثقافة الغربية و التي كانت نتاجاً لظروف خاصة، سببها العداء المستحكم بين الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا و هيمنتها على كل صور الحياة ومعاداتها للعلم والعلماء ، و في هذه الظروف ابتدع العلماء هذه المقومات والمناهج للخروج من هيمنة الكنيسة ، وعدم ترك الفرصة لها للعودة إلى سيادتها التي رفضت من قبل الجميع .

أضف إلى ذلك أن حقول الدراسات الاجتماعية تشهد ثورة عارمة تمس التصورات والمفاهيم وذلك أثر انفجار وتصدع العلوم الاجتماعية والإنسانية ، والانقلابات الشاملة ميادين المعرفة في كل الاتجاهات .(٣)

ونحن ندرك أن الأرضية الثقافية الغربية هي التي تُغذي الدراسات الاجتماعية و ترفدها بالمصطلحات الغربية في الجامعات العربية والإسلامية. والخطوة الهامة الأولى لوضع منهج جديد في الفكر الاجتماعي يبدأ من الكلمة أو المصطلح. فالمصطلح هو اللبنة الأولى للصرح العلمي، وهو النواة والبذرة للمنهج.

ونحن نعيش في عصر تداخلت فيه المفاهيم، واختلطت فيه معاني المصطلحات باسم العلم، وبمقتضى ذلك تشعبت فروعه.

---

1 –محمد بن إسماعيل البخاري، ، مرجع سابق ، رقم الحديث، ١٣٣٥

2 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي، ، مرجع سابق ، –ص ٣٣

3 – أحمد المختاري نحو علم اجتماع إسلامي، مرجع سابق ، ص ٤٠

والحقيقة أن العلم منهج قبل أن يكون نتاجا أو مضمونا، وأهمية المنهج في مجال العلوم الاجتماعية أنه يساهم في التنظير للفكر، أي أنه الأساس للبناء النظري. ولقد آن الأوان أن نأخذ بزمام أمرنا، ونعقد العزم على أن نأخذ بالمنهج العلمي لنسهم بنصيبنا نحن في الإضافة إلى مضمون ومحتوى العلوم الإنسانية المعاصرة من منطلق خبراتنا الذاتية، وتمايزنا الحضاري، هذا فضلا عن مبادئنا. [١]

كما أنه لا وجه للشبه بين الظروف التي أدت إلى الصراع بين الدين والعلم في أوروبا آنذاك و واقع الفكر الإسلامي الذي ترك الفصل في الأمور التي تقع في الميادين الدنيوية للعقل وللتجربة الإنسانية. [٢]

و الأمور الدنيوية التي لم يرد فيها نص شرعي – وهي جلها- فهي متروكة لاجتهاد المسلمين وكما يقـــول المفكر الإسلامي محمد عمارة: ((إن الاجتهاد في أصول الدين غير وارد، والاجتهاد في ((فروعه)) غـــير ملح ولا تستدعيه الضر وارت ((أما ما عدا ذلك من شؤون الدنيا فإن أمر تنظيمه وتدبيره وتطويره متـــروك للمسلمين، كي يبدعوا فيه ويجددوا دونما قيد إلا ((مصلحة جمهور الأمة)) مسترشدين بالتجربة الإنسانية، وبالكليات والمقاصد العليا التي جاء بها الوحي أطرا عامة لنظام الحياة الدنيا .)) [٣]

ومغزى هذا إن العلوم الدنيا متروكة لجماعة المسلمين، ولهم أن يبتدعوا فيها ما وسعهم الابتداع، ما دام ابتداعهم لا يشكل معصية – بترك واجب أو فعل محرم – و لا يتعارض مع مصلحة جماعة المسلمين ، ويدخل في العلوم الدنيا كل العلوم الاجتماعية . [٤]

ومن المعلوم أن صياغة المفاهيم صياغة إسلامية وتحديد المصطلحات لكل مجال من مجالات المعرفة بما يـــتفق والتصور الإسلامي يساعد الباحثين في تكوين تصور موحد للوجود كله لا يتعارض مع توجيهات الـــدين، كما أن هذه الصياغة تمنع وقوع الشقاق والجدل العقيم بين الباحثين ، و توفر لهم الجهد والوقت اللـــذان سيســـتثمران في الـــبحث والمعـــرفة، وكما قال ابن خلدون رحمه الله في كثرة الخلاف و تعدد المصطلحات بأنها مضرة بالعالم و المتعلم إذ يقول:

((اعلـــم أنـــه ممـــا أضـــر بالـــناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها .)) [٥]

---

1 – حسنين محمد تقي، فقه المصطلحات، ، مرجع سابق ، ص١٠٤

2 – أحمد المختاري، ،نحو علم اجتماع إسلامي ، مرجع سابق ،، ص ٣٥

3 – محمـــد عمارة ، الإسلام وقضايا العصر، ص ٣٦ نقلا عن أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي ص ٥٠

4 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي ، مرجع سابق ، ص ٥٠

5 – ابن خلدون ،المقدمة، ، مرجع سابق ، ص ٥٣١

٣-الصياغة الإسلامية لمنهجية التوجيه:

إن الصـياغة الإسلامية لأي نشاط فكري أو علمي يجب أن تستمد أسسها و مقوماتها من التشريع الإسـلامي وأن تـبني تصوراتها ((للكون، و للإنسان، الحياة، و للعقل، وللعلم، والمعرفة)) وفقا للتصور الإسلامي .

ويعرف كمال الزيتون الصياغة الإسلامية بأن المقصود بها ((الإطار الفكري العام المشتق أساسا من التصور الإسلامي للمجتمع، والمتعلم، و للعلم والمعرفة، والذي من شأنه أن يوجه الباحثين إلى تفضيل نماذج ومناهج وطرائق معينة في البحث، تتلاءم مع مقومات هذه الصيغة وتتسق مع مكوناتها . [١]

ويقول إسماعيل الفاروقي: إن إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الاجتماعية لا بد وأن يبين العلاقة بـين الواقع المدروس بذلك الجانب أو الجزء من النموذج الإلهي المناسب له، ولما كان النموذج الإلهي هو العـادة أو الناموس فإن الواقع ينبغي أن يحققه، وتحليل ما هو كائن ينبغي ألا يغيب عن نظرة ما ينبغي أن يكون . [٢]

ولعـل إدراج التصور الإسلامي لنسبية المعرفة العلمية وموضوعيتها وحقيقتها ضمن مسلمات المنهج العلمـي الإسلامي يساعد على تصحيح الاستخدام الخاطئ للعلم ونظرياته من الناحيتين الفلسفية والتقنية، خصوصـا بعـد أن بالغ أصحاب الاتجاهات العلمية والتقنية في تقديسهم وتأليههم بأكثر مما بالغ أنصار " الحتمية " وأصحاب الفلسفات العلمية الحديثة . [٣]

إن ملاحظـة إصرار مقلدي المنهجية الغربية وخاصة في العلوم الاجتماعية تهدف إلى تنحية المفاهيم الإسلامية الأصيلة المستمدة من الأصول إسلامية (القرآن الكريم والسنة الصحيحة)، وتقديم بدائل لها، أو فرضـها فـرض الأمـر الواقع من حيث انتشارها واستخدامها وتدويلها بين الجماعة العلمية بل في دائرة العاملين في الحقل الإعلامي، وربما في دائرة الناس العاديين .[٤]

لهـذا فـإن التأكيد على تميّز المفاهيم الإسلامية و أصالتها وقابليتها العلمية للتداول والتعبير و وفائها بمتطلـبات العصر فاللغة العربية من أفضل لغات العالم قدرة على الاشتقاق والتعبير ثم أن المنطق الإسلامي

1 – كمال الزيتون – نحو صيغة إسلامية لمناهج العلوم في المجتمع العربي الإسلامي، ، مرجع سابق ، ص٤٨٢

2 – إسماعيل الفاروقي، العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص ٣٢

3 – أحمد فؤاد باشا، نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي ، مرجع سابق ، ص٨٠

4 – سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، ، مرجع سابق ، ج٢ ص٢٤٨

(أصـول الفقـه – وعلم الكلام) لهما باعٌ طويلٌ في تحديد وتأصيل المعاني و ضبط المصطلحات و وضع القواعد والحدود، والتراث الإسلامي خير شاهد على ذلك .

ويقتضـي المنهج العلمي تحديد معنى المصطلحات التي تستخدم في بحث القضايا العلمية والاجتماعية حـتى لا يقع الباحثين في اضطراب ينتج عنه اختلاف التفسيرات والنتائج وكثرة الجدل وقد يقع مثل ذلك عـندما تكون القضايا المراد بحثها من مستجدات الزمان والتي لم يسبق أن وضع لها مصطلحات ومفاهيم مقنـنة يعرفها ويتفق عليها أصحاب هذا الاختصاص ، وهذا ما نجده مُلحاً في وقتنا الراهن في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية التي تشعب البحث فيها اقتضى الأمر فيها اتفاق المختصين بوضع مصطلحات لهذه العلوم تنبع من ثقافتنا وتراثنا الإسلامي الأصيل .

إن عـدم وضـوح المفاهيم خطر كبير على استقامة الفكر، وأن المصطلح هو الوعاء التعبيري الذي تطـرح مـن خلاله الفكرة التي تشكل مفهومات الناس وتصوراتهم وسلوكهم، بما تحمله من مدلولات و مضـامين لغوية وثقافية وحضارية ، فإذا اضطرب الوعاء أو اختلف مدلولاته التعبيرية اختل البناء الفكري ذاته و اهتزت قيمته في الأذهان وخفيت حقائقه، وربما عظمت مضرته بانعكاساته في ثقافات الأمم وحياة الشعوب، والأمم الراقية في أفكارها وتصوراتها هي التي لا تقبل مصطلحات و مسميات الآخرين، وخاصة في مجال العلوم الإنسانية، دون تحليل أو تمحيص أو تأصيل .[1]

صياغة المفاهيم:

والمفاهيم: هي ما يمكن أن نسميه المعايير والقيم والعقيدة والثقافة والحضارة و السياسة .[2]

ويعـرف إبـراهيم بيومي المفهوم بأنه:هو مجموعة الصفات، والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى[3]

ويعرف زكي إسماعيل المفهوم بأنه: ذلك التجرد العقلي للصفات المشتركة بين مجموعة من الخبرات أو العناصر أو الظواهر .[4]

---

1 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٤

2 – سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، ، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، ، مرجع سابق ، ج٢ ص٢٧٨

3 – إبراهيم بيومي وآخرون، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، –سلسلة المفاهيم والمصطلحات – المعهد العالي للفكر الإسلامي ١٤١٨هـ. القاهرة ،ح١ص٣١

4 – زكي إسماعيل ،التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع ...إلى أين، ، مرجع سابق ، ص١٦٠

وكمـا يشـير أحمـد مختـار إلى أن أهم شيء في الدراسات الاجتماعية والإنسانية تحديد المفاهيم والمصطلحات تحديدا علميا دقيقا وتعريفها تعريفا واضحا لا لبس فيه ولا غموض ، إذ وضح المصطلحات دليل على وضوح الفكر أولا ووضوح التحليل ثانيا ، وذلك يساعد كثيرا على الاحاطة بجوانب الموضوع المتنوعة والمختلفة وأيضـا يساعد القاري على فهم ما يعرض • والتحليل العلمي لأي ظاهرة أو واقعة اجتماعية لا بد وأن يتوفر على العناصر التالية ... منهجية صارمة وواضحة، نظرية عامة ينطلق منها الباحث تغذي فكره و تصوراته •[١]

كما أن التفسير والحكم الصحيح إنما يتوقف بصفة أساسية على مدى دقة وصحة المفاهيم وتلك الصور الذهنية المجردة المعبرة عن ماهية الظواهر المختلفة... إن المفاهيم التي نمتلكها لا بد أن تؤثر على نظرتنا لهذا العالم، وحقيقة أن هذا العالم مصنوع لنا من تلك المفاهيم •[٢]

لقـد حـاول الغـرب أثناء الهيمنة الحضارية والاستعمارية أن ينشر ومفاهيمه و مصطلحاته، على الشعوب المغلوبة وذلك بكل ما أوتي من قوة ، وذلك في جميع شؤون الحياة ، مستخدما في سبيل تعزيزها ونشـرها كـل أشـكال السيطرة الفكرية أو السياسية أو الاقتصادية والإعلامية ، وربما بالقوة العسكرية الاسـتعمارية ، أو بدعوى العولمة، وحرب الإرهاب، كما هو الحال في فرض الثقافة الأمريكية اليوم على شعوب العالم بالقوة •

وإذا كانت المصطلحات هي أدوات المفاهيم و قوالب التعبير فانه يجب الاعتناء بها وصياغتها صياغة عربية إسلامية ويرى محمد أمحزون أن :

((قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب، لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار. والمصطلح كلمة أو كلمتان، وقد لا تتعدى ذلك إلا في حـالات نـادرة ، لكن هذه الكلمة قادرة على تحويل التفكير من وجهة إلى نقيضـها، بل قادرة على أن تفقد الإنسان التفكير أصلاً ، ...فقد كان من تأثير الغزو الـثقافي الأوربي للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم ، حتى كادت أن تختفي المصطلحات الإسلامية..علماً بأن هذا المنزلق يتمثل في عـدم وعي الباحثين المعاصرين بأن المصطلحات الحديثة إنما تنبثق من رؤية خاصة

---

1 – أحمد مختار ، نحو علم اجتماع إسلامي، ، مرجع سابق ، ص ٣٩

2 – عبد الرحمن النقيب و بدرية الميمان، تأصيل المفاهيم التربوية، ضرورة أولية للإصلاح التربوي، دار النشر للجامعات –٢٤٢٣ هـ – مصر •ص ص٩٦-٩٧

للفكـــر الغـــربي فهي ذات مضامين ودلالات محلية وتاريخية لا يمكن فصلها عن ذلك الوســـط الاجتماعـــي والظروف التاريخية والثقافية التي لامسة نشوء هذا المصطلح أو ذاك.)) [١]

وقـــد نـــتج عن ذلك حالة التقليد للغرب في مجال المفاهيم و القياسات الشائعة والسائدة في أبحاث وأعمال الباحثين والمفكرين الإسلاميين وخاصة الذين تأثروا بالمنهجية الغربية في إعدادهم العلمي، دون أن يعطوا أقل اعتبار لمبدأ اختلاف هذه المفاهيم وتميزها عن البيئة الإسلامية والعربية و كذلك تحيز هذه المفاهيم للبيئة الفكرية التي نمت فيها .

ومـــن المعلوم أن هناك فئة من المتأثرين بالثقافة المنهجية الغربية يفرطون في الدفاع عنها والدعوة إليها حـــتى وصـــلوا إلى حالـــة من الانهزامية بإعلانهم أنها المفاهيم السائدة والعالمية وربما وصموها بالموضوعية والتجرد، وأصروا على وجوب العمل عليها .

ومـــن الملاحـــظ أن المفاهيم في العالم الإسلامي تقع في قالب عملية التقليد للمفاهيم الغربية ، وهذه العملـــية تهدف إلى تنحية المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وتقدم بدائل لها، أو فرض الواقع من حيث انتشارها واستخدامها وتداولها بين الجماعة العلمية .[٢]

ومـــن المســـلمات أن كلمات اللغة التي تنطق بها الأمة هي أفكارها وقيمها ، وهي تحمل تصوراتها الفكـــرية والعقائدية ، وهي متصلة بالعقيدة التي تدين بها تلك الأمة، و مصطلحات الغرب اليوم لا يمكن بحال فصلها عن تراثها أو عقيدتها . أنظر إلى مسميات اختراعاتهم وجامعاتهم ونواديهم و منتجاتهم تجدها تستوحي أسماءها و معانيها من تراثهم الإغريقي والروماني و الديني .

((وحـــيث إن معـــايير الغـــرب وقـــيمه على اختلافها تناقض مرتكزات المسلمين ومنطلقاتهم، فالأمر لا يكون مبالغا فيه إذا أكد الباحث أن الحرب صار مدارها الكلمة والمعنى .. ثم إن غزو منطقة المفاهيم واحتلال عالم الأفكار يعني – ضمن ما يعني – حمـــل المسلمين على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد ومقاييسه و معاييره ومفاهيمه ...كما يستهدف ذلك إخراج المسلمين من دائرة فكرهم بما يخلق شعورا بالنقص في نفوسهم، ومن باب أولى حيال فكرهم.)) [٣]

1 – محمد أمحزون، منهج التفسير التاريخي قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها (١) مجلة البيان /ع٧٥ -١٤١٤هـــ ص ٤٥

2 – بدرية الميمان، تأصيل المفاهيم التربوية، ضرورة أولية للإصلاح التربوي، ، مرجع سابق، ص ٩٨

3 – سيف الدين إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، ، مرجع سابق ، ،ص ٢٧٨ .

ونخلـــص إلى أنه إذا كانت المنهجية تعتمد في أساسها على مجموعة مفاهيم، فإن اضطراب وفوضى المفاهـــيم يقود إلى عدم وضوح المنهجية التي هي علم بيان الطريق الموصل إلى الغاية . فإن افتقادها معناه افتقاد الطريق ، وبالتالي عدم تحقيق الغاية . (١)

إذاً الصـــيغة التي نسعى إليها هي الصيغة التي تتفق والصيغة الإسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي ، ومعتمدة على مجموعة الحقائق الكلية الكبرى التي تمثل جوهر كل من العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية ممـــثلة في حقيقة الألوهية والعبودية، والعالم ، وسنن الحياة وطبيعة الإنسان، والعقل والعلم والمعرفة، بحيث يستأنس في تحديد منهجيتها، وفي تصور أخلاقيات العمل فيها بما يجب أن يلتزم به "في القضاء " وبما يجب أن يكون عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (٢)

الأسس الإسلامية للتوجيه :

ولعـــل من المفيد أن نلخص لأهم الأسس الإسلامية للتوجيه وذلك وفقا للتصور الإسلامي للوجود كله، حيث أن التوجيه الإسلامي يقوم على أسس وركائز عقدية وتشريعية تنظم المعرفة الإسلامية و تحميها مـــن الزلال والخطأ ، وتجعلها وسيلة للوصول إلى الحق و أداء الرسالة المنوطة بالإنسان المسلم ومن مميزات هذه الأسس ما يلي :

١- إن مصـــدرها الوحي ، وهذا يعني الثبات ، وأنها غير خاضعة للتغيير والتبديل وتميزها عن الواقع وتقلباته قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر ٠٠٩)

٢- بعـــدها عـــن الأهواء والنزوات ، فهي لا تخضع لهوى الناس و مصالحهم مما يعني استقلاليتها و موضوعيتها و قيامها على الدليل .

٣- الشمولية والكلية ، و تستمد ذلك من شمولية مصدرها وعموميته لجميع المكلفين ومساواته لهم، ورؤيته الكلية التي تخضع الجزء في إطار الكل .

٤- تميـــزها بالأصـــالة والخصوصية ، فهي تستمد تصورها من الإسلام ، و ترفض التبعية والتقليد والخضوع للغير ، وتحرر الفكر من قيود الانهزامية والركون .

٥- المفاهـــيم الإســـلامية تتميز بقيمها وأخلاقها الثابتة والقابلة للتطبيق ،و هذه القيم والأخلاق لا تنفك عن الحياة الاجتماعية بدعوى الحيادية والموضوعية.

---

1 - بدرية الميمان، تأصيل المفاهيم التربوية، ضرورة أولية للإصلاح التربوي، مرجع سابق، ص ١١٤

2 - أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي، مرجع سابق، ص ٢٣

ثم أن اخطر ما يمثله المنهج الغربي الوافد أنه يحمل لوثات علمانية و إلحادية ، وأنه لا يفرق بين المفاهيم التي تتصل بالعلوم الإنسانية وبين المفاهيم التي تتعلق بالعلوم الطبيعية التجريبية ؛حيث أصبحت جميعها تقاس بمقياس واحد، وتعامل بنفس المنهج، ثم إن المفاهيم الغربية أغفلت عمداً المعايير الشرعية والأخلاقية في ضوابط العلاقات الثقافية والاجتماعية ، و جعلتها تقوم على الأهواء والغرائز الحيوانية و التقلبات الاجتماعية .

٤- مميزات الصياغة الإسلامية لمنهجية التوجيه :

سبق وان أكدنا أن لكل حضارة مفاهيمها ومصطلحاتها النابعة من عقيدتها وثقافتها ، وأن هذه المفاهيم مرتبطة بمعانيها ودلالاتها في حضارتها مهم تم نقلها أو ترجمتها إلى ثقافة أو حضارة أخرى ، والمفاهيم في الثقافية الاسلامية لها مميزاتها وخصائصها التي تصقل صيغتها وفقا للمنهج الإسلامي، ولهذا سوف نعرض لمميزات هذه الصياغة .

الميزة الأولى: اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار و ضوابط وأحكام، لأنها أصدق من الدراسة الاجتماعية الوضعية ، وذلك لصدق مصدرها وعلمه وهيمنته، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي، حيث وصلنا القرآن الكريم بالتواتر الموجب للعلم القطعي، وصحيح السنة ، وصلنا بمنهج علمي دقيق حيث اتبع علماء الحديث والرواية أرقى منهج علمي وأوثقه في تدوين السنة.

وليس من الغريب أن يكون الوحي قرآنا وسنة مصدراً من مصادر علم الاجتماع الإسلامي (وخاصة علم اجتماع التربية)، فبالإضافة إلى أن كل علم إسلامي لا بد أن يستمد مصادره الأولى وأسسه من القرآن والسنة، فإن علم الاجتماع على الخصوص، الذي يدرس علاقة البشر بالبشر لا يستطيع أبدا أن يستقل بعيدا عن الوحي، و إلا فإنه سيقع في متاهات لا يعرف دروب الحقيقة، لأن الوحي نظم كثيراً من شؤون الحياة الفردية والاجتماعية تنظيما لا يجوز لأي مسلم مهما كان الخروج عليه، كما أن الوحي هو أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، التي بلغها جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم، مما يعني أنها إرادة الله الذي يعلم كل ما يصلح للإنسان، منفردا أو في جماعة .[1]

الميزة الثانية: الصياغة الإسلامية منسجمة مع السنن الربانية و السنن الاجتماعية و النظرة الشمولية للطبيعة البشرية كلها على مدار الزمان في الماضي والحاضر والمستقبل، مما يعطي الباحث سعة وشمولاً في النظرة الاجتماعية، وعمقاً في تحليل الأحداث .

---

1 - منصور المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق، ص ١٣٠

إن هذا الكون بما فيه الإنسان هو خَلقُ الله؛ فلابد من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق، وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية، نجد السنن واضحة والاتجاهات محددة.

ومن المعلوم أن الوحي (الكتاب والسنة) اشتملا على السنن (أي القوانين الطبيعية والاجتماعية المبثوثة في الكـــون والأنفس والمجتمعات) والتي تسير في إطارها الأحداث، ويحكم من خلالها سلوك الأمم والدول والأشخاص.

ومـــن خلال السنن الربانية في كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– نفهم المجتمع ونفسر أحداثه، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والبقاء ، وعوامل الهدم والخوف والسقوط والتدمير، وهذه الســـنن مـــرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك. قال تعالى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾(آل عمران ١٣٧)

الميـــزة الثالثة: الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث: إن دارس الطبيعة الإنسانية إذا لم يكـــن مـــدركاً للدور الذي يمثله الإيمان في حياة المسلمين، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً للظواهر الاجتماعية في واقع المسلمين .

الميزة الرابعة: أثر العقيدة الإسلامية في توجيه وتحريك السلوك لدى المسلمين، ولهذا فمناهج البحث في العلوم الاجتماعية عامة و — علم اجتماع التربية خاصة — تهدف إلى بحث الظواهر الاجتماعية وتفسير حوادثها وفق منهجية إسلامية تعتمد على التصور الإسلامي الواقع و الأحداث والعلاقات المحركة للظواهر الاجتماعـــية، والـــباحث المسلم يجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية وفي تفســـيره للحـــوادث والحكم عليها، لذلك ينبغي في دراسة المجتمع الإسلامي الرجوع إلى المصادر الشرعية لمعـــرفة دوافـــع الســـلوك في المجتمع الذي نشأ ، وتكون على هدي الشريعة وشكل حياته ومفاهيمه وفقاً لمقتضى الشريعة، والتي كانت تعليماتها وأوامرها ونواهيها موجهة لجميع شؤون حياته .[1]

1 – أنظر: محمد أمحزون منهج التفسير التاريخي قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها ، مرجع سابق، ص ص ٧٥-٧٧

المبحث الثاني

تطور التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية

تطور المفهوم والمصطلح:

لقـــد انـــتقلت العلوم الإنسانية و الاجتماعية الغربية إلى البلاد الإسلامية بكل حذافيرها و لم يراع في ذلـــك الاختلافات العقائدية والثقافية والاجتماعية وغيرها من الفوارق التي تميز المجتمعات الحضارية بعضها عـــن بعض ، ومن العلوم التي نشأت في الغرب علم الاجتماع و، ل مجالاته وعلم النفس و فروعه ، وعلم الأجناس و تاريخ الأديان ، و غيرها من العلوم الإنسانية و السياسية والاقتصادية و التربوية .

ولقـــد أصـــبح علم الاجتماع الغربي هو الأصل والرافد لعلم الاجتماع العربي الإسلامي ولكثير من المجالات الاجتماعية والتربوية ، وصار دور الباحثين في العالم الإسلامي دور المقلد لمناهج الغرب على مختلف مدارســـهم ونظـــرياتهم، وأصبحت الكتب الدراسية التي تعرض على عقول أبناء المسلمين في الجامعات في العالم الإسلامي نسخة مطابقة وربما مشوهة للمقررات الدراسية الغربية التي تقدم في جامعات الغرب.

والدعوة إلى أسلمة علوم الأمم الأخرى والاستفادة منها لها جذورها التاريخية في الفكر الإسلامي وقد كانـــت هناك جهود كبيرة تبذل في نقل العلوم والمعارف اليونانية ، والفارسية ، والهندية وإخضاعها للفكر الإســـلامي ولأحكام الشريعة الإسلامية والاستفادة منها في حياة المسلمين ، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـــه الله يبين فضل المسلمين في ذلك فيقول:((.. فإن علوم المتفلسفة من علوم المنطق والطبيعة والهيئة، وغـــير ذلـــك مـــن متفلســـفة الهـــند والـــيونان، وعلوم فارس والروم، لما صارت إلى المسلمين هذبوها ونقحـــوها، لكمال عقولهم وحسن ألسنتهم، وكان كلامهم فيها أتم واجمع وأبين، وهذا يعرفه كل عاقل وفاضل .)) [١]

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية الكبرى ((الحق يقبل من كل من تكلم به، وكان معاذ بـــن جـــبل يقـــول: اقـــبلوا الحـــق من كل من جاء به، وإن كان كافرا، أو قال فاجرا، واحذروا زيفة الحكيم)) [٢]

1 – أحمـــد بـــن تيمية ، الفتاوى مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمة وولده محمد – توزيع دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض– المملكة العربية السعودية . ١٤٠٣هـــ ج٤ص١٥، ومفصل الاعتقاد، ص٢١٠

2 – أحمد بن تيمية ،المرجع السابق ، ج٥ص١٠١

وفي العصـــر الحاضر أحس كثير من علماء المسلمين ومفكريهم بأهمية الحاجة إلى كثير من منجزات الحضـــارة المعاصـــرة ، خاصة في العلوم الطبيعية و الطبية والنظم الإدارية و الاقتصادية و التربوية ، و نقل التكنولوجـــيا وغيرها من النتاج الحضاري الذي هو خلاصة جهود بشرية و حضارية متراكمة ، و خاصة الحضارة الإسلامية التي كانت الأساس والمصدر الذي استعانت به الحضارة الأوربية و حاولت إخضاع هذا التراث الأممي لمفهوم الحضارة الفكرية الأوربية ، و محاولة إعادة إنتاجه ليتناسب وهذه التصورات الفكرية الـــتي أصبحت سمة خاصة بها، ولهذا كان فرضا على المستفيدين منها من أبناء الإسلام محاولة إعادة توجيه هـــذه المنجزات وفق التصور الإسلامي ، وتنقيتها من الأفكار والمعتقدات التي غلفت بها حتى تتمكن الأمة الإســـلامية مـــن صنع منجز حضاري قائم على التصور الإسلامي الخالص ، و من هنا كانت الدعوة إلى توجيه هذه العلوم والمعارف توجيهاً إسلامياً ٠

تطور المفهوم والمصطلح:

لقد مر مصطلح التوجيه الإسلامي للعلوم بمراحل تاريخية ثلاثة هي:

المرحلة الأولى: الأسلمة:

لقد تميزت الكتابات الأولى في هذه المرحلة بدعوتها الملحة لإيجاد منهج علمي إسلامي لإصلاح العلوم وتنقيـــتها ، ممـــا لحق بها من أراء ومعتقدات تخالف الإسلام ، و خاصة أن كثيراً من هذه العلوم والمعارف نشـــأت في بيئة ترفض المعتقدات السماوية الصحيحة وتقيم دعواها على المادية الوضعية وحرية البحث ، وبناء فرضيات الغاية منها محاولة تفسير الوجود وفق تصوراتهم العقلية القاصرة٠

ومـــن الملاحـــظ أن دعاوى أسلمة العلوم أو إسلامية المعرفة، كانت تتسم بالعمومية والتركيز على الأهداف ، و لم يكن لها تصور منهجي متكامل ، وكان هدف أصحاب هذه الدعوة هو صبغ العلوم الاجتماعية بالصبغة الإسلامية الصحيحة ، ((وكان معظم أصحاب هذا الاتجاه هم من المتخصصين في العلوم الاجتماعية الحديثة، الذين يرون أن جوهـــر المهمـــة الإصـــلاحية المطلوبة إنما يتمثل أصلا في تصحيح مسار هذه العلوم الاجتماعية ، وذلك من خلال نقدها نقداً صارما في ضوء الكتاب والسنة، واستكمال ما هو صحيح منها أكثر من أن تكون المهمة هي (إنشاء) أو ابتكار فروع جديدة من العلوم الشرعية تختص بدراسة الظواهر الاجتماعية ٠))[1]

1 – إبراهيم رجب، التأصيل الإسلامي للعوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٤

ولقد امتاز أصحاب إسلامية المعرفة ((بالأصالة ، و بموسوعية الثقافة ، وبالنظر البصير بتشخيص الأزمة التي منيت بها الأمة . هذا الاتجاه يصدر في آرائه في الغالب من خارج البلاد العربية خاصة، وينشط إن سنحت الفرصة فيها أحيانا لحفز الهمم و استقطاب الكفاءات . وليست جهود الاتجاه فردية ، وإنما منبثقة عن منظمات و مؤسسات إسلامية)) [١]

وكان من هي أوائل الداعين إلى هذه الدعوة جعفر شيخ إدريس في محاضرة باللغة الإنجليزية في منتصف السبعينات في مؤتمر العلماء الاجتماعيين المسلمين دعا فيه إلى أسلمة العلوم ، فكان من أوائل من استخدم هذا المصطلح . [٢]

وفي أوائل السبعينات أخذت فكرة إسلامية المعرفة تحفز المشرفين على اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تكوين أول جمعية لهم تحت مسمى (جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين) عام ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م وهي تهدف إلى خدمة القضايا الفكرية الإسلامية ونشرها بين العلماء والمثقفين المسلمين ، وذلك من خلال دعوتهم لأقطاب الفكر الإسلامي المجتمعين في ندوة (لوجانو بسويسرا عام ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) والتي كان من ثمارها تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

ثم حمل المعهد العالمي للفكر الإسلامي لواء هذا المصطلح ، فعقد مؤتمر كرا تشي بباكستان عام ١٤٠٢هـ تحت عنوان أسلمة المعرفة، وندوة (المعرفة والمسألة الإسلامية) عام ١٤١٨ هـ بماليزيا، والمعهد يصدر دورية تحت هذا الاسم(مجلة إسلامية المعرفة)

ثم أقام معهد إسلامية المعرفة بجامعة الجزيرة –السودان – ندوة (إسلامية المعرفة) خلال الفترة (٢-٤فبراير ١٩٩٤م)

ومن الجهود حول أسلمة المعرفة إقامة ندوة (حول إسلامية المعرفة) التي عقدت في كلية معرفة الوحي والعلوم الاجتماعية بالجامعة الإسلامية بماليزيا (٧-١يونيو ١٩٩٦م)

تعريف مصطلح الأسلمة:

إن استخدام لفظ (الأسلمة) لغة خطأ فهو: يأتي متعديا بمعنى فوض، فلغة (أسلم)، أي سلمه [١] ويأتي بمعنى خذله، تقول أسلمه للعدو أي: خذله[٢] ويأتي (أسلم) لازما ويكون بمعنى انقاد وصار مسلماً ، وبمعنى أسلف [٣] .

---

1 – بلقاسم الغالي، محاولات في تأصيل علم الاجتماع، ، مرجع سابق ، ص ٢٣

2 – عبد الله الصبيح، رؤية في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، دار اشبيليا – الرياض – ط الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ص ٤٣

ويرى عبد الله الصبيح أن استخدام كلمة (أسلمة) لا تتفق مع أي من الفعلين ، ومن يستخدم مصطلح ((أسلمة)) يقصد بها صياغة أي علم صياغة إسلامية فإنه لا يصح لغة لأنه يستخدم الفعل المتعدي بمعنى الفعل اللازم وهو خطا ولعل سبب هذا الخطأ هو الترجمة، فالأسلمة هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Islamization وهي على كل حال كلمة حادثة في اللغة الإنجليزية و مشتقة من كلمة إسلام العربية [٤].

كما أن مقداد يالجن يخطئ المصطلح من الناحية المعنوية ؛ حيث يرى أن العلوم لا إرادة لها ولا عقل كالجمادات الأخرى التي لا يمكن إطلاق الإسلام عليها، ولهذا لا توصف بإسلام ولا كفر .[٥]

ومع أنه يرى خطأ تسمية إسلامية المعرفة فإننا نجد هناك كثيراً نسبة بعض المعارف – التي لا إرادة لها ولا عقل – إلى الإسلام فنقول الثقافة الإسلامية والتربية الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، وهو قد وسم دراسته للدكتوراه بعنوان الأخلاق الإسلامية ، ولهذا فإنه لا ضير في القول بأسلمة المعرفة ونحوه.

ماذا يقصد بالأسلمة ؟

ويعرف إسماعيل الفاروقي الأسلمة بأنها: ((إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها، أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات، و إعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها و إعادة تقويم النتائج و إعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وخدمة قضية الإسلام.[٦]

ولقد حاول الفاروقي تقديم صياغة إسلامية للعلوم الاجتماعية في رسالة مختصرة بعنوان (إسلامية المعرفة) مستعرضا فيها إغفال العلماء الاجتماعيين- في الغرب – الجانب الروحي والتحيز ، و استبعاد القيم من العلوم الاجتماعية ، ويقترح لإضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الاجتماعية إتباع المنهج التالي:

من الضروري أن نعيد إعداد وتنظيم جميع العلوم والمعارف تحت لواء التوحيد .

أن تعنى العلوم بموضوع خلافة الإنسان في الأرض وعمارتها وفق شرع الله وتعد هذه العلوم من خصوصية الأمة الإسلامية .

---

1 – محمد الفيروزبادي، القاموس المحيط – ،المطبعة الحسينية المصرية : القاهرة١٣٣٠هـ ص ١٤٤٨

2 – **محمد الفيروزبادي** المرجع السابق ، ص١٤٤٨

3 –محمد الرازي، مختار الصحاح تحقيق مصطفى ديب ، دار اليمامة ، الطبعة الثانية . الرياض –١٤٠٧هـ ص ٣١١

4 –عبد الله الصبيح، تمهيد في التأصيل مرجع سابق ، ص ص ٤٣-٤٤

5 – مقداد يالجن، أساسيات التأصيل – مرجع سابق ،ص ٣١

6 – إسماعيل الفاروقي، إسلامية المعرفة، مرجع سابق ، ص ٥٤

العلـــوم الخاصـــة بالأمة لا يجوز إهدار مكانتها بواسطة العلوم الطبيعية ، بل كلا المعرفتين تحوز على المكانة والرتبة نفسها .

وجـــوب إظهـــار العلاقة الحقيقة لموضوع الدراسة مع ذلك الوجه أو تلك الناحية من النمط الإلهي المتصـــل بها، ونظراً لأن النمط الإلهي يعد المعيار الذي يجب أن تعمل الحقيقة على إحلاله، فإن تحليل الأمر الواقع لا يجاوز- أبدا - أن يغفل ما يجب أن تكون عليه الأشياء .[١]

وتعمل حركة أسلمة المعرفة على محورين أحدهما تنظيري ، والآخر تطبيقي:

المحـــور الأول : يتولى التعريف بالمصطلح ويوضح ضرورته الملحة، ويلقي الضوء على التراث المعرفي الإسلامي في إطاره التاريخي لتحديد معطياته الإسلامية الأصيلة ، كما يسعى أيضا إلى بيان عوامل الانفصال بين هذا التصور الإسلامي في العصر الحديث حيث لعبت القوى الاستعمارية دورا في تعميق هذه الانفصال والوصول به إلى الازدواجية في الفكر الإسلامي .

أمـــا المحـــور التطبيقي: فهو يهدف إلى معالجة كل فرع من فروع المعرفة البشرية الإنسانية والطبيعية والتطبيقية لكي تصاغ وفق المنظور الإسلامي .[٢]

ولقـــد حاول محمد رفقي عيسي تحديد مفهوم أسلمة المعرفة فذكر أنها : ((اشتقاق الأسس الشرعية والاســـتفادة مما توصل إليه علماء الغرب من نتائج مادية تساهم في عمارة الأرض، وقيام الإنسان بوظيفته المرتضاة له دينيا، وتوجيه هذه النتائج في سبيل تحقيق الغاية من هذا الوجود))[٣] .

ويعرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأن إسلامية المعرفة : ((تعني منهجية إسلامية قوية شاملة تلتزم توجـــيه الوحـــي و لا تعطل دور العقل ، بل تتمثل مقاصد الوحي وقيمه وغاياته و تدرس وتدرك وتتمثل موضوع اهتمام الوحي و إرشاده ، وهو الفرد والمجتمع الإنساني، والبناء و الأعمار الحضاري، و ما أودع الله في هـــذه الكائنات من علاقات ، و فطرة و طبع، وكيف توجه تلك الطبائع وتتفاعل ، وكيف تطوع وتســـتخدم . وكـــل ذلك من أجل تفهم هذه الكائنات وعلاقاتها حتى يمكن تسخيرها لتوجيه الإسلام و غاياته))[٤]

1 – إسماعيل الفاروقي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦-٢٨

2 – بلقاسم الغالي، محاولات في تأصيل علم الاجتماع ، مرجع سابق ،ص ٢٦

3 – محمد رفقي عيسى، نحو أسلمة علم النفس، المسلم المعاصر – العدد ٤٦ – ١٩٨٦م .ص ص ٣٣-٣٤

4 – المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة، سلسلة إسلامية المعرفة (١) ص٤

ويـرى عمـاد الدين خليل بأن إسلامية المعرفة ((لا تعني فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق، وإنما تعني قبل هذا وبعده: احتواء كافة الأنشطة المعرفية على المستويين النظري والتطبيقي معا من أجل جعلها تتحقق في دائرة القناعات الإيمانية ، وتتشكل وفق مطالبها و تصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى ٠)) [١]

ويرى مناع قطان أن أسلمة المعرفة أو أسلمة العلوم ((عبارة عن دعوة لتصحيح مسار المعرفة في إطار الفكر الإسلامي)) [٢]

وهـناك مـن يرى أن الأسلمة تعني: ((إعادة توجيه وتشكيل منهجي لمجالات البحث العلمي وفق مجموعة من المعايير، والضوابط المستمدة من الرؤية الإسلامية الأصيلة)) [٣]

ويرى حمدي أبو الفتوح أن أسلمة المناهج تعنى : ((وضع مناهج العلوم من حيث أهدافها و محتواها، وأساليب تدريسها ، و تعليمها وعملية تقويمها، في إطار من التصور الإسلامي))٠ [٤]

وهناك من يرى أن أسلمة العلوم تعني : ((صبغة هذه العلوم بالصبغة الإسلامية وتناولها بعمق إسلامي بحيث تستخدم مصطلحات إسلامية بدل من المصطلحات الغربية غالبا ، وذلك مثل السنن الاجتماعية بدلا من الظواهر الاجتماعية، والتدبير بدلا من التخطيط ...)) [٥]

ويتساءل باحث آخر فيقول : ما هي (إسلامية المعرفة) التي نقترحها حلا لأزمتنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا وكيف يمكن تحقيقها ؟ ثم يجيب:الاكتشاف، وهما: الوحي المقروء والكون المتحرك الذي يتضـمن ظواهـر الوجود كافة ٠ فالقرآن العظيم كالكون البديع، كلاهما يدل على الأخر ويقود إليه ٠ فالقرآن يهدي إلى الكون، والكون يدل ويرشد إلى القرآن ٠ [٦]

ويـرى حامد الأفندي أن الأسلمة : هي منهجية الرجوع إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسول صلى الله عليه وسلم، من خلال إعادة نظر شاملة وفورية في جميع المناهج التعليمية في البلدان الإسلامية بما يكفل تنقيـتها مـن الشـوائب الدخيلة عليها، وتطهيرها من الأخطاء الفاحشة المذكورة فيها، وأن تحل محلها

---

1 – عماد الدين خليل ،حول إسلامية المعرفة، مجلة المسلم المعاصر ١٩٨٨م، عدد ٥٣، ص ١٤

2 – مناع قطان، مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة ١٤١٣هـ، ص ٦٨

3 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٣٦

4 – حمـدي أبـو الفـتوح ،تصـور مفـتوح الأسلمة الخطط الدراسية للعلوم المدرسية في العالم الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤١٦ ص ٢١

5 – عبد الفتاح إبراهيم، أضواء على التأصيل الإسلامي، مرجع سابق ، ص ١٦

6 – طه جابر الحلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص١٥

الخصـــائص العلمية الصحيحة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك لإلغاء ازدواجية التعليم (مدني وديني) وإتباع أساليب المصادر الإسلامية في تطبيق التربية الإسلامية . [١]

ويـــرى حمـــدي عطيفة أن أسلمة المناهج التعليمية تعني: ((وضع مناهج العلوم، من حيث أهدافها ومحـــتواها وأســـاليب تدريســـها ، وتعلمها وعملية تقويمها، في إطار من التصور الإسلامي الذي يتضمن تصـــحيح مـــا تتضمنه مناهج العلوم من مفاهيم وتصورات غير إسلامية، وتوضح الخطأ في تلك المفاهيم، ووضع المفاهيم والتصورات التي تتضمنها مناهج العلوم في قالب إسلامي [٢]

ويعرف عبد الحفيظ عيد الأسلمة بأنها: (وضع صياغة إسلامية للعلوم الاجتماعية)، بعد نقدها نقدا صارما ، واستبدال ما يصح بها في ضوء الكتاب والسنة، مع استثمار ما ثبت صحته منها . [٣]

وتحـــت عنوان وجهة نظر (حول ظاهرة أسلمة المعرفة) توصل أحمد إبراهيم خضر فيه إلى أن هناك ثلاثة اتجاهات تؤصل لمشروع أسلمة العلوم هي:

أولاً: الاســـتعانة بالقواعد الفقهية والمنهجية الأصولية وتطبيقها في العلوم الاجتماعية، وعرض نتائج العلوم الاجتماعية على علماء الدين ، وإقامة جسر بينهما .

ثانياً: يغلب على الاتجاه الثاني صفة السطحية و الوصولية .

ثالثاً: الاتجاه الثالث تطرق إلى الحد الذي دعا فيه إلى نقد التراث و مراجعة الدراسات التي بنيت على القرآن والسنة و تجديدها مع استبعاد مفاهيم الحق والباطل والإيمان والكفر .[٤]

ويقصد الباحث بالاتجاه الثاني الذي وصفهم بالسطحية والوصولية ، هم الذي شاركوا في كتابة أو طرح بعض مشاريع الأسلمة ، ولكن أعمالهم تلك كانت مجرد كتابات سطحية ليس لها العمق الشرعي أو العلمي إنمـــا أصحابها كانوا يسايرون اتجاه الصحوة الإسلامية وقد ضربنا الأمثلة لتلك الأعمال بما تم طرحه تحت مسمى أسلمة علم الاجتماع(علم الاجتماع الإسلامي).

---

1 – محمد حامد الأفندي، نحو مناهج إسلامية — ندوة الخبراء التربويين بمكة المكرمة، – مركز التعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة –الطبعة الأولى١٤٠٣هـــ – ص ١٢

2 – حمدي عطيفة – أسلمة مناهج العلوم الدراسية، ، مرجع سابق ، ص٢٦

3 – عبد الحفيظ عبدلي ،التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، — مجلة التجديد — الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا — ع٢–السنة الأولى ١٤١٨هـــ٠ص ص ١٥٦–١٥٧

4 – أحمد إبراهيم خضر ،اسلمة علم الاجتماع ، مجلة البيان، ع ١٥١ .

ويفـــرق صـــالح أبو عراد بين مصطلح (إسلامية العلوم) ، ويرى أنه يختلف عن مصطلح (أسلمة العلوم) ((لأن إسلامية العلوم تعنى الإقرار بأن العلوم إسلامية في الأصل، فحين يقصد بأسلمة العلوم بيان أسبقية الإسلام للعلوم ومحاولة إضفاء الصبغة الإسلامية على هذه العلوم بشكل أو بآخر ٠)) [(١)]

((وقـــد يشعر لفظ الأسلمة بإدخالها " العلوم "في الإسلام ، وهذا غير صحيح ؛ لأن الهـــدف هـــو استبدال الإطار الإيماني للعلوم بدلا من الإطار الإلحادي ، فيفكر العالم ويشـــاهد ويجرب ويستنتج وهو مؤمن بالله و برسوله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن المترل عليه ، فيجد في كنف هذا الإيمان تفسيرات أخرى لها حقائقها الموضوعية النافعة في حـــياة الـــناس ، وليست إسلامية العلوم تعني أن تكون هذه العلوم خاصة بالدين الإسلامي أو بتاريخ المسلمين أو بمجتمعاتهم، والقانون الذي يصل إليه العالم المسلم لا يكون قانونا خاصا بالمسلمين، ولكنه قانون علمي عام ٠)) [(٢)]

ونلاحظ أن الذين يرون استخدام مصطلح (إسلامية العلوم أو المعرفة) يرون أن هذه العلوم وبخاصة العلوم الاجتماعية قد نمت في بيئة ثقافية غير إسلامية ، و لهذا فهي ملوثة بتلك الثقافات العَلْمانية والإلحادية و بأساطير وخرافات وثنية ولهذا فهي بحاجة إلى إعادة تركيب وتنقية وفق نظر الدين الإسلامي الحنيف حتى تستقيم هذه العلوم مع نصوص الوحي و قواعد الشريعة الكلية و أحكامها ٠

يقول إبراهيم رجب عن هذه المرحلة:

والغالب أن معظم أصحاب هذا الاتجاه هم من المتخصصين في العلوم الاجتماعية الحديثة، الذين يرون أن جوهر المهمة الإصلاحية المطلوبة إنما يتمثل أصلا في تصحيح مسار هذه ((العلوم الاجتماعية))، وذلك مـــن خلال نقدها نقدا صارما في ضوء التصور الإسلامي، واستبعاد ما لا يصمد منها للنقد، واستبداله بما يصح في ضوء الكتاب والسنة، مع استكمال ما هو صحيح منها، أكثر من أن تكون المهمة هي ((إنشاء)) أو ابـــتكار فروع جديدة من العلوم الشرعية تختص بدراسة الظواهر الاجتماعية ٠٠ولا يرى أصحاب هذا الرأي أي غضاضة في استخدام ألفاظ قوية في دلالتها ، كالأسلمة للتعبير عن هذا المعنى، إذ الكثيرين منهم يعيشون في مجتمعات غير عربية أو مجتمعات غير إسلامية ذات اتجاهات معادية لعقيدة التوحيد ٠ [(٣)]

1 – صـــالح أبو عراد، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية، مجلة كليات المعلمين، _ ج٢،ع١،سنة١٤٢٣هـــ –وزارة المعارف – الرياض ١٤٢٣هــ٠ ص٨٦

2 – مناع قطان، مفهوم التوجيه الإسلامي لعلوم، مرجع سابق ، ص٦٩

3 – إبراهيم رجب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ، مرجع سابق ، ص ٣٤

ويـرى المنادين بإسلامية المعرفة أن الفكر الإسلامي لا يستطيع أن يكون فكرا ايجابيا فعالا في المجتمع المعاصر وأحداث التغير الذي يسمو إليه إلا بطريقتين هما:

أولاً: اسـتيعاب الحضارة الغربية استيعابا موضوعيا و الدخول معها في حوار متكافئ بنّاء يؤدي إلى أسلمة هذه الحضارة وعدم رفضها كليا بحجة مصادرها الفكرية غير الإسلامية .

ثانـياً: الفكـر الإسلامي واجب عليه أن يقوم بعملية دراسية عميقة لكل مشاكل الحياة الاجتماعية والاقتصـادية التي تعيشها الشعوب الإسلامية والتخطيط لها وصياغة ما يمكن أن نسميه بفكر منهجي مرحلي لمعالجة جميع القضايا المعروضة والملحة التي تخص أوسع الجماهير الإسلامية. [1]

وقـد علق أحد الباحثين على خطورة عدم الاتفاق حول الوصول إلى تصور محدد لقضية ((أسلمة المعرفة)) ، فقال: ((... واتجاه الأسلمة اتجاه حديث برز مع ((شبه الصحوة الأخيرة للعالم الإسلامي)) ومـع حداثته هذه ، فإنه لا يتوقع بطبيعة الحال أن يلقى اتفاقا عاما في طريق الوصول إلى تصور له ، فمن متصور أنه ليس أكثر من تتبع الجذور الإسلامية في كل أصل وفرع معرفي، إلى متطلع إلى نظريات إسلامية نابعـة مـن واقع العالم الإسلامي في كل اتجاه ... وهكذا – مع أي حال ورغم هذا التشتت– فإنه يمكن اعتبار كل هذه المحاولات خطوات على الطريق الذي مازال بكل التأكيد طويلا من ناحية، ويحتاج إلى مزيد من الجهد الجامعي لإجلاء معالمه والنزول به إلى أرض الواقع من ناحية أخرى)) [2]

ولقد استقر رأي ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية التي انعقدت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ) على أن أسلمة العلوم الاجتماعية تستدعي عدداً من الأمور يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الـبحث في القـرآن الكـريم والسنة النبوية المطهرة لاستخلاص المعايير الإلهية والسنن السلوكية والاجتماعية، والتي توجه البشر وتحكم تصرفاتهم، لتكون أساسا ومنطلقا لدراسة العلوم الاجتماعية
- صـوغ تصـور إسـلامي متكامل عن الإنسان والمجتمع والثقافة، بحيث يمثل ذلك التصور الإطار الفكري العام الدراسة القضايا والموضوعات المطروحة في مجال العلوم الاجتماعية.
- الأخذ بعين الاعتبار صفة الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي عند دراسة الإنسان والمجتمع والثقافة.
- التأكـيد علـى النظرة المقارنة بين الواقع الإسلامي الراهن والماضي التاريخي له، مع توضيح دور المفكرين المسلمين الرواد في قضايا العلوم الاجتماعية .

1 – بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص ص ٢٥-٢٦

2 – عبد المنعم محمد بدر – الجامعات وتنمية العالم الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر ع ٤٦-١٤٠٦هـ ص ٨٣

• النظر إلى العلوم الاجتماعية باعتبارها علوما وضعية تدخل في فلك الشريعة الإسلامية.[1]

وقد نلاحظ أن مصطلح أسلمة العلوم قد خف استعماله بين الباحثين ، وتم استبداله بمصطلح التأصيل الإسلامي والذي ظهر جليا في تسمية الندوة التي عقدت بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٤٠٧هـ بعنوان (التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية)) مع أن هذا المصطلح لم يسلم من النقد .

وقد استبعدت لجنة موضوع التأصيل الإسلامي في العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية استعمال عبارة ((أسلمة العلوم)) وطرح بدائل لها نحو ((توجيه العلوم إسلاميا)) و ((بناء العلوم إسلامياً)) و ((تأسيس العلوم إسلامياً)) و ((تأصيل العلوم إسلاميا)) ورجحت اللجنة اقتراح عبارة ((تأصيل العلوم إسلامياً)) .[2]

المرحلة الثانية: مرحلة التأصيل الإسلامي:

وفي هذه المرحلة يفضل أصحاب الاتجاه التأصيلي استخدام مصطلح ((التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، وظهر هذا التوجه جليا عام ١٤٠٧هـ في ندوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي انعقدت تحت عنوان (التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية) ، وكانت معظم الدراسات التي قدمت تتوج بهذا العنوان .

كما عقدت ندوة (حول مفهوم التأصيل الإسلامي) ، والتي نظمتها عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود في (٣٠ | ١٢ | ١٤١٣هـ) بالرياض لمحاولة إيجاد صيغة مشتركة لمفهوم التأصيل .

ويظهر أن المهتمين بهذا المصطلح يغلب عليهم التخصص في العلوم الشرعية ، ولهذا يغلب على رؤيتهم أن الإصلاح يبدأ من الكتاب والسنة ومن المصادر الإسلامية المعتبرة و تأسيس هذه العلوم على ذلك ومع عدم الاهتمام بما وصلت إليه العلوم الاجتماعية الحديثة ، لأن معظمها في نظرهم ينطلق من مقدمات ومسلمات مناقضة للتصور الإسلامي كليا ، ولهذا فلا يعتد بما وصلت إليه .

ويؤكد محمد أبو يحيى و زملاؤه:بأن عملية التأصيل هي لباب عملية الأسلمة، فالأسلمة ترجع إلى التأصيل، والتأصيل يشمل الأسلمة وغيرها، فكلمة التأصيل أعم وأشمل .وقد يكون مصطلح التأصيل أرجح من الأسلمة، لأنه لا يثير حساسية الأقليات، التي تستفزها معاني الأسلمة، ولكن مصطلح الأسلمة لحداثته قد يكون أكثر تألقا في الاستعمال، تشجيعا للاندفاع في هذا السبيل، ليرفد هذه العلمية بما تستحق من دعم وجهد .[3]

---

1 -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ، مرجع سابق ، ص٢٣

2 - عبد الفتاح إبراهيم محمد، أضواء على التأصيل الإسلامي في مجال علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص ١٦

3 - محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص٣٦

مفهوم التأصيل:

بالنظر إلى قواميس اللغة العربية نجد أن مصطلح التأصيل جاء من الفعل أصل، (أصلَ) الشيء أصلا، استقصى بحثه، حتى عُرف أصله، و (أصَّلَ) الشيء جعل له أصلا ثابتا يبنى عليه، و (أصْلَ) الشيء أساسه الـــذي يقوم عليه ، و هو بمعنى أسفل الشيء وأساسه،(١) ، والبحث عن الجذور، وجعل الشيء أصيلا و حقيقيا و غير مقلد، كما أنه يشير إلى الأصالة بمعنى الثبات و جودة الرأي (٢)

وهكـــذا نجد أن إجماعا في معاجم اللغة على أن أصل الشيء بمعنى أنه صار أصلاً أو جعل ذا أصل، والتأصيل: إرجاع الشيء إلى أصوله الوثيقة .

ويرى مدحت أبو النصر أن ظاهرة التأصيل و العودة إلى الأصول الثقافية والحضارية ظاهرة عالمية إذ ((ظهـــر في أوائل الثمانينات — الميلادية ق٢٠- و انتشر في كثير من الدول النامية مثل: مصر والأمارات واليابان والهند والفلبين والبرازيل ...- التأصيل - وذلك كمحاولة من هذه الدول الاعتماد على نفسها في إنتاج المعرفة بشكل وطني (محلي) بدلا من الاعتماد بشكل رئيس على التراث العلمي الأجنبي المستورد من الدول المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية و معظم دول أوروبا ...)) (٣)

ولقد عرفت " لجنة التأصيل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية " التأصيل الإسلامي بأنه: ((إبراز الأســـس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم من خلال جمعها واستنباطها من مصادر الشريعة و قواعدها الكلية ، و ضوابطها العامة ودراسة موضوعات هذه العلوم دراسة تقوم على الأسس السابقة و تستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمين وغيرهم من نتائج ونظريات وآراء لا تتعارض مع تلك الأسس)) (٤)

أمـــا محمـــد قطب فيقول: ((تقوم فكرة التأصيل أساسا على أن للمسلمين نظرتهم الخاصة للإنسان وحياته وآفاقه وأهدافه و وجوده . وهذه النظرة مخالفة لما تراه النظريات الغربية للإنسان)) (٥)

ويعرفه مقداد يالجن بأنه ((بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام)) (٦)

ويرى علي طاهر شرف الدين أن ((تأصيل المعرفة يعني وضعها في نسقها الإيماني القويم المؤسس على الاعتقاد بألوهية الله وربوبيته للوجود بما يشمله من الغيب المستور والكون المنظور)) (٧)

1 – انظر :محمد بن منظور، لسان العرب، و محمد بن بكر عبد القادر، مختار الصحاح، مادة أصل.

2 – محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين مطبعة النهضة الأدبية — د.ت — القاهرة –ج١ ص ص ٣٨٧-٣٨٨

3 – مدحت أبو النصر، تأصيل العلوم — المفهوم والخطوات وعوامل النجاح، ، مرجع سابق ، ص ١٢١

4 – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مرجع سابق ،١٤٠٧هـــ ص ٣٥

5 – محمد قطب ،حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، دار الشروق — القاهرة ١٤١٨هـــ.ص ٣

6 – مقداد يالجن – أساسيات التأصيل و التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ، مرجع سابق ، ص ٣٦

7 – علي طاهر شرف الدين ، تأصيل المعرفة أسسه وأهدافه، مجلة التأصيل، وزارة التعليم العالي الخرطوم، ع ٦ يناير، ص١

ويـرى بلقاسـم الغالي أن التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية هو ((عبارة عن إعادة بناء العلوم الاجتماعـية في ضـوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحـي الصحيح مع الواقع المشاهد بوصفهما مصدران للمعرفة، بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي إطارا نظريا لتفسير المشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الواقعية (الامبريقية) وفي بناء النظريات في تلك العلوم بصفة عامة)) [1]

ويعرفه عبد الفتاح إبراهيم بأنه ((الغوص في أعماق التراث الإسلامي للبحث عن الأصول أو الجذور الإسلامية لهذه العلوم ومن ثم الوصول إليها)) [2]

وإلى مثل هذا التعريف يذهب علي الراشد حيث يرى أن التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية هو بـ ((عودة المسلمين إلى المنابع الإسلامية الأصيلة في تلك العلوم)) [3]

وهناك من يعرف التأصيل بأنه :((عملية إعادة بناء العلوم والمعارف و الموضوعات الحديثة في ضوء التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة)) [4]

وممن يرى أن التأصيل هو : ضبط علاقة الإسلام بالمعارف والعلوم الإنسانية المعاصرة، والحرص على تأصيل هذه المعارف في مختلف الجوانب، لتوليد موضوعات إسلامية جديدة، وصياغة جديدة واطر جديدة وفقه جديد من المعرفة الإسلامية، مواكب للمستجدات، ويسهم في إيجاد البديل الإسلامي وتسديد الحياة بحقائق الدين وتعاليمه الخالدة . [5]

ويـرى زكـي محمـد إسماعيل أن التأصل الإسلامي للعلوم يقصد ((به العودة إلى أصول الشريعة الإسـلامية باعتـبارها المنهج الرئيس والمعيار الأساسي الذي تستمد منه هذه العلوم أسسها ومنطلقاتها في التفسير والتحليل والتقويم والتأويل، بحيث ينقى من – خلال عملية التأصيل تلك – ما علق بهذه العلوم من شوائب نظرية، وأفكار غربية أو شرقية لا تتفق مع الإسلام منهجا وغاية ومساراً. [6]

1 – بلقاسم الغالي ،تأملات في تأصيل علم الاجتماع، ، مرجع سابق ، ص١٧

2 – عبد الفتاح إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٦

3 – علي الراشد ،شخصية المعلم و أداؤه في ضوء التوجيهات الإسلامية، — دار الفكر — القاهرة ١٤١٤هـ ٠ص ٩

4 – عبد الحفيظ عبدلي، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص١٥٧

5 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص ٣٥

6 – زكـي محمد إسماعيل ،توجيه العلوم إسلاميا، رابطة الجامعات الإسلامية، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – رابطة الجامعات الإسلامية — القاهرة — بالاشتراك مع جامعة الأزهر ١٤١٣هـ٠ ص ٦٤

ويـرى باحث آخر الأخذ بعبارة ((التأصيل الإسلامي للعلوم)) ويحدد مفهوم التأصيل الإسلامي علـى أنـه المسار الصحيح لبناء عقلية منهجية مسلمة تستطيع أن توجه الواقع وتلبي احتياجاته من خلال إرجاع العلوم المعرفية إلى جذورها الأساسية طبقا لتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف .[١]

ويـرى (إبراهيم رجب) أنه يجب توفر ثلاثة شروط، وأن تكون مجتمعة لصحة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية وهي:

الانطلاق من إدراك واضح لإبعاد ((التصور الإسلامي)) للإنسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسـنة، ولما يتضمنه تراث الإسلام مما يرتبط بالتخصص مع نظرة نقدية لإسهامات علماء المسلمين حول قضاياه .

اسـتيعاب ((العلوم الحديثة)) في أرقى صورها، مع القدرة على نقدها، والاستفادة منها، وتجاوزها بشكل بناء كلما اقتضى الأمر ذلك .

إيجـاد تكامل حقيقي بين معطيات التصور الإسلامي من جانب، وبين إسهامات العلوم الحديثة من جانب آخر، وليس مجرد الجمع أو التجاور المكاني أو حتى المزج بينهما دون وحدة حقيقية.[2]

وقـد أوردت " لجنة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية " بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مجموعة قواعد تعتبر متطلبات لتحقيق ما أسمته التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية وهي:

وضع منهج إسلامي متكامل عن الإنسان والمجتمع والثقافة ؛ بحيث يمثل الإطار الفكري العام لدراسة القضايا و الموضوعات المطروحة في مجال العلوم الاجتماعية .

وضع منهج إسلامي متميز لتلك العلوم يطلق عليه المنهج الإسلامي للعلوم الاجتماعية، يبنى عليه قيام مدرسة متميزة في العلوم الاجتماعية تسمى: المدرسة الإسلامية في العلوم الاجتماعية .

العـودة إلى الأصـول الإسلامية والتراث الإسلامي القويم عند دراسة القضايا التربوية والاجتماعية والنفسية وغيرها للاستفادة من هذا التراث .

إبـراز المـبادئ والمسلمات والمفاهيم والمنطلقات التي تعبر عن التصور الإسلامي للعلوم الاجتماعية وغيرها ، وتصحيح النظريات والمفاهيم على ضوء ذلك .

عرض نتائج البحوث الاجتماعية وغيرها على القواعد الإسلامية والتصورات الصحيحة فما انسجم معها قُبِل، وما تعارض معها رُفِضَ ، وما كان جديدا لا يناقض الحقائق والمسلمات الإسلامية قُبِل باعتباره إضافة سليمة إلى المعرفة .[١]

1 – عبد الفتاح إبراهيم محمد، أضواء على التأصيل الإسلامي في مجال علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص ١٧

2 – إبراهيم رجب، التأصيل الإسلامي في للعلوم الاجتماعية، ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣)

المرحلة الثالثة التوجيه الإسلامي:

إن الدعـــوة إلى تصحيح مسار المعرفة مازال هو هدف الكثير من المفكرين المسلمين ، إذ هو ما يميز شخصـــية الأمة الإسلامية و تحريرها من الذل والتبعية الفكرية التي تقودها إلى التخلف و الانحطاط والشلل وهيمنة النظم الإلحادية والعَلْمانية التي تهدف إلى طمس الهوية الدينية الإسلامية .

لهـــذا نرى من يدعو إلى الأصالة التي تستقي أصولها من العقيدة و تراثها الحضاري الصحيح والدعوة إلى الـــتحديث والاســـتفادة مـــن كل جديد نافع من أجل الرقي بالأمة ، و مواكبة النهوض التكنولوجي المعاصر ، وتسمى هذا الدعوة بالتوجيه الإسلامي للعلوم الإنسانية.

وقـــد علل مقداد يالجن سبب ظهور مصطلح التوجيه بقوله: ((والسبب في نشأته وتأخره عن فكرة التأصـــيل هـــو أنه لما أقيمت أول ندوة عن التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام ــ محمد بن سعود الإسلامية -١٤٠٧هـــ وتبين من خلال الندوة ومن خلال دراسة اللجنة الدائمة للتأصيل بالجامعة أن التأصـــيل لا يمكـــن تطبيقه في كل العلوم، كما أن التأصيل حتى في العلوم الاجتماعية يحتاج إلى المهارات والمعـــرفة الدقـــيقة للعلوم الإسلامية، ولهذا نشأت فكرة التوجيه الإسلامي للعلوم لأنه يمكن تطبيقه في كل العلوم)) . (٢)

وعلـــى ضـــوء ذلـــك كان عنوان مؤتمر القاهرة والمنعقد في رحاب جامعة الأزهر (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم) في (٢٧ | ٤-٢ | ٥ | ١٤٣١هـــ

وقد نجد أن مفهوم التوجيه يختلف من باحث إلى آخر ولهذا فسوف نعرض لنخبة من التعاريف لمفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم الإنسانية .

مفهوم التوجيه:

المعنى اللغوي للتوجيه: وجه الشيء في اللغة مستقبله، ووجه البلد أي أعرافه ..ويقال: وجهوا الناس إلى الطريق توجيها إذا وطنهم وسلكوه حتى استبان أثر الطريق، ويقال وجه النخلة إذا غرسها وأقامها. (٣)

ويلخص مقداد يالجن أهم المعاني اللغوية لهذه الكلمة بما يلي:

1 – إبراهيم رجب، مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ص٩-١٠

2 – مقداد يالجن ،أساسيات التأصل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ، مرجع سابق ، ص٨٧

3 –محمد بن منظور، لسان العرب، مادة وجه، ج٣ص٨٨٥

- تصيير الشيء و إدارة الشيء التي يراد أن يتجه إليه .
- تحريكه إلى المسلك أو الطريق الذي يراد أن سيلك فيه.
- غرس الشيء.
- إقامة الشيء وتعديله على نحو معين . [١]

ولهذا يرى إن توجيه العلوم توجيها إسلاميا أدق في الدلالة على الهدف من الدعوة إلى أسلمة العلوم أو إسلامية المعرفة، لأن التوجيه الإسلامي للعلوم يأخذ بعين الاعتبار الحقائق العلمية الموضوعية ويصوغ فلسفتها من منظور إسلامي ، فإن أي عالم مهما فسد اعتقاده يصل إلى كثير من الحقائق العلمية الموضوعة المجردة من أي أثر لعقيدته . [٢]

ويرى مقداد يالجن إن تعريف التوجيه الإسلامي للعلوم يكون على النحو التالي: هو ((مجموعة من الإرشادات التي تتعلق بمقاصد تحصيل العلوم وبطرق دراستها ووجوه استخدامها في ضوء التربية الإسلامية)) [٣]

والواقع أن المفهوم اللغوي للتوجيه يتضمن المعنى الاصطلاحي له والذي تمثل حقيقته ضرورة الثبات على الصراط المستقيم الموحد، وإتباع الخطة المرسومة لبلوغ الغاية، وليس للمسلم غاية أعلى من مرضاة الله سبحانه وتعالى، والتقييد بمنهجه والثبات على صراطه المستقيم والاعتصام بحبله المتين مع جماعة المسلمين . [٤]

ويعرف سعيد إسماعيل التوجيه الإسلامي لأصول التربية بأنه ((إعادة صياغة أصول التربية في ضوء الإسلام ، ... وبالتالي إعادة صياغة المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة من مجالات المعرفة التربوية، وإعادة تحديد الأهداف على أن يكون كل ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة التربوية تثري التصور الإسلامي وتخدم أهداف الإسلام .)) [٥]

ويحدد إبراهيم رجب مفهوم مجالات التوجيه الإسلامي للعلوم في النقاط التالية:

---

1 – مقداد يالجن ، أساسيات التأصل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، مرجع سابق، ص ٩٤

2 – فمناع قطان ،مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم، ، مرجع سابق،، ص ٦٨

3 – مقداد يالجن ، أساسيات التأصل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ، مرجع سابق، ص ١٠٠

4 – سند الحربي، التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، مرجع سابق، ص١٠٥

5 – سعيد إسماعيل، التوجيه الإسلامي لمجال أصول التربية، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – المحور الثاني – القاهرة ١٤١٣هـ . ص٥٥٧

أ- استنباط التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون من المصادر الشرعية (الكتاب السنة الصحيحة، و إسهامات علماء المسلمين) .

ب- استيعاب العلوم الاجتماعية الحديثة، ونقدها في ضوء هذا التصور الإسلامي .

ج-بناء نسق علمي متكامل يضم ما صح من نتائج العلوم الحديثة ووضعه في إطار التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون .

د- اختبار ذلك النسق العلمي في أرض الواقع للتحقق من صدق هذا الاجتهاد البشري .[١]

ويرى منَّاع قطان بأن التوجيه الإسلامي للعلوم هو: ((إعادة النظر في الدراسات العلمية بعامة والإنسانية منها بخاصة وتأصيلها وفق ثوابت الفكر الإسلامي ، وصياغتها في إطار الإسلام))[٢]

ويعرف رشدي طعيمه التوجيه الإسلامي بأنه : ((ممارسة النشاط المعرفي في أوسع معانيه، وفي مختلف فروعه، كشفاً، وتجميعاً، وتركيباً، وتوصيلاً، ونشراً، من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة))[٣]

ويرى عبد الجليل عبد الرحيم التوجيه الإسلامي للعلوم بأنه: ((التوجه نحو العمل لإزالة كل ما تثيره هذه العلوم من تقليل من شأن الإسلام في مفهوم العلم وما تحمله من اعتراضات على منهجه ، أو تناقضات مع نصوصه وتشريعاته، أو فلسفته وتوجيهاتها مع إزالة كل لبس وغموض حول مسائله وقضاياه الذي أحدثها تَصَورُ جاهل بالدين، أو عدوّ حاقد على الإسلام والمسلمين .))[٤]

وتنطلق أهمية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية من كونه مفهوما شاملا يتسع لجميع جوانب الحياة الاجتماعية وضرورة ملحة لإعادة التصور الإسلامي للوجود كله من أجل أن((يفكر العالم ويشاهد ويجرب ويستنتج وهو مؤمن بالله (ربا) وبأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كلام الله لأن هذه نفسها حقائق موضوعية عنده دليل عقلي على صحتها، وأنها ليست دعاوى اعتقاديه بل هي إيمان يقوم على علم))[٥]

وقد وضح أحمد الخمساوي المقصود بعبارة التوجيه الإسلامي فيما يلي:

---

1 – إبراهيم رجب، التأصيل الإسلامي في للعلوم الاجتماعية، ، مرجع سابق، ص ٢٤٣

2 – مناع قطان ،مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسه العامة، مرجع سابق، ج١ص٦٨

3 – رشدي طعيمه ، معوقات توجيه العلوم توجيها إسلاميا، مرجع سابق، ص ٥٧٢

4 – عبد الجليل عبد الرحيم ، مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسه، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، جامعة الأزهر، ص ٤٥

5 – جعفر شيخ إدريس، إسلامية العلوم و موضوعاتها – المسلم المعاصر، ع ٥٠ -١٤٠٨، ص ١٦

- قد يكون المقصود بهذه بعبارة — التوجيه الإسلامي — أن تكون غاية العلوم غاية إسلامية تتفق مع مـبادئ وقواعد الإسلام أو تخدم القضايا الإسلامية ويتم التوجيه باستبعاد الغايات التي لا تتفق ومبادئ و قواعد الإسلام .
- وقد يكون المقصود بها: أن يكون منهج العلوم منهجا إسلاميا، أي بالطريق التي رسمها الإسلام، ويتم التوجيه بتعديل مناهج وأساليب العلوم إلى ما يتفق ومبادئ الإسلام .
- وقد يكون المقصود: مساعدة العلوم بإمدادها بموضوعات أو شواهد أو معينات فكرية إسلامية، كإمداد علوم الطب بمعارف إسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية عن نمو الجنين داخل الرحم، أو فوائد عسل النحل . [1]

أهمية وأهداف التوجيه :

وتكمـن أهمـية التوجـيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية بأنها من العلوم ((التي تحمل معها كثيرا من المفاهـيم الغربية في نظرتها إلى الحياة، وهي التي يجب علينا أن نلح في تصفيتها من الشوائب، وتمييز الخبيث من الطيب فيها، وأن نسعى جادين لتأصيلها تأصيلا إسلاميا)) [2]

ويحـدد منصور المطيري الدواعي الأساسية لصياغة العلوم الاجتماعية عموما ومنها علم الاجتماع، صياغة إسلامية، بما يلي:

- التصورات الغربية الفاسدة الموجهة لهذه العلوم .
- إن هـذه العلوم صبت اهتمامها على الجزء المنظور من الواقع و لم تعترف بالجزء الغيبي منه، لذلك فهي لا تعبر عن الحقيقة كاملة .
- إن النظـريات والقضـايا والحلول التي وجهت هذه العلوم، هي قضايا تخص جزء من العلم يسمى الغرب و من الخطأ تعميمها على بقية أنحاء العلم . [3]

ويرى منّاع قطان أن أهداف التوجيه الإسلامي للعلوم تكمن فيما يلي:

- تصـحيح مفهوم العلم في الإسلام، فالعلم في منظور الإسلام له مفهوم شامل لمجالات المعرفة كلها سواء في مجال الغيب الذي لا يُعرف إلا بالتلقي، أو مجال الشهادة الذي يُعرف بالعقل والحواس.

1 – أحمد الخمساوي، الفكر الموسوعي والتوجيه الإسلامي للعلوم الحضارية، – مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – المحور الأول – القاهرة ١٤١٣هـ ص٢٢١

2 – مناع قطان، مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم، مرجع سابق، ، ص ٧٣

3 – منصور المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق، ص ص ٤٧-٤٨

- التحـــرر من العبودية الفكرية للغرب المتمثلة في كون التصور الغربي للثقافة والتربية والحضارة هو التصور الغالب في عالمنا الإسلامي .
- تحقـيق التناســق بين عالم المادة وعالم الروح، انطلاقا من كون التصور الإسلامي ينسب الظواهر الكونية إلى مشيئة الله وقدرته، ويؤمن بعالم الغيب، وبالمادة والروح ، ويجمع بينهما في وحدة تربط الكون بخالقه ، فالعلوم الطبيعية تكشف عن سنن الله في الكون والعلوم الإنسانية تكشف عن سنن الله في الإنسان والحياة.
- إعادة ثقة العالم الإسلامي بنفسه وإلغاء فكرة إن العلوم غربية وإن الحضارة غربية .[١]

ويلخــص عدنان زرزور أهداف التوجيه الإسلامي للعلوم بقوله: ((إن أهم ما يهدف إليه التوجيه الإســلامي للعلوم، حماية الأجيال من السقوط في مناخ المترجمات والمنقولات دفعا للعجز، ورفعا للشعور بالهــوان، وإحياء للثقة، وبعثا لروح التحدي والقدرة على المنافسة والعطاء، وارتقاء إلى مقام الشهادة على الناس الذي ناطه الله تعالى بهذه الأمة من بداية الطريق، وفي نهاية المطاف))[٢]

منهجية الباحث بين التأصيل والتوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية كما تعنيه هذه الدراسة:

بعــد أن عرضنا لخطوات توجيه العلوم الإنسانية والاجتماعية بمراحلها الثلاث (الأسلمة، التأصيل، التوجـيه)، وما عرضه الباحث من تصور للمنهجية الإسلامية لدراسة العلوم الإنسانية عامة والاجتماعية والتــربوية خاصــة، وكذلك بعد النظر في طبيعة علم الاجتماع العام، و نشأته الغربية و تأثره بالحضارة الأوروبية، ونظرتها إلى الوجود نظرة مادية، وما يحمله هذا العلم في طياته من معارف وأفكار تناقض التصور الإسلامي .

وعلـيه .. فـإن الباحث يقصد بالتوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية: تقديم تصور إسلامي لعلم اجتماع التربية، ينطلق من الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة كامل، ويقوم على إيجاد المعرفة التكاملية بين مــا ورد في كــتاب الله تعالى و السنة النبوية المطهرة، وما ورد فيهما فيما يتعلق بالإنسان و أصله ونشأته وتكــوين الأسرة و الجماعة البشرية ، و علاقاته الاجتماعية التي تربطهم، وأثر الإيمان بالله في سلوك الفرد والجماعــة وغيرها من قضايا تتعلق بالظاهرة الإنسانية وكذلك إبراز مساهمات العلماء المسلمين المتفقة مع

1 – مناع قطان، مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم، مرجع سابق، ص ص ٧٤-٨٥

2 – عدنان زرزور ، التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف – مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤١٢هــ ١٩٩٢م. ص٦١-٦٢

التصـــور الإســـلامي في هذا المجال قديما وحديثا، بعد إخضاعها للقران والسنة باعتباريهما مصدر الإسلام ومادته وقوامه .

وطريقة الباحث في توجيهه لعلم اجتماع التربية تنقسم إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول (التوجيه): لما هو نابع من منهجية علمية تعتمد على الوصف الدقيق للواقع المراد بحثه مـــن الظواهـــر الاجتماعـــية التي اتسم فيها الباحث بالموضوعية والحياد، وعدم التحيز، وأنه حاول دراسة الظاهـــرة كما هي ، وخلص إلى نتائج الغالب عليه النظرة العلمية العقلانية، والتي يمكن للباحث المسلم أن يفصل فيها بين ما هو علمي وما هو نابع من تدخلات الباحث الفكرية و الذاتية فذلك يمكن أن نستخدم لهـــا عملية التوجيه الإسلامي، كما يصفه الشيخ مناع خليل قطان : ((لأن التوجيه الإسلامي للعلوم يأخذ بعـــين الاعتـــبار الحقائق العلمية الموضوعية ويصوغ فلسفتها من منظور إسلامي فإن أي عالم مهما فسد اعتقاده يصل إلى كثير من الحقائق العلمية الموضوعية المجردة من أي أثر لعقيدته))(١)

وهـــذا مـــا نجده خاصة لدى بعض المدارس الاجتماعية في علم الاجتماع التربية في دراساتها لبعض الظواهـــر الاجتماعية مثل مشاكل العمال في بيئة العمل، وتكافؤ الفرص في التعليم، والعلاقات الاجتماعية داخـــل المدرسة و عمل المرأة، وظاهرة المدن الصناعية، فيغلب على هذه الدراسات اهتمامها بالواقع المراد بحـــثه، مع ملاحظة أن هذه الأبحاث نتاج ثقافة أجنبية لها خصوصيتها ونظرتها إلى الحياة ولكن يستفاد من الطرائق وبعض النتائج التي قد تتشابه في الظروف وذلك وفق نظرة معيارية ناقدة .

كمـــا أن بعض مكونات العلوم الاجتماعية لا يمكن التفريط فيها لأنها اقرب بطبيعتها للاستفادة منها في إطار النظرة الإسلامية (٢)

على أن التوجيه للعلوم الاجتماعية الذي يهدف إليه الباحث يتلخص فيما يلي:

- الـــبحث في القـــرآن الكـــريم والســـنة النبوية المطهرة لاستخلاص المعايير الإلهية والسنن السلوكية والاجتماعية، والتي توجه البشر وتحكم تصرفاتهم، لتكون أساسا ومنطلقا لدراسة علم اجتماع التربية
- صوغ تصور إسلامي متكامل عن الإنسان والمجتمع والثقافة، بحيث يمثل ذلك التصور الإطار الفكري العام لدراسة القضايا و الموضوعات المطروحة في مجال علم اجتماع التربية.
- الأخذ بعين الاعتبار صفة الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي عند دراسة الإنسان والمجتمع والثقافة .

1 - مناع خليل قطان ،مرجع سابق، ص ٦٨

2 - إبراهيم رجب، منهجية التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، ، مرجع سابق، ص٥٨

- التأكيد على النظرة المقارنة بين الواقع الإسلامي الراهن والماضي التاريخي له، مع توضيح دور المفكرين المسلمين الرواد في القضايا الاجتماعية .
- النظر إلى العلوم الاجتماعية باعتبارها علوما وضعية تدخل في فلك الشريعة الإسلامية.[1]

ومـــن المعلـــوم أن علماء الإسلام كانوا يهتمون بتهذيب وتوجيه العلوم التي اقتبست من الحضارات السابقة و توظيفها في حياتهم العامة ، و لم يرفضوا هذه العلوم بحجة أنها قامت في غير بيئة إسلامية بل اعملوا النظـــر فيها فأخذوا الطيب و تركوا الخبيث، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ((فإن علوم المتفلسفة من علوم المنطق والطبيعة والهيئة، وغير ذلك من متفلسفة الهند واليونان، وعلوم فارس والروم، لما صارت إلى المســلمين هذبوها ونقحوها، لكمال عقولهم وحسن ألسنتهم، وكان كلامهم فيها أتم وأجمع وأبين، وهذا يعرفه كل عاقل وفاضل .)) [2]

إن توجيه العلوم إسلاميا — وعلم اجتماع التربية خصوصا — يعني ممارسة النشاط المعرفي في أوسع معانـــيه وفي مخـــتلف فروعه، كشفا وتجميعا و تركيبا وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون وحياة الإنسان . [3]

الاتجـــاه الثاني (التأصيل): كثير من قضايا العلوم الاجتماعية — علم الاجتماع العام وعلم اجتماع التربية – لا يمكن للعقل الفصل فيها، أو إصدار أحكام نهائية فيها، بل مرد ذلك إلى الوحي، كقضايا وجود الإنســـان، و نشـــوء العلاقات الأسرية الأولى، والعلاقات الذاتية التي تحكم تصرفات الأفراد والجماعات، والقضايا المتعلقة بالأديان، وغيرها من الظواهر الاجتماعية التي يصعب إخضاعها للمنهج الوضعي، في مثل هـــذه الظروف لابد من استخدام الطريقة التأصيلية كما يقول محمد قطب: ((تقوم فكرة التأصيل أساسا على إن للمسلمين نظرتهم الخاصة للإنسان و حياته وآفاقه وأهدافه و وجوده، وهذه النظرة مخالفة لما تراه النظريات الغربية للإنسان)) [4]

كمـــا أن هدفنا بالاعتماد على مفهوم التأصيل هو((العودة إلى أصول الشريعة الإسلامية باعتبارها المـــنهج الرئيس والمعيار الأساسي الذي التي تستمد منه هذه العلوم أسسها ومطلقاتها في التفسير والتحليل

1 – انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود – عمادة البحث العلمي، ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ، مرجع سابق، ص٢٣

2 – ابن تيمية ، الفتاوى ، مرجع سابق، ج٤ ص٢١٠

3 – رشدي أحمد طعيمة، معوقات توجيه العلوم توجيها إسلاميا، أسبابها وطرق علاجها، ، مرجع سابق، ص٨١

4 – محمد قطب ، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، مرجع سابق، ص ٣

والتقويم والتأويل، بحيث ينقى من خلال عملية التأصيل تلك ما علق بهذه العلوم — علم اجتماع التربية – من شوائب نظرية، وأفكار غربية أو شرقية لا تتفق مع الإسلام منهجا وغاية ومساراً [١]

وكذلك يقوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية– وعلم اجتماع التربية خاصة– على جناحين هما استخدام المنهجية الأصولية ومنهجية العلوم الاجتماعية الحديثة المعدلة، بهدف الوصول إلى علم اجتماعي إسلامي ناضج يقوم على بناء نسق علمي متكامل يربط بين نتائج العلوم الحديثة بقدر الحاجة، وبين ما توصل إليه علماء المسلمين بقدر الحاجة، ويعيد العلوم الاجتماعية إلى جادة الطريق بما يرى فاعليتها .[٢]

والباحث هنا يدرك وصية الإمام الغزالي التالية ويأخذ بها في تقييم انتقادات العلوم الاجتماعية والخلاف الذي يقع بين العاملين فيها ؛ حيث يقول:

((ولسيكن قصده – المتعلم ـ في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه، فينبغي ألا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلاف فيه، ولا يخطئ واحداً أو آحاداً فيه، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل، فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات، متعللين فيها بأنها لو كان أصلاً لأدركه أربابها، وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر.))[٣]

1 – زكي إسماعيل، توجيه العلوم إسلاميا ، مرجع سابق، ص ٦٤

2 – إبراهيم رجب، منهجية التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، ، مرجع سابق، ص ص ٤٢-٤٣

3 – أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، . دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٠٦هـ.ج١ ص٦٦

المبحث الثالث

التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية

تحدثت الدراسة فيما سبق عن الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية، وبينت أهمية ذلك ، و الضـــرورة الملحـــة في توجيه هذا العلم و تنقيته مما لحق به من أفكار و معارف تتنافى مع حقيقة الدين والعلـــم ، من حيث تفسيرها لكثير من الظواهر الاجتماعية ، وقيامها على مسلمات قائمة على الأساطير والخرافات ، ومناقضة الدين دون أي سند علمي لذلك .

ولهـــذا فعلـــى القادرين من أبناء الأمة الإسلامية ، كل في مجاله وتخصصه ، المساهمة في رسم خارطة إســـلامية للعلـــوم الاجتماعية عامة تنبع من التصور الإسلامي الرباني يكون معينا للعاملين في الدراسات الإنسانية تغنيهم عن النظر فيما عند القوم مما يتنافى و العقيدة الإسلامية .

وســـوف تتناول هذه الدراسة مراحل التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية التي تساهم في التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية وهي كالتالي:

أولاً: التوجيه الإسلامي لأهداف علم اجتماع التربية .

ثانياً: التوجيه الإسلامي لمحتوى علم اجتماع التربية .

ثالثاً: التوجيه الإسلامي لخطوات البحث في علم اجتماع التربية.

أولا: التوجيه الإسلامي لأهداف علم اجتماع التربية:

تنبثق الأهداف من المبادئ والقيم التي هي بمثابة البوصلة التي في ضوئها تسير العملية التربوية بأكملها، و وضــوح الأهــداف يعتــبر نقطة الانطلاق في تحديد المحتوى، والطريقة التي يتم عرض هذا المحتوى في ضوئها . (١)

تعريف الهدف:

يقصــد بالهدف في لغة: الغرض ... والغرض الهدف ..والمرمى .. والهدف كل شيء مرتفع ، من بناء أو كثيب رمل أو جبل ..ومنه سمي الغرض هدفا.(٢)

وهكــذا يكون الهدف في اللغة مرادفاً للغاية ، ولهذا نجد نفس الترادف اللغوي ينسحب على المعنى الاصطلاحي ، فهناك من يعبر بالهدف ويعني به الغاية أو العكس ، إذ يجعل الغاية هي الهدف وممن سار على هــذا الــنهج عــبد الرحمن النحلاوي في كتابه أصول التربية الإسلامية و أساليبها إذ يرى أن الهدف هو ((الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه وينظم سلوكه من أجل تحقيقها .)) (٣)

وهــناك من الباحثين من يفرق بين الهدف والغاية كمقداد يالجن إذ يرى ((أن الهدف هو المقصود القريب أو الغرض القريب من الفعل، والغاية هي المقصود البعيد أو الغرض البعيد .)) (٤)

وهــناك مــن يعرف الأهداف بأنها اتجاهات إذ يرى أن ((أهداف التربية هي اتجاهات يبحث عنها المربون لتوجيه أولئك الذين يقعون تحت رعايتهم)) (٥)

ويعــرفها إبراهيم الشافعي فيقول: ((أما الأهداف فتكون عبارة عن تغيرات نسعى إلى تحقيقها .. وهــي ـالأهــداف – تتوسط أي عمل أو نشاط بين فلسفة ذلك العمل أو النشاط ، وبين وسائل تنفيذه فغالبا ما يتفق على فلسفة العمل أولا ثم تحدد أهداف ذلك العمل ثانيا ثم تتخذ الوسائل المختلفة بعد ذلك لتحقيق الأهداف في ضوء تلك الفلسفة))(٦)

ويقسم ماجد الكيلاني الأهداف التربوية إلى قسمين رئيسين:

---

1 – سند الحربي، التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية، ، مرجع سابق، ص ٢٤٣

2 – محمد بن منظور، لسان العرب، ج٣ص٧٨٣ و الفيروز آبادي، المحيط، ص٤٩١ و الجوهري، الصحاح ج٤ص١٤٤٢

3 – عبد الرحمن النحلاوي–أصول التربية الإسلامية – دار الفكر المعاصر –بيروت ط٢ –١٩٨٣م،ص٩٦

4 – مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية و غايتها، ، مرجع سابق، ص٢٢

5 – فيليب فينكس – فلسفة التربية ترجمة محمد لبيب– مكتبة مصطفى حلبي – القاهرة –١٩٨٧م ص ٨٢٩

6 – إبراهيم الشافعي ،التربية الإسلامية وطرق تدريسها – مكتبة الفلاح – ط الثانية –الكويت ١٤٠٤هـ ، ص٥٠

- الأهـــداف الأغــــراض: أي التي تشتمل على الأغراض والمقاصد النهائية التي يراد من التربية إنجازها وتحقيقها على المستويات الفردية والاجتماعية والعالمية .
- الأهـــداف والوســـائل: أي التي تشتمل على الوسائل و الأدوات الفعالة لتحقيق الأهداف والأغراض . (١)

ومـــن المعلوم إن أي عمل إنساني منظم وهادف لا بدله من رسم أهداف مسبقة يسعى الإنسان إلى الوصول إليها وتحقيقها في أرض الواقع ، وهذا ما نهدف إليه في دراسة علم اجتماع التربية في ضوء المنهج الإسلامي .

هدف التوجيه الإسلامي علم اجتماع التربية:

من المعلوم أن المهتمين بعلم اجتماع التربية من باحثين و مؤلفين و قائمين على تدريس هذه المادة يجب أن يصدر الجميع من خلال منظومة توجيهية تحدد مسار الجميع وتنظم علاقاتهم و مدى التكامل بينهم وحدود كل عامل منهم ، حتى تتضافر الجهود وتتسق جميعها في نسق فكري موحد فلا يحدث الخلل والانفصام بينهم ، بل يكون التكامل والتبادل المتكافئ بينهم ، وهذا لا يتم ما لم يكون هناك هدف أو أهداف مشتركة ينطلق منها الجميع ، وتنظم إطارهم الفكري والتطبيقي ، فيتحقق للجميع الخروج بعلم اجتماع تربية متفق في محتواه ووسائل بحثه وتطبيقه مع الشريعة الإسلامية السمحة مما يعني ملاءمته للحياة الإنسانية لأنه ينبثق من مصادر ومسلمات صحيحة .

لهذا يرى الباحث أن يضع مجموعة من الأهداف العامة الكلية التي في ضوئها ينطلق المؤلف والباحث والعامل في علم اجتماع التربية ومن هذه الأهداف ما يلي :

١) الهــــدف الأساس في التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية، هو أن يقوم هذا العلم على مبدأ الإيمان بالله تعالى خالقا للوجود كله (عالم الغيب والشهادة) هو الموجد له و ينتهي مصيره إليه ، وهو المدبر والمهيمن عليه لا شريك له في ملكه قال تعالى: قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء ٢٢ .)

نفيا للملاحدة القائلين ((إن الطبيعة خلقت كل شيء)) بل ((إن الطبيعة لم تخلق نفسها و لم توجد بنفســـها، بل الله أوجدها، وهي تسير على سنن مطردة، وفق نظام مترابط الأجزاء، والله الذي خلقها هو المقدر لسننها ونظامها)) (١)

1 – ماجد الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، مكتبة التراث ، الطبعة الثانية– المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـــ–١٩٨٨م ص ١٥

ومن المعلوم أن معظم كتب وأبحاث علم اجتماع التربية لا تؤمن بهذه الثنائية ولا تخضع لمبدأ الإيمان بالله تعالى المتصرف في الكون ، بل هي علمانية المبدأ والمنهج وهي تنكر العالم الغيبي و تنكر تأثيره في الواقع المادي والاجتماعي بل جل اهتمامها هو محاولة إثبات أن النظم الاجتماعية يمكن أن تشابه النظم الطبيعية.

٢) ويهدف التوجيه الإسلامي إلى خلق اعتقاد جازم يقوم على الإيمان بأن الوجود ينقسم إلى عالمين عالم الغيب والشهادة، و الإيمان بعالم الغيب كما بينه الوحي الإلهي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فلا يمكن أن يتجاهل علم اجتماع التربية عالم الغيب و أثره في عالم الشهادة وأن العلاقة تتكامل بين العالمين إلى درجة يستحيل معه الفصل بينهم ، والباحث في علم اجتماع التربية يهتم بالأمور الغيبية و مدى تعلق الإنسان المسلم بها ومدى تأثيرها على سلوكه و مشاعره بحيث يستحيل أن نتجاهل أثرها المادي والمحسوس أو ما هو على شكل شعور وأحاسيس ثم اثر ذلك كله على أفراد المجتمع الإسلامي، وهذه من خصائص علم اجتماع التربية الإسلامي وتميزه عن الغربي ذلك المنهج الذي تنكر للغيب بل للدين والمعتقدات الغيبية وأثرها على الإنسان .

ومن صور الإيمان ببعض الغيبيات الإيمان بأصل الإنسان وتكوينه وتكريمه كما ورد ذلك في القران الكريم والسنة النبوية فلقد بين الله تعالى الطبيعة الإنسانية وما تشتمل عليه من مقومات وقدرات أودعها الله تعالى هذا المخلوق وجعله متفردا عن سائر المخلوقات بكمال خلقه وقدراته . قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ (السجدة ٠٠٧)

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة ٠٣٠)

أذن فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى .

إن إبراز القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان لدوره في الأرض، و لمكانه في نظام الوجود، وللقيم التي يوزن بها، ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله و حقيقة هذا العهد الذي قامت عليه خلافته على أسسه .. وأن الإنسان سيد هذه الأرض ومن أجله خلق كل شيء فيها قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (البقرة -٠٢٩)

---

1 - محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٠

((والإنسان اعز وأكرم من كل شيء مادي ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعا ٠٠ولا يجوز أن يعتدي على أي مفهوم من مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تهدر أية قـيمة من قيمه لقاء تحقيق كسب مادي، أو إنتاج أي شيء مادي ٠٠ وان للإنسان الـدور الأول في الأرض فهـو الذي يغير ويبدل في أشكالها وفي ارتباطاتها وهو الذي يقـود اتجاهاتهـا ورحلاتها ٠ وليست وسائل الإنتاج ولا توزيع الإنتاج هي التي تقود الإنسـان وراءهـا ذليلا سلبيا كما تصوره المذاهب المادية التي تحقر من دور الإنسان وتصغره)) ٠[1]

وإيمان بأن الله تعالى هو المشرع للإنسان وهو الذي بين عن طريق الوحي للإنسان مقياس الخير والشر وحدد المعالم الثابتة الأخلاق والحقوق و وضع المنهج الكامل الإنسان ٠

وعلـى ضـوء هـذه النظرة لوجود الإنسان و رسالته في الكون يكون هدف علم اجتماع التربية الإسلامي الذي لا يحط من كرامة الإنسان أو يهدرها أي كان هذا الإنسان، كذلك ينشأ عن نظرة الإسلام الرفيعة إلى حقيقة الإنسان و وظيفته إعلاء قيم الإيمان والإصلاح و الإخلاص و تعزيز القيم الأخلاقية ، التي تلقاها من الهدى الذي تعهده بها الخالق تعالى قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (البقرة ٠٣٨)

٣) ويهدف كذلك إلى نفي الحتمية الاجتماعية التي تصادر إرادة الإنسان وتقوده خارج إطار العبودية لله تعالى، بل إن للإنسان إرادة مختارة في إطار إرادة الله سبحانه وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد ٠١٠)

حـيث يلاحظ أن محتوى علم اجتماع التربية مليء بتقرير مبدأ الحتمية بل جميع الأبحاث تحاول سبر هذه الحتمية أو ادعائها وهي نابعة من نظرة مادية علمانية تنكر وجود اله متصرف في الكون ٠

إعلام الطالب ((بالمسلمات))و((الثوابت)) المقررة في القرآن والسنة، أو المستنبطة عنهما، وتكوين الوعـي المنهجـي، الذي يجعل من تلك ((المسلمات و الثوابت)) منطلقات أساسية لأي نشاط بحثي مع تحديد الغايات في ضوئها، و التعرف على الحقائق الإنسانية الاجتماعية ((المطلقة)) التي لا يقيدها زمان أو مكـان، بصـرف النظر عمن توصل إليها، ...مع ضرورة التثقف بالقوانين والسنن الاجتماعية التي ورد ذكرها في القرآن والسنة الصحيحة، وتحفيز الفكر لاكتشاف المزيد من تلك القوانين والسنن٠[2]

1 – سيد قطب، ظلال القرآن دار الشروق – ط التاسعة – القاهرة ١٤٠٠هـ ، ج١ص٦٢

2 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، ، مرجع سابق ، ص ١٤٤

٤) يهـدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى إعطاء الأمة المسلمة خصائص الأمة المستخلفة والمكلفة بقيادة البشرية إلى الحق ٠٠واظهار شخصيتها المستقلة المتفردة بمنهجها وتشريعها المستقى من نبع الوحـي الإلهي الشامل المتميز ٠٠ وتميزها بالتصور الخاص للوجود والحياة ، و حقيقة ارتباطهما بالله الخالـق تعالى ٠ وعلم اجتماع التربية الإسلامي يراعي هذا التميز في منهجيته من حيث البحث في ظواهر المجتمع الإنساني المسلم وغير المسلم و كذلك في عرضه لمحتواه المعرفي على الدارسين الذي يحتم أن ينسجم مع التصور الإسلامي٠

٥) يهـدف التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية أن ينهي سيطرة علم اجتماع الغرب بجميع ميادينه ومـنها علم اجتمع التربية استخدم في العالم لفرض الهيمنة والسيطرة الغربية على الآخر ، و لتحقيق هـذا تم تـزييف واقع عالمنا العربي و الإسلامي وزيفت أسباب تخلفنا وزيفت قدراتنا و إرادتنا على الخـروج من هذا الكهف المظلم ، ولقد ساهم الاجتماع العربي في تزييف وعي الناس وتزييف وعي الـنظام القائم [1]، وقد امتدت هذه الأمراض إلى علم اجتماع التربية وأصبح يدرس لأبنائنا بصيغته الغربية الصرفة ويعرض علينا قضايا الغرب ومؤسساته والعلاقات القائمة بينها على أنها حقائق عالمية وقضايا كونية تنسحب على كل المجتمعات وتلغي الخصوصية الاجتماعية والثقافية للآخر ، و تهيمن للتبعية الغربية ٠ مما يحتم على التربويين والاجتماعيين المسلمين أن يقوموا بعملية توجيه وتأصيل لهذا العلـم حتى يتناسب و واقعنا وقضايانا وهمومنا الخاصة بنا، ورسم الحلول الناجعة لمشاكلنا التربوية والاجتماعية ٠

لهذا فإن من أهداف علم اجتماع التربية الاسلامية التخلص من سيطرة وهيمنة الفكر الغربي وتحرير علم اجتماع التربية من هذه النزعة حتى يصبح في مقدور القائمين على هذا العلم وتوظيفه في البيئة الاسلامية والاستفادة من إنجازاته ٠

٦) ومن أهداف علم اجتماع التربية الإسلامي توجيه البحث في هذا العلم ليتناول موضوعات لا يمكن إخضاعها لطرائق البحث العلمي، ولا لمراقبة النتائج، مثل البحث في أصل اللغة، و أصل نشأة الدين ، ونشـأة الأسرة، ونشأة الجماعة، فلا سبيل إليه لبعده عن حيز المشاهدة واستحالة إخضاعه للتجربة والموازين العلمية ، وفي هذا النوع كثرت النظريات وتعددت وتخبطت واختلفت، وهذا ما يسميه- (ميتافيزيقا علم الاجتماع)٠ [2]وفي هذا المجال لدينا في مصادر الإسلام (القرآن والسنة) الحق الزلال ، والذي فيه الغنية عما عند القوم مما يجعل علم اجتماع التربية الإسلامية متميزا في قضاياه و تصوراته

1 – بلقاسم الغالي، محاولات في تأصيل علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص١٧

2 – محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص ص ١٥-٤٤

الصحيحة المنبثقة من المعرفة الصحيحة بتلك الموضوعات التاريخية التي يستحيل إخضاعها للتجربة والمشاهدة .

٧) يهدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى وضع الأسس والتصورات للتطبيقات الإسلامية التربوية والاجتماعية من أجل تطبيقها في المجتمعات الإسلامية المعاصرة مثل تعليم العبادات و وجوب فرض تطبيقها على الناشئة ، التكافل الاجتماعي ،وبر الوالدين ، و التناصح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ومحاربة العنصرية والعصبية التي تأثر على الوحدة الاجتماعية والإسلامية ، ومحاولة دراسة العوامل الدخيلة والتغيرات المفاجئة على المجتمع المسلم وأثرها عليه وكيفية معالجة السلبيات الناتجة عنها وخاصة في جانب التربية .

فعندما يكون علم اجتماع التربية إسلامي التصور يدرس العلاقات الاجتماعية بين الجماعات الاسلامية وفق منهجية تراعي خصوصيات الواقع الإسلامي والمؤثرات العقائدية والفطرية والاجتماعية والثقافية و تصل نتائج صحيحة من اجل إصدار أحكاما قيمية تفيد المجتمع الإسلامي وتوجد الحلول الصحيحة لمشكلات المجتمع المسلم .

٨) يهدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى وضع الخطط التربوية المستقبلية التي تتناسب والإنسان المسلم وتتناسب والواقع المعاش وتكون منسجمة مع عقيدته و تكفل جميع حقوقه وذلك من خلال برامج تكافؤ الفرص التعليمية لجميع أفراد المجتمع ، ومن هذه الخطط التصدي للغزو الفكري والحضاري و محاربة الثقافات والقيم الوافدة ووضع البرامج والحلول التربوية والاجتماعية المناسبة ، وإيجاد الوسائل والسبل والمناهج التي تكفل قيام المجتمعات الإسلامية المعاصرة على الإسلام و تحميه من الابتعاد عنه، وخاصة في ضوء التغيرات السريعة التي أحدثتها وسائل التكنولوجيا المعاصرة، وذلك باعتماد التغيير الاجتماعي المنظم والمخطط له والذي لا يتنافى ودعوة الإسلام أو يتجاوز حدوده التي رسمها له والإسلام يؤمن بمبدأ التغير الإيجابي و يدعو إلى الأخذ بأسباب التطور الحضاري والأخذ بمبدأ القوة قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠.)

٩) وعلم اجتماع التربية الإسلامي يتطلب من القائمين على المجتمع المسلم مواجهة المشاكل التي يبعثها مبدأ التغير والتطور الذي يحدث بسبب الاتصال الحضاري والثقافي بالمجتمعات الأخرى ، والأخذ بكل جديد مفيد و وضع الخطط التنموية التي تعتمد على التنمية الشاملة التي تحترم إنسانية الفرد المسلم وتكفل له حق العدالة الاجتماعية وحقوقه الإنسانية التي كفلها له الإسلام ، والاستفادة من

تجـار الأمم الأخرى التي أصبحت تعاني من نتائج التنمية المادية التي أخلت بالجانب الروحي والديني والبيئي ، مما أورث لهم كثيرا من المشاكل والمصائب سوى على مستوى الفرد أو الجماعة أو الدولة ، بل تعدى الأمر ذلك إلى المجتمعات الأخرى والعوالم البيئة المحيطة .

١٠) يهــدف التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية إلى إبراز جهود علماء المسلمين في مختلف مجالات الحــياة ودورهم في تحقيق التقدم العلمي والحضارة للأمة الإسلامية وخاصة في الجانب الاجتماعي والتــربوي وإبراز مكنون التراث الإسلامي في هذا الاتجاه ، وجعله مادة ميسرة للباحثين في مجال اجتماعــيات التــربية، ومثال ذلك في مجال تاريخ التربية و تجارب التاريخية التي عايشها المسلمين وتفاعلــوا معهــا و أثــره على حياتهم إيجابا أو سلبا وكذلك تفاعلهم مع المجتمعات والحضارات الأخــرى ورصد كل هذه المواقف للاستفادة منها في واقعنا المعاصر وكما يقال كأن التاريخ يعيد نفسه .

١١) كما يهدف التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية إلى تقديم نماذج لمواضيع علمية موجهة إسلاميا، وذلــك للأساتذة في الجامعات الإسلامية و الطلاب، و للتلاميذ، وإبراز العلاقة الحميمة بين علم اجــتماع التربية و توجهاته الاجتماعية ، وذلك في المناهج والكتب الدراسية التي تقدم في المدارس والجامعات، لتكون نموذجا للتوجيه الإسلامي الصحيح للعلوم المختلفة .

١٢) كــذلك من الأهداف تشجيع الجهود التي قام بها بعض المفكرين والباحثين نحو التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية والتربوية .

١٣) كمـــا يهدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة، ومَنْ بيدهم القيادة الفكرية والتربوية، والإعلامية، في البلاد والحكومات الإسلامية، بصلاحية الإسلام وقدرته، لا علــى مســايرة العصر وتطوراته وتحقيق مطالبه، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى ...وقلــب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب المنتشر والسائد في العالم الإسلامي رأسا على عقــب وصــوغه صــوغا إســلاميا جديد، ويتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة وعقيدتها، ورسالتها، وقامتها، وقيمتها، لبعد هذا الصوغ عن عناصر الإلحاد أو المادية . [١]

١٤) كمـــا أن هدف البحث في وعلم اجتماع التربية هو كشف الأسرار والطاقات الكامنة التي أودعها الله في الإنسان —منفردا ومجتمعا — وفي مراحل عمره كافة، ومعرفة كيف يوظف الإنسان ما وهب

1 - أبو الحسن الندوي، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، دار ابن كثير — ط الأولى ١٤٢٠هــ دمشق ٠-ص ص ٥٥-٥٦

الله البشر من إمكانات في النشاطات التي يستبقي بها الإنسان ذاته، ويحقق من خلالها كينونته الفردية والاجتماعية .[١]

١٥) ويهدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى التعريف على المكونات الاجتماعية للأمة المسلمة، وتحليل عناصر التغير والتغيير التي تتعرض لها، وصولا إلى معرفة مدى انسجامها واستجابتها — في ثباتها وتغيرها — مع تعاليم الإسلام أو بعدها عنها ؛ فضلا عن ضرورة إثارة الانتباه للمسلمات الإيجابية وتشجيع الاتجاهات الداعمة لها ... و تعميق التصور الإسلامي للتنمية، والتثقيف بمقوماته المعنوية والمادية والعلمية .[٢]

١٦) ويهدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى دراسة أهداف وأغراض التربية في المجتمعات الإسلامية ومدى توافقها مع عقيدة المجتمع المسلم وأهدافه وكذلك يهدف إلى نقل ثقافة المجتمع المسلم إلى الأجيال بعد نقدها وتحليليها .

١٧) كما يهدف إلى تحليل العلاقات الاجتماعية داخل المدرسة وذلك على مستوى المعلمين والتلاميذ والإداريين مع بعضهم البعض أو معا غيرهم من الفئات الأخرى داخل المجتمع المدرسي أو مع المجتمع الأكبر خارج المدرسة وربط ذلك بالعقيدة الإسلامية ومدى تأثيرها على هذه التفاعلات ، من اجل خلق التوافق الاجتماعي الصحيح بين أفراد المجتمع المدرسي ليكون مجتمعا متراحما متفاعلا وفق مرضاة الله تعالى .

١٨) كما يهدف علم اجتماع التربية الإسلامي إلى تدريب المعلم المسلم وتنمية مهاراته وتفكيره ، وإيقافه على دوره الحضاري ومسؤولياته ومدى تفاعله مع ذلك كله ، من اجل أن يفي المعلم برسالته المناطة به و الوقوف على المشاكل والمعوقات التي تعيق تفاعله الاجتماعي . كما يهدف إلى تنبيهه لظاهرة العولمة في أبعادها الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبيان انعكاساتها، والدعوة إلى البحث عن الصيغ المناسبة للتعامل معها و مواجهتها [٣]

1 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية البحث الاجتماعي والتربوي، مرجع سابق ، –ص ٤٨

2 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، مرجع سابق ، ص ١٤٤

3 – المرجع السابق ، ص١٤٨

ثانيا: توجيه محتوى علم اجتماع التربية:

إن تحقيق التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية لا يتسنى إلا عندما تتضافر الجهود بين القائمين عليه سوى كانوا باحثين أو قائمين على التدريس والتأليف وذلك من خلال تبني العمل الإسلامي فكرا ومنهجا ، مـــن اجل الحفاظ على هوية الأمة وصيانة شبابها من التبعية الفكرية والحضارية والأخذ بعوامل النهوض الحضـــاري وفـــق رؤية تأصيلية علمية ، تنبذ التخلف والانقياد للغير ،وتبني في نفوس الناشئة قيم الإسلام وتعاليمه .

وقـــد حـــذر الكثير من الباحثين من خطر محتوى كثير من كتب التربية ، ومنها كتب علم اجتماع التربية ؛ حيث إن محتوى هذه الكتب يعتمد على الكتاب الغربي – كما هو معايش في بعض الجامعات في العـــالم العـــربي ، إذ أن معظـــم تلك الكتب سلبي الاتجاه، شديد الخصومة فيما يخص الإسلام والمجتمعات الإسلامية . .حيث اتخذت الكتب أسلوبا في الغزو الفكري بما تحمله من تشويه للإسلام وحياة المسلمين في مختلف جوانبها – خاصة الاجتماعية والأخلاقية – ، بل إن تلك الكتب تحاول بطرق خبيثة تشويه صورة الإسلام من خلال بث الأفكار الإلحادية والنظريات والمبادئ المخالفة للإسلام وأحكامه و تعاليمه .[١]

ويدرك المهتمون بالتوجيه الإسلامي للعلوم الإنسانية أن إسلامية النظام التعليمي لا تعني إضافة مادة أو مـــادتين من المواد الدينية أو الإسلامية للمناهج، بل أن الأمر يحتاج إلى إعادة صياغة كل المواد والمقررات الدراسية صياغة إسلامية تتضمن المفاهيم الإسلامية المتضمنة في كل مادة من المواد الدراسية في شتى فروع المعـــرفة، وخاصـــة أن المناهج الاجتماعية والطبيعية، تضم بعض الفروض والنظريات التي ثبت بطلانها من وجهة النظر الإسلامية .[٢]

ومادة علم اجتماع التربية التي تدرس في معظم الجامعات العربية هي جزء من هذا النظام التعليمي الـــذي يقدم لأبنائنا يجب أن تُخضع محتواها للإسلام وأن ينقح هذا المحتوى من كل شائبة تصادم أو تخالف عقيدتـــنا خاصة و أن كثير من محتوى هذه المادة ليس ذو صبغة علمية بل معظمه هو آراء وأفكار ويهدف أصـــحابها من خلالها إلى وضع تصور إصلاحي لمجتمعاتهم قد تصيب هذه الأفكار وقد تخطأ وبعضها يخضع لتصورات عقيدة محرفة أو عقائد فلسفية معاصر تصادم الفطرة الإنسانية حيث أن كثير من العاملين في مجال اجتماعيات التربية الغرب ينطلقون من فلسفات اشتراكية أو رأسمالية أو وجودية أو برجماتية أو غيرها مما قد يدور في ساحة القوم .

---

1 – سند الحربي، التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٧٣

2 – عبد الرحمن النقيب، التربية الإسلامية رسالة و مسيرة، ، مرجع سابق ، ص ٦٠

ويجـب أن نـدرك أن هناك أسس و مسلمات إسلامية تنبثق منها المناهج التربوية و تشتمل عليها ، ولهـذا فإن محتوى علم اجتماع التربية الإسلامية يجب أن ينبثق من هذا التصور ، وأن يراعي هذه الأسس وينطوي تحتها حتى يكون صالحا لأن يقدم كمادة علمية لأبناء المسلمين ، وأن يكون خاليا من الانحرافات و الشطحات الفكرية و المنهجية .

١- أسس التوجيه الإسلامي لمحتوى علم اجتماع التربية:

أ- الأســاس العقائـدي: يعتبر الإيمان بتعاليم و أحكام الدين الإسلامي و نظرته للكون والإنسان والحياة من أهم المقومات والأسس التي يقوم عليها محتوى علم اجتماع التربية الإسلامي، فهو الأساس الذي بـنت علـيه الأمة الإسلامية الحضارة الإسلامية ثقافتها و نظمها و مؤسساتها وجميع علاقاتها الاجتماعية، فالدين الإسلامي هو الذي حدد اتجاهات الأمة الإسلامية و شخصيتها، وعقيدتها التي تحيا وتموت عليها ، ومـن أجلها تصل وتقطع ، و تسالم وتجاهد، و تعاليم الدين الإسلامي هي شريعتها التي تعمل بها و تلتزم عليها .

وللإســلام موقفه الفريد في رؤيته للعلاقة بين (الإيمان والعلم) وتتجلى هذه الرؤية في جعل الدين علما . قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (آل عمران ٠٦١)

ويوصف الدين بالعلم على لسان إبراهيم عليه السلام . قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ (مريم ٠٤٣)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (الروم ٠٥٦)

يقول يوسف القرضاوي في هذه الآية إن ((العلم والإيمان في الآية الكريمة مقترنان متعاطفان ، وليسا من الأضداد التي إذا ثبت أحدهما انتفى الأخر ...فالعلم الحق هو الذي يهدي إلى الإيمان ، والإيمان الحق هو الذي يفسح للعلم ، فهما إذن شريكان متفاهمان بل أخوان متعاونان .)) [1]

ومن المعلوم أن المسلمات والثوابت الإسلامية والتي هي مجموعة العقيدة والأخلاق (القيم) والأصول و المـبادئ الثابـتة، الـتي تشكل النظرة الإسلامية العامة (تجاه الخالق سبحانه وتعالى و الكون والإنسان والحـياة) ، و مـا ينبثق عن هذه النظرة من تصورات و أهداف وغايات تتميز بها الشريعة الإسلامية عن غيرها من العقائد والفلسفات الوضعية، ومن هذه المسلمات ينبثق محتوى علم اجتماع التربية الاسلامي .

ومـن الطبيعـي أن يعتمد الباحث (والمؤلف لعلم اجتماع التربية) المؤمن بالعقيدة الإسلامية على ((المسلمات)) و الرؤى والتصورات، التي تنبثق عن هذه العقيدة الإسلامية، وما تقضي به نصوصها القطعية

1 - يوسف القرضاوي ،الرسول والعلم ، مؤسسة الرسالة-ط٧-١٤١٤هـ بيرو ت ص ص١٥- ١٦

الـــورود والدلالـــة من أحكام أو اتجاهات، كما من الطبيعي أن يتخذ العلماء المسلمون ما يؤمنون به من مســلمات ومقــولات مــنطلقا وإطاراً لمنهجهم المعرفي ...فهذه المسلمات المستوحاة من نصوص الوحي وحقائقـــه المترلة والتي قد يباشر صياغتها الفكر الإسلامي على نحو ما، إنما تمثل الأساس الفلسفي والقيمي والإيديولوجي للمعرفة التي يجب أن نقدمها لطلاب الجامعات في العالم الإسلامي [1]

ومـــن هـــذه المنطلق يجب أن يكون محتوى علم اجتماع التربية الإسلامي متوافقا ومطابقا لمسلمات الإسلام وثوابته ، و أن يكون خاليا من نواقض ذلك وخاصة تلك الأفكار التي قد تتسرب إلينا و لا يدرك مضمونها كثير من العاملين في هذا الحقل بسبب ضعف ثقافتهم الإسلامية . ومن ذلك تلك المسلمات أو الأفكار الغربية التي شاعت بين كثير من الباحثين في علم اجتماع التربية ، و قد تتسرب إلى مناهجنا خفيّة منها ما يلي:

١- مسلمة (الإنسان أصل الكون) وهي مناقضة للمسلمة الإسلامية التي ترى الله تعالى هو الخالق و إليه يرجع الأمر كله، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (آل عمران ١٠٩)

ثم أن الإنســـان مســـتخلف بأمر الله في عمارة الكون، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة ٣٠.)

٢- مسلمة (الإنسان في صراع مع الطبيعة) ويقابلها في الفكر الإسلامي (الوجود مسخر للإنسان) قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الجاثية، ١٣)

٣- مركـــزية الإنســـان الأوربي ويقابلـــها في الفكـــر الإســـلامي والوحدة الإنسانية قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾ (النساء /١) و قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (يونس /١٩)

ب- الأســـاس الثقافي: إن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به والتي تميزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية الأخرى وهي نتاج حياته الماضية وخلاصة تجاربه وأفكاره المادية والمعنوية، وتتوارثها الأجيال وينقلها كل جيل إلى الجيل التالي له، وتشتمل الثقافة في أوسع معانيها إلى كل صور الحياة المادية والمعنوية فهي تشتمل

1 – علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، ، مرجع سابق ، ص ص ٧٢-٧٣

علـى الجانـب الديني، والأعراف والمعارف والتقاليد والاتجاهات والأساليب السلوكية وصور التعاملات والعلاقات والأنظمة، وكل ما يستخدمه هذه المجتمع في تعاملاته الداخلية والخارجية .

تعريف الثقافة:

والثقافة في اللغة : من فعل ثقف و من معانية كما في (لسان العرب) : ثقف بمعنى الحذق والفهم وسـرعة التعلم ، يقال ثقف الرجل الشيء أي حذقه ، ..وصار حاذقا ، ومن معاني ثقف : معنى التسوية والـتقويم والإصلاح ، واستخدمت في البداية لتسوية الرمح و تقويمه بالثقاف ..ومن ذلك كلمة تثقيف تعني التسوية ، وتعني تقويم الاعوجاج ..ومنه ثقّف الولد أي علمه وهذبه ولطفه . [1]

عـرف إبـراهيم ناصـر الثقافة بأنها: مجموعة من الأفكار، والقيم والمعتقدات، والتقاليد والعادات، والأخـلاق، والـنظم، والمهارات، وطرق التفكير، وأسلوب الحياة والعرف، والفن، والنحت، والتصوير، والرقص الشعبي، و الأدب، الرواية، والأساطير، والفلسفة، والتاريخ، و وسائل الاتصال و الانتقال، وكل مـا صنعته يد الإنسان وأنتجه عقله من نتاج مادي ومعنوي (غير مادي)، وفكري، أو توارثه من الأجيال السابقة، أو أضافه إلى تراثه نتيجة عيشه في مجتمع معين . [2]

وقـد ورد في معجـم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن الثقافة هي ((البيئة التي خلقها الإنسان من المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلى آخر)) [3]

ويعرف محمد أبو يحيى الثقافة الإسلامية بأنها ((معرفة مقومات الأمة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين ولغة و تاريخ و حضارة وقيم وأهداف)) [4]

وتعرف ((الموسوعة العربية الميسرة))الثقافة بأنها : (أسلوب الحياة السائد في أي مجتمع بشري)[5]

الـثقافة ترتبط بالعلم بروابط وثيقة، بل أصبحت جزءاً منه لا يمكن فصله عن الثقافة التي تولد فيها، فـالعلم بجميع فروعه يستخدم الثقافة كشريك في تحديد أنشطته وأهدافه ووظائفه وهذا واضح في صورة العلم المعاصرة التي اختلط فيها العلم مع الثقافة الأوربية الكنسية ، فأصبح جزءاً يصعب فصله عن مضمونه الثقافي والحضاري ، بل استخدم العالم كأداة للترويج لهذه الثقافة .

1 – ابن منظور ،لسان العرب ، مادة ثقف ،ج٢ص٤٦٢
2 – إبراهيم ناصر ،علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص ١٢٦
3 – إبراهيم ناصر ،المرجع السابق، ص ١٢٤
4 – محمد أبو يحيى، الثقافة الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص١٨
5 – طلال عبد المعطي مصطفى ، أبحاث في علم الاجتماع نظريات ونقد، مرجع سابق ، ص ١٣٤

والثقافة الإسلامية ترتبط بالعلم بروابط وثيقة، لا انفصام بينهما منذ اللحظة الأولى التي بزغ فيها نور الإسلام فآخى بين العلم والدين قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾(العلق/١-٥)
فالعلم أصبح في خدمة الثقافة الإسلامية من أجل تحقيق مقتضى الخلق وهو العبودية لله تعالى ومن صور هذه العبودية عمارة الكون وفق شرع الله تعالى، ولهذا لابد من التوافق والتحالف بين الثقافة السوية القائمة على الحق وبين العلم الصحيح المجرد من الأهواء والفلسفات الوضعية الهدامة وذلك من أجل خلق حياة إنسانية سعيدة بعيدة عن الشقاء الذي قد يصنعه الانفصام بين الثقافة الإسلامية والعلم فيحدث الخلل و الاستبداد الـذي يصنعه هذا الانفصام ، كما حصل في الحضارة المعاصرة عندما تفردت بالأمر بدون وازع ديني أو أخلاقي .

إن الثقافة الإسلامية بما تقوم عليه من قيم أخلاقية وما تنطوي عليه من غايات ربانية، وما تستنبطه من توجـيهات إنسانية خيرة نبيلة، هي التي تضبط مسيرة العلم التعقلية، و توظفه لخير البشرية ، وتوجهه نحو التقدم والازدهار المحمود، كما أن الثقافة الإسلامية هي التي ترسم للعلماء أهدافهم ومثلهم على أساس من السياسة الشرعية، كما تشبع أرواحهم وتحسن أخلاقهم . [1]

ومـــن المعلوم أن العلاقة بين العلم والثقافة لا تنفك إذا العلم يدرس الماديات ويبحث فيها ويضع لها القوانين العام التي تفسرها وتساعد الإنسان على التحكم فيها والاستفادة منها .

أمـــا الـــثقافة فإنهـــا تبحث في ((الوجود والمعرفة والقيم والمثل العليا، فهي تنصب على المعقولات، فموضوعها لا يقبل القياس والتجريب أو التقدير الكمي .)) . [2]

إن مفهـــوم الثقافة الإسلامية يدور حول الإسلام نفسه، الذي هو منهج حياة متكامل وشامل لجميع صورها الدينية والدنيوية والأخروية، وهو الذي يحدد إطار وشكل هذه الثقافة و ماهيتها وأهدافها وغاياتها، ولـــذلك كانـــت وظيفة الثقافة الإسلامية هي ((العمل على تمثيل الإسلام عقيدة وشريعة، لتنظيم علاقة الإنســـان بـــالله ســـبحانه ، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة الآخرة . فالثقافة الإســـلامية ليســـت معـــرفة فحسب أو فكراً مجردا أو تراثا مهترا، أو فلكلور شعبيا، وإنما أساس وظيفتها

1 - محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص٥٥

2 - محمد أبو يحيى، المرجع السابق،، ص٥٤

أنها نظرية سلوك وعمل وتطبيق، فالأمة اليوم لا ينقصها المعرفة بقدر ما ينقصها العمل والاستجابة والتطبيق ٠)) ٠ [١]

ولهذا فعلم اجتماع التربية الإسلامي يستقي معارفه العامة وإطاره العام من الثقافة الإسلامية ، وهو امتدادٌ لها ، وليس عامل هدم لهذه الثقافة ، كما أنه جدار صد للثقافات الوافدة التي تتخذ من علم اجتماع التربية وغيره من العلوم الإنسانية جسر للغزو الثقافي ، أو لترسيخ مفهوم التبعية والتقليد، ولهذا فإن محتوى هذا العلم الذي يقدم اليوم في كثير من جامعات العالم الإسلامي لا يمت بصلة إلى الثقافة الإسلامية بل نتاج للثقافة الغربية و فرع منها، وعليه فإن إعادة صياغة محتوى هذا العلم أصبح أمراً بالغ الأهمية ، ومن الأسس الثقافية التي يجب أن يشتمل عليها محتوى علم اجتماع التربية الإسلاميَ ما يلي :

١- اللغة العربية لغة العلم: إن اللغة التي يجب أن يكتب بها محتوى علم اجتماع التربية الإسلامي هي اللغة العربية الفصحى ، وهي لغة التحدث في قاعة الدرس ، وهي لغة البحث فيه، واللغة العربية أهل لأن تقوم بهذه الوظيفة ، فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، و هي لغة التشريع الإسلامي و الحضارة الإسلامية على مدى خمسة عشر قرنا من الزمان ، وقد وسعت كل العلوم والمعارف و لم يحدث أن عجزت يوما ما عن استحداث أو مجاراة علم من العلوم، فهي من أعظم اللغات قِدماً و وأكثرها سعة ومرونة وجمالاً

ومن مظاهر مرونة اللغة العربية وسعتها ما يلي:

١- إنها تحتوي على أكثر من ثمانين ألف مادة، المستعمل منها عشرة آلاف فقط .[٢]

٢- كثرة ما يمكن اشتقاقه من ألفاظ من مصدر واحد .

٣- القدرة على تعريب المصطلحات والمخترعات المتعددة.

٤- كثرة علومها فهي تحتوي على علوم النحو والصرف، والبيان والمعاني، والبديع وغير ذلك .

٥- كثرة أسماء الأشياء ، فتجد فيها للشيء الواحد أسماء متعددة تتجاوز العشرات . [٣]

ونظرا للمكانة الفريدة التي تحتلها اللغة العربية بين المسلمين كافة ، كلغة للقرآن الكريم والحديث الشريف ولمعظم كتب التراث الإسلامي ، فإن الاتجاه التربوي الإسلامي يعمل على أن تكون اللغة العربية هي لغة التفاهم المشتركة بين الأمة الإسلامية، وأن يكون لها مكان الصدارة بعد اللغة القومية في المراحل التعليمية المختلفة، مع ضرورة الحفاظ على الحروف العربية لكتابة لغات الشعوب الإسلامية حتى لا يباعد بين هذه الشعوب وبين القرآن الكريم كما يدعو هذا الاتجاه إلى ضرورة تدريس العلوم البحتة والتطبيقية

1 - محمد أبو يحيى، المرجع السابق، ص٢٨

2 - أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة — دار الكتاب — البنان -؟١٩٨م ص٧

3 - محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص٨١

باللغة العربية في جميع المستويات بالعالم العربي، مع الاهتمام بترجمة أمهات الكتب العلمية في مختلف التخصصات إلى اللغة العربية .[1]

ومن اعتزاز المسلمين باللغة العربية أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام العلوم والمعارف الأجنبية ، بل ترجموها إلى لغتهم واستوعبها وجعلوها لغة العلم لبضعة قرون ، بل إنهم نزهوا هذه اللغة أن يخالطها ما يفسد رونقها أو يذهب جمالها أو ينافسها في إبداعاتها الفنية .

((إن المسلمين عرفوا جيدا ماذا يأخذون وماذا يتركون ، فبينما نجدهم قد ترجموا علوم الإغريق ، وحكمة الهند ، وسير أبطال فارس ، فإنهم لم يترجموها من آداب جيرانهم إلا ما هو في حكم الفكر ، وليس الفن أو العاطفة ، فإنهم — مثلا — لم يترجموا ملاحم اليونان ولا مسرحهم ولا شعرهم الغنائي ، وذلك أن الشعر العربي الأصيل هو فنهم الأول الذي اعتزوا به أيما اعتزاز ، بمجيء الإسلام باللغة العربية ، ولم يكونوا بحاجة إلى الأدب اليوناني ، وكان شكله الأسمى مسرحيا ، و العرب لم تعرف المسرح ، وكان مضمونه الأغلب صراعا بين الآلهة أو الإنسان والآلهة، والعرب لا يدخل في عقيدتهم الصراع مع الآلهة ، والمسلمون لا يعرفون إلا التوحيد الخالص لله الخالق سبحانه وتعالى)).[2]

٢- التراث الإسلامي: يعتبر التراث الإسلامي من أهم مصادر ومقومات محتوى علم اجتماع التربية الإسلامية ، ففيه من الجوانب الاجتماعية والتربوية ما يغني عما عند الآخرين .

إن التزام القائمين على التربية والتعليم وبخاصة المهتمين بعلم اجتماع التربية بهذه المقومات يجعلهم متميزين بهذا العمل الإسلامي الذي يتفق والروح المتميزة للحياة الإسلامية ، ويكونون بعيدين عن درك التشبه بغيرهم من الأمم المخالفة لهم في العقيدة والشريعة والأخلاق، ويجعل من علم اجتماع التربية علما إسلاميا، سواء في أهدافه أو محتواه أو أساليبه، علم يتفق والبيئة الإسلامية المراد ترقيتها وتنميتها، كما أنه يحافظ على الشخصية الإسلامية المتميزة لكل من الأستاذ والطالب و المحيط الاجتماعي من حوليهما .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد بعث الله عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنته ، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر — وإن لم يظهر لكثير من الخلق في

1 – محمد أبو يحيى، المرجع السابق ، ص ٦١

2 – أحمد فؤاد باشا ، في فقه العلم والحضارة ، مرجع سابق ، ص١٠٨

ذلك مفسدة ، ومن المفاسد : أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا و تشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس .

ومـنها: أن لمشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط حتى يرتفع التميز بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمة، هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحا محضا لو تجرد عن مشابهتهم ، فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقـتهم فـيه مـوافقة في نـوع من أنواع ضلالاتهم ومعاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له والله اعلم)) [1].

ومن المعلوم أن الكتاب الجامعي الذي يقرر في الجامعات الإسلامي يجب أن يلتزم بالتصور الإسلامي (للكون و الإنسان والحياة)، وأن يحتوي على المعايير الأخلاقية الإسلامية كما وردت في التشريع، فيحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله من الأقوال والأفعال والأفكار .

٣- التـراث الإجتماعي: ولقد اشتمل التراث الاجتماعي الإسلامي المستنبط من الوحي على فكر اجتماعـي إسـلاميا ، و هـو مبثوثا في كتب التفسير و شروح السنة النبوية و مؤلفات العلماء المسلمين المخـتلفة كالفقه و التاريخ والأدب و السير و السلوك وغيرها، والتي يجب أن نستفيد منه في إعداد محتوى علم اجتماع التربية الإسلامي بدلا من الأخذ من التراث والفكر الغربي .

فنحن نستمد من بعض النصوص القرآنية و النبوية القطعية الورود والدلالة، جملة من القوانين والسنن الاجتماعـية ، والـتي تكون أساسا لعلم الاجتماع العام وعلم اجتماع التربية خاصة والتي ناقشها العلماء المسلمون في إنتاجهم الفكري المختلف ، ومن أمثلة ذلك تأكيد أصل الإنسان ، و وحدة الجنس البشري ، وأن أبـوهم آدم وأن أصـلهم واحـد ، ولا فضل لجنس على جنس ولا للون على لون ، و أن التفاضل بالـتقوى ، و العـبودية الكاملة لله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (النساء /١)

و قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (يونس /١٩)

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف ٥٩)

1 - أحمد بن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم –دار عالم الكتب – توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ ، ص ص١١-٢٢

ج- الأساس الاجتماعي: من المعلوم أن محتوى علم اجتماع التربية يناقش قضايا ومشكلات وظواهر اجتماعية خاصة بالبيئة الإسلامية ، ويقدم لطلاب الجامعات العربية بواسطة علماء اجتماع أو تربية إسلاميين ، فكان حريٌّ بهم أن يشتمل على الأسس الاجتماعية الخاصة بالمجتمع الإسلامي وأن ينطلق من التصور الإسلامي للظواهر الاجتماعية ، وأن يعرض لمفهوم السنن الاجتماعية التي اشتمل عليها القرآن والسنة ، و أن يعرض لفهم المفكرين والاجتماعيين المسلمين لهذه القضايا والسنن وفقا للمنهجية الإسلامية

السنن الاجتماعية :

ظهر مصطلح السنن الكونية كتعبير عن القوانين الطبيعية ثم تبع ذلك ظهور مصطلح السنن الاجتماعية لترادف مفهوم القوانين الاجتماعية، وإن كانت السنن الكونيه قد لقيت من العلماء العناية نتيجة لتوفر التجارب والمناهج العلمية التي تساعدهم في التحقق من ذلك، فإن القوانين الاجتماعية (السنن الاجتماعية) لم تلق بعد ما لقيته في العلوم الطبيعية، وهذا يعود إلى عدم توفر المنهج المناسب لدراسة الظاهرة الاجتماعية ، وعدم توفر البحوث الاجتماعية الصادقة في هذا المجال .

تعريف السنن الاجتماعية: :

السنة في اللغة تعني السيرة ، حسنة كانت أو قبيحة ((والأصل في هذا اللفظ – السنة – الطريقة والسيرة . وفي حديث المجوس ((سنّوا بهم سنة أهل الكتاب)) أي خذوهم على طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية منهم مجراها .)) [1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ((والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول ، ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار)) [2]

ويعرف محمد أمين عثمان (السنة) في التصور الإسلامي العام: بأنها مجموعة نواميس ربانية ثابتة ، يسير وفقها الوجود كله بأحيائه وأشيائه . أما السنة في مجال الحضارة والتاريخ البشري العام فهي مجموعة نواميس وأحكام ربانية ثابتة تتحكم بحركة التاريخ وتبدل الحضارات بين الأمم وفق السنة الإلهية الكلية . [3]

1 – ابن منظور ، لسان العرب مرجع سابق ، ج١٧،ص٨٩

2 – ابن تيمية ،مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ، ج١٣،ص٦٩

3 – محمد أمين عثمان ، المنطلقات الأساسية في التربية، دار البيارق – ط الأولى ١٤٢١هـ الأردن .ص٦٩

ويعـرفها عبد الكريم زيدان بأنها (الطريقة المتبعة) فيقول : معنى (سنة الله) هي الطريقة المتبعة في معاملـة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه ، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة . [1]

وقـد ظهر في الآونة الأخيرة عند بعض الاجتماعيين الإسلاميين مصطلح السنن الاجتماعية أو سنن الله في المجـتمعات ، اقتباسا من لفظة السنة الواردة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (آل عمران ١٣٧)

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب ٦٢)

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح ٠٢٣)

وقد وردت مادة ((سنن)) في القرآن الكريم (١٨مرة) ضمن إحدى عشرة آية من (١٠سور) وقد جاءت بصيغتين، صيغة الجمع ((سنن))، وصيغة المفرد ((سنة)). [2]

وقد حدد علي القريشي القوانين والسنن الاجتماعية في ثلاثة أنواع:

١- قوانين و سنن حتمية، ليس للإنسان تأثيرٌ على وجودها، ولا على فعلها وتأثيرها، ومثلها سنة شمولية العقـاب الدنـيوي في المجتمع الظالم قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (الأنفـال ٠٢٥) وسـنة تلازم الإيمان والابتلاء قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (العنكبوت /٢)

٢- سـنن مشروطة: حيث يترابط فيها الشرط والجزاء، وذلك في إطار حادثتين، فيتحقق الجزاء كنتيجة محـتومة لتحقق الشرط كما في قوله: قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد /١١) والسنة الشرطية مرتبطة بإرادة الإنسان وفعله .

٣- سـنن الاتجاهات العامة الموضوعية في حركة التاريخ والمجتمع، والتي تمتاز علاقة الإنسان بها بالمرونة، حـيث تقـبل التحدي على المدى القصير، ولكنها لا تقبله على المدى البعيد، ذلك أن هذه السنن ستسـحق في الـنهاية مـن يـتحداها أو يحـاول الخـروج علـيها ... ومن أمثلتها سنن التدين

1 - عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية ، –مؤسسة الرسالة – ط الثانية – بيروت – ص١٣

2 - صديق عبد العظيم أبو الحسن، مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت – ع ٣١ ذو القعدة ١٤١٧هـ الكويت ص٥٩

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (الروم /٣٠) و سنة التزاوج بين الذكر والأنثى كاتجاه تكويني ركب في الطبيعة الإنسانية .[1]

ومن المعلوم أن السنن الاجتماعية هي (القانون العام الاجتماعي) وهي سنة الله تعالى التي تتعلق بأفعال البشر وسلوكهم ، وهي طريقته المتبعة في معاملته للبشر وما يترتب على ذلك من نتائج معينة في الدنيا والآخرة، كما أن سنة الله تتسم بالثبات والاطراد والعموم وهي مطردة لا تتخلف ، ويدل على اطرادها أن الله تعالى قص علينا قصص الأمم السابقة وما حل بها أن نتعظ و نعتبر و لا نفعل فعلهم لئلا يصيبينا ما أصابهم ،و لولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ و الاعتبار بها .[2]

الناظر إلى الآيات التي ورد فيها لفظ ((سنن أو سنة)) يجد أنها وردت في سياق الحديث عن سنن الأمم السابقة، وسنن لله تعالى، أنزلها بهم ترتيبا على أعمالهم الاختيارية التي التزموها ، فإن كان عناداً وتكذيبا لرسله ، و كفر بالله حاقت بهم سنة الله تعالى وهي عذابهم أو هلاكهم، قال تعالى: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٦١)

قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأحزاب٦٠-٠٦٢)

وإن كان تصديقا برسله واتباعا لهم ، وإيمانا بالله و توبة مما حصل منهم في حق الله تعالى و حق رسله تحقق لهم سنة الله تعالى ، وهي التمكين والنصر قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(الأعراف ١٢٨)

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (غافر ٠٥١)

1 - علي القريشي ، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، مرجع سابق ، ص ٨٣

2 - عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية ، مرجع سابق ، ص ص١٤-١٥

ومـــن أهـــم دلالات السنن الاجتماعية سنة التغيير أن الله (عز وجل) لا يغير حال قوم حتى يبدلوا ويغيروا ما بأنفسهم؛ فالتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع إلى أعلى، أو بالانتكاس والهبوط إلى أسفل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد: ١١]، فإذا وجدت الأسباب فالنتائج تتبعها؛ إذ إن حدوث التغيير من الله (عز وجل) مترتب على حدوثه من البشر سلباً وإيجاباً .[١]

ونتيجة لذلك: فالتغيير في واقع التربية والدعوة ومحيط الدعاة يتوقف على بذلهم ما في الوسع؛ لتتوجه الجهـــود إلى العمل الجاد في التغيير الذي يبدأ من داخل النفس، ومن داخل الصف المسلم، ومن ثَمّ: تنفذ فـــيهم ســـنة الله (تعـــالى) في التغـــيير؛ بـــناءً علـــى تعرضهم لهذه السنة من خلال سلوكهم وأعمالهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

ومن السنن الاجتماعية سنة التغيير قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]

أي إن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، أي ما اتصفت به أنفسهم من الأحوال الحميدة، فإذا حصل هذا التغيير منهم فقدوا ما عندهم من نعمة .[٢]

وقال الرازي في هذه الآية: إن كلام جميع المفسرين يدل على أن المراد : أن الله تعالى لا يغير ماهم فيه من النعم بإنزال الانتقام منهم إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد .[٣]

وقـــد كـــان النبي صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في مكة يمثلون الجماعة التي أخذت على عاتقها مسؤولية التغيير وحماية الحق الذي آمنت به، وإن كان من وراء ذلك جفوة الأهل وسخط العشيرة وعذاب المـــلأ من قريش ونكالهم، فلم يصرفهم الاضطهاد والفتنة عن أن يضطلعوا بأعباء الدعوة، ويسعوا جاهدين إلى تغيير ما بأنفسهم وتغيير واقعهم من واقع شركي إلى واقع إيماني، فترى تغيير الأنفس في النماذج الكثيرة من الجيل الأول الذي ما إن يشهد أن لا إله إلا الله، حتى يعود من فوره إلى بيته ليحطم الأصنام التي طالما عبدها، ويقطع العلائق والوشائج التي طالما وثقها حتى مع أقرب الناس إليه.[٤]

1 – محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٤

2 – إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم- مكتبة المعارف ط الثانية ١٩٧٧م الرياض ،ج٣، ص٥٣٠، الالوسي، روح المعاني، دار الفكر –بدون طبعة –بيروت ١٤٠٧هـ. ج٢٢، ص١٢٦

3 – الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير – دار الفكر بيروت –١٩٨٠م.ج١٩،ص ٢٢

4 – انظر: إسماعيل أبو الفداء عماد الدين بن كثير – السيرة النبوية ، بدون بلدة ، دار المعارف. –١٣٨٦هـ–١٩٦٦م ج ٢ ، ص ٢٠٧

(الحال الإيمانية الحية التي تمت نتيجة المجاهدة للنفس والشيطان قد أثمرت بالفعل تغييراً جذريّاً وانفصالاً كلياً عن الحياة السابقة، حيث انخلع المسلم من البيئة الجاهلية وعُرفها وتصورها وعاداتها وروابطها، وتلألأت عقيدة التوحيد في نفسه، وصار مع المؤمنين، مانحاً إياهم ولاءه وحبه. (١)

إن هلاك الأمم وتبدل المجتمعات و الأقوام وتبدل الأجيال و القرون دليل على السنن الإلهية في المجتمعات سواء عند بداية تكوينها أو في مراحل نموها وتطورها ، ثم أفولها أو فنائها ، كل ذلك وفق عوامل ومسببات ترتكبها الإنسانية في سيرها ثم لا تحاول التغيير أو التطوير ، وفي سنن البقاء التي رسمها الخالق سبحانه فتستعجل الأفول والفناء والأسباب والعوامل التي أبرزها الوحي (القرآن والسنة) أكثر من أن تحصى ، ولكن يكفي المتأمل تلك الأسباب والعوامل الرئيسة والمتكررة في أكثر من مثال وبيان قرآني .

فالقرآن أكد أن الشرك وعبادة غير الله من الأمراض التي تصيب المجتمعات الإنسانية مما يعجل بفنائها و استبدالها ، وهذا قانون اجتماعي صارم لا يتخلف ، و هو الذي عجل بزوال الأقوام السابقة من لدن نوح عليه السلام إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهذا القانون الاجتماعي أنذر به نوح عليه السلام قومه به فلم يستجيبوا له فكان الهلاك غرقا . قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعراف ٠٥٩)

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (يونس ٠٧٤)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ ﴾ (النحل ٠٣٦)

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (آل عمران ١٣٧)

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٦٢)

1 – محمد أمحزون، العلم بالسنن الربانية (٢من٢)، مجلة البيان ١٦٦، ١٤١٨هـ ص٨٤

إن القرآن يلفت النظر إلى سنن الله في المجتمع الإنساني ؛ إذ ليس القانون الاجتماعي إلا الترابط المطرد بطريقة ما بين ظاهرتين أو ظواهر اجتماعية، بل إن القرآن يذكر صراحة أن لله سننا في الأمم والجماعات ، ويدعـــو إلى الســـير إليها والتفكر فيها ...إن القرآن يلفت النظر إلى سننه في المجتمع ، وأنها صارمة ودقيقة كسننه في الطبيعة وان الأمم لها أجال الأفراد تبعا لأسباب قدرها في صحتها وإمراضها قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤ ﴾ (الأعراف ٣٤) [١]

وعلم اجتماع التربية الإسلامي ينسجم في محتواه و مناهج بحثه مع السنن الاجتماعية فهو يدرك أن من السنن الاجتماعية السلبية ، سنة تسلط الكبراء والمترفين على المجتمعات ، و نشر المجون والهوى ، والصد عـــن سبيل الله ، ومنع الأنبياء والمصلحين من الدعوة لله ، و دعوتهم إلى متابعة وتقليد الآباء ، وإصرارهم علـــى الظلم والعدوان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا ۝١٦ ﴾ (الإسراء ٠١٦)

ولهـــذا كـــان المثير من التغير الاجتماعي الذي يحدث في المجتمعات سببه الترف والمجون مما يدخله الأغنـــياء و أصحاب اللهو علة المجتمعات فيحدث بسببه كثير من الفاسد والقيم السلبية مثل انتشار المظاهر الفاسدة كتعظيم أصحاب الفن واللهو والسخرية بأصحاب الفضائل والعلماء والمصلحين .

قـــال الألوســـي في تفسير هذه الآية: وإذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها -أي متنعميها- وجـــباريها وملوكها ففسقوا فيها فحق عليها القول فأهلكناها . وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع تـــوجه الأمر بالطاعة إلى الجميع لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وما وقع من سواهم إنما وقع بأتباعهم وأغنيائهم ، فكان توجه الأمر إليهم آكد. [٢]

وجاء في تفسير ابن كثير ((إن أولئك القوم الظلمة الذين أبطرتهم النعمة وأطغتهم وردوا الحق الذي جاءهم من ربهم فظلموا أنفسهم بذلك وظلموا غيرهم فاستحقوا العذاب .[٣]

ولهـــذا فـــإن سيطرة الأغنياء والمترفين و أهل الأهواء الذين لا يتقون الله تعالى في السر والعلن على التربية ومناهجها يعد من عوامل الانحراف الذي قد يقود المجتمعات إلى عواقب سيئة .

ولهـــذا فمـــن أهداف علم اجتماع التربية بحيث مثل هذه الظواهر وبيان أخطارها على المجتمع ونقد الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه وبيان سوء العواقب في التمادي في مثل هذه الظواهر .

---

1 - محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق ، ص٣٦،

2 - محمود الألوسي – روح المعاني – دار الفكر –بدون طبعة –بيروت ١٤٠٧هـ- ١٥، ص٤٢

3 - إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ج٢، ص١٤٧

ومن السنن الاجتماعية التي تقود إلى الهلاك والتي كرر القرآن التحذير منها ، ظاهرة الظلم والعدوان بغير حق قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ (القصص ٠٥٩)

و قال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنبياء ٠١١)

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في تحريم الظلم بكل أشكاله ، و الأمر بالعدل على إطلاقه لأن العدل ينهى ويزيل الظلم قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل ٠٩٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((لأنه — العدل _ هو الذي أنزلت به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم وهو محرم كما جاء في الحديث القدسي كما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)) [1]

ومن السنن الاجتماعية التي توجب الهلاك والتغيير، ظهور الفاحشة قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ (هود ٠٨١-٠٨٢)

وفي مثل هذه النصوص السابقة وغيرها، تبرز عوامل الارتباط بين الأسباب والمسببات، التي تنتج حقائق حتمية، ذلك أن بعض السنن الربانية تقول للإنسان: إنه إذا اختار كذا فإن النتيجة الحتمية لهذا الاختيار هي كذا، فهي تدع له حرية الاختيار ولكنها ترتب نتيجة معينة ثابتة لا تتغير .[2]

ولهذا يجب إعداد محتوى وناهج علم اجتماع التربية وفق السنن الاجتماعية التي بينها الشارع الحكيم من اجل حماية المجتمعات وصيانتها من الزلل ، وتربية الناشئة على اتقاء هذه السنن و إدراك نتائجها على مستوى الفرد والجماعة .

---

1 – ابن تيمية ، الفتوى الكبرى، مرجع سابق ج١ ،ص ٣٥٣

2 – محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ص٩٤

٢– معايير اختيار أو إعداد محتوى كتب علم اجتماع التربية

ويرى محمد جميل خياط في مؤلفه (الكتاب الجامعي وأثر في بناء الشخصية الإسلامية) أن هناك معايير يرى الالتزام بها في تأليف الكتب الجامعية ، ومنها ما يلي[1]:

١– أن يخدم أهداف التربية الإسلامية وفي مقدمتها تعزيز الإيمان بالله سبحانه وتعالى في نفوس الدارسين وبناء الشخصية الإسلامية المتزنة.

٢– أن تكون المادة المكتوبة (المحتوى) نابعةً من الفكر الإسلامي ومتمشية من حيث المبدأ مع التعاليم الواردة في الكتاب والسنة .

٣– أن لا تؤدي المادة المكتوبة به (المحتوى) إلى إثارة الشكوك في العقيدة أو بلبلة الفكر ، أو الجدل الذي لا طائل من ورائه في نفوس الدارسين .

٤– أن تكون كتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، صحيحة، ومستخدمة في أماكنها .

٥– أن تخدم المادة العلمية التي يحويها (الكتاب) الأغراض العامة للمجتمع، أي أنها تطابق الثقافة العامة للمجتمع وتتمشى مع عاداته وتقاليده – التي لا تخالف مبادئ الإسلام وقيمه – وأن لا تدعو لأي انحلال أو فساد.

٦– ويضيف بشير التوم، المعايير التالية التي تهدف إلى ضبط محتوى الكتاب الجامعي الذي يقدم إلى الدارسين في الجامعات الإسلامية :

٧– أن تكون الموضوعات التي تناقش ذات صلة بالتربية وبما يفيد المعلم عند أداء واجبه في المدرسة والمجتمع .

٨– أعادة النظر فيما كتب في العلوم التربوية الغربية على أن يستفاد مما يتمشى مع المبادئ الإسلامية، ويحذف ما يتعارض معها. [2]

٩– الاستفادة من المفكرين المسلمين الذين عاصروا الحضارة الغربية وعرفوا خباياها واطلعوا على أهدافها و غاياتها و خاصة في القضايا الإنسانية المعاصرة (اجتماعية، وسياسية، و اقتصادية، وتربوية ..) في إعداد محتوى علم اجتماع التربية .

١٠– التحذير من استيراد المناهج التربوية الغربية ومنها علم اجتماع التربية ، لما تحمله من مضامين ثقافية غربية لا تتفق مع ثقافتنا الإسلامية، وحماية الأمة من الذوبان والتآكل والاحتواء من قبل

---

1 –محمد جميل خياط – الكتاب الجامعي وأثر في بناء الشخصية الإسلامية، ، مرجع سابق ص ص٢٩–٣٠

2 – بشير التوم ، تأصيل تربية المعلم، مطابع الصفا – مكة المكرمة –١٤١٠هـ.ص ص ٤٤–٤٥

الآخـــرين والحفـــاظ علـــى ذاتية الأمة أمام رياح الثقافات الوافدة، وتخلص من المفاهيم الغربية والقضايا الاستعمارية المتعلقة بالثقافة والتربية والتعليم .[١]

١١- يجب أن يكون المحتوى خاليا من المصطلحات والكلمات الأجنبية، فلغة القرآن الكريم قادرة على استيعاب سائر العلوم .[٢]

١٢- يجب عرض محتوى علم اجتماع التربية الإسلامي بلسان عربي متميز، وأن يكون المؤلف متمكنا من الفكر الإسلامي، إلى جانب تخصصه في علم اجتماع التربية .

وهـــناك بعض الضوابط الإسلامية في الإفادة من الخبرات البشرية النافعة في علم اجتماع التربية يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- أن لا تتعارض الإفادة من الخبرات البشرية النافعة مع العقيدة الإسلامية ومنهج الإسلام في الحياة .
- أن لا يـــوجد في الإســـلام مـــا يغني عنها، وهذا يوجب على العلماء المسلمين أن يتأملوا المصادر الإسلامية، والبحث فيها والتريث قبل أخذ المعلومة عن الآخرين .
- أن نجـــري عليها التعديلات اللازمة لتتطابق مع ديننا الإسلامي ، فلا نأخذ ما عند الآخرين دون تصـــفية أو تنقية، فكما لا يجوز في الإسلام رفض كل شيء نافع فإنه لا يجوز قبول كل شيء من الآخرين دون تحقيق أو تمحيص .
- إن الخطر الحقيقي لا يكمن في نقل جوانب المعرفة العلمية، وجوانب الحضارة الغربية المشرقة، التي أسهم المسلمون في بنائها، ولكنه يكمن في الذوبان والضياع في متاهات هذه الحضارة الشاردة عن الله تعالى ومنهجه في الحياة .[٣]

ويرى علي القريشي أن إعداد محتوى لمقررات العلوم الاجتماعية في الجامعات في العالم الإسلامي لا يـــتم بمجـــرد التوفيق بين النصوص الدينية ومفردات هذه العلوم، ولا بمجرد استعراض إسهامات العلماء المسلمين فيها، بل بتأصيلها من منطلق المنهج المعرفي الإسلامي، ومرتكزاته ولهذا يجب أن يستعان بالمصادر التالية:

- مـــا تمـــت بلـــورته من قبل العلماء والمفكرين والباحثين المسلمين من مسلمات وثوابت إسلامية، وحقائق علمية موضوعية ، مطلقة أو نسبية .

---

1 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق ص٥٨

2 – عبد الرحمن صالح عبد الله، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، مرجع سابق ص٣٥

3 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ص٧٨

- ما تم إنتاجه في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية ممن ينطوي على حقائق علمية ثبت إطلاقها ،
- البحوث و الدراسات والدراسات التي تم إنجازها من قبل باحثين يعتمدون المنهج المعرفي الإسلامي[1]

1 - علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا أنموذجا، مرجع سابق، ص ص١٤٨-١٤٩

المبحث الرابع

التوجيه الإسلامي للبحث في علم اجتماع التربية

لقد كان للمنهجية الغربية أسلوبها في دراسة الظاهرة الاجتماعية إذ المنهج الوضعي له طريقته الخاصة في إنكار الثوابت والقيم مدفوعاً في ذلك بأسباب ودوافع تاريخية واجتماعية وعقائدية مرتبطة بالبيئة الأوربية والاستبداد الكنسي الذي سعى إلى الثبات والجمود على صبغ فكرية متحجرة تناهض العقل والفكر الصحيح بل والدين الصريح .

ولهذا نظرت المنهجية الوضعية إلى الظاهرة الاجتماعية بأنها جزء من طبيعة وتحكمها نفس القوانين الطبيعية ولذا فلا بد أن تدرس هذه الظواهر الاجتماعية بنفس المنهج الذي أثبتت صلاحيته وقدرته على الوصل الحقيقة في العلوم المادية ولهذا كان تحول كثير من الباحثين الاجتماعية إلى المدرسة الوضعية والأخذ بأساليبها ومناهجه في دارسة الظاهرة الاجتماعية ومحالة تقنينها وضبطها من اجل الوصول إلى قدرة على التنبؤ والتحكم في السلوك الإنساني ومحاولة ضبطه ميكانيكا ، جعل هؤلاء الباحثين يضطربون في مناهجهم ونتائجهم ؛حيث أن الظاهرة الاجتماعية تختلف في موضوعها الذي هو الإنسان الكائن الحر والعاقل ، عن الظاهرة الطبيعية التي موضوعها الجمادات مسلوبة الإرادة والحرية المطبوعة على السكون والثبات النسبي .

يقول حسن الساعاتي حول هذه الإشكالية ((أن إصرار الباحثين في العلوم الاجتماعية على ترسم خطى زملائهم في العلوم الطبيعية ، وتمسكهم بمنهجهم الذي يتبعونه وهو المنهج التجريبي ، وخلطهم بين التجربة والتجريب ونسبتهم كل تفكير علمي ومنهج فكري إلى التجريب ..لا شك أن ذلك كله قد خلق إشكالا منهجيا بلبل أفكار الباحثين والدارسين على السواء ، فاصبحوا على عكس زملائهم في العلوم الطبيعية ، لا يجمعهم نسق منهجي موحد ، لان أمور المنهج قد اختلطت في أذهانهم كما بينا ..))([1])

ولهذا كان هناك كثير من الإشكال والجدل في أن المنهج التجريبي محمود المجال في العلوم الاجتماعية ويصعب تطبيقه بل يستحيل إعادة الظاهر الاجتماعي مرة أخرى أو تحضيرها في المختبر أو توفير نفس الظروف والأسباب زمنيا ومكانيا وذلك من اجل الوصول إلى نتائج تجريبية ثابته.

ولهذا كان وجود منهج يستطيع الباحث من خلاله أن يصل إلى اكبر قدر من الحقيقة في دراسة الظاهرة الاجتماعية .

ثم إن الباحث المسلم يدرك ما وصلت إليه البحوث والدراسات المتعلقة بطبيعة المعرفة وجذورها وطرقها وتحديداتها ، و نجد أن الدراسات الأصولية (الاثنوغرافية) والدراسات الحديثة في علم النفس

[1]ـ حسن الساعاتي ، مؤتمر إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي ص٥١

الادراكـــي ، تشير كلها إلى وجود علاقة بين المعرفة المستقاة من الواقع الاجتماعي وذاتية الباحث والفكر الذي ينطلق منه.. فالظروف السياسية والاجتماعية واللغوية لكل أمة ونظرتها الفلسفية للحياة تحدد إطار المعرفة ..وقد ترتب على هذا المنظور الجديد للمعرفة الإنسانية عدة اعتبارات من أهمها:

- التفريق بين الحقائق الطبيعية والحقائق الاجتماعية ، فالأخيرة تختلف اختلافا جذريا في ماهيتها عن الأولى ، ولذا فإن طرق دراستها تتطلب الأخذ بمعايير تتفق مع طبيعتها .
- القول بنسبية المعرفة الإنسانية ،و التأكيد على تأثر هذه المعرفة بالقيم والرغبات والدوافع الإنسانية عبر التاريخ الإنساني، لذا فالمعارف الإنسانية متعددة ومتنوعة بتنوع الثقافات البشرية .
- إن الباحث، خاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية مقيد عند نظرته للأشياء أو المواضيع من حوله بأفكار ومفاهيم أو نظريات مسبقة عن الأشياء والمواضيع قبل دراستها .
- إن الواقـــع أو الموضوع لا يوجدان بمعزل عن ذات الإنسان، فالإنسان هو الذي يوجد صور هذه الأشياء، ويخلق هذا الواقع من خلال الرموز والجمل اللغوية التي تصف وتعبر بها عن هذا الواقع .
- إن المعرفة الإنسانية نسبية وقاصرة ومحددة بالأطر الإيديولوجية والفلسفية والثقافية لكل أمة
- الاعتقاد بأن المعرفة في الغرب صورة متطابقة للقيم والطموحات الإيديولوجية الرأسمالية لتلك الدول وهي تخدم مصالحها .
- الـــتخلص من عيوب المنظور الامبريقي الذي يجزئ المعرفة الإنسانية، ولا يأخذ في الاعتبار الأنواع الأخرى المتعددة للوصول إلى هذه المعرفة، كالوحي والحدس والاستبصار، والنظر إلى مشاكل الحياة بطريقة ميكانيكية تقنية وليس من خلال إطار شمولي يتفق مع ما للحقائق الاجتماعية والإنسانية من خصائص معقدة ومركبة وتراكمية . [1]

ومن هذا المنطلق يجب على الباحث المسلم في علم اجتماع التربية أن يتميز عن غيره من الباحثين في أسلوب بحثه وطرحه الفكري بما يتناسب والحقيقة الكونية والاجتماعية وفق المعرفة الإسلامية التي تنبثق من التصور الإسلامي القويم، وهذه هي المنهجية الإسلامية التي يتميز بها الباحث المسلم في اختياره لموضوعات البحث، و تصميمه للبحث، و الأخلاقيات الإسلامية التي تحكم الباحث والبحث و نتائجه .

ويـــؤكد على القريشي: أن العلم في الرؤية المعرفية الإسلامية ينطوي على غايات ((علمية)) وأخرى ((اجتماعـــية))، وإذا كـــان اختيار الباحث لموضوعاته ومفاهيمه يتم في إطار المقتضى الموضوعي الذي

1 – محمد عيسى فهيم، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب، مرجع سابق، ص ص٢٥– ٢٧

تفرضـــه ضرورات البحث عن الحقيقة ، وهدف التوصل إلى النتائج العلمية الصحيحة، فالتحليل والتفسير سينطويان على خصوصية إسلامية قد لا تتفق مع التحليل والتفسير اللذين يقدمهما باحث آخر يصدر عن رؤيـــة أخرى ...ومما يجب أن نشير إليه هنا هو أن الباحث المسلم يتميز عن غيره بأنه لا يتجاهل الأبعاد الروحية والغيبية في عمليات التحليل والتفسير، فضلا عن عدم تجاهل القيم التي تحكم الواقع على نحو م [1].

إن اختـــيار موضوع البحث في علم اجتماع التربية الإسلامي، يفرض على الباحث أن يقدر الصلة القـــوية و المناسبة بين المشكلة أو الموضوع أو الظاهرة المراد بحثها ، وبين الواقع الفعلي الممارس على ارض الواقع في البيئة التعليمية في المجتمع المسلم، حيث غلب على البحوث العصرية التي قام بها بعض الباحثين في علـــم اجتماع التربية ، والتي تعتمد على الصيغة التجريبية التحليلية المستوردة من الخارج، إصرار الباحثين علـــى اختيار موضوعات أو ظواهر تتناسب والمنهجية المستوردة، و قد ينتج عن هذا الاختيار عزل عوامل وعلاقات داخل هذه الموضوعات المبحوثة لكونها لا تخضع لهذه المنهجية أو لا تعترف بها في بيئتها الأصلية، وبـــناء علـــى هذه البحوث الانتقائية تكون النتائج ناقصة و غير ناضجة مما يضعف هذه النتائج ويقلل من الركون عليها .

وإن الواقعـــية الـــتي يجب أن يبني عليها الباحث اختياره للمشكلة المراد بحثها ، حيث تكون شديدة الصلة بالواقع الكائن في العمليات التعليمية، حيث هي الأجدر بدراستها من المشاكل الخيالية أو المستقبلية حيث إن البدء بالواقع المعاشي وحل مشكلاته هو فرض الكفاية الواجب تحقيقه الآن .

أولا – مقومات التوجيه الإسلامي للبحث في علم اجتماع التربية:

إن المنهجية الإسلامية للعلوم الاجتماعية تنطلق من مقومات تتميز بالثبات و تخضع الباحثين للالتزام والاعـــتقاد بهـــا ، ورؤية الوجود وفقا لهذه المنهجية ، والباحث في علم اجتماع التربية يلتزم بهذه المنهجية ومقوماتها ، ومن هذه المقومات ما يلي:

تحقيق التوحيد: هو الثابت الأول و مصدرُ كل المسلمات الفكرية والإيمانية وهو منبع العلم والمعرفة قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (البقرة ٢٨٢)

و قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (الروم ٠٥٦)

قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ (سبأ ٠٠٦)

1 – على القريشي ، الغرب ودراسة الأخر، أفريقيا أنموذجا، مرجع سابق، ص ص ٩٣-٩٤

إن المنهج الإسلامي قائمٌ على أصل متين هو الوحي (القرآن والسنة) وهذا يعني أن المنهجية الإسلامية تستقي مصادرها من أصل واحد لا يعتريه التضاد ولا التناقض بعكس المنهجية الغربية التي تنبع من منابع وضعية أرضية شتى، وعقيدة التوحيد الإسلامية هي التي تحفظ كرامة الإنسان وتعلي من قدره .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء ٠٧٠)

والباحث المسلم في علم اجتماع التربية لا يخضع لسلطة غير سلطة الخالق سبحانه و تحرره من سلطان العبودية للعقائد الوثنية أو الأساطير والخرافات والمذاهب الوضعية الفاسدة ، فالله تعالى هو الحق المطلق ، و هو مصدر كل الحقائق المعرفية المبثوثة في الكون ، والتي دعا الإنسان إلى البحث عنها ، واستقراء الوجود من حوله من أجل تحقيق عمارة الكون المسخر له قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة ٠٢٩)

وفي ظل عقيدة التوحيد تتحقق "أسلمة " العلوم ومناهجها وتقنيتها بمعناها الصحيح، ويصبح المفهوم الإسلامي للعلم أوسع وأشمل، بعالميه الغيبي والمحسوس وتتحقق معاني الربوبية في نفوس الناس عندما يدلهم العلم على بديع صنع الله و عظم الصانع وإبداعه ، و هذا التفكر هو الذي يلزمهم بتحقيق توحيد الألوهية والذي مقتضاه صرف أعمال العباد لله تعالى .

إن الإسلام دين حياة كامل أقام للإنسان كل ما فيه صلاح دنياه وأخرته قال تعالى:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (البقرة ٢٠٨)

يقول أبو الحسن الندوي ((يتبادر إلى الذهن بادئ ذي بدء أن تستخدم كلمة ((الإسلام)) في موضع السلم، وهو ((ادخلوا في الإسلام كافة)) ولكنه أمرهم بالدخول في ((السلم))كافة، وهي أن تكون المعاملة مع الله معاملة استسلام وانقياد، وخضوع كامل بجميع معاني هذه الكلمات ومقتضياها ومضموناها: العقائد، والعبادات، والسلوك الفردي والاجتماعي، وجوانب الحياة كلها، موافقة ما جاء به

سـيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، من عند رب العالمين، ومطابقة للأوامر الإلهية والأحكام الربانية، ولا تكون العلاقات مبنية على موالاة لأعداء الله والخضوع لأوامرهم .[1]

إن علـى الباحـثين في علـم اجتماع التربية أن ينهجوا نهج علماء الإسلام في صياغتهم لأفكارهم وثقافـاتهم وتصرفاتهم وفق الأصول الشرعية الكلية حتى تأخذ الصفة الدينية التي تستمد شرعيتها من عقيد التوحـيد، وهو الميزان الذي به كل المنطلقات والتصورات وتضبط به كل الآراء والفلسفات والمعتقدات مهمـا تعددت منابعها و مفاهيمها، وهو مجموع هذه الموازين التي تحفظ به قدسية الوحي وعصمة الرسالة من فقدان معالمها لتظل الرؤية المهيمنة على العقل المسلم هي رؤية الوحي ، ويظل الزمام الذي يتمسك به العقل المسلم هو زمام الرسالة، وهو الضمان لاستمرارية الوحي بالمجهود البشري، والغاية منه جعل الهيمنة على أفعال الإنسان للوحي وصبغة الحياة بالصبغة الشرعية، وتحقيق معنى الألوهية في الأرض .[2]

ب–على الباحث في علم اجتماع التربية أن يدرك إن العالم ينقسم إلى عالم الغيب وعالم الشهادة: وأنهما يتداخلان ويتفاعلان بصفة دائمة ويستحيل الفصل بينهما .

((فالعـالم عالمان يتدخلان ويتفاعلان في أفكار البشر ووجدانهم ،عالم الغيب المتصل بذات الله وصفاته والحياة الآخرة والملائكة والجن والروح ، وعالم الشهادة ويدخل فيه كل ما في الأرض وفي الكون من أشياء وأحداث وظواهر وعلاقات تجري وفقا لسنن الله ، ومصدر العلم بعالم الغيب هو الله قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام ٠٥٩) ، والمعارف المتصلة بعالم الغيب هو ما أخبر الله الـناس به عن طريق الأنبياء والرسل ، والإيمان بالغيب ضرورة في الاعتقاد الإسلامي وإنكاره يخرج الفرد من زمرة المؤمنين ، أما عالم الشهادة فيمثله كتاب الكون المفتوح ،وقد هيأ الله الإنسان لمعرفة هذا العالم وحثه على أن يقرأ كتابه ، وأن يتأمل ما فيه من حركة دائبة لا تتوقف ، وتناسق لا يختل و لا يتبدل ، وفقا للسنن التي فطر الله مخلوقاته عليها ؛ من أمم ومن طير ، ومن حيوان ، ومن نبات ، ومن ظواهر وأفلاك .)) [3]

1 – أبو الحسن الندوي، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، مرجع سابق، ص٢٤

2 – محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، مرجع سابق، ص٤٠٠

3 – أحمـد المهـدي عبد الحليم ، البحث التربوي ، الأزمة والمخرج ، نقلا عن جمال الهنيدي ،تربية علماء الطبيعة والكونيات المسلمين ، دار الوفاء – ط الأولى ١٤٢١هـ مصر ص٦٤

إن الشمولية الإسلامية لهذين العالمين تقتضي أن ينظر الباحث بعين على عالم الشهادة ، والأخرى على عالم الغيب، عين على عالم الحياة، والأخرى على عالم الآخرة ، عين على الروح، وأخرى على الجسد، فلا غرابة في هذه الثنائية في النظرة نستقيها من خاصية التوحيد ، والتي تؤمن بأن الله هو خالق لعالم الغيب والشهادة ، وهو الهادي إلى كشف مكنونها وأسرارها، ويجب أن نرى الجزء في ضوء الكل .

لهذا نجد أن الباحثين في علم اجتماع التربية عندما فقدوا هذا الخاصية جاءت أبحاثهم ناقصة أو شبة ميته ،و لم تقدم للمجتمع الإسلامي والإنساني كثير فائدة ،ولهذا نجد كثيرا من الباحثين في علم اجتماع التربية يدرك مثل هذه النتيجة وسببه انه قارن أو ساوى بين الواقع الاجتماعي المسلم بالواقع الاجتماعي الغربي الكافر الذي ينكر في كثير من أعماله العالم الغيب وأثره في الكون ، بعكس المسلم الذي كل أعماله اليومية يسخرها في تحقيق سعادته المادية الدنيوية والأخروية ،ويمزج فيها بيم عالم الغيب متمثلا في توكله واستعانته واستغاثته بالله وبين عالم الشهادة في اعتماده على قدرته المادية وتفكيره العقلي وتسخير كل الواقع من حوله من اجل تحقيق أهدافه

ج- والباحث في علم اجتماع التربية يؤمن بالنواميس الكونية: إذ لابد للمسلم من تفسير شامل للوجود ، يتعامل على أساسه مع هذا الوجود ، فلابد من أن يفهم حقيقة الألوهية ، وحقيقة الكون ، وحقيقة الحياة ، وحقيقة الإنسان وما بينها جميعا من ارتباط .[1]

ثم إن سنن الحياة التي تجري في الأشياء – في خلقها ونموها وحركاتها وتحولاتها _ هي نواميس و سنن كونية تقع بمشيئة الله وقدره (نفي الحتمية عنها)

قال تعالى:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ (الأعلى ٠٠١-٠٠٣)

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ (طه ٠٥٠)

يلح القرآن الكريم – لمن تدبره وعقله – على أهمية السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى لهذا الكون، ولتسير فطرة الإنسان عليها، وهذه السنن صالحة، صلاحاً شاملاً لأنها غير مقيدة بالزمان أو المكان، ويعتقد

1 – سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – دار الشروق – ط السابعة – ١٤٠٢هـ بيروت .،ص٢٠

المســـلمون أن تاريخ الأمم وأيام الله في أهل طاعته وأهل معصيته ما هي إلا تفاصيل لجزئيات هذه السنن وعرّفنا الله سبحانه من الأسباب الكلية للخير والشر [١]

وعلى الباحث المسلم أن يدر أن هناك سنن الله في المجتمعات وهي: وقائع الله التي تجري إرادته تعالى بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها و لم يتحولوا عنها، ثوابا لمن وافقوا منهج الله، أو عقابا لمن كفروا أو شاقوا الله ودعاته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو إملاء أو استدراجا للطغاة، وكذا ما وضع الله لعباده من الشرائع .[٢]

د- و الـــبحث في علم اجتماع التربية لا يتجاهل طبيعة الإنسان: فلقد تحدث الوحي الإلهي عن قصة خلق الإنسان، وتكوينه ن وهذا مصدر له عن اصل الإنسان و تكوينه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة ٠٣٠)

وقد صاحب هذا الإعداد التكريم للأصل الإنساني منذ مراحل الخلق الأولى من الطين، حين خلقه الله بـــيده (فعـــن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم «يُجمع المؤمنون يومَ القيامة فيقولون: لو استَشْفَعْنا إلى ربنا فيريحَنا من مكانِنا هذا فيأتُون آدمَ فيقولونَ له أنتَ آدمُ أبو البشر خلقكَ اللَّهُ بيده وأسجدَ لكَ الملائكة، وعلَّمك أسماء كل شيءٍ، فاشفع لنا إلى ربنا حتى يُريحَنا ...».[٣] و أكرمه حين نفـــخ فيه من روحه، و أكرمه بأن أسجد له الملائكة: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (البقرة ٠٣٣-٠٣٤)

و أكـــرمه حين فضله على جميع المخلوقات، بتحميله الأمانة والتكليف: قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٧٢)

1 – محمد العبدة، معالم حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، مجلة البيان، ع١-السنة الأولى -المنتدى الإسلامي – لندن -١٤٠٦ هـــ.، ص٧٥

2 – صديق عبد العظيم أبو الحسن، مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٥٦

3 – محمد بن إسماعيل البخاري، ، مرجع سابق، رقم الحديث ٧٣٥٠

ثم لما أهبط إلى الأرض جعله سيد الكون، وسخر له جميع المخلوقات،قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة /٢٩)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء ٧٠٠)

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة لقمان /٢٠)

وهذا التكريم ((ماثل في كيانه المتميز على سائر الأحياء، وفي أنه أكرم من كل خلق الله من ماديات، لأن كل مادي مخلوق له، وتميز الإنسان على سائر الأحياء يتمثل في قدرته على إدراك المؤثرات الكونية، والانفعال بها، والاستجابة لها بكل ما ركب فيه من حواس وعقل وطاقات مختلفة تجعله قادراً على التفكير، والتأمل والتذكر، والتوقع، والتخيل والاختيار الحر المسئول في الفكر وفي الفعل، وفي القدرة على تجاوز محددات السباق الزماني والمكاني ٠ وتلك هي روحه — نفخة من روح الله — التي جعلت وجوده أكبر من مجرد الحياة الحيوانية ٠)) [١]

فهذه المنطلقات الفكرية حول مفهوم الإنسان في الإسلام، ضرورية لكل باحث في علم اجتماع التربية الذي يبحث في قضايا التربية والتي ميدانها الوحيد هو الإنسان ((فقبل أن يبدأ الباحث تجربته لا بد وأن يكون لديه حكم ومفهوم مسبق عن الظاهرة التي يدرسها، وهذا الحكم أو المفهوم النظري المسبق مأخوذ من التراث والأطر الفلسفية والعلمية ، والمسلمات التي يدين بها كل باحث في ذلك الحقل، وهذا الحكم أو النظرة المسبقة ستحدد — بلا شك — المادة والمعلومات التي ستختار من ضمن الألوف من المعلومات المتوفرة ، وتبين أيضا طريقة البحث ، وتؤثر على تفسيرات الباحث النهائية للظاهرة موضوع البحث٠)) [٢]

1 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي، ، مرجع سابق، ص ٤٣

2 – محمد عيسى فهيم، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب ، مرجع سابق، ص٢٢

ولهــذا فالباحث في علم اجتماع التربية عندما يبحث الظاهرة الاجتماعية أو التربوية فهو ينطلق من معرفته السابقة ومن عقيدته التي ترسم تصوره للكون والحياة من حوله ولهذا فانه يستحيل تجرد الباحثين من أفكارهم وعقائدهم التي توجه تفكيرهم أو سلوكهم أثناء دراسة الظاهرة .

هـ– ويجب أن يدرك الباحث أن الدين الإسلامي احترم وقدس العقل: فلقد أنزل الله تعالى على نبـيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم معجزة عقلية تخاطب العقل وتُعلي من قدره، والقرآن يذم الذين لا يحترمون هذه النعمة الإلهية – تكريم الإنسان بالعقل– ولا يستخدمونها في معرفة الحق والبحث عنه ولـــذا نجد أن مادة (أفلا تعقلون) قد وردت في القرآن الكريم ٢٤مرة ، و تكررت مادة (تعقلون) ٢٢ مرة، وفي السنة النبوية تعظيم للعقل والعقلاء ومحاربة للجهل والخرافة والأساطير .

العقل هو الأداة الكبرى للمعرفة، ويتفرع عنه التفكير والإرادة والاختيار، وكسب العلوم، لذلك كان الإنسان مسؤولا عما يصدر عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء ٠٣٦)

((والعقل هو موجه الإنسان ، ودافعه ووسيلته إلى إدراك موقعه وغايته من الحياة ، وهو موجهه ودافعه ووسيلته في طلب علم الغيب والتلقي عن رسالات الوحي ، والعقــل وقدرته على الإدراك والتمييز والتمحيص هو وسيلة الإنسان إلى إدراك فحــوى الوحــي ، ووضعه موضع الإرشاد والتوجيه لعمل الإنسان وبناء الحياة ونظمهــا وإنجازاتها بما يحقق غاية الوحي ومقاصده وتوجيهاته وأحكامه ، والعقل هو الذي يمكن الإرادة الإنسانية من الخيار ويضعها أمام مسئولية المسلك والمصير .)) [١]

ومن مظاهر تكريم العقل عند الباحث المسلم في علم اجتماع التربية في الإسلام:

١) إن التفســير الديني الصحيح للإنسان والكون والحياة وما وراء الحياة هو في حد ذاته تكريم للعقل الانساني.

٢) دعــوة العقــل للتفكر والبحث والتأمل في الكون ، وسبر دقائقه، وكشف أسراره والاستفادة من خيراته، والتمتع بطيبياته، والبحث بواسطة العقل في مشكلات الحياة وقضايا الوجود.

1 – عــبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، ط الأولى – منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي – سلسلة إسلامية المعرفة (٩) ١ ٩٩١م ص١٣١

٣) الدعـــوة إلى العلم: ونتيجة للبحث والتفكير ينتج العلم الذي دعا إليه الإسلام بأوسع أبوابه نظريا وعلميا ٠

٤) ربط التكليف بالعقل: وتظهر رعاية الإسلام للعقل البشري بأنه ربط التكليف في الأحكام الشرعية وجوبا وندبا وإباحة وكراهة وتحريما بالعقل ٠

٥) العقل والإيمان: إن القرآن الكريم ربط بين الإيمان و الكفر من جانب، والعقل الإنساني من جانب آخر لأنه وظيفة العقل الأساسية ٠[1]

وتـــنهج التـــربية العقلـــية في الإســـلام منهج البحث العلمي الدقيق سعيا وراء الحقيقة لأن العقيدة الإسلامية جاءت تحرر الفكر البشري من أسر الأوهام والخرافة ، وتقيم دعائم الإيمان على أساس من اليقين العلمي الذي يعتمد على وسائل الإدراك الصحيحة، و تتجاب أمامه الظنون والشبهات قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء ٣٦٠)

ونعـــى الإسلام على أولئك الذين يلقون بأنفسهم في متاهات الظنون، فتحجب عنهم نور الحقيقة، وتحول بينهم وبين العلم اليقيني٠ [2]

((ودعوة القرآن للنظر العقلي دعوة صريحة لا تقبل التأويل ، فهي دعوة لم تعادلها دعوة أخـــرى في أي كتاب آخر ، فالقرآن هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل ، بكل وظيفة عرفها له العقلاء ، ولم يعد العقل في القرآن عقلا يونانيا مجردا ، أو جوهراً قائما بذاته ، بل هناك وظائف عقلية تعكس حقيقة النظر العقلي وارتباطه بالواقع الذي يؤثر علـــى حياة الإنسان ودوره في بناء الحياة ، ومن هنا لم يرد لفظ (العقل) في القرآن بالصيغة الاسمية قط ، بل جاء بالصيغة الفعلية التي تؤكد على الوظيفة العقلية٠))[3]

ولهـــذا تختلف نتائج الباحثين في كثير من تصوراتهم ونتائجهم بسبب الفلسفة أو العقيدة التي ينطلق منها الباحث وهذا واضح ، فالباحث العلماني أو الملحد عندما يدرس ظاهرة تتعلق بالدين أو أحكام الشريعة الاسلامية فانه ينطلق من أفكار ويصل إلى نتائج تختلف مما انطلق أو وصل إليه الباحث المسلم ولو أخذنا مناسـبة الحج وأثاره التربوية في المجتمع المسلم ، ودرس من خلال مجموعة من الباحثين المختلفين عقائديا فإننا سنجد عندنا مجموعة من الدراسات المتباينة ونتائج مختلفة علما بان الظاهرة المراد دراستها واحدة في

1 – محمد الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان –دار القلم –ط الأولى – دمشق –١٤١٥هـــ ص ص٥٦–٦٨

2 – مناع قطان، مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم ، المرجع السابق ص ٤٥

3 – فاطمة إسماعيل محمد ، القرآن والنظر العقلي ، – المعهد العالمي للفكر الإسلامي –١٩٩٢م٠ص٢٨٩

زمانها ومكانها ولكن الأدوات والأفكار التي انطلق منها وبها الباحثين اختلفت مما ترتب عليه اختلاف النتائج .

وعلى الباحث في علم اجتماع التربية أن يدرك إنه من المستحيل تجرد العقل وخلوصه، فالعقل – كالحواس الأخرى – يتأثر بالعقائد والمسلّمات الداخلية، والعوامل والتأثيرات الخارجية، وإن كثيراً من استنتاجاته، وأحكامه تتلون بالألوان الخارجية التي يكون وجودها في داخله أو باطنه وتمتزج بها .[1]

و– **وعلى الباحث أن يدرك أن المعرفة:** في الإسلام تنقسم إلى قسمين : معرفة غيبية مصدرها الوحي وتأخذ من القرآن والسنة النبوية ، ومعرفة حسّية مصدرها الإنسان بما آتاه الله من حواس وقدرة عقلية وتفكيرية، وهي معرفة نسبية ،وهاتان المعرفتان (الغيبية والحسية) متكاملتان ، و لا يمكن أن تستقل المعرفة الإنسانية –الحسية – بتفسير الوجود لوحدها بل هي محتاجة إلى المعرفة الغيبية التي هي الأساس والأصل ، فالعلم هبة من الله قال تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (الأنعام ٨٠)

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (البقرة ٢٨٢)

و يجب على الباحث في علم اجتماع التربية الإسلامي أن ندرك حقيقة أن المعتقدات الإيمانية لا تخضع للتجريب، بل إن النظريات والمناهج والمفاهيم والتفسيرات القائمة على المعتقدات الإيمانية و نصوص الوحي لا يمكن إخضاعها للتجريب كما يرى علماء اجتماع التربية الغربي ، إذ كيف نخضع حقيقة الألوهية و التوحيد والتوكل على الله و مسلمات العبودية لله تعالى ، و أركان الإيمان، والتكافل الاجتماعي لمنهج التجريب .

ثانيا – غايات البحث و وظائفه في علم اجتماع التربية الإسلامي:

١– إن الهدف الأول من البحث هو التعبد لله تعالى بهذا العمل، ويعتبر مبدأ التوحيد الضابط الأساسي لكل ما هو إسلامي، ومنطلق البحث العلمي في الإسلام تربويا كان أو غير تربوي، وطبقا لهذا المبدأ على الباحث أن يتوجه بكل جهد مبذول نحو الخالق عز وجل، ليحقق العبودية الكاملة لله تعالى .[2]

٢– إن هدف البحث في المعرفة – أياً كانت اجتماعية أو تربوية أو علمية أو حيوية – وفي علم اجتماع التربية خاصة هي كشف سنن الله تعالى المبثوثة في الوجود كله ، والاستفادة منها في

---

1 – أبو الحسن الندوي، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، المرجع السابق، ص٢٠

2 – علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، المرجع السابق –ص١٦

تسخير ما خلق الله في الأرض والسماء لمصلحة الإنسان قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة ٢٩).

وذلك بانتهاج القرآن الكريم والسنة النبوية وما ورد فيهما، ليكون معيارا لنظرة إسلامية نافذة فاحصة لمعطيات الفكر الوضعي وإحياء التراث الإسلامي الفكري، كما ورد لدى العلماء، في جوانبه النظرية والمنهجية والميدانية [١]

وغاية البحث في علم اجتماع التربية هي ((كشف الأسرار والطاقات الكامنة التي أودعها الله في الإنسان — منفردا و مجتمعا — وفي مراحل عمره كافة، و معرفة كيف يوظف الإنسان ما وهب الله البشر من إمكانات في النشاطات التي يستبقي بها الإنسان ذاته، و يحقق من خلالها كينونته الفردية والاجتماعية)) [٢].

٣- وغاية البحث في علم اجتماع التربية الإسلامي الاستفادة من المعارف الإنسانية المتاحة، و تنقيتها مما علق بها من أفكار ومعتقدات تضاد التشريع الإسلامي، وذلك من أجل الاستفادة منها في حياة الناس، وجعلها أكثر إنتاجا وأنفع للبشرية وللكون كله .

وكذلك تنقية علم اجتماع التربية الحالي من الرواسب المنحرفة بأنواعها، وتوجيه العناية نحو دراسة قضايا علم اجتماع التربية المختلفة وفق تصور إسلامي علمي قويم، وتقديم الفكر الإسلامي النقي بأسلوب مناسب للعالم أجمع، بحيث يستطيع مواجهة النظريات والأفكار الوضعية (الغربية والشرقية) التي لا تتفق مع الإسلام، وذلك لحماية المجتمعات الإسلامية منها، مع العناية القصوى بتقديم البديل الإسلامي الأمثل، وإجراء الدراسات الواقعية عن العالم الإسلامي في ميادينه المختلفة، وتقديم الحلول لمشكلاته في إطار العقيدة الإسلامية. [٣]

٤- إبداع مناهج ومعارف إسلامية في علم اجتماع التربية تستفيد منها البشرية و تتلاءم و وقائع القضايا المراد معالجتها في كل ما يخص النشاط البشري الاجتماعي والثقافي والعلمي . هذا الإبداع يخلق التوازن في إعمال (النقل والعقل) و ينبذ مؤامرة الصراع التي ابتدعتها المنهجية الغربية الملحدة .

1 – جامعة الإمام محمد بن سعود – ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص٢٣

2 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية البحث الاجتماعي والتربوي، ، المرجع السابق ١٤٠٨–ص ٤٩

3 – جامعة الإمام محمد بن سعود عمادة البحث العلمي، ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص٢٣

وتعميق اتجاهات الباحثين المسلمين إزاء القضايا والمسائل الإسلامية بما يكفل تفاعلا ايجابيا معها، وتصحيح رؤية المسلمين إلى واقعهم وحضارتهم، وتحقيق تصحيحا للفكر والسلوك والعلاقات التي تربطهم بالله ربهم وبالمجتمع من حولهم. (١)

٥- وأما قولنا بأن إسلامية المنهج العلمي ضرورة حضارية فذلك لأن إسلامية المنهج أو أسلمته من شأنها أن تخلع عليه من خصائص الإسلام ما يجعله عالميا وصالحا للتطبيق في كل زمان، فالتصور الإسلامي يوحي بأن الحركة الدائبة والتحول المستمر هو الناموس الثابت المطرد لهذا الوجود الحادث الفاني، وهو خاصة قانون الحياة وقاعدتها . (٢)

ولهذا فإن قيامَ منهجية إسلامية لعلم اجتماع التربية ضرورةٌ حضارية ملحةُ لضمان مواصلة التقدم العلمي والتقني، مع حماية البشرية من الوقوع في الهاوية التي تقودها إليها الحضارة المادية التي انفلتت قيادتها فأصبحت تهدد الإنسان والحيوان والنبات ؛ بل تعدى أذاها إلى الفضاء، وليس لها من لجام سوى الإيمان بالله تعالى وإتباع هدي الإسلام وتسخير العلم لخدمة الإنسانية جمعاء ، وليس ليستعبد الإنسان أخوه الإنسان .

ثالثا : ضوابط البحث في منهجية التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية:

١) استيعاب التصور الإسلامي للوجود (الكون، والحياة، والإنسان): فالوحي هو مصدر هذا التصور، ولهذا يمتاز الباحث المسلم بتصوره الخاص للوجود هذا التصور ينبثق من عقيدة الإسلام والتي ميزت هذا التصور بميزات أهمها:

أ- وضوح الأفكار التي بني عليها نظام حياة المسلم ، فاعتنقها ودعا إليها على بصيرة، و أمن بها وتابع تذكرها لأنها هي الضابط لجميع سلوكه وتصرفاته، والرقيب على كل أعماله و حياته.

ب- كما يمتاز بمنطقية هذه المعتقدات ومعقوليتها و ملاءمتها للفطرة العقلية والوجدانية والنفسية .

ج- وتمتاز المعتقدات الإسلامية بعرضها عرضا مقنعا ؛ إذ يستنبطها القرآن من لفت الأنظار إلى والواقع المحسوس، للتأمل فيما حولنا وفي أنفسنا تأملا يوصلنا إلى معرفة الله وقدرته ووحدانيته ، وفقا لطبيعتنا النفسية و فطرتنا الدينية . (٣)

إن على الباحث المسلم في علم اجتماع التربية، أن ينظر إلى الوجود كله وإلى الإنسان خاصة من خلال الصورة الإسلامية التي رسمها القرآن والسنة، لحقيقة الإنسان وتكوينه و خصائصه و مميزاته عن سائر

---

1 - جامعة الإمام محمد بن سعود عمادة البحث العلمي المرجع السابق ، ص٢٣

2 - أحمد فؤاد باشا ، نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي ، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، المرجع السابق ، ص٧١

3 - عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية، المرجع السابق ص ص ٢٨-٢٩

المخلــوقات، والإنســان المسلم له خصوصيته بين سائر بني جنسه، فهو ينطلق في سلوكه وتفكيره و آماله وأهدافــه مــن عقيدة هي المحرك الحقيقي له، لهذا يجب عدم إغفال دور الدين والاعتقاد في تحريك سلوك المجتمعات الإسلامية تاريخاً حاضراً و مستقبلاً .

ولعــل من أهم خصائص التصور الإسلامي التي يجب على الباحث المسلم أن يستوعبها، ما ذكرها سند الحربي، وهي:

أ- الــربانية: والــربانية تعني أن المصدر الذي ينبع منه هذا التصور و هو الكتاب والسنة.وهي من الخصائص التي تميز التصور الإسلامي عن التصورات البشرية التي عبرت عنها الفلسفات الوضعية في محاولتها إيجاد تصور للكون والحياة والإنسان .

ب- الثبات: الثبات في التصور الإسلامي يعني ثبات مقومات هذا التصور الأساسية، وقيمة الذاتية، بمعــنى أن المقــومات والقيم التي يقوم عليها التصور الإسلامي لا تتغير كما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العلمية التي هي تبقى محكومة بمقومات، وقيم هذا التصور .

ج- الشمول والتكامل و التوازن: وهي خصائص أصيلة في التصور الإسلامي تأخذ صوراً وأشكالا ينبغــي للــباحث المسلم أن يستوعبها لترشده في سيره على ضوء التصور الإسلامي في مختلف مراحل دراسته .[1]

٢) أن يكون البحث في مقدور العقل: من المعلوم أن العقل البشري له حدوده الزمانية والمكانية ، وأنه لا يســتطيع أن يتعدى هذه الحدود التي في مقدوره أن يتجول فيها و يستطيع التفكير والإبداع في حيــزها وخاصة في الجانب المحسوس من الكون، ولقد رحم الله الإنسان فلم يكله إلى هذه القدرة المحــدودة بل أمده برافد آخر يتعدى حدود الزمان والمكان ألا هو الوحي الإلهي ليكمل للإنسان دائرة المعرفة بشقيها (الغيبي، والمشاهد) فالوحي يخبره بما هو خارج نطاق القدرة العقلية من عالم المحسوس أو الغيبي الذي كله خارج النطاق العقلي المادي المحدود .

يقول محسن عبد الحميد في قصور العقل:((إن الإسلام وضع الحقائق الإلهية الكاملة أمام العقل في المجــالات الــتي ليس له أن يلجها بحثا وتنقيبا، وحتى يتفرغ للبحث الجاد في كشف أسرار الكون وعمارة الحياة وتنظيم العمران، إنه باختصار من أجل أن يكون عقل الإنسان عقلا عمليا، وكلما حمل العقل نفسه الخــوض في مجــالات وتفصــيل الأمور الغيبية ضل وتاه، و لم يعد إلا بالاضطراب والإلحاد، مثل الحصاد الفلسفي القديم والحديث مما يدل على قصور العقل في هذا المجال .))[2]

1 – سند الحربي التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية، المرجع السابق، ص ص ٣٠٦-٣١١

2 – محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر الإسلامي، دار الصحوة . (د، ت) الأردن ص١٩

ولقد راعى الشارع الحكيم ضعف الإنسان في أن يضع لنفسه التشريع فتكفل سبحانه وتعالى بذلك قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المائدة ٠٤٨)

وفي هذا يقول سيد قطب: ((... على أن الله فاطر هذا الإنسان، العالم بحقيقة الطاقة، كان يعلم أنه بقدر ما وهبه من القدرة على إدراك قوانين المادة، والتعرف على طاقات الكون في هذا المجال لتسخيرها في الخلافة، بقدر ما زوى عنه من أسرار الحياة كنهها وكيفية وجودها، وأسرار تكوينه الروحي والعقلي ...ولهذا – رحمة منه – لم يدعه يضع تصوره الاعتقادي لنفسه ولا منهجه الحياتي وأنظمة الحياة ٠٠))(١)

٣) **التثبت والتحقق:** من قواعد البحث والنظر عند علماء المسلمين ((إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مدّعيا فالدليل))

وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (البقرة ١١١)

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (الأحقاف ٠٠٤)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات ٠٠٦)

وقد تأثر الصحابة بهذه المنهجية في التثبت فهذا موقف عمر بن الخطاب من أبي موسى الأشعري في آداب الاستئذان، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: «كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثاً فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعكَ؟ قلت: استأذنتُ ثلاثاً فلم يُـؤْذَنْ لي فرجَعت، وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع. فقال: واللهِ لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمِعَهُ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبيُّ بن كعب: واللهِ لا

1 – السيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق ص ص٥٨-٦٤

يقومُ معكَ إلا أصغرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال ذلك». [1]

وهــذا جابــر بن عبد الله الأنصاري ﷺ يحدثنا عن رحلته في طلب حديث واحد فيقول: بلغني عن رجــل من أصحاب رسول الله حديث سمعه عن رسول الله ﷺ لم أسمعه منه قال: ((فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام ، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال: ابن عبد الله قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت له حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه . . الحديث)) [2]

وفي سنن الدار مي أن من أصحاب الرسول الله ﷺ من كان يرحل في ضبط حديث سمعه من رسول الله والتأكد من إتقانه له قال:عبد الله بن بريده ((إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه وهو يمد لناقة له . فقال: مرحبا . فقال: أما إني لم آتك زائرا ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك علم، قال: ما هو ؟ قال: كذا وكذا)) [3]

إن على الباحث المسلم التثبت والتحقيق وان إتباع قواعد العقل المنطقية والقوانين الكلية التي تعينه في الوصــول إلى الحقيقة، ومن القواعد المنطقية التي يستعين بها الباحث في صياغة المفاهيم و بلورة النتائج ما حددها الباحث حلمي صابر في المسلمات العلمية التالية:

- عدم الجمع بين الشيء ونقيضه، حيث إن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان معا، فلا يمكن أن يكون الشيء موجودا و غير موجد في وقت واحد.
- قانــون السببية، حيث يقرر المنطق السليم والعقل القويم: أن لكل حادثة سبباً أحدثها، وأن السبب يؤدي إلى ظهور النتيجة ما لم يوجد ثمة عائق، وعلى هذا الأساس تنتفي في العلم فكرة المصادفة ، وتسقط دعاوى القائلين بالصدفة في الخلق.
- قانــون الاضــطراد في وقوع الحوادث، حيث إن السنة الجارية في جزئية أو جزئيات معينة عامة لســواها مــن نوعها قد تتكرر، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (غافر ٨٥)

---

1 – البخاري، المرجع السابق، رقم الحديث ٦١٠٢

2 – أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الرحلة في طلب الحديث تحقيق ، نور الدين عتر – دار الكتب العلمية – بيروت –١٣٩٥هـ . ص١٩٦

3 – أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المرجع السابق ، ص ١٩٦

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (الفتح ٠٢٣)
فما حصل في الماضي يمكن أن يحدث في الحاضر .[١]

والحقيقة فالمسلمون هم أول من عرف أسلوب التجريب في العلم ، وكان ذلك بدافع من الدين الإسلامي الذي شجع العلم وقدر العلماء، ودعا إلى التأمل والتفكر والتجريب، ولكون الإسلام مشجعا للعلم على أساس البحث والتجريب والتثبت واليقين، فهو لا يقر الظنون والشكوك والتخرصات، وينفي كل الاعتقادات الباطلة التي لا سند لها من العلم و الشرع، وتتنافى مع المنهج العلمي الصحيح .[٢]

رابعا : صفات الباحث في منهجية التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية: عندما يقوم الباحث المسلم بممارسة عمله العلمي في مناقشة قضايا و مجالات علم اجتماع التربية فهو يعتقد بفرضيته الإسلامية، وأنه يتعبد الله تعالى بهذا الفرض (فرض كفاية) - ومادام كذلك- فرض الكفاية - فهو حق الله و حق العباد في وقت واحد، ولهذا فالقيام بحق الله تعالى و آدابه وتعاليمه يجب مراعاتها حتى يتقبل الله ذلك العمل ويجزيه عليه، و من أجل خدمة عقيدته و أمته فهو يستشعر عظم المسؤولية تجاه الله ثم اتجاه مجتمعه الذي يعلق عليه آماله، فيسلك في بحثه ذلك سبل الحق ، ويبتعد عن العشوائية والخرافة والتعصب والحقد، والغش، ويستسهل الصعاب و المشاق، و يترقب الحقيقة ويبحث عنها.

ويشير الإمام الغزالي إلى أنه ليس فرض كفاية أهم من الاشتغال بالوقائع الملمة بالناس، وان الصحابة رضوان الله عليهم ما تشاوروا إلا فيما كان يغلب حدوثه من الوقائع .[٣]

وإن من أعظم الصفات الباحث المسلم التي يجب أن يتحلى بها ما يلي:

١- إن من أعظم صفات وأكثرها شمولا (الاستقامة) هذا المفهوم الذي يتضمن مجموعة من الضوابط العلمية الأخلاقية (الشعور بالمسؤولية أمام الله والتحلي بالأمانة العلمية ، والتواضع العزة والعمل بمقتضى الحق ، والابتعاد عن الظن ، والتجرد عن الهوى، وتكامل المنهج مع الأمانة ، و الصدق ، وتجنب الجدال) [٤].

1 – حلمي صابر ،منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق ص ١٣٣

2 – محمد أبو يحيى، وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٤٥

3 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي، ، مرجع سابق -ص ٥٢

4 – سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهاجية، ، مرجع سابق، ج٢ ص٢٥٦

٢- اصطحاب النية الصالحة في العلم والعمل ٠(العلم والعمل عبادة وقربة لله تعالى) ولقد حرص الإســـلام على قصد الإخلاص في كل عبادة لله تعالى فقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (البينة ٠٠٥) ٠

٣- والإخلاص (أن يقصد بعمله وجه الله) إن أول ما ينبغي للباحث أن يدركه هو الإخلاص لله تعالى في القول والعمل وأن يبتغي بعلمه وعمله وجه الله تعالى؛ لأن المولى عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا له سبحانه٠ قال صلى الله عليه وسلم ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانـــت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) ٠ [١]

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال: فما عملت فيها قال: قاتلت فيك حتى استشهدت ٠ فيقال: كذبت ولكن قاتلت ليقال جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ٠ ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما فعلت فيها قـــال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن قال: كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي به في النار...)) ٠[٢]

فمـــن أرد المكاســـب الدنيوية والمناصب ، والألقاب الاجتماعية ، و إرضاء الناس والحصول على إعجابهم ، والاعتداد بالنفس فليأخذ أجره على عمله في الدنيا التي هي مقصده وهدفه ، ومن سعى للآخرة وعمل لها فإن أجره سيكون في الآخرة مع ما ينعم الله عليه من الأجر الدنيوي قال عليه الصلاة والسلام ((تلـــك عاجلة بشرى المؤمنين)) [٣]وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الشورى ٠٢٠)

---

1 -محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق حديث رقم ١

2 - مسلم بن الحجاج ، مرجع سابق حديث رقم ١٩٥٠

3 - - مسلم بن الحجاج ، مرجع سابق حديث رقم ٢٦٤٢

وقال عليه الصلاة والسلام: ((من تعلم علما مما ينبغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب بـــه عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)) [١] إن كل علم ديني أو دنيوي يجب أن يكون غايته وهدفه إرضاء الله تعالى ، وطلب الأجر والمثوبة من الله وتسخيره في خدمة الإسلام ومنفعة المسلمين .

أمـــا ما يكون اليوم في برامج التربية في بعض الدول الإسلامية من فصل متعمد بين العلوم الدنيوية عـــن الإخلاص والتعبد لله بها بحجة أنها للكسب والرزق فهذه نظرة علمانية تفصل بين الدين والدنيا ، أو الدين والعلم وهذا في الإسلام محرم ، بل كل عمل دنيوي يصير عبادة إذا أخلص العبد النية فيه لله تعالى .

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ((يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم)) [٢]ويقول الإمام النووي رحمه الله: ((اعلم أن ما ذكرنا من الفضل في طلب العلم إنما هـــو فيمن طلبه مريداً به وجه الله تعالى لا لغرض من الدنيا ، ومن أراده لغرض دنيوي كمال أو رياسة أو منصب أو جاه أو شهرة أو استمالة الناس إليه أو قهر المناظرين أو نحو ذلك فهو مذموم)) [٣].

ويجـــب على الباحث المسلم أن يراعى نيته ، وأن يعالجها بين الحين والآخر ، وأن يحذر الشيطان والـــنفس اللوامة ، فعن سفيان الثوري رحمه الله أنه كان يقول: ((ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي أنها تقلب علي)) [٤] .

٤- الصـــدق: الصـــدق صفة إسلامية أصيلة في المسلم يجب أن يتحلى بها دائما: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة ١١٩) وقد أثنى الله تعالى على نبـــيه إسماعـــيل ووصفه بالصدق قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ (مريم ٠٥٤) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ. فإن الصِّدْقَ

1- سليمان بن الأشعث الأزدي ، أبو داوُد – سنن أبي داوُد، راجعها محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .(د ت) قـــم الحـــديث٣٣٦٤ – محمـــد بن عبد الله الحاكم النيسابوري : – المستدرك على الصحيحين – دار المعرفة ومكتبة المطبوعات الإسلامية – محمد الأمين – بيروت ج١ص٨٥

2 – يحيى بن شرف النووي – المجموع شرح المهذب – دار الفكر – بيروت . ج١، ص٢٣

3- يحيى بن شرف النووي المرجع السابق ،ج١،ص٢٣–

4 – الخطيب البغدادي – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – ت د/ محمود الطحان. مكتبة المعارف – الرياض ١٤٠٣هـــ .ج١ص٣١٧

يَهْـدِي إِلىٰ الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلىٰ الْجَنَّةِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ صِـدِّيقاً. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. فإن الْكَذِبَ يَهْدِي إِلىٰ الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلىٰ النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ كَذَّاباً». [1] ((والصدق في البحث يعني الصحة والاستقامة في القول والفعل، وتطابق الظاهر والباطن ، والصدق في البحث يقتضي أن يكون الباحث صادقا مع نفسه فـلا يتصدى لبحث موضوع وهو يعلم أنه ليست لديه المؤهلات المعرفية والقدرات العقلية، أو المتطلبات الأساسـية اللازمة للبحث وصدقه مع نفسه يفرض عليه أن يسعى لإحراز هذه المتطلبات قبل الشروع في البحث ٠)) ٠[2]

٥-الأمانـة في البحث: إن الباحث المسلم داخل في هذا الخطاب الرباني الموجه إلى كل عضو في المجتمع المسلم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأنفـال ٢٧٠) عن حذيفة قال: حدَّثَنا رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الأمانة نزلتْ من السماء في جَذْرِ قلوبِ الرجال، ونزلَ القرآن فقَرَؤوا القرآن وَعَلموا منَ السُّنَّة».[3]

فالـباحث مطالب بالأمانة حين يختار الموضوع المراد بحثه، وحاجة المجتمع إليه، كما أنه أمين في خطوات البحث، وأمين عند الاستعانة بجهد غيره، و أن لا ينكرهم ولا يغمطهم حقهم، وان ينسب الفضل إلى أهله، وأن لا تأخذه في الحق لومة لائم، وأن يكون أمينا في عرض نتائج بحثه والحلول المناسبة له، وأن لا يخـدع ويـزف على الأمة نتائج بحثه، مما ستكون عواقبه وخيمة، فكل مسلم مؤتمن وعلى ثغر من ثغور الإسلام، فيجب عليه أن يكون حصيناً في بحثه وعلمه ٠

ويتسـم الـباحث بالأمانة في صحة الهدف والغاية من البحث، فهناك ثلة من الباحثين يخضعون لأهـداف دنيـئة ، و لمؤسسات هدفها تزييف الحقائق من أجل أغراض خاصة، ((وهذه الأغراض الخبيثة تخفى على أكثر الناس من خلال البحوث، ويحسنون الظن بهؤلاء الباحثين بسبب انتسابهم للعلم و دوائره، مـع أنهم من أنواع المجرمين المستترين المستأجرين لمثل هذه الأغراض أضف إلى هذا أن الباحثين لا يتمتعون جميعهم بالاستقامة والأمانة التي يستوجبها البحث العلمي ٠ [4]

1 – مسلم بن الحجاج ، مرجع سابق ، رقم الحديث٦٥٩١

2 – أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صياغة إسلامية البحث الاجتماعي والتربوي ، مرجع سابق ، ٥٧

3 – محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق ، رقم الحديث، ٧١١٤

4 – محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق ، ص ص ٢٩-٣٠

((إن التزام الأمانة العلمية يعود إليها هذا الإنتاج الرائع والضخم الذي تفرد به علماء المسلمين ، وكانت هذه الصفة وغيرها من أخلاقيات البحث محددات المنهجية العلمية عند علماء المسلمين)) [(١)].

٦- يجب أن يتصف الباحث بعفة اللسان والقلم، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان، ولا الفاحش البذي » [(٢)] و البعد عن التكبر، وكذلك البعد عن تزكية النفس قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم ٣٢)

وعلى الباحث أن يدرك وصية الإمام الغزالي التالية في تقييم انتقادات العلوم والخلاف الذي يقع بين العاملين فيها حيث يقول:

((وليكن قصده – المتعلم ــ في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه، فينبغي ألا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلاف فيه، ولا يخطئ واحداً أو آحاداً فيه، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل، فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات، متعللين فيها بأنه لو كان أصلاً لأدركه أربابها، وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر . ولكل خطأ، بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه، فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص.)) [(٣)]

---

1 – حسن إبراهيم عبد العال ، مهارات البحث التربوي عند الأمام النووي ، ص٥٨

2 – الإمام أحمد، المسند، مرجع سابق ، رقم الحديث ٣٨٣٨

3 – محمد بن محمد أبو حامد الغزالي – إحياء علوم الدين . دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٠٦هـ. ج١ ص٦٦

الفصل الخامس

نماذج من مواضيع علم اجتماع التربية الاسلامي

مقدمة

- المبحث الاول : التربية و علم اجتماع التربية الاسلامي
- المبحث الثاني :التنشئة الاجتماعية في علم اجتماع التربية الاسلامي
- المبحث الثالث : الاسرة والتنشئة الاجتماعية في علم اجتماع التربية الاسلامي
- المبحث الرابع: الاسرة في علم اجتماع التربية الاسلامي
- المبحث الخامس : الضبط الاجتماعي في علم اجتماع التربية الاسلامي
- المبحث السادس التغير الاجتماعي في علم اجتماع التربية الاسلامي
- المبحث السابع : التنمية الاجتماعية في الاسلام

الفصل الخامس

نماذج من مواضيع

علم اجتماع التربية الإسلامي

مدخل :

تحدثت الدراسة في الفصول السابقة عن الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لعلم اجتماع التربية ، بعد أن عرضـــنا لكثير من الجوانب النقص و الخلل في المادة العلمية التي تقدم لطلابنا ، وما تحتوي هذه المادة من تجـــاوزات عقدية وفكرية ، وبعضها لا يمت إلى العلم بشيء إنما هي مجرد تخرصات و تلفيقات لسد ثغرات عجز العقل بمحدوديته الزمانية والمكانية من إدراك حقيقتها ، خاصة عندما فصل بين عالم الغيب وإنكاره أو تجاهله وبين عالم الشهادة الذي حاول سبر بعض جوانبه وليس عمومه.

وللأسف فإن جميع ما ألف أما أن يكون مترجما حرفيا عن الفكر الغربي ، و أما أن يكون تأليفا قائما علـــى الاقتباس الكلي من ذلك الفكر و وفق منهجيته و نظرته ، و لم تظهر للباحث شخصية أو تميز فكري يناسب مجتمعه و حضارته التي ينتمي إليها.

وســـوف يقـــوم الباحث خلال هذا الفصل بوضع نموذج للتوجيه الإسلامي لبعض موضوعات علم اجتماع التربية ، ومن هذه الموضوعات التي سوف يقوم بتوجيهها المواضيع التالية :

- التربية وعلم اجتماع التربية الإسلامي.
- التنشئة الاجتماعية في علم اجتماع التربية الإسلامي.
- الأسرة والتنشئة الاجتماعية .
- الضبـــط الاجتمـــاعي في علم اجتماع التربية الإسلامي.
- التغير الاجتماعي في علم اجتماع التربية الإسلامي .
- التنمية الاجتماعية في علم اجتماع التربية الإسلامي.

المبحث الأول

التربية وعلم اجتماع التربية الإسلامي

١- مفهوم التربية:

تتعدد الآراء حول مفهوم التربية ومرد ذلك يعود إلى تباين وجهات النظر حول موضوع التربية وفهم الطبيعة الإنسانية وربما يكون منشأ هذا الاختلاف عائد إلى الاختلاف في الفلسفات الفكرية والبيئات الثقافية ، ونظرة المجتمعات إلى طرائق معيشتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية

وليس هناك غرابة في هذا التباين حيث أن التربية هي وليدة الاجتماع البشري وقد عرفها الإنسان منذ تواجده على هذا الكوكب وبدأ ، يفكر في تكوين أسرته الأولى ، ولعل ذلك يكون واضحا في سيرة أبينا آدم عليه السلام إذ كان أول المربين وكانت تربيته على منهاج النبوة ، ومن المعلوم أن التربية تدور مع المجتمع وجوداً وعدماً ، فالتربية لا تهتم بالفرد منعزلا عن المجتمع بل تهتم بالفرد والمجتمع معاً وفي وقت واحد وذلك من خلال التفاعل الاجتماعي الحاصل بين الفرد والمجتمع .

المعنى اللغوي لمفهوم التربية:

إذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية وجدنا أن لكلمة التربية عدة أصول منها:

١- ربا: بمعنى زاد ونما ومثال ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ)) (الروم ٣٩)

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (البقرة٢٧٦)

قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ (الحج ..٥)

٢- (ربى يربى: بمعنى نشأ وترعرع ويشير هذا الفعل إلى النشأة والترعرع والتغذية والتعليم والتأديب و صلاح الشيء ، ومثال ذلك كقول أحدنا: ربا الوالد ولده أي غذاؤه ونشأه وكقولنا ربى في بيت جده وفي كتاب الله قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الشعراء .١٨)

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء .٢٤)

وقد وردت كلمة ربا يربَى في السنة النبوية بمعنى الرعاية والتنشئة كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «مَن تَصدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيّب ــ ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ ــ فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينه، ثمَّ يُربِّيهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثلَ الجبلِ».[1]

وفي صحيح البخاري رحمه الله (باب العِلمُ قبلَ القولِ والعملِ) وقال ابنُ عبّاسٍ: (({كونوا رَبّانِيِّينَ} حُكماءَ فُقهاءَ. ويقال: الرَّبّانيُّ الذي يُربِّي الناسَ بِصغار العِلمِ قبل كِبارِه))[2]

ويلاحظ أن مدلول كلمة التربية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية أنها تتضمن العناية والرعاية بالطفولة في مراحل العمر الأولى سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أو موجهة إلى الجانب الخلقي أو الروحي ((وإن لفظ ((يزكي)) آت في القرآن بمعنى يربي كما في قوله: قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة ١٥١)

ومدلول التزكية هنا لا يقتصر على فترة عمريه محدودة ولا على جانب واحد فقط ، و إنما ينصرف عموما إلى البناء الخلقي والنفسي ...وقد وردت التربية لدى الإمام البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في تفسيره (أنوار الترتيل وأسرار التأويل) الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ، ثم وصف به تعالى للمبالغة .[3]

وممن استخدم لفظ التربية بمفهومها المعاصر الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى من سورة الإسراء الآية (٢٣) {كما ربياني } حق التربية ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما .[4]

كما ورد استخدام لفظ التربية لدى العلامة عبد الرحمن بن خلدون في أكثر من موضع في المقدمة ، ومنها قوله: ((ثم يترلونهم في غرف الملك ويأخذونهم بالمخالصة ومعاهدة التربية، ومدارسة القرآن وممارسة

---

1 – البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث ١٣٩٠ و مسلم ، مرجع سابق ، رقم الحديث ٢٢٩٦

2 – البخاري ، مرجع سابق ، ج١، ص٣٧

3 – عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص١٢

4 – محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – جامع أحكام القرآن – مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٨١هـ ج١٠ ص٢٣٨

التعلــيم ،حــتى يشــتدوا في ذلــك)) [1] وقــوله: ((ويستحضر الحسنات؛ من التربية والتعليم وخدمة السلف .)) [2] كما وردت في بقية تاريخه لفظ التربية كما وردة لفظ تربيته ويربيه . [3]

المعنى الاصطلاحي للتربية:

وهـــناك العديـــد من التعريفات للتربية التي لا تبتعد عن المعنى اللغوي ونجدها في قاموس التربية تعني ((تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف)) [4]

ولعل أبرز النقاط التي تلتقي حولها هذه التعريفات الحرص الشديد من الجماعات البشرية على تحديد مســيرة أجــيالها القادمـــة في الوجهة التي ارتضت والتزمت بها ، ولهذا السبب تعددت صور التعريفات التربوية ، ولعل سبب تعدد مفهوم التربية و تعريفها بين المربين وعلماء الاجتماع يعود إلى الاختلاف الكبير في النظر إلى طبيعتها من جهة ، والى وظيفتها الاجتماعية من جهة أخرى .

ولهـــذا سوف نعرض بعض تعريفات علماء الغرب المهتمين بالتربية والتي أصبحت هي مربط الفرس عـــند المشـــتغلين بالتربية في العالم الإسلامي ؛ إذ يأخذون بهذه التعريفات و يسمون بها أبحاثهم التربوية و مؤلفاتهم التربوية ، ومن أكثر التعاريف رواجا عندهم ما يلي:

تعريف ماكس ويبر:بأن التربية وسيلة من وسائل تثبيت الهيمنة الاجتماعية.[5] أي أنه يرى أن التربية أداة من أدوات السيطرة الاجتماعية التي يملكها المجتمع ، بل قد تكون أداته الرئيسة ، وبهذا فالتربية تستعمل لطمـــس الظواهر السلوكية غير المرغوب فيها اجتماعيا ومحاولة تلافي وقوعها ، ولهذا فالتربية هنا لا تسعى لمصلحة الفرد ، بل هي تغلب مصلحة الجماعة ، و تهدف إلى جعل الأفراد صوراً للإباء ، و تكرر استنساخ هذا المجتمع ، وبهذا فالتربية بهذا المفهوم جامدة وغير قابلة للتغيير والتجديد والتقويم .

ويـــرى أميل دوركهايم: أن التربية أداة المجتمع في تحقيق الوفاق الاجتماعي.[6] أي أن التربية مؤسسة تســـعى إلى تحقيق الاتفاق الاجتماعي بين أفراد المجتمع وذلك من أجل التكامل الاجتماعي ، ويتم كل هذا

---

1 – عبد الرحمن بن خلدون –المقدمة، ، مرجع سابق ، ص٤٢٨

2 –المرجع السابق – ص٥٨٨

3 – عـــبد الرحمن بن خلدون – ديوان المبتدأ والخبر ..شركة العريس للكمبيوتر – جدة ج٣ ص٦٤٣ وج٦ص٣٢٦ وج٧ص ٧٠٨وص٧١٠

4 – فخري رشيد خضري – تطور الفكر التربوي ، الإحساء –دار الرشيد ط الأولى ١٤٠٢هـ ، ص٢٥

5 – سعد مرسي أحمد –تطور الفكر التربوي – عالم الكتب – القاهرة- ١٩٧٤ – ص١٦٤

6- المرجع سابق، ص١٦٤

مـــن خلال تنشئة الأجيال على السجايا والشمائل الشخصية وأنماط سلوكية مقبولة من لدى المجتمع الذي ينتسبون إليه ، وكلا التعريفين السابقين صادران عن تصور اجتماعي لمفهوم التربية .

ويعـــرف (هـــرمان عورن) – وهو أحد الفلاسفة المثاليين – التربية بأنها العملية الخارجية للتوافق السـامي مــع الله من جانب الإنسان الحر الواعي الناضج جسميا وعقليا كما يعبر عن هذا التوافق في بنية الإنسان العقلية والانفعالية والإرادية).[1]

ويــرى جان جاك رو سو بأن التربية: ((وسيلة يزول بمقتضاها ما يعوق الطفل وما يؤثر فيه تأثيرا سلبيا))، وقريب من هذا التعريف قول جون ليسنالو تزي، حيث يرى أن التربية: ((نمو جميع قوي الإنسان وملكاته نموا طبيعيا في اتساق وانسجام)) .[2]

ومـــن المعلوم أن التعريفين الأخيرين ينطلقان من الجانب التربوي والنفسي للناشئة والتي تعطي الفرد حقه من التربية مقابل النظرة الاجتماعية لعلماء الاجتماع في تصورهم للتربية التي تعطي المجتمع الهيمنة على الفرد.

ويرى جون ديوي وهو أحد البرجماتيين: أن التربية هي الحياة وليست الأعداد للحياة، وأنها عملية بناء خبرة الطفل حتى تتسع لتشمل الخبرة المنظمة الواسعة التي يطلق عليها المواد الدراسية .[3]

ونلاحـــظ من تعريف البرجماتية: بأن تربية دنيوية إذ لا تؤمن بالحياة الآخرة فهي تقتصر على الحياة الدنيا وعلى الجانب المادي منها فقط وتهمل الجانب الروحي وتهمل كذلك الأخلاق والقيم .

وجمـــيع الـــتعاريف السابقة تنطلق من الفكر العلماني المادي الذي ينكر الدين و الجانب الروحي ، ويعتني بالجانب المادي والحيواني في الإنسان ، مما ترتب عليه إهمال القيم والأخلاق الروحية و التي بدورها انعكست على الإنسان المعاصر ، فجعلت منه صورة حيوانية تهتم بالغرائز والشهوات و الأنانية و العنصرية، و اختفت من قاموسه صور الإنسانية و الأخوة والتكافل الإنساني .

التربية في الفكر الإسلامي:

اهـــتم الإسلام بالتربية؛ فهو يهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، وهو يحقق لجميع أفراده مـــبدأ الوســـطية والتوازن في جميع متطلبات الحياة المادية والمعنوية والدنيوية والأخروية، ومن هذا المنطلق

1- المرجع سابق، ص١٦٥

2 - المرجع سابق، ص١٦٥

3 - محمد لبيب النجيحي – مقدمة في فلسفة التربية – دار النهضة العربية - بيروت١٩٩٢م ص ٦٨

بـــرزت نظـــرية التربية الإسلامية بمفهومها الوسطي بين الفلسفات التربوية الوضعية المعاصرة القائمة على تصورات بشرية فردية غير قادرة على تصور الكمال أو معرفة تحقيقه .

ولهذا سوف نعرض لبعض التعريفات التربوية لدى علماء التربية المسلمين:

يـــرى الإمام الغزالي (ت ٥,٥هـــ) أن الغاية من التربية هي ((تزكية النفس وطهارتها لكي تكون صافية ومجردة من العوائق التي تحول دون انصرافها عن هدفها الأسمى وهو معرفة الله)) [١]. ويغلب على هذا التصور للتربية النزعة الصوفية التي طغت على فكر الإمام الغزالي.

ابن خلدون (ت٨٨٩ هـــ) فيرى أن التربية: عملية تنشئة اجتماعية للفرد لتعويده بعض العادات في المجتمع وتزويده بالمعارف الموجودة في المجتمع والهدف منها هو:

أ- الغرض الديني: ويقصد به العمل للآخرة حتى يلقى العبد ربه وقد أدى ما عليه من حقوق .

ب- الغـــرض العلمـــي الدنـــيوي: وهـــو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعي أو الإعداد للحياة [٢]

ويـــرى محمد دراز: أن التربية هي تعهد النشء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقويم والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته .

ويـــرى أحمـــد عبد الرحمن عيسى أن التربية: هي تعليم الناشئ و إعداده تعليما متدرجا يصل به إلى درجات الكمال الممكن جسميا وعقليا وروحيا واجتماعيا ، لكي يصبح مواطنا صالحا قادرا على التكيف مع البيئة المحيطة به فاهما للعصر الذي يعيش فيه ويقوم بما عليه من الواجبات نحو المجتمع ونحو ربه ويتمتع بما له من الحقوق المشروعة حتى تتحقق له سعادة الدنيا والآخرة .

إن المطلع على مفهوم التربية لدى كثير من المهتمين بها، يرى أنها تعرضت لكثير من المفاهيم منها ما هو جزئي ومنها ما هو خاص مم أثر على وظيفتها على مر العصور وفي أكثر من مجتمع ، بل تعدى ذلك إلى القـــائمين على التربية فأثر على تصوراتهم وأساليبهم ومناهجهم، بل وفي معظم القضايا التربوية ، والتي يـــندر أن نجد هناك أي اتفاق على قضية تربوية ، بل تعدى ذلك إلى وظائف التربية سواء كانت خلقية أو اقتصادية أو فكرية .

---

1 – محمد عطية الابراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٩م٠ ص ٢٣٨

2 – المرجع السابق ، ص ٢٧٧

وقـد يكون السبب في ذلك عائداً إلى ضيق التصورات وتحزبها الفكري أو الاجتماعي أو عدم فهم الطبيعة الإنسانية أو البيئية من حول الإنسان ، بل هناك أكثر من سبب في ذلك قد يصعب حصرها ((فقد اختلفت الآراء في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية والحضارية وباختلاف الأماكن المختلفة فهـذه الظروف كانت تعكس دائما فكراً اجتماعيا عن المجتمع والثقافة والطبيعة البشرية وكان هذا الفكر يعكس نفسه على التربية)) [١]

ومن المعلوم أنه مادامت المجتمعات متغيرة فإن التربية سوف تواكب هذا التغير ولن ترى الثبات خاصة في الوسـائل أو طـرائق التنفيذ مع الإبقاء على الثوابت والأصول إذا كان هناك رغبة في ملاحقة الإنسان والمجـتمع ، وهناك من يرى أن ((التربية تنمية الشخصية البشرية الاجتماعية إلى أقصى درجة ممكنة تسمح بهـا إمكانياتها واستعداداتها ، بحيث تصبح شخصية مبدعة خلاقة منتجة مطورة لذاتها ولمجتمعها ولبيئتها من حولها))[٢]

ويرى علماء اجتماع التربية، بأن المدرسة نظام اجتماعي و تنظيم رسمي ((ينطبق عليه ما ينطبق على معظـم الـنظم الاجتماعية من خصائص، من حيث التدرج في هياكل السلطة والمراكز والأدوار، وتوزيع المسؤوليات، والأخذ بمبدأ التخصص في الأعمال الإدارية والتدريس والإشراف، وتقسيم العمل بين أعضاء التنظيم، مع وجود القواعد و اللوائح المنظمة لسير العمل في المدرسة .)) [٣]

علم اجتماع التربية الإسلامي:

إن التربية الناجحة هي التي تؤدي رسالتها بنجاح داخل المجتمع وتحقق أهدافه، ولن يتحقق ذلك إلا عـندما تتضـافر الجهـود ، و تتوحد الأهداف ، و تطبق الأساليب الرائدة ، و تستثمر الطاقات الفكرية والبشرية ، و تشترك جميع مؤسسات المجتمع في تحقيق ، و إنجاح رسالة التربية و يتصرف المجتمع وفق نظام موحد ينبذ التفرق والاختلاف ، ويسعى إلى الإصلاح والتقدم وذلك في ظل العقيدة الإسلامية السمحة .

إن التربية هي وظيفة اجتماعية و نظام اجتماعي يهدف إلى تنمية جميع أفراد المجتمع و تحقيق الوفاق الاجتماعي وتعزيز العلاقات والروابط الاجتماعية والمحافظة على أصالة وثقافة المجتمع و السعي إلى تطويره ، كـل ذلك وفق رؤية عقائدية محكمة لا تقبل المساومة ولا تقهقر ، بل تسعى إلى الرفع من شأن المجتمع و

1 – محمود السيد سلطان – مقدمة في التربية – دار المعارف –ط السادسة – القاهرة ١٩٨٦م –ص ٩٦

2 – المرجع السابق ، –ص٩٩

3 – عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦

سيادته ولهذا فإن الأسس الاجتماعية تهتم بالعملية التربوية في إطارها الاجتماعي وعلاقاته المعقدة و مؤسساته المتعددة داخل المجتمع .

والتربية هي ميدان لكثير من العلوم و الحقائق العلمية التي تتصل بالفرد والمجتمع وتعود عليهما بالخير، ولهذا نرى التربية من أوسع الميادين التي تأخذ بكثير من فروع المعرفة و تستفيد من إنجازات العلوم على مختلف مشاربها ومن أمثلة ذلك (علم الاجتماع و علم النفس، والاقتصاد والسياسة و التاريخ ..وغيرها) ولكن من أهم العلوم تأثيرا واهتماما بالتربية:

علم اجتماع التربية:

وهو علم يربط بين التربية وعلم الاجتماع، ولا يفصل بينهما بل يرى أن العلاقة بين التربية وهذا العلم علاقة تكاملية، فعلم اجتماع التربية يهدف إلى الاستفادة من إنجازات علم الاجتماع بشتى فروعه و تطبيقها في العملية التربوية ، ولهذا فـ (علم اجتماع التربية) ينظر إلى التربية نظرة شمولية تتعدى بيئة المدرسة، حيث إن الفرد يتأثر و يخضع لكثير من العوامل والمواقف الحياتية المتنوعة والمتطورة في أكثر من بيئة ، أسرية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو مدرسية، أو ثقافية وإعلامية ... وغيرها.

ولذلك لا بد للتربية من أن تستند إلى علم الاجتماع في كثير من جوانبها، فعلم الاجتماع يهتم بوصف الظواهر الاجتماعية وأسبابها، ويهتم بظاهرة الوراثة البايلوجية والبيئة الطبيعية، و تأثيرهما في جماعة من الأفراد في مكان معين، ويهتم بدراسة الثقافة، إضافة إلى اهتمامه بالعلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي، ويهتم علم الاجتماع وعلم التربية بالعملية التي ينمو بها الطفل ويصبح كائنا اجتماعيا وهي عملية التنشئة الاجتماعية، وأفادت التربية من دراسات علم الاجتماع المكرسة لدراسة المؤسسات المجتمعية المختلفة مثل الأسرة وغيرها [1]

ومن هنا فقد عمق المهتمون و القائمون على التربية وظيفة التربية لتشمل تجاهات المجتمع و مشكلاته ونوعية المرحلة التي يمر بها، فليست التربية المدرسية اليوم مجرد حفظ بعض المعارف، أو الالتزام ببعض المعلومات التي يلقيها المدرس، فقد انقضى الوقت الذي كان التعليم فيه يقتصر على ذلك، فلقد أصبحت التربية من أهم اهتمامات علماء الاجتماع أو التخطيط الاجتماعي ، و يشاركهم في هذا الاهتمام رجال الاقتصاد والسياسة، وبهذا صارت التربية هدفا اجتماعيا كبيرا تتضافر الجهود والاهتمامات من أجل إنجاحه وتطويره .

---

1 - أبو طالب محمد سعيد ، و رشاش أنيس عبد الخالق –علم التربية العام ميادينه و فروعه – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت –د.ت ص٣١

مـــن هنا يكون المجتمع هو نقطة البداية، يبدأ التربية على مقوماته، وبذلك يبني الفرد وينمو على ما تصالحت عليه الجماعة وارتضته لنفسها وغدا ملائما لها، لقد أصبح التحول والانتقال إلى الاتجاه الاجتماعي في التربية من أهم سمات التربية في العصر الحاضر ، إذ صارت التربية مسؤولية المجتمع والدولة الحديثة ؛ إذ التربية هي صمام الأمان للكيان الاجتماعي والسياسي وهذا يؤكد أن التربية هي مرآة المجتمع و حركته.[١]

وعلـــم اجتماع التربية الإسلامي جزء من الفكر الاجتماعي الإسلامية الذي يهدف إلى مساعدة و خدمة التربية الإسلامية لكي تساهم في معالجة المشكلات الاجتماعية والثقافية المتعلقة بالتربية وتقدم الوقاية قـــبل العلاج ، تماما كما تفعل مع المشكلات النفسية والفردية . ويرى أحد الباحثين أن أبرز الأسباب التي تقف وراء اهتمام الإسلام بالسلوك الاجتماعي تتمثل فيما يلي:

- بحث الإنسان عن أسباب الحياة المستقرة الآمنة.
- العمـــل علـــى تحقيق المقومات التي تحفظ الوحدة الإسلامية، وتزيد من تمسكها، وتحقق لها الاطمئنان والقوة، وتؤكد ذاتيتها .
- تحمل الأمانة والمسئولية ومقتضيات الرسالة الإسلامية .
- القيام بالآداب والواجبات الاجتماعية نحو كل مسلم ومسلمة ..
- تحقيق العدالة الاجتماعية وزيادة الروابط الاجتماعية .[٢]

1 - محمد علي المرصفي، مقدمة في أصول التربية، — دار المجتمع — ط الأولى — جدة — السعودية - ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٨م ص ص ٣٧-٤٢

2 - حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية : القاهرة ١٤١٧هـــ ص ص ٩-١٢

المبحث الثاني

التنشئة الاجتماعية في علم اجتماع التربية الإسلامي

يهتمُ الدين الإسلامي اهتماما كبيرا بالعملية التربوية ويحمل الوالدين والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجـتمع المسـلم تلك المسؤولية، وذلك من أجل صياغة الشخصية الإسلامية المتكاملة في جميع جوانبها البدنـية والنفسية والفكرية والأخلاقية وذلك في إطار عام من التوجيهات الإسلامية التي تتناسب مع كل مـرحلة عمرية إذ تبدأ بمرحلة التفكير في تكوين الأسرة المسلمة، فتحث الإنسان المسلم ذكرا كان أو أنثى علـى اختيار الزوج المناسب دينا وخلاقا، ثم قيام العلاقة بينهم على ضوء الشريعة الإسلامية وقيام العلاقة بـين الـزوجين على منظومة من الحقوق والواجبات والعلاقات الشرعية التي فرضت لكل عضو في هذه الأسـرة حقـه والواجب عليه، وكل هذا الإعداد والتكوين الشرعي من أجل أن تحتضن الأسرة أفرادها صغارا كانوا أم كبارا في محيط إيماني وتربوي تسوده الألفة والمحبة والتكافل الاجتماعي و التناصح وذلك من أجل خلق الشخصية الإسلامية المعتزة بدينها و وظيفتها في الحياة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الانعام١٥١)

وتـنطلق التربية الإسلامية من مسلمة تربية الناشئة وفق منهج القرآن والسنة وصيانة شخصية الناشئة من التأثيرات الاجتماعية التي لا تتفق ونهج الإسلام، والمحافظة على الفطرة السوية التي فطر عليها الله تعالى الخلق و هي فطرة الإسلام و القرار بوحدانية الله تعالى و وصرف العبـادة له .قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف ١٧٢)

﴿ قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم ٣٠.)

وسوف نتحدث عن التنشئة الاجتماعية الإسلامية ، ونعرض لأهم خصائصها ومميزاتها التي تميزت بها عن غيرها من صور التنشئة الوضعية المعاصرة .

فالتنشئة الاجتماعية في الإسلام تختلف عن غيرها ، فهي في المجتمع الإسلامي تنطلق من مبادئ سامية و لها أهدافها وغاياتها المنبثقة من الغاية الكبرى قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات .٥٦)

إن هـدف التنشـئة الاجتماعـية في الإسلام هو إعداد الإنسان الصالح المؤمن بالعبودية لله وحده والخضـوع لشـرعه، وهذه التربية ليست مسئولية وسط تربوي أو اجتماعي معين بل هي مسئولية كل الوسائط التربوية (الأسرة، والمسجد، والمجتمع، والرفقاء، والمؤسسات الاجتماعية المختلفة) ، فهي – جميعا – تهدف إلى خلق البيئة الإسلامية المتكاملة ليعيش الفرد المسلم في عالم كله يخضع لله تعالى .

والتنشئة الاجتماعية هي عملية تهدف إلى إعداد الطفل ثم الصبي فاليافع فالراشد، للاندماج في أنساق البناء الاجتماعي والتوافق مع المعايير الاجتماعية، والقيم السائدة ولغة الاتصال و الاتجاهات الخاصة بالأسرة الـتي ولـد فـيها، وبالجماعات التي ينضم إلى عضويتها ، كما يتفهم الحقوق والواجبات الملزمة المتعلقة بمجموعة المراكز التي يشغلها، ويتعلم الأدوار المناسبة لكل مركز، كما يتفهم أدوار الآخرين الذين يتعامل معهم في المواقف الاجتماعية المتنوعة. [١]

ولعل التأثير المباشر لعلم الاجتماع على التربية يكمن في تحويله للتربية من مجرد عملية فردية إلى عملية اجتماعية ثقافية، وبالتالي منح الصفة التكاملية للعملية التربوية ، فأصبحت تهتم بالفرد كعضو في جماعة لها نظمها وقيمها، و وأصبح الفرد داخل هذه الجماعة مناط كثير من الواجبات والأدوار الاجتماعية التي يجب أن يقوم بها .

وترى فتحية الفزاني أن التنشئة الاجتماعية قد أصبحت من أهم موضوعات علم الاجتماع التربوي – علم اجتماع التربية – لان تقدم المجتمع يتوقف على التطبيع الاجتماعي للإفراد ليكونوا متوافقين مع نظمه وتقالـيده، كمـا أصبحت المواطنة الصالحة هدفا من أهداف التربية التي تحرص على بلوغه كافة الدول، وأصـبحت المـدارس مركـز إشعاع في البيئة تعمل على خدمتها، وأبرزت دراسات علم الاجتماع أن

1 – انظر: صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق ، ص١٤

التـــربية تلعــب دورا هامـــا في علاج كثير من المشكلات الاجتماعية وقيادة التغيير الاجتماعي وازدهار المجتمعات (١)

تعريف التنشئة الاجتماعية:

تشتق التنشئة من الفعل نشأ ، ونشأ الشيء نشأً ونشوءاً ونشأة بمعنى : حَدَثَ وتجدَّد ، والصبي شبَّ ونما . يقال نشأت في بني فلان ، ونشأ فلان نشأة حسنة ، ويقال نَشَّأَ الصبي أي رباه والنَّشأة تعني الإيجاد والتربية . (٢)

وكما ورد في لسان العرب في معنى تَنَشَّأت إلى حاجتي أي نهضت إليها ومشيت يقول الأعراب : فـــلان غاديـــاً إذا ذهب لحاجته ، ونشأ الله الخلق ، ابتدأ خلقهم .وفي معنى نشأ ينشأ نشوءاً ونشأة ، ربا وشب والنشيء هم أحداث الناس ، ونشأ السحاب ارتفع وبدأ وذلك أول ما يبدأ تكوينه .(٣)

إن التنشـــئة مشتقة من الفعل نشأ وقد استخدمه القرآن الكريم في مواضع مختلفة للدلالة على الخلق والـــبدء والإيجـــاد والتـــربية للإنسان، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الأنعام .٩٨)

قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود .٦١)

قال تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأنعام ..٦)

تعتـــبر كلمة التنشئة الاجتماعية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخـــيرة مـــرتبطة بحـــركة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن العشرين . وكانت تســـتخدم كلمـــة التنشئة الاجتماعية للدلالة على كلمات مثل " التربية " و " التعلم " و" التأديب " و" الـــتهذيب " و " التطبـــيع " وهـــذا مما أضفى خصوبة على معناها ومترادفاتها ، إلا أن المترادفات الواسعة الانتشار والقريبة من مفهوم التنشئة الاجتماعية هي مفهوم التطبيع الاجتماعي والتعلم الاجتماعي . (٤)

---

1 – محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، . دار الخريجي للنشر والتوزيع : الرياض١٩٩٥م ص ٣٤

2 – مجمـــع اللغة العربية المعجم الوسيط ، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث ، مطابع دار المعارف: القاهرة١٣٨٠هـــ ، ج٢ : ٩٢٨

3 – ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نشأ – شركة العريس للكمبيوتر .

4 – محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٢٣

تعـددت الآراء و التصـورات حـول التنشئة الاجتماعية بين المشتغلين بالتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع فكثرت مترادفاتها، وسار يطلق على التنشئة الاجتماعية أكثر من مصطلح ، منها التنشئة والتطبيع الاجتماعي ، وأحيانا عملية التنشئة والتطبيع والاندماج الاجتماعي، والتعلم الاجتماعي .

ومفهـوم التنشـئة الاجتماعية يشير إلى عمليات متعددة أهمها تشكيل السلوك الاجتماعي، وتحقيق التوافق الاجتماعي، وغرس ثقافة المجتمع ونقلها من جيل إلى جيل، واكتساب صفة الإنسانية بتحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي . (١)

ويعـرف فؤاد البهي التنشئة الاجتماعية بأنها تعني ((العمليات التي يصبح بها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية، وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط، وما تفرضه من واجبات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين وسلك معهم مسلكهم في الحياة)). (٢)

ويـرى حسـان محمـد حسان و زملاؤه أنها تعني: ((تلك العلمية التي بواسطتها يتم تعلم وتعليم أعضـاء الجماعـة الجـدد المشاركة الفعالة التي تجعل الفرد قادرا على المشاركة في النشاطات الاجتماعية للجماعة)). (٣)

وتـرى بسـمة خالد المسلم بأن التنشئة الاجتماعية ((هي العمليات التي عن طريقها يصبح بعض المبادئ الاجتماعـية جزءاً من الذات ، أو من المبادئ التي يهتدي الشخص بها في قيادته لحياته عند وبعد بلوغه)).(٤)

ويعرفها كل من (سميث) و(آورلوسكي) بأن التنشئة الاجتماعية هي العملية الكلية التي عن طريقها يمكـن للأمة أن تعيد إنتاجها لنوعية المجتمع . أي إن الأفراد يذهبون ولكن المجتمع يستمر في الوجود وهو يبقى عن طريق تشكيل كل عضو جديد فيه ..

ويـرى (تيشـلر) بأنها عملية التفاعل الاجتماعي التي من خلالها يكسب الطفل المهارات العقلية والاجتماعية الضرورية كي يؤدي دوره كعضو في المجتمع. (٥)

ويعرف سيد عثمان التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تعلم قائمة على التفاعل الاجتماعي تكسب الفرد – طفـلا أو راشدا – سلوكا يمكنه من القيام بوظائفه الاجتماعية وفق توقعات أعضاء جماعته والاستجابة للضـوابط الداخلـية والخارجـية للسلوك . ويرى محمد الهادي عفيفي، أن الفرد إثناء التنشئة الاجتماعية ((ينمـي سـلوكه الاجتماعـي الـذي يتضـمن الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية، والقدرة على التنبؤ

---

1 – المرجع السابق، ص٢٢١

2 – فؤاد البهي –علم النفس الاجتماعي ــ دار الفكر العربي – ط الثانية –١٩٨١م – القاهرة ص١٥٣

3 – حسان محمد حسان– الأصول الاجتماعية للتربية، (د٠ن) القاهرة ١٩٩١ م ص٧٩

4 – بسامة خالد المسلم – علم الاجتماع التربية والتنمية، مرجع سابق، ص٦٢

5 – بسمة خالد المسلم – علم اجتماع التربية والتنمية ، مرجع سابق، ص٨٢

باســتجابات الأفــراد الآخرين بصفة عامة، وبذلك يتوافر قدر مشترك من المعاني والأنماط السلوكية بين الأفراد)) [1]

إذاً تتضمن التنشئة الاجتماعية عملية اكتساب الفرد للدين و لثقافة مجتمعه و لغته ، والمعاني والرموز والقيم التي تحكم سلوكه ، وتوقعات وسلوك الغير ، والتنبؤ باستجابات الآخرين ، وايجابية التفاعل معهم ، وهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وعملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية وتطبيع المادة الخـــام للطبـيعة البشــرية في النمط الاجتماعي والثقافي وبمعنى آخر هي عملية التشكيل الاجتماعي لخامة الشخصية ، وهي عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية.[2]

ومن خصائص التنشئة الاجتماعية قد تتخذ صورة شعورية أو لا شعورية ، وقد تكون منظمة أو غير منظمة، وقد تكون مرئية أو غير مرئية ((وما يحدث في التربية النظامية يعد تنشئة اجتماعية صريحة وشعورية منتظمة . وقد يتعلم الطفل كثيراً من المعاني والمهارات من وسائط التربية الأخرى في المجتمع دون أن يشعر بذلك شعورا واضحا)).[3]

خصائص التنشئة الاجتماعية :

١ – التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة :

أي إنها عملية متغيرة باستمرار حياة الإنسان منذ مرحلة الطفولة إلى الوفاة و يتضح ذلك بصفة خاصة عـــندما يمر الفرد بمراحل جديدة في حياته ، أو عند مواجهة مواقف بيئة ثقافية جديدة . فعلى سبيل المثال الإنسان يحتاج لمن يرعاه ويهتم بتنشئته ثم بعد ذلك يبدأ يأخذ هو دور التنشئة وينشئ أولاده وهكذا ، إذاً فالتنشـــئة الاجتماعية مستمرة طول الحياة، لا تقتصر قط على مرحلة الطفولة ، بل تستمر أيضا في المراهقة والرشد والشيخوخة، فالفرد طوال حياته ينتمي إلى جماعات جديدة، ويقوم بأدوار متجددة تتطلب تعديل سلوكه وتتوقع منه استجابات جديدة ليصبح سلوك الفرد متوافقا مع توقعات المجتمع .

٢ - التنشئة الاجتماعية عملية قائمة على التفاعل المتبادل :

وهـــذا يعني أنها تناول التأثير والتأثر على العضو الجديد ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال عملية التفاعل ، فمع التغيرات السريعة في الثقافة والمجتمع يجد الفرد أن القيم والمعايير التي سبق اكتسابها لا تصبح

1 – محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ، مرجع سابق، ص ٢٢٤

2 – صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ، مرجع سابق، ص١٦

3 – مصطفى متولي وآخرون، المدرسة والمجتمع دار الخريجي للنشر والتوزيع –١٩٩٣م –الرياض.ص٨١

مناسبة لهذه التغيرات ، فيحتاج إلى اكتساب معارف وقيم ومعايير جديدة كي يستطيع التكيف مع هذه التغيرات في الثقافة والمجتمع ، كما يتحتم عليه أيضاً أن يغير البيئة لتوافق احتياجاته ويهيئ الآخرين ليقابلوا تلك الاحتياجات ، والتنشئة الاجتماعية تتضمن تفاعل الفرد مع عناصر البيئة المادية و الاجتماعية .

٣ - التنشئة الاجتماعية تقوم بها وسائط تربوية متعددة :

إن عملية التنشئة الاجتماعية ليست قاصرة على الأسرة فقط ؛ حيث تشاركها العديد من الوسائط التربوية المختلفة التي تسهم في تلك العملية مثل المدرسة ، وجماعات الجيرة، والرفاق ، والعمل ، ودور العبادة .. الخ .

٤ - التنشئة الاجتماعية عملية نسبية :

حيث إن تلك العملية تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف ، وكذلك تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد وما تعكسه كل طبقة من ثقافة فرعية ، كما أنها تختلف من بناء لآخر ، ومن تكوين اجتماعي واقتصادي لآخر ، كما أن أساليب التنشئة ليست جامدة ، وليست متجانسة سواء في القرية أو المدينة ، فهناك مظاهر عديدة تغير أساليب التنشئة ، ويتفاوت معدل هذا التغير في المجتمعات المختلفة .

٥ - التنشئة الاجتماعية عملية إنسانية :

بمعنى أنه من خلال تلك العملية يكتسب الفرد طبيعته الإنسانية التي لا تولد معه ، ولكنها تنمو خلال الموقف عندما يشارك الآخرين تجارب الحياة في المجتمع.[١]

التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة، تستهدف تحقيق مهام كبيرة و تستخدم أساليب متعددة لتحقيق ما تهدف إليه .[٢]

ومن وجهة نظر الباحث ، أن الخالق عز وجل قد هيأ الإنسان بإستعدادات لتقبل عملية التنشئة الاجتماعية من خلال الفطرة التي أرادها الله تعالى لجميع الناس

1 – أحمد خاطر ، وكشك ، الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في المجال التعليمي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ١٩٩٩م ص ٣٦

2 – محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٢٢٩

التنشئة الاجتماعية الإسلامية:

أشرق ضحى الإسلام فخرجت كتائب النور لتملأ الأرض ضياءً وإسلاما ، وساد الخير واندحر الشر، وخـرجت أعناق الناس تلامس هواء الإسلام النقي بعدما حناها سيف الجهل واغمدها في طيات الفساد والانحراف، ولقد كان الإسلام دين الحرية الداعي إلى إعتاق الإنسان من عبودية أخيه الإنسان إلى ساحات الـدين الـرباني ، دين التوحيد الخالص والعبودية لله تعالى ، و لا فضل لأعرابي على أعجمي إلا بالتقوى، الناس سواسية كأسنان المشط والتفاضل في التقوى فقط .

ولقـد كانـت التربية الإسلامية هي البوابة التي يعبر أفراد الأمة الإسلامية منها ، ومن على عتباتها يزدلفون إلى ميادين النور ، وتحت ظلال هذه التربية يتلقى المسلم التنشئة الإسلامية النقية الخالصة من كل شوائب الانحراف.

ولقـد أقام الرسول ﷺ أول مدرسة للتنشئة الإسلامية في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ليتم فيها تنشئة الجـيل الأول من الصحابة، والذين هم بدورهم يستلمون زمام الرسالة بعد رسول ﷺ ليمضي هذا الجيل العظيم في نشر رسالة التوحيد على هدى من ربه وتبيان من رسول الله، فيخطون على وجه الأرض صورا من التنشئة الحقيقية القائمة على منهاج الإسلام، وليـبنوا لهذه الأمة الإسلامية حضارة وتاريخا أصبح قبلة لكل قاصد للخير وأصبح مثلا يهتدى به ليس لبني الإسلام فقط ولكن للبشرية جمعاء .

ولعـل مـن الأهمية أن نؤكد أن التنشئة الاجتماعية في الإسلام لا تخضع إلا للتشريع الإسلامي فهو المـوجه لها ثم إنه ليس من هدف التنشئة الاجتماعية الإسلامية المحافظة على الواقع الاجتماعي المنحرف ، أو إلـزام الناشئة بمسايرة المجتمع في هذه الانحرافات التي تتنافى والتشريع الإسلامي، بل إن من أهم أهداف ووظائـف هذه التنشئة رسم الحياة الاجتماعية للأفراد وفق الدين الإسلامي، و تنقية الواقع الاجتماعي مما وقع فيه من خلال ، ولقد عاب القرآن الكريم تلك التنشئة الاجتماعية القائمة على التقليد للآباء في ضلالهم وانحـرافهم عـن المـنهج الحق وعدم بحثهم عن الحق. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (المائدة ١٠٤)

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة ١٧٠).

فمعنى الآية وإذا قيل لهؤلاء الكفار كلوا مما أحل الله لكم ودعوا خطوات الشيطان وطريقه واعملوا بما أنزل الله على نبيه في كتابه استكبروا عن الإذعان للحق، وقالوا بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يحلون ، وتحريم ما كانوا يحرمون، قال الله تعالى ذكره، (أولو كان آباؤهم) يعني آباء هؤلاء الكفـــار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم (لا يعقلون شيئا) من دين الله وفرائضه وأمره ونهيه، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق، ويؤتم بهم في أفعالهم (ولا يهتدون) لرشد فيهتدي بهم غيرهم، ويقتدي بهم من طلب الدين وأراد الحق والصواب، يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آبــاءكم ، فتتركون ما يأمركم به ربكم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئا ولا هم مصيبون حقا ولا مدركون رشداً، وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه ، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز.[1]

وقد عرض القرآن الكريم كثيرا من صور التنشئة الاجتماعية الخاطئة والمنحرفة عن الصراط المستقيم ، وذم القائمين عليها و توعدهم بسوء العذاب في الحياة الدنيا والآخرة .

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(الأعراف ٢٨.)

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (يونس ٧٨.)

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنبياء ٥٣.)

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الشعراء ٧٤.)

قال تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الزخرف ٢٢.)

.قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (المائدة ١,٤)

1 – محمد بن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – دار المعرفة –بيروت ١٩٨٠م ج: ٢ ص ٧٩

انظر إلى هذه التنشئة التي غيبت العقل و قدست التقليد، يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية ((أجابوا من دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به ويقولون نحن لهم تبع ، وهم لنا أئمة وقادة ، وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم ، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل . قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئا)).[1]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ (لقمان ٢١.)

إذاً تستهدف التنشئة الاجتماعية في التربية الإسلامية غرس مبادئ الطاعة لله و رسوله والقيام بشرائع الإسلام ، وتكوين الضمير الإيماني الذي يوجه سلوك الإنسان في الحياة بشقيها العام والخاص ، مستخدمة في ذلك التوجيه والإرشاد والقدوة والموعظة ، وإنزال العقوبة الشرعية بمن يخرج عن الشريعة الإسلامية وأحكامها في المجتمع المسلم .

بل نجد أن القرآن يرشدنا إلى التنشئة الصحيحة وهي أخذ النفس إلى الهداية مهما كانت ضراوة الحرب الاجتماعية المعارضة للهداية الربانية.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (المائدة ١,٤-١,٥)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم ..٦)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء ٥٩.)

---

1 - المرجع السابق، ج: ٧ ص: ٩٤

وتهدف التنشئة الاجتماعية في الإسلام إلى تمكين النشء من الأخذ بالعقيدة الإسلامية عقيدة مجتمعه ، واكتساب الصفات الاجتماعية المستقيمة التي تنبذ الفرقة والتشتت والصراع، وتدعم المشاركة الوجدانية والتآلف والترابط والتعاون بين أفراد المجتمع، وكل ذلك يؤدي إلى تحقيق الترابط الاجتماعي داخل المجتمع المسلم .

قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الحجرات ..٦٠-١١٠)

والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية تتميز عن نظيرتها في المجتمعات الأخرى في الأهداف والغايات، حتى ولو اتفقت معها في الوسائط التربوية التي تتحقق من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .ذلك أن التربية الإسلامية تتفرد من بين التربيات الأخرى بخصائصها وغاياتها ، وبوسائلها وأهدافها، فالتربية الإسلامية بأسسها العقدية ومبادئها الفكرية تستهدف تنشئة الفرد على العبودية لله وحده والخضوع لأوامره وشريعته، أثناء تنمية مواهبه وقدراته.وهذه التنشئة الاجتماعية ليست مسئولية وسط تربوي بعينه ، وإنما مسئولية جميع الأوساط التربوية التي تعمل على تحقيق عملية التطبيع الاجتماعي وإعداد الفرد لممارسة أدواره الاجتماعية في الحياة .[1]

1 – محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية ،مرجع سابق ، ص٢٢١

نماذج للتنشئة الاجتماعية في الإسلام

يولد الإنسان وليس له قدرة على العيش وحده مثل بعض الكائنات ، بل لا يستطيع البقاء إلا في ظل أبوين يكفلان له حق العيش فترة طويلة حتى يشتد ساعده وتكتمل قدراته الجسدية والفكرية التي تميؤه للاعتماد على نفسه، أما قبل هذه اللحظة فهو يحتاج إلى بيئة اجتماعية تقوم بتنشئة وتنمية استعداداته وإمكانياته الكامنة في ذاته، وتزويده بأنماط السلوك والاتجاهات والقيم التي تسهل له القيام بدوره الاجتماعي ، وإكسابه الصفات الشخصية والإنسانية .

والبناء الاجتماعي السليم يقوم على أربعة أصول أساسية هي:

- سلامة العقيدة من الضعف ومن الخلل.
- والفهم السليم الواعي العميق لدين الله .
- ونظافة النفس وشفاء القلب من الأمراض الباطنية .
- والفهم السليم لواجبات المجتمع وآداب السلوك الاجتماعي .
- والالتزام بالعمل بمقتضاه. [1]

ومن صور التنشئة الاجتماعية التي نجدها واضحة في القرآن الكريم قصة إسماعيل ، وتنشئته لأهل بيته على العبادة ، و أمره لهم بإقامتها و صبره على ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ (مريم /٥٤-٥٥)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة مريم (آية ٥٤-٥٥): هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم ... وهذا الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة، حيث كان صابرا على طاعة ربه عز وأجل، أمرا بها لأهله [2].

كما أن أمر الأهل بالصلاة والحرص عليها هو ما خوطب به خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (طه١٣٢)

---

1 - المرجع السابق ، ص٢٣٥

2 - ابن كثير — تفسير القرآن ،مرجع سابق ، — ج ٣ص١١٠

ونجـد أن يعقـوب علـيه السـلام حريصا على تنشئة ذريته على التوحيد قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢-١٣٣)

ومـن الـنماذج القرآنية في التنشئة المتكاملة (عقائديا و تعبديا، واجتماعيا و أخلاقيا) ما نجده في مـوعظة لقمـان لابنه إذ يأمره بالتوحيد والانقياد لله تعالى و ينهاه عن الشرك ويأمره بالصلاة ، و يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، و ويأمره حسن العلاقات الاجتماعية واحترام الحياة الطبيعية من حوله .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (لقمان12-١٩.)

إذا التنشـئة الاجتماعـية في الإسـلام تأخـذ مـن هـذه الـنماذج القرآنية القدوة الحسنة قال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام ٩٠.)

ثم إن السنة النبوية التي اشتملت على أعلى نموذج تربوي للتنشئة الاجتماعية تتمثل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته عنِ الأسودِ قال: «سألْتُ عائشةَ: ما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَصنعُ في بيته؟ قالت: كان يكونُ في مَهنةِ أهله ـــ تَعني خِدمةَ أهله ـــ فإذا حضَرَتِ الصلاةُ خرجَ إلى الصلاة». [١]

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما أنه سمعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعيّته: فالإمام راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرجُلُ في أهله راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والمرأة في بيتِ زوجها راعيةٌ، وهيَ مسؤولَةٌ عن رعيّتها، والخادمُ في مالِ سيّده راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيّتِه. قال: فسمعتُ هؤلاءِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسبُ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: والرّجُلُ في مالِ أبيهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّتِهِ، فكُلّكم راعٍ، وكلّكُم مسؤولٌ عن رَعيّته». [٢].

وروى الترمذي، عن ابنِ عُرْوَةَ عن أَبِيه عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: قالَ رَسُولُ اللّهِ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لاهلِي، وَإذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ».[٣]

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أهله بإقامة شعائر الله فعن أُمِّ الْحَكَمِ أَوْ ضُبَاعَةَ ابْنَتَيْ الزُّبَيْرِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب، حَدَّثَتْهُ عنْ إِحْدَاهُمَا أَنّهَا قَالَتْ: « أَصَابَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبْياً فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُخْتِي وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فيه وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَأْمُرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ السَّبْيِ، فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبَقَكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ، وَلَكِنْ سَأَدُلُّكُنَّ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُنَّ مِنْ ذَلِكَ تُكَبِّرْنَ الله عَلَى إِثْرِ كُلِّ صَلاَة ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ تَكْبِيرَةً وَثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ تَسْبِيحَةً وَثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ تَحْمِيدَةً وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». قالَ عَيَّاشٌ وَهُمَا ابْنَتَا عَمِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.[٤]

إن على التربية أن تحافظ على الناشئة وأن تنقل إليهم مبادئ الإسلام وأخلاقه حتى يتخلقوا بها و ينشئون على هدى الإسلام ، وإن في تعاليم الإسلام ما هو حري بالنقل والتأصيل ، ومنه ما يجب تعميقه في نفوس الناشئة من أجل أن يتحقق المجتمع الإسلامي المتكامل.

1 – البخاري ،مرجع سابق ،رقم الحديث ٥٩٠٠

2 – البخاري، ،مرجع سابق ، رقم الحديث، ٥٠٧٩

3 – الترمذي ،مرجع سابق ،، رقم الحديث ٤٠٦٢ ،ج١٠،ص٤٤٦

4 – سنن أبي داؤد، ،مرجع سابق ، حديث رقم، ٢٩٨٩

المبحث الثالث
الأسرة والتنشئة الاجتماعية

أولا- الإنسان في علم اجتماع التربية الإسلامي:

إن علماء الاجتماع الغربي و علماء تاريخ الأجناس البشرية يرتكبون خطأً عظيماً عند دراستهم لأصل الإنسان ؛ حيث يخبطون فيه خبط عشواء ويدعون فيها أمورا هي إلى الجهل اقرب منها إلى الحق ، فهم يتخبطون في وصف أصله ومبدئه حيث يبدؤون تاريخ الإنسان بأكذوبة أنه متطور عن الحيوان ، ويذهبون في ذلك مذاهب شتى ويتجاهلون وصف الأديان للإنسان المخلوق والمكرم آدم ﷺ .

وحيث إن التطوريين أعادوا تركيب التاريخ الإنساني على أساس أسطوري حيث ((لم يجد الفكر العلماني أمامه إلا أن يملأ الفجوات المجهولة في التاريخ بالخيال الأسطوري)) نسبوا أصل الإنسان إلى القرد ، ثم وصموا الإنسان الأول بالغباء ، ووصموا المجتمع الأول بالبدائية ، و لم يصل الإنسان إلى درجة الكمال إلا في الإنسان الأوربي المعاصر.

ومن هنا نؤكد أن علم الاجتماع الإسلامي ومنه - علم الاجتماع التربية- يرفض هذا التصور جملة وتفصيلا ، ويعيد الأمور إلى نصابها ، ويقتبس الحقيقة من الوحي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، المحفوظ من الله تعالى إلى قيام الساعة ليكون للعلمين هدى ورحمة قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ (الحجر/٩)

ومن المعلوم يقينا لدى المسلمين أن الله تعالى خلق آدم خلقا تاما ، كامل الاستعداد لما كلفه الله به من الخلافة في الأرض وفضله على خلقه حيث خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وكرمه بالعقل والعلم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ (البقرة /٣٠-٣١)

ويروى ابن عباس رضي الله عنه أن الله قد علم آدم أسماء كل شيء: (الكليات والجزئيات) وقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس: (وعلّم آدم الأسماء كلها) قال: علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب هذا حمار،

هـــذا حمل، هذا فرس وقال الضحاك عن ابن عباس: (وعلم آدم الأسماء كلها) قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف الناس بها: إنسان ودواب وارض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.(1)

وقـــال ابـــن كثير رحمه الله في هذا المقام ((هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف ادم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفضل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخلقية حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى أنه يعلم مالا يعلمون ، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم من العلم)). (٢)

حقيقة الإنسان في التربية الإسلامية:

الإنسان في التربية هو جوهرها وهو حجر الزاوية وعليه ومن أجله تقوم العملية التربوية وقد حاولت معظم الفلسفات التربوية تعريف ماهية الإنسان وسبب وجوده والغاية من هذا الوجود وما بعد هذا الوجود وكـــل مـــنها يخبط خبط عشواء ، حيث أنهم في سعيهم هذا يعتمدون على معارف وضعية ، وتصورات بشـــرية بعيدة عن مصدر الحقيقة(ومازال الإنسان منذ وجد على وجه الكرة الأرضية مأخوذ بسوء الفهم لنفســـه ، يمـــيل إلى جانـــب الإفراط حينا فيرى أنه اكبر وأعظم كائن في العالم وينادي بذلك وقد امتلأ أنانية وكبرياء ، كما نادى فرعون في قومه قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . (القصص ٣٨)

ويـــربأ بنفسه أن يعتقد أنه مسئول أمام أحد ، ويتحول إلى متأله يستهدف القهر والجبروت والبطش والظلم والشر والطغيان . ويميل إلى جانب التفريط حينا آخر فيظن أنه أدنى وأرذل كائن في العالم فيطأطئ رأسه أمام كل شجرة أو حجر)(٣).

وقد ظنت تلك المدارس الغربية أنها تستطيع أن تتجنب مجموعة الأسئلة. ما الإنسان ؟ ما وظيفته ؟ ما دوره في الحـــياة ؟ مـــا طاقاته ؟ ما حدود هذه الطاقات ؟ . أو ظنت أنها ينبغي أن تتجنب هذه الأسئلة ، فكانـــت هـــذه النتـــيجة الأخـــيرة – كما قال كاريل – هي الجهل المطبق بحقيقة الإنسان وإنشاء نظم وحضارات ونظريات – علمية – من شأنها تدمير الإنسان (٤).

1 – ابن كثير – تفسير القرآن العظيم،مرجع سابق ، ج١ص٧٣

2 – المرجع السابق ج١ ص٢٥٠

3 – عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ،مرجع سابق ، ص ٣١

4 – محمد قطب، منهاج التربية، ج١،ج٢ ، دار الشروق : بيروت .١٤٠٣هـــ ص ٢٧

يقول أحد العلماء الغربيين (جون توركيفيتش): (بأن السؤال الأساسي المطروح على الإنسان في هذا الوجود هو: لماذا أنا هنا ؟ لماذا أنا على هذه الأرض؟ فكل شخص؛ رجلا كان أم امرأة سوف يطرح على نفسه يوما هذا السؤال . ويزداد طرحه إلحاحا كلما تقدم الإنسان في العمر واقترب من مصيره المحتوم) ويقول (جان غيتون): (بأن السؤال الأساسي الذي شغله طيلة حياته كلها: معنى الحياة والموت ..فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يفكر في الموت وما بعد الموت).

ففي غياب الدين والمعرفة الإلهية يتخبط الإنسان ، ويضل ولن يصل إلى الحقيقة ، لأن هذه الحقيقة مصدرها الوحي ولاشيء غير الوحي يهدينا إلى الحق ، و المعرفة المتعلقة بالقضايا المصيرية العظمى يقول (ليشنرويز) أحد العلماء الكبار في فرنسا ((بسبب الناجحات الصارخة التي حققها العلم في القرن التاسع عشر فإن الناس ظنوا أنه قادر على الإجابة عن كل الأسئلة بما فيها الأسئلة المتعلقة بالموت ، وما بعد الموت و الآن يعود الغربيون عن وهمهم هذا. وحده الإيمان قادر على أن يقدم لنا شيئا في هذا المجال. فمشكلة المعنى الأخير للوجود مشكلة تدخل ضمن نطاق اختصاص الدين لا العلم .)) [1]

وعلى ضوء ما سبق من أفكار نصل إلى النتائج التالية:

١- الجهل بأصل الإنسان وكيفية الإنسان الأول مما ترتب عليه بعض الصور العنصرية لبعض الأجناس واحتقار بعض الأصول البشرية

٢- الأخذ بنظرية البقاء للأفضل والأجدر والأقدر على مجابهة الطبيعة من حوله ، ويلاحظ ذلك في قضاء الأوربيين على السكان الأصليين في الأمريكتين وغيرها.

٣- دعوى سمو الجنس الأبيض على غيره من الأجناس البشرية .

٤- المساواة بين الإنسان والحيوان في كثير من السلوكيات كما تفعل المدرسة الماركسية السلوكية في علم النفس .

٥- تأليه الإنسان وتقدسه كما تفعل النظرية الوجودية.

ويقول يوسف القرضاوي : ((إن القرآن كتاب الإنسان فالقرآن كله حديث إما للإنسان أو حديث عن الإنسان)) .[2]

هذا هو موقف الإسلام من الإنسان ؛ إذ جعله جوهر الوجود الكوني

1 - هاشم صالح، العلم والأيمان، كتاب الرياض – جريدة الرياض العدد –٥١– ١٩٩٨م ص ٩٤

2 - يوسف القرضاوي – الرسول والعلم ، مرجع سابق ، ص٣٣

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ۝٧٠ ﴾ (الإسراء:٧٠).

والإنسان مخلوق مكرم كرمه الله سبحانه ودعا إلى تقديره واحترامه وفتح المجال أمامه ليكون شخصيته حسب قدرت إمكانياته التي أوجدها الله فيه ((وان الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية ليست كرامة مفردة ولكنها كرامة مثلثة . كرامة هي عصمة وحماية ، وكرامة هي عزة وسيادة وكرامة هي استحقاق وجدارة وكرامة يستغلها الإنسان من طبيعته قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء: ٧٠) وكرامة من عقيدته قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ (المنافقون ..٨)

وقد عرض الإسلام حقيقة الإنسان من حيث أصله ومميزاته وما فضل به على غيره من المخلوقات ، وعلاقته بالوجود من حوله ، وقابليته للخير والشر ، ومن مناحي التفضيل التي ذكرها الإسلام ما يلي:

أصل الإنسان وخلقه ، وينقسم ذلك إلى قسمين : الأول خلق آدم من طين ، ثم نفخ فيه الروح وأسجد له الملائكة وأسكنه الجنة .

الأصل الثاني: خلقه من ماء مهين قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾ (السجدة/٧-٨)

تكريم الإنسان في أصله (آدم) ، ثم تكريمه في الأرض على سائر المخلوقات بالأمانة والتكليف والاستخلاف في الأرض لعمارتها ، و تميز الإنسان بالعقل والاختبار والامتحان في الحياة الدنيا .[1]

1 – ابن كثير– تفسير القرآن العظيم– ، مرجع سابق ، ج٣ ص٤٣٠

ثانيا- الأسرة في علم اجتماع التربية الإسلامي:

الأسـرة في لسـان العرب مشتقة من مادة أسر ((الأسرة الدرع الحصينة ، وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون ، لأنه يتقوى بهم ، والأسرة : عشيرة الرجل وأهل بينه .))[1]

والـباحث يرى أن مفهوم الأسرة يراد به : قرابة الرجل وأهل بيته الذي تربطهم به قرابة شرعية و تجب عليه نفقتهم ، و قد تتكون من زوجة وأبناء وأب وأم (جد وجدة) .

وإن الأسرة هي المحطة الأولى في حياة كل إنسان، وفيها ينشأ ويترعرع على تلك المبادئ والنظم التي تتبناها هذه الأسرة وترتضيها لتساعدها على الحياة، والأسرة المسلمة تتمتع بمنهج متكامل للحياة ، تكفلت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وهذه أهم الروابط الشرعية التربوية لقيام الرابطة الشرعية للأسرة المسلمة:

قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ (النساء/٣).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾(الإسراء/٣٢).

قال تعالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة النور/٢٦).

قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم٢١)

إن الـرابطة التي تجمع بين الرجل والمرأة في الإسلام منظمة ، وتخضع لأساليب منظمة يتم على إثرها اجتماع الرجل والمرأة على رابطة الزواج، وهذه الرابطة لا تخضع لدوافع غريزية بحتة، ولكنها تخضع لروابط شرعية متكاملة ينبني عليها نظام الأسرة وأحكامها، ولقد هدف الإسلام إلى إيجاد هذه الرابطة الشرعية التي تعطـي كل من أفراد الأسرة حقوقهم كاملة دون أن يطغى جانب على جانب ، أو يحرم أحد أفرادها من حقه الذي كفله له الإسلام.

ولقـد اهتم الإسلام بالأسرة ، وشرع لها الأحكام التي توثق رباطها وتكفل لها تماسكها وأمنها لكي تعيش في جو آمن من النزاعات أو الفرقة التي تعصف بكثير من الأسر التي لا تقوم على هذه الأحكام، أو لا تأخـذ بهـا علـى وجه الكمال، والناظر إلى سور القرآن الكريم يدرك كيف اشتملت على نظام الأسرة وعنايـتها بهذه اللبنة حتى أصبح بين أيدينا نظاماً أسرياً متكاملاً "دستور الأسرة" والإسلام في هذا الدستور

1 - ابن منظور — لسان العرب — ج٤،ص١٩-٢٠

يهــدف إلى تحقــيق روابط أسرية خالدة يحفظ بها العرض من الانتهاك، والنسل من الضياع، والمجتمع من التفكك، ولكي ينبني على ذلك تلك القاعدة الاجتماعية المتماسكة في بنائها وهي "الأسرة المسلمة" فتختفي معهــا تلــك الجرائم الأسرية، أو الانحرافات التي تنجم عن التفكك الأسري فيحدث نتيجة لذلك الضياع لأفــراد الأسرة والحرمان، أو التنكر لأحد أفرادها، مما يترتب عليه فقدان التوازن الأسري وضياع حقوق الكثير من أفراد هذه الأسرة. [1]

ومــن المعلــوم أن المجــتمع الذي تقوم فيه الأسرة على الرابطة الشرعية ينشأ أفرادها أسوياء خلقاً وســلوكاً، متــزنين في سلوكهم تسودهم مبادئ الأخوة والرحمة والإيثار، وتندر فيهم حالات الحرمان أو الــتفكك، وعلى نقيض ذلك المجتمع الذي لا يقوم فيه الزواج على هذه الروابط الشرعية ؛ حيث تسوده مظاهــر الــتفكك والانتقام والحقد الاجتماعي ، وتظهر جرائم الأحداث التي تهدف إلى الانتقام من ذلك المجــتمع الــذي أوجــد تلك المبادئ الهدامة مما يترتب عليه ضياع الكثير من الأطفال وتشردهم، وانتهاك حقوقهم الإنسانية.

إن التربية الاجتماعية في الإسلام تقوم على تحقيق هذه الروابط الشرعية التي يقوم عليها بناء الأسرة المسلمة ، فهي تدعو إلى الفضيلة والعفة، وصيانة الأعراض، وحماية النسل من الضياع، وهي تربية تقع عليها مسئولية إيجاد تلك الروابط الأسرية الشرعية التي تكفل لأفرادها حقهم في أن يعيشوا في ظل أبوين رحيمي، وفي ظل مجتمع تسوده الرحمة والشفقة والعطف، وتحكمه الفضيلة ، وتضبط غرائزه ضوابط الشرع، ومثل هذه الضوابط التي تقوم عليها التربية الإسلامية كفيلة بإيجاد ذلك البناء الأسري المتكامل.

والتربية التي تهدف إلى خلق مجتمع متماسك لا بد لها من أن تقوم على أسس ربانية في جميع شئونها حتى يكتمل البناء ويتحقق العدل الأسري والاجتماعي في جميع جوانب الحياة فهي تقوم على غرس القيم والأخلاق في نفوس الناشئة، وتنمي فيهم معنى الولاء للأسرة، ومبدأ حمايتها من عوامل التفكك أو النشاز، وتقوم إلى جانب ذلك بتهذيب الغرائز حتى تنمو نمواً صحيحاً، يوافق تعاليم الإسلام التي أرشدتنا إلى الطريق الصحيح لتفريغ هذه الغرائز وفق السبل المباحة، وتجنب السلوكيات المنحرفة ، وإبراز الوعيد الشديد لمن خالف شرع الله وسعى إلى نشر الرذيلة والفساد. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾ (النجم ٣١).

1 – عبد الله العايش، الدلالات التربوية للأمن في القرآن والسنة– رسالة ماجستير غير منشورة –كلية التربية – جامعة أم القرى بمكة المكرمة –١٤١٦هـــ ٠ص٢٣٢

إن على التربية أن تتضمن في مناهجها الإسلامية "إعداد الشباب من الجنسين ليكونوا أزواجاً صالحين تستقيم بهم حال الأسرة وتقوى روابطها، وتقوم أواصر العلاقة بينهم على أنهم جميعاً ذكوراً وإناثاً من نفس واحدة.)) [1]

ويهدف المسلم من تكوين الأسرة أن يحقق ما يلي [2]:

- العبودية المطلقة لله رب العالمين ، بامتثال أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، الذي حث على الزواج وأمر به .
- التأسي بالأنبياء والمرسلين ؛ إذ ما بعث الله نبيا إلا كان له أزواجا وذرية.
- بقاء النوع البشري الذي هو ثمرة الزواج .
- إيجاد الحياة الكريمة التي قوامها الراحة النفسية والطمأنينة القلبية .
- إرواء الغريزة الجنسية التي هي فطرة فطر الإنسان عليها .
- إرواء غريزة الحب بين الزوج والزوجة ، بين الزوجين والأولاد.
- حفظ الفرد والمجتمع من الانحراف .
- المحافظة على الأنساب من الاختلاط و تداخل الأسر .
- إيجاد نسل طيب مبارك وتربيته على الإسلام تربية صحيحة .

١- الرابط الشرعي لقيام الأسرة:

رأينا في أول بحثنا هذا كيف نظر علماء الاجتماع الغربي إلى تكوين مفهوم الأسرة في المجتمعات الأولى من الجنس البشري ، وكيف ادعوا أن العلاقة الأولى بين الرجل و المرأة كانت علاقة غير مشروعة ، وأنها لم تعرف العلاقات الزوجية المنظمة إلا بعد مراحل وبعدما اكتشفت قانون التبادلات الاقتصادية ، وقد رددنا عليهم في موضعه سوف ننطلق الآن إلى إيضاح مفهوم الأسرة في علم الاجتماع الإسلامي.

إن الأسرة الأولى تتكون في المفهوم الإسلامي على ضوء التشريع الإلهي الذي نظم علاقة الرجل بالمرأة، وذلك ليقوم الإنسان بعمارة الأرض ، ولكي يستمر الجنس البشري شرع الله تعالى لنا الحياة

1 - محمد حامد الأفندي –نحو مناهج إسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧

2 - خليل الحدري – التربية الوقائية في الإسلام – رسالة ماجستير منشورة – جامعة أم القرى –مكة المكرمة ١٤١٨هـ ص ص ٣٣٣-٣٣٤

الزوجية ، فهي سكن اجتماعي ونفسي يأوي إلى ظله جميع أفراد الأسرة، وتنمو عواطفهم الخيرة، وتسود روح الـــرحمة والشفقة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم٢١)

و{وجعـــل بينكم مودة ورحمة}، أي جعل بينكم بالمصاهرة مودة تتوادون بها وتتواصلون من أجلها ورحمة رحمكم بها فعطف بعضكم بذلك على بعض [1].

وقـــال ابـــن عباس رضي الله عنه: المودة الجماع، والرحمة الولد. وقيل المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضـــهم على بعض. وقال السدي: "المودة" المحبة، و"الرحمة" الشفقة. و روى معناه عن ابن عباس، قال: المودة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء... وخلقت المرأة سكناً للرجل. [2]

قـــال سيد قطب: ((والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم ، وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشـــاعر، وجعلـــت في تلـــك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء))[3]

ويضـــيف ((وخلـــق كـــل مـــن الجنســـين موافقاً للآخر، ملبياً لحاجاته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعيهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة)) [4]

وتعـــيش الأسرة في الإسلام ضمن علاقات اجتماعية من صلاتها وحسن عشرتها وفق المنهج القرآني الـــذي أعـــد لها نموذجاً للحياة السعيدة، ووصفها بأوصاف جليلة تدل على عظم دورها، وجعلها صرحاً شامخاً له وجوده وكيانه، حتى أصبحت الأسرة في الإسلام نظاماً اجتماعياً مميزاً، لها حقوقها وعليها واجباتها تجاه نفسها والأسر المحيطة بها، وكذلك تجاه مجتمعها ومحيطها الحياتي.

---

1 – ابن جرير الطبري –جامع البيان في تفسير القرآن ، مرجع سابق ، ج٢١ ص٣١

2 – القرطبي –الجامع لأحكام القرآن–، مرجع سابق ، ج١٤ ص١٧

3 – سيد قطب –ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج٥ ص٢٧٦١

4 – المرجع السابق – ج٤ ص٢٢٢٢

ومن هنا ندرك أن تكوين الأسرة وفق شرع الله تعالى هو ضرورة حتمية لنجاحها ولنجاح أفرادها ، فلا بد من تشريع شامل يجمع الزوج والزوجة، ولذلك اهتم ((الإسلام بإبراز الصلة النفسية والروحية بين الـــزوجين وتأكيد ما بينهما من رباط قوي وميثاق غليظ.. فإذا رفعت العلاقة إلى درجة الأمانة وفوضت الرقابة فيها إلى الله انتفى الطغيان وانمحى البأس، وكفت خشية الله نوازع الشرور والهوى)) [١].

وبهـــذا أصبح الرباط الأسري في مأمن من الانقطاع. ومن هنا اهتم الإسلام برعاية الأسرة من آفات الفســـاد ومعـــاول الهدم التي تصيب الأمم في مختلف المراحل الاجتماعية، ولذلك أوجب على القائم بأمر الأسرة أن يكفل لها الأمان والحماية، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وســـلم: كلُّكـــم راعٍ وكلُّكم مَسؤول: فالإمام راعٍ وهو مسئول، والرجلُ راعٍ على أهله وهو مَسؤول، والمـــرأة راعيةٌ عَلَى بيتِ زوجها وهي مسئولة، والعبدُ راعٍ على مالِ سيِّدِهِ وهو مسئول، ألا فكلكم راعٍ وكلُّكم مَسؤول)) [٢]

إن مفهوم الرعاية في الحديث مفهوم شامل وعميق في جانبيه المعقول والمحسوس، أو المعنوي والمادي قال ابن حجر: وحديث الباب إنما سبق للتحذير من الخيانة، والتخويف بكونه مسئولاً أو محاسباً [٣] .

ولذلك لا بد من رعاية الأسرة من جميع الجوانب من مأكل ومطيب ومسكن، وتربيتها على الصفات النبيلة التي حث عليها الإسلام ؛ حيث إنه مقصد من مقاصد الرعاية كما يرعى الراعي قطيعه فيورده الماء ويرتع به على العشب، ويحمي حوزته من السباع، كذلك الأسرة في الرعاية والمداراة من قبل رب الأسرة.

٢- تكوين الأسرة المسلمة:

تبدأ مرحلة الحياة الأسرية بتكوين الأسرة المسلمة وذلك باختيار شريك الحياة، وأسس هذا الاختيار ((ســـلامة العقـــيدة، ودماثـــة الخلق، ونقاء الفطرة، و أصالة الشرف، وذلك ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملـــة، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة، وللأسرة شرفها واستقرارها المنشود . والزوجة الصالحة في الإســـلام هـــي التي تستطيع أن تفي لزوجها برغباته الفطرية والتي تتأصل فيها الصفات الإنسانية الكفيلة باستقرار الأسرة واستعصائها على الاضطراب . [٤]

1 - مصطفى عبد الواحد –الأسرة في الإسلام- مكتبة المتنبي – ط٢ – ١٣٩٢هـ الرياض. ص٤٨

2 - البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث ٥٠٦٧

3 - أحمـــد بن علي بن حجر – فتح الباري شرح صحيح البخاري - –تحقيق ابن باز ورقمها ، محمد فؤاد عبد الباقي – دار الكتب العلمية – ط الأولى – بيروت ١٤١٠هـ- – ج٢ ص٨٤٨

4 - محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص٢٣٢

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴾ (البقرة ٢٢١)

وعـن جَابرُ بْنُ عَبْد اللَّه رضي الله عنه ، قَال: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فِي عَهْد رَسُول اللَّه، فَلَقيتُ النَّبيَّ فَقَالَ «يَا جَابرُ!اتزَوَّجْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ؟» قُلْتُ: ثَيِّبٌ. قَالَ: «فَهلاَّ بكْراً تُلاعبُهَا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه! إنَّ لي أَخَوَات. فَخَشيتُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْني وَبَيْنَهُنَّ. قَالَ: «فَذَاكَ إِذَنْ. إنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَىٰ دينهَا، وَمَالِهَا، وَجَمَالِهَا. فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». [1]

ولهذا فالزوج المثالي في نظر الإسلام فهو الذي تجتمع فيه صفات الإنسانية الفاضلة وأخلاق الرجولة الكاملـة، ولهـذا رجح الإسلام الفقير، الطاهر النفس، المستقيم الخلق، على الغني الذي لا تتوفر فيه هذه الخصال . [2]

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ (البقرة ٢٢١)

عـن أبي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه ، قال: قالَ رسولُ الله: «إذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ. إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ عريضٌ». [3]

٣- الحقوق و واجبات الأسرة المسلمة :

إن مـن أهم أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية للأسرة المسلمة أنها تهدف إلى تكوين وإعداد أسرة مسـلمة صالحة تقيم شرع الله ، وتبني حياتها على ضوء المنهج الرباني ، وتسعى إلى تربية و إعداد أفرادها إعـداداً إسلامياً متكاملاً يحقق لهم تكوين قاعدة إسلامية متكاملة البناء الروحي والجسدي، وتكفل لكل عضـو فـيها حقه و واجباته وتقيم مبدأ التكافل الأسري وحب الانتماء لبعضهم البعض، ومن أهم هذه الحقوق والواجبات الأسرية:

أ- حق الزوجين: إن من أهم الحقوق الأسرية التي أمر الله تعالى بإقامتها والوفاء بها حقوق الزوجين تجـاه بعضهما البعض، فهذه الحقوق المشتركة بينهما يجب على كل واحد منهما الوفاء بها واحترامها كما

---

1 - البخاري، مرجع سابق ، رقم الحديث، ٣٥٩١

2 - محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص٢٢٣

3 - البخاري، ، مرجع سابق ، رقم الحديث، ١٠٧٨

أمر الله تعالى بها، والبعد عما يضر بهذه الحقوق أو يترتب عليه انتهاكاً لها حتى يتم تكامل البناء الأسري ، ويظـــل شامخاً وملاذاً آمناً لجميع أفراد الأسرة المسلمة. وعندما يقيم الزوجان حياتهما على الوفاء والقيام بما أوجـــب الله علـــيهما ينعكس ذلك بدوره على الأبناء، حيث يعيشون في واقع سعيد، فينعكس ذلك على الأبناء تجاه الوالدين فيقومون هم بدورهم الطبيعي وهو إكرام الأبوين ، ورعايتهما وإيفائهما حقوقهما.

ب- حق الوالدين: من الحقوق التي ثبتت بنص القرآن الكريم و دعوته إلى القيام بهذا الحق (حق الوالدين) قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة الإسراء ٢٣).

قـــال ابن كثير: أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك كما قرن شـــكرهما بشكره، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (لقمان/١٤)

وقوله {..إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف..} خص حالة الكبر لأنها الحالة الـــتي يحتاج فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر ، فلزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر مما ألـــزم من قبل ، لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليه محتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليانه ، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر.[1]

وقال الطبري: " أن تحسنوا إليهما وأن تبروهما)) [2]

وعـــن مجاهـــد قال " إما يبلغن عندك الكبر فلا تقل لهما أف حين ترى الأذى وتميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً ، أو لا تؤذهما"

قال الإمام القرطبي: "قال علماؤنا: وإنما صار تقوله أف للأبوين أردأ شيء، لأنه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية التي أوصاه في التتريل، و{أف} كلمة مقولة لكل شيء مرفوض.. وعلى أن يخفـــض لهما جناح الذل من الرحمة ، وهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمـــير والعـــبد للسادة، وأن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذله في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إلـــيهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب، وقوله {كما ربياني } حق التربية ليتذكر العبد شفقة الأبوين

1 – ابن كثير –تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ج٣ ص٣٥

2 – الطبري، التفسير، ، مرجع سابق ، ج ١٥ ص٦٢

وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما . [١] وأن يقول لهما قولا كريما لينا طيباً حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم .[٢]

وفي السنة النبوية من النصوص ما يوجب حقهما على الأبناء ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سأل رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة لوقتها، وبر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله...))[٣]

ثم إن من الإحسان والبر بالوالدين ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف [٤]

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه" قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: "يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه ويسب أمَّهُ فيسب أمَّهُ "، وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" قلنا: بلى يا رسول الله قال ثلاثاً: الإشراك بالله وعقوق الوالدين...)) [٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال عليه الصلاة والسلام: أمك ثلاثاً ثم أبيك))[٦] قال القرطبي رحمه الله: وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاعة والتربية تنفرد بها الأم دون الأب فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب. وقال الليث: أمر بطاعة الأم ، وزعم أن لها ثلثي البر، وقال المحاسبي: لا خلاف بين العلماء أن للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع .[٧]

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد، وإلى التضحية بكل شيء حتى بالذات، كما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر، وكذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية — فأما

1 – القرطبي، التفسير، ، مرجع سابق ، ج١٠ ص٢٣٨
2 – ابن كثير –تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٣ ص٣٥
3 – البخاري، ، مرجع سابق ، حديث رقم ٧٥٣٤
4 – القرطبي، التفسير، ، مرجع سابق ، ج١٠، ص٢٣٨
5 – البخاري ، حديث رقم ٥٩٧٣، ٥٩٧٥، ٥٩٧٦
6 – البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم (٥٨٣٤)
7 – القرطبي –التفسير، مرجع سابق ، ج١٠ ص٢٣٨

الأولاد سرعان ما ينسون هذا كله ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية... ومن ثم لا يحتاج الآبـــاء إلى توصية بالأبناء وإنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف، وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد بعد الأمر المؤكد بعبادة الله.[1]

والأســـرة المسلمة التي قامت على أساس المـــودة والرحمة والطهر والعفاف منذ اللحظة الأولى حري أن تستمر على هذا المنهج حتى آخر الطريق، فيورثه الآباء للأبناء، ويسعد بذلك مجتمعهم، حيث تحقق مبدأ الأسرة الصالحة، والتربية الإسلامية بكل صورها تسعى إلى تحقيق هذه الغايات السامية التي تزيد من تماسك الأسرة المسلمة في عصر تداعت فيه كل الـــروابط الأسرية والاجتماعية.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم ٢١).

إن تحقيق التنشئة الاجتماعية المتكاملة للأسرة يساعدها على إعداد أفراد أسوياء يحملون في نفوسهم صـــورة الأسرة الواحدة لكل أفراد المجتمع مما يخلق فرصاً أفضل لتكامل المجتمع المسلم وتكافله أمام دواعي العصر الملحة ، وأمام هجمات الأعداء المتكررة على الإسلام والمسلمين في كل بقاع الدنيا.

ومـــن ناحية أخرى على الأسرة أن تفهم وتعي تماماً طبيعة الوظائف الرئيسية لها والتي تساعدها على تحقيق غايتها ومثلها التي تسعى إليها.

وعلى ذلك فإن المجتمع المسلم يقف مسئولاً عن مبدأ التكافل الاجتماعي والتضامن والوحدة الجسدية للجماعة المسلمة ، وأن يقيم تلك الحقوق التي اندثرت كحق الأسرة بعضها على بعض ، وحق الآباء وحق الجار وابن السبيل وحق العاجز والفقير على مجتمعه ودولته ليحيا حياة طيبة آمنة. ولتجد الأسر الفقيرة من يكفل لها حقها في العيش حتى تتمكن من القيام بدورها الاجتماعي .

وعلى التربية اليوم تقع مسئولية إعادة صياغة الفرد والأسرة من ناحية ولائه وانتمائه إلى أمته ومجتمعها وحضارتها، حيث أصبحت حاجة ملحة يجب القيام بها حتى تتحقق صورة المجتمع المسلم.

---

1 - سيد قطب –ظلال القرآن، مرجع سابق ، ج٤ ص ٢٢٢٢

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات/١٠.) وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ ﴾ (آل عمران ١٠٣)

والأسـرة المسلمة تتحمل مسئولية كبرى في تحقيق هذا الإعداد الاجتماعي ، وذلك من خلال رسم الصورة الصحيحة لها من واقع الحياة الإسلامية المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تربي أفرادها على القيم الإسلامية، والانتماء إليها وإلى الأخلاق الحميدة وأن تشجع فيهم قوة التصـدي والنقد لكل ما هو دخيل على حضارتنا وقيمنا وأن تعزز في أفرادها بأنهم جزء أصيل من المجتمع المحـيط بهم لا يمكن أن ينفصل بعضه عن بعض ، بل الجميع ((يعيش آمال وأحزان مجتمعه يفرح لفرحهم ويتألم لألمهم ويسعى لهم وعليهم)). [1]

ج–حقوق الأبناء: إن الأسرة مسئولة عن صيانة حقوق أطفالها صيانة متكاملة، وهذه المسئولية تقع علـى كاهل كل من الأب والأم على حد سواء فيما يختص به كل منهما، وذلك منذ اللحظة الأولى لبناء العش الزوجي، فالأب على سبيل المثال مسئول عن تحقيق البناء السكني والأمن الاقتصادي، وحسن اختيار الـزوجة وأمـنها في ظلـه من أي اعتداء أو تقصير، وكذلك مسئولية الأب تجاه الطفل منذ كان نطفة، ورعايـته وأمه أثناء الحمل فيبعدها عن القلق والخوف، أو ما يؤثر على نفسها ما ينعكس على حالة الطفل أثـناء الحمل، وكذلك توفير الطعام اللازم والمناسب لحالة الأم حتى يخرج الطفل إلى سماء الوجود مكتمل البناء الجسدي والنفسي، وكذلك الحرص على أمن الأم أثناء حملها حتى لا تتعرض حياة الجنين إلى الهلاك من خوف أو رعب، قد يقع عليها.

والأم كـذلك مسئولة فيما يخصها تجاه طفلها وأسرتها من أمانة على حياتها الأسرية، وحفظ لحقوق زوجهـا المادية والمعنوية، وسعي على راحته وتطييب خاطره، وحسن التربية لأطفالها من إعداد خلقي أو غـذاء جسدي أو نفسي، إن هذه الحقوق الواجبة للطفل على الأبوين توفر له حق الحياة الآمنة والمطمئنة. فإن توفير التربية السوية للطفل عند ولادته وإتباع تعاليم الإسلام في تربيته منذ اللحظة الأولى، بالفرح عند قدومه والتهنئة به، وكذلك الأذان في أذنه حتى يهدأ روعه ولا يسبق إليه الشيطان، فتأمن حواسه ومشاعره بهـذا النداء العظيم بوحدانية العقيدة والأمن بها، ثم حسن اختيار الاسم له ، وحسن تربيته وعدم التضييق عليه في حركته أو أكله أو شربه، بل يترك له حق الحياة كما أعطاه الإسلام من صلاحية في حرية الحركة والنشاط والعمل وخاصة في سن عمره مبكرة، حيث أنها مرحلة دلال وعطف، ويحرم ترويعه أو تخويفه في

1 – الشيخ محمد أبو زهرة –تنظيم المجتمع الإسلامي– دار الفكر العربي . مصر –١٣٨٥هـ ٠–ص٢٥

طفولته، سواء كان ذلك من الأبوين أو المجتمع أو محاولة جلب شيء إليه من مظاهر الخوف كالضرب أو قصص الرعب أو إثارة مخاوفه والتشويش عليه في فكره وتصوره للحياة. (١)

وعلى الرغم من أنه من الصعب بل المستحيل توفير الهدوء والصفاء العائلي للطفل توفيراً كاملاً فإنه في إمكان الأبوين أن يبتعدا عن إشعار الطفل بما يدور بينهما من خلاف، حيث يجب عليهما أن يدركا دائماً أن الطفل يتأثر إلى حد كبير بما يجري حوله ((فهو يصرخ ويبكي عندما يسمع ضجة وصخباً، وهو قد يرفض الطعام إذا لاحظ أن أمه ثائرة، ومتضايقة كما أنه يشعر باضطراب مماثل تماماً للاضطراب الذي يعمل في نفس أمه)) (٢)

إن الأسرة هي جزء من كل من المجتمع ، وما لم يعش الجميع في جو من الوفاق والتسامح والتكافل والإيجاب العام فإن الفوضى والأنانية تعم المجتمع كله فتهدد الأسرة جميعاً وتشتت أهدافها.

إن من أهم مشاكل الأحداث التي تقع بين الحين والآخر هو ضياع حقوقهم، وتشردهم منذ اللحظة الأولى لوجودهم في عالم لا يجدون فيه عطف الآباء وحنان الأمهات، بل يجدون الذل والهوان والحرمان ، فيعيشون التشرد ويقاسون صوراً من المعاناة البائسة، والمسئول عن هذه الصور الحزينة هم الآباء والأمهات الذين لم يدركوا حقوق الأسرة أو حقوق الأبناء، بل نظروا إلى أنفسهم فقط وإلى إشباع غرائزهم فأخرجوا للمجتمع صوراً من المشاكل والمعاناة التي تعطل مسيرته وتشتت جهده.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ (البقرة ٢٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء ٣١).

و قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ (التكوير ٨،٩).

قال ابن كثير رحمه الله: ذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك ، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتل البعض الذكور خشية الافتقار.(٣) ولهذا ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الذّنبِ أعظمُ عندَ اللهِ؟ قال: أن تجعلَ للّهِ ندّاً

1 – عبد الله العايش، الدلالات التربوية الأمن في القرآن والسنة، مرجع سابق ، ص ١٨٦

2 – صادق يخطر، العناية بالطفل، ص٢٦

3 – ابن كثير –تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ، – ج٢ ص١٦٤

وهوَ خَلَقَكَ. قلتُ إنَّ ذلك لعظيم، قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: وأن تَقتُلَ وَلَدَكَ تخافُ أن يَطعمَ معك، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: أن تُزاني حَليلةَ جارِك».))[1]

قال الطبري رحمه الله: (ولا تقتلوا أولادكم خشية الفقر فإن الله رزقكم وإياهم) [2]

كان بعض أهل الجاهلية يقتلون البنات خشية الفقر والإملاق، فقد نُهي عن قتل الأولاد خشية الإملاق.. فما دام الرزق بيد الله فلا علاقة إذن بين الإملاق وكثرة النسل أو نوع النسل، إنما الأمر كله إلى الله.. [3]

إن من أهم مقومات الأسرة المسلمة التي تسعى إليها التربية الإسلامية وتهدف إلى بذرها في نفوس الأجيال هي القيام بجميع الحقوق التي كفلها الإسلام لأفرادها، ومن هذه الحقوق حق الأبناء على الأبوين ، وتمتد هذه الحقوق لتمثل جميع مراحل الحياة الأسرية للأبناء من تربية جسدية ، وروحية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وكل ما فيه تحقيق لمصلحة التربية المتكاملة التي على إثرها يتحقق نمو الفرد نمواً متكاملاً في جميع شئون الحياة الدينية والدنيوية، إن الوفاء بهذه الحقوق يحقق مبدأ الأسرة المتكاملة، ويحقق فرص حياة آمنة للأبناء في ظل الأبوين، وتكفل حقوقهم و واجباتهم ويعيشون في طمأنينة وسلام حتى تشتد سواعدهم، ويخرجون إلى الحياة بقلوب قوية مليئة بالأمل والتفاؤل والعزيمة. [4]

٤- التنشئة النفسية والأخلاقية للأبناء:

إن من أهم أهداف التنشئة الاجتماعية في الإسلام الإعداد النفسي المتكامل للفرد ليسلم من الأمراض النفسية والانحرافات التي قد تحدث عند الكثير من الناشئة ، بسبب إهمال الأسرة للتربية النفسية لأبنائها إهمالاً متتابعاً في جميع مراحل النمو، فينشئون محرومين من كل الحقوق والواجبات، ويترتب على ذلك النقص في إشباع حاجياتهم أو تحقيق ميولهم، أو قد يصل إلى الخوف أو الضيق، أو فقدان حق العيش الكريم، فيؤثر ذلك على سلوكهم في الحياة وتصوراتهم عنها، وعن الواقع من حولهم.

وقد يكون هؤلاء الأطفال قد حصلوا على جانب واحد من جوانب النشأة وبصورة مبالغ فيها وهو الجانب الجسدي ، مع إهمال الجانب أو الجوانب الأخرى – النفسية ونحوها –، مما أحدث لديهم نوعاً من الخلل والاهتزاز لفقدان هذه الجوانب، وقد يكون ذلك جهل من الآباء أو مجاراة للثقافة الاجتماعية من حولهم ، إذ تفضل جانب على جانب كالجانب المادي على الجانب الروحي وما سوى ذلك، أو قد يحدث

---

1 – البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم (٤٣٦٣)

2 – الطبري –جامع البيان من تأويل القرآن– ج٢ ص ٢٥٣

3 – سيد قطب –ظلال القرآن–، مرجع سابق ، ج٤ ص ٢٢٢٣

4 – عبد الله آل عايش، الدلالات التربوية للأمن في القرآن والسنة، ، مرجع سابق ، ص ٢١١

هذا الخلل لعدم قدرة الأسرة على تحقيق بعض الجوانب التربوية للعجز أو الفقر أو انعدام تكافؤ الفرص بين الأبناء ، كتفضيل الأولاد على البنات.

إن اختلال موازين التنشئة الاجتماعية في حياة الفرد قد يقودهم إلى ارتكاب سلوك خاطئ ، أو تعبير سـيئ ، أو تصور غير واضح يقود الناشئة في مثل هذه الحالات إلى الانحراف وارتكاب الجرائم والإخلال بالـنظام والعلاقات الاجتماعية، وهنا يلزم التربية اليوم مسئولية إعداد برامج متكاملة تتضمن إعادة تأهيل مـثل هؤلاء الأفراد الذين وقعوا في مصيدة الانحراف، وتحقيق مبدأ التوازن في حياتهم الشخصية، إما بوضع برامج تدريبية يكسبون من ورائها شخصية سوية ومهنة كريمة، أو إعادة تأهيلهم تربوياً وتنموياً ليساهموا في بـناء المجتمع، وأن يحقق لهم مبدأ تكافؤ الفرص في جميع جوانب الحياة سواء تربوياً أو عملياً وأن لا يعاملوا بالحرمان و الرفض الاجتماعي بسبب الماضي.

الأسرة اليوم تعاني من جهل شديد في التصور الصحيح لحقيقة الأسرة المتكاملة في نظر الإسلام، فقد يظـن الكثير من الآباء والأمهات أن الأسرة المتكاملة هي التي تحقق أكبر قدر ممكن من الماديات لأفرادها ، وأن تقـوم بإشباع غرائزهم الجسدية ، وأن توفر لهم كل احتياجاتهم المادية ، وأن تحقق لهم وسائل اللعب والترفيه، وتغفل إلى جانب ذلك جوانب حياتية أخرى في حياة الطفل لها أكبر الأثر على مستقبله، فنجدها مـثلاً لا تهتم بالجانب الروحي أو الجانب الأخلاقي أو الاجتماعي لتقوم بإشباعها ورعايتها حيث يتحقق مـبدأ النمو المتكامل لأفراد الأسرة مما ينجم عنه خلل مستقبلي في حياتهم ينعكس بدوره على استقرارهم وإحساسهم بالأمن والسعادة.

وقد نجد بعض الأسر لا تهتم بالجانب النفسي والأخلاقي للطفل، فنجدها تكثر من التهديد والتخويف وزرع الرعب في نفسه، إلى جانب النقد اللاذع في شخصيته وتعرضه للمواقف الأخلاقية الممقوتة دون أن تـدرك عـواقب ذلك على مستقبله وقدراته العقلية أو النفسية حيث يخرج إلى الحياة بنفسية قلقة وغرائز مشحونة وغير موجهة.

وعليه فيجب أن تقوم التربية على إرشاد الأسر المحتاجة، إلى الوسائل التي تكفل لها تربية أفرادها تربية مـتكاملة ، حتى تقوم هذه الأسر بدورها المطلوب تجاه أفرادها، كما إن على المجتمع أن يحقق مبدأ التكافل الاجتماعي مع الأسر المحتاجة حتى يستطيعوا القيام ببناء أسرهم بناءً سليماً، وأفراداً أسوياء غير حاقدين أو ناقمين على مجتمعهم.

ويوضح الإمام ابن القيم – رحمه الله – دور الأب والأم في إكساب الابن التنشئة الاجتماعية السليمة حسب تعاليم الدين الإسلامي فيقول : " وينبغي لولي الطفل أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب ، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة ، ويعوده على البذل والعطاء ، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئاً ، أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء . ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة ، بل يأخذ بأضدادها ، وكذا تجنبيه إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ، ونطق السوء فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر ، وعز على وليه استنفاذه منه فتغيير العوائد من أصعب الأمور " [1]

٥- التنشئة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي:

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة ..٢)

قال تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإنسان ..٨-..٩)

إن مسئولية قيام مبدأ التكافل الاجتماعي وغرسه في واقع الأفراد يقع أولاً على عاتق الأبوين ؛ حيث يجب عليهما القيام بهذا الدور أولاً فيما بينهما حتى ينشأ الأبناء على صورته الواقعية في حياة الوالدين، فهم يرون كل واحد منهما يُسخّر كل إمكانيته من أجل الطرف الآخر، وهدفهما تحقيق السعادة لجميع أفراد الأسرة، ومدى أهمية ترابطهم وتأثرهم الجماعي بما يحدث أو يصيب أحد أفراد العائلة

وقد يدرك الكثير من المربين أهمية إيجاد مثل هذا المبدأ في أسرة اليوم التي غلب على أفرادها النزعة المادية والأنانية الفردية، فجعلت كل فرد في الأسرة لا ينظر إلى الحياة إلا من خلال الثقب الذاتي لنفسه فقط، وقد يكون هذا الشعور ناتجاً عن صورة تعامل الوالدين في الأصل، وبناء علاقتهما الزوجية على مبدأ الجمع المادي الذاتي، وتقديم المصلحة الفردية على المصلحة الأسرية، وعدم الطمأنينة تجاه بعضهما البعض، وعلى هذا السلوك غير الطبيعي تنبني كثير من التصورات التربوية الأسرية والتي في مجملها تصب في خندق التفكك الأسري أو الانحراف لبعض أعضائها في الغالب.

1 – ابن القيم تحفة المولود بأحكام المولود تحقيق عبد القادر الارناؤوط . مكتبة دار البيان : دمشق ١٤٠٧هـ ص٢٤١

فعلـى التربية أن تعيد للإنسان المسلم صورة قيام الأسرة المسلمة المتكاملة ، وترسم له النماذج التي تحقـق هذا التكامل ،وتضع البرامج التربوية للأفراد والأسر لتطوير مفاهيمهم عن البناء الأسري وترشيدهم تجاه الأسرة ومقوماتها حتى يتم للجميع القيام بالدور المناط بهم.

ولقـد جاء الإسلام فأعطى الأسرة حقها من التشريع الذي ينظم حياتها، ويكفل لها حقوقها داخل مجـتمعها، وحرم على المجتمع والأفراد انتهاك هذا الحقوق أو الحرمة حتى تستطيع هذه اللبنة الاجتماعية أن تقـوم بواجـبها في الحياة الإسلامية، وسبب هذا التكريم هو أن الأسرة الخائفة المتفككة التي يعيش جميع أفرادها أطواراً من الخوف والقلق، لا تجلب للمجتمع الإسلامي إلا الخراب، ولن يقتصر هذا الخراب على هـذه الأسرة بل سيتناول المحيط الاجتماعي ، وسيلحق بالآخرين الأذى والفساد، وقد عني الإسلام عناية فائقة بشئون الأسرة وأحكامها، وفصل ذلك تفصيلاً وأوضحه غاية الإيضاح.

ويقول مقداد يالجن: ((أو لهذا تعرف أن أفراد الأسرة التعسة لا يستطيعون القيام بأعمال عظيمة، بل إنهـم يفشـلون في الحياة، فنحن نعرف في ميدان التعلم –المدرسة– مثلاً أن أبناء الأسر التعسة أو الشقية يفشـلون في التعلم لأنهم لا يستطيعون التركيز على التعلم، لتشتت عقولهم وعواطفهم، كذلك نجد الزوج أو الأب الـتعس في البـيت لا يسـتطيع أداء واجـباته كما ينبغي، وكثير من أمثال هؤلاء يفشلون في وظائفهم...)) [١]

٦- وسائط التنشئة الاجتماعية الأخرى:

هناك العديد من المؤسسات الاجتماعية التي تمارس التنشئة الاجتماعية إلى جانب الأسرة ، ومن هذه المؤسسـات الاجتماعـية المدرسـة، والمسجد ، والنوادي الاجتماعية ، والأصدقاء(الرفاق) ، والجماعة الإسلامية المحيطة بالفرد تمارس التنشئة الاجتماعية عن طريق النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسوف نعرض لبعض الجهود التي تقوم بها هذه المؤسسات كل على انفراد ونبدأ بالمدرسة :

المدرسة والتنشئة الاجتماعية : المدرسة في المجتمع الإسلامي هي مكملة لما تقوم به الأسرة المسلمة من جهد تربوي ينبثق من التصور الإسلامي الذي بين لكل من الأسرة والمدرسة المنهج الكلي الذي تسعى كل من المؤسسات الاجتماعية إلى تنفيذه ، كل حسب وسائلها و طرائقها و جهودها الممكنة .

عـناية التربية بما أقره الدين الإسلامي من القيم الإنسانية ، وتنشئة الفرد على الأخلاق الفاضلة ، وعلى المحبة والتعاون والسعي في خير المجتمع من أجل تماسكه وقوته وتمكينه من البناء والتعمير (١)، وتحقيق

---

1 – مقداد يالجن –بناء البيت السعيد– دار المريخ، ط الأولى ١٩٨٧م، الرياض ص٤

حب اكتساب القيم الإسلامية ، والتعاليم الأخلاقية الرفيعة ، وجعلها أساساً دائماً لكل توجيهاته وسلوكياته ، وتكوين العواطف السامية ، وذلك تحقيقاً لتكامل شخصية الفرد بحيث تتوفر له قوة الإرادة والشعور بالأمن والثقة في النفس وتنشئة الفرد على الشعور بالمسئولية تجاه أفعاله وأقواله ، وكذلك مسئوليته تجاه عقيدته ومجتمعه ووحدة هذا المجتمع وبقاء نظامه .

تحقيق مبدأ الشعور بالانتماء الأسري والاجتماعي للفرد ، وذلك لتحقيق صلاحية الفرد ليكون عضواً نافعاً في أسرته ومجتمعه يحس بمشكلاتهم ويشارك في تحقيق أهداف وأمال مجتمعه وخطط تنميته[٢].

إن تحقيق النمو الكامل للفرد المسلم دينياً وجسمياً ونفسياً وخلقياً واجتماعياً ، يحقق مبدأ التوازن السليم في جوانب النمو الفردي ، وعدم تغليب بعضها على بعض حتى لا يحدث هناك عجز في أحدهما يدفع الفرد إلى إشباعه وتحقيقه بوسائل غير مشروعة .

كما يجب على المدرسة عناية التربية بالربط بين الفكر والعمل ، باعتبارهم جانبين رئيسين في الخبرة الإنسانية " وعناية التربية بإعداد المتعلمين لمطالب العمل في المجتمع وتطوراته المستقبلية ، وتوثيق صلاته بمؤسساته ، والمساهمة والاستجابة لحاجات التنمية الشاملة "[٣] والوصول بالفرد إلى المهارة والقدرة اللازمة على العيش والاندماج في العمل الاجتماعي، وتحقيق مبدأ تكامل الغرض في جانب التعليم والعمل .

تنمية القدرة الفكرية والعقلية التي تجعل للفرد القدرة على النقد والتمحيص وإصدار الحكم السليم واتخاذ الرأي والقرار الصائب وتجنب القرار السقيم ، تربية النضج الانفعالي وذلك بالقدرة على ضبطه والتحكم في الانفعال وعدم الانجراف خلف التيارات العاطفية وضبط النفس والانفعالات الثائرة.[٤]

إيجاد القدرة لدى الفرد على التحكم في غرائزه وشهواته والتسامي بها أو إبدالها حتى لا تفسد عليه حياته وعلاقاته مع من حوله أو تلحق الضرر بالمجتمع أو النظام العام ، وتطهير نفس الفرد من دواعي الانحراف وضبط سلوكه وإعادة الثقة إلى نفسه عند إخفاقه في ذلك ، وتحقيق مبدأ التوبة وتقوية الإرادة وتجاوز عقدة الذنب وتحقيق النمو الاجتماعي السليم للفرد ، بحيث يدرك موقعه من الجماعة وحاجته

---

1 – المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم : استراتيجية تطوير التربية العربية ، تقرير لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية ، ص٢٢٨ ط الأولى ١٩٧٩م .

2 – مكتب التربية العربي : أهداف التربية والأسس العام للمناهج بدول الخليج العربي ، المقرر من المؤتمر السابع لوزراء التربية ، سلطنة عمان ١٤٠٣هـ ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج . ص١٣ بتصرف

3 – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص٢٣٣ مرجع سابق

4 – انظر د. عبد الحميد العيد الزنتاني ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، الدار العربية للكتابة ، ليبيا ١٩٨٤م، ص٤١١

للانتماء إليها ، وضرورة الإخاء والتضحية في سبيلها ، واكتساب مهارات العمل الجماعي اللازم لتقدم كل من الفرد والمجتمع

من أهم مسئوليات التربية هي تنمية حب المواطنة لدى كل فرد في المجتمع ، وخلق روح الألفة والمحبة بينهم حتى تحصل معاني الأخوة الإسلامية ، وتختفي معالم التنافر والبغضاء والشحناء وتقل الجرائم ، كما أن على التربية أن تهدف إلى تنمية السمع والطاعة للسلطة الدينية والدنيوية في نفوس الناشئة وتربيتهم على تقبل ذلك حتى تتعود هذه النفوس الانقياد لتعاليم الشرع والسمع والطاعة لله أولاً ثم لولاة الأمر فيما فيه طاعة الله تعالى لا معصيته ، على أن تكون هذه الطاعة مصبوغة بمعاني العزة والكرامة والولاء لله ولرسوله ثم لولاة الأمر من المسلمين(١)

والتربية الإسلامية تقوم على مقدمات صحيحة ، وأصول ثابتة مصدرها التشريع الإسلامي المتكامل والشامل لجميع جوانب الحياة ، ولا غرابة أن تتسم التربية الإسلامية بشمولها وثباتها وقدرتها على مسايرة الحياة البشرية في مختلف العصور ، فهي وليدة منهج رباني هدفه إصلاح الحياة وفق شريعة الله تعالى وسننه ، والتربية الإسلامية هي إطار شامل يحتوي في داخله صورًا تربويةً متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر التربية الروحية ، والتربية الجسدية والتربية العقلية والتربية الصحية .. والجهادية .. الخ .

إن قيام التنشئة الاجتماعية الإسلامية المتكاملة بجميع صورها التربوية في إعداد الحياة الاجتماعية الإسلامية المثلى للفرد المسلم ، وقدرتها على تكوين شخصية إسلامية متكاملة ليس بالأمر السهل ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بتكاتف الجهود من جميع عناصر المجتمع ومؤسساته ، ويصور ذلك لنا الدكتور مقداد بالجن فيقول : " إن التربية الإسلامية تقتضي إعداد البيئة الاجتماعية كلها إعداداً تربوياً ، بما فيها المؤسسات ، ودور النشر والإعلام والأجهزة التشريعية والتنظيمية ، حتى تصبح كلها وسائل معينة للتربية تقف خلفها وتساندها وتدعمها ، فالبيئة الصالحة هي التي تنشأ نشأة صالحة ، والبيئة الفاسدة هي التي تنشأ نشأة فاسدة "(٢)، وقال تعالى ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾ (الأعراف٥٨).

<u>وللمسجد</u> في حياة الأمة الإسلامية دور عظيم في تحقيق التوازن للمجتمع المسلم ، فهو المكان الذي يؤمه المسلمون في اليوم خمس مرات يؤدون فيه الصلاة ، ويتلقون فيه النصح والتوجيه والإرشاد ، كما أن للمسجد في حياة المسلم كذلك مكانة عظيمة ، فهو يتعلم ويكتسب كثيراً من السلوكيات والأخلاق الإسلامية والتوجيهات والتقويم من خلال تردده عليه ، ولهذا كان لابد لنا من الاستفادة من دور المسجد

1 – عبد الله العايش – الدلالات التربوية للأمن في القرآن والسنة – مرجع سابق ، ص٣٠٥

2 – مقداد بالجن : التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة ، دار عالم الكتب – ط الأولى-الرياض ص٢٦٢ ،

في التنشئة الاجتماعية للأفراد وتثقيفهم وتوسيع مداركهم حتى ينعكس ذلك على سلوكياهم وتوجيهاهم ، ومـــن أهم الوسائل التي يمكن أن تمارسها التنشئة الاجتماعية من خلال المسجد كيفية أداء العبادة و إقامة شـــعائر الإسلام وحضور المناسبات الاجتماعية ؛ كالجمع والأعياد والخطب الدينية والمحاضرات والندوات والأنشـــطة الـــتي يمكـــن أن يمارسها المسلمون داخل المسجد أو المرافق الملحقة به ، كالمراكز التعليمية ، والاجتماعية ، أو الأنشطة الملحقة به ، كالأنشطة الثقافية والاجتماعية والنشرات الدينية والتربوية [٢].

ومـــن المعلوم أن المساجد ليوم يقع – على عاتق القائمين عليها – تطوير بعض الخدمات الاجتماعية الملحقة بالمساجد كالمراكز الطلابية ، والتي يجب أن تفعل لتناسب واحتياجات الناشئة الآنية و كذلك لشغل أوقاهم وهذيب سلوكهم ، و التصدي لبعض الأفكار الوافدة ، كما أن من الوظائف التي يقوم بها المسجد اليوم ، وتسهم في صلاح المجتمع وتماسكه مجالس الأحياء والتي يلتقي فيها جيران المسجد ، و يتعارفون ، و يتزاورون و يتعاونون ، ويسدون حاجات بعضهم البعض .

كذلك يقوم المسجد اليوم بوظيفة الإصلاح ، و حل مشاكل الأسر والأزواج ، حيث أقامت بعض المســـاجد مكاتـــب للإرشاد الاجتماعي يساهم فيه بعض جماعة المسجد ، وخاصة المشهود لهم بالصلاح والاهتمام بالقضايا الاجتماعية والتربوية ، وكذلك الشرعية .

وسائل الإعلام : لعل مما يميز عصرنا هذا هو السيطرة القوية للإعلام على حياة الكثير من المجتمعات، حـــتى صـــارت هذه الوسائل الإعلامية جزءاً من حياة الناس اليومية ، بل تعدى الأمر أن استخدمت هذه الوســـائل في تغـــيير و تعـــديل اتجاهـــات الناس و ميولهم ، وإثارة غرائزهم وشهواهم ، و تعميق النظرة الاســـتهلاكية في نفـــوس المتابعين لهذه الوسائل ، وأصبح رجال الاقتصاد والسياسة يضعون نصب أعينهم ضـــرورة استخدام هذه الوسائل من أجل رفع أرصدهم وأجندهم ، و توجيه العامة إلى ما ترغب به هذه النخب الاقتصادية والسياسية المسيطرة والمستفيدة من هذه الحرب الإعلامية الضروس.

وفي عصـــرنا الحـــالي تـــتلاحق المتغيرات بسرعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية التي من أبرزها المختـــرعات العلمية و المستجدات التكنولوجية وخاصة في مجال الاتصال وما تنطوي عليه هذه وتلك من تغـــيرات اقتصـــادية وما يتبعها كلها من تغيرات في القيم ، و الأخلاق ، و العادات ، و التقاليد ، وذلك بفضل ما تنقله وسائل الاتصال من أفكار وقيم ، و أخلاق ، ومفاهيم . [١]

٢– انظر في ذلك د. تركي رابح عمامرة : طرق العمل لإحياء رسالة المسجد ص١١٥ ، وبحوث المركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض ١٤٠٧هـــ ، موضوعات الدورة التدريبية السابعة .

1 – عالي بن علي بن حسين الحربي ، أثر تكنولوجيا المعلومات على الشباب ، مرجع سابق ، ص١٤

ولم يسبق أن ارتبط الإعلام بالحياة الاجتماعية و التربوية كما هو عليه الآن بحيث من الممكن أن نطلق عليه الإعلام المهيمن [1] ، ويرجع الأثر البارز الذي تلمسه حياتنا لهذا العامل إلى كون وسائل الإعلام كثيرة الإنتاج سريعة الحركة قوية التأثير واسعة الانتشار مكاناً و زماناً وهو أن بدا مظهره في تربية أبناء المجتمع و تثقيفه حتى صارت مشارك رئيسي لوسائط التربية الأخرى وفي توجيه الناشئين و الكبار على السواء بل وفي التأثير على سلوكهم و تجاهاتهم التي تتحدد وفقاً لما يخضعون له من مؤثرات. [2].

لهذا كان لزاما على التربويين والاجتماعيين و أصحاب الهمم الاجتماعية الاستفادة من قدرة وسائل الإعلام على توجيه وتعديل و حتى التغيير الذي تستطيع هذه الوسائل القيام بها ، وخاصة حينما تملك من القدرة على التشويق والإثارة ما يحمل المتابع لها على الانقياد لهذه الوسائل والتأثر بها ، وهذا الانقياد لوسائل الإعلام سلاح ذو حدين فقد يصب في مصلحة التنشئة الاجتماعية ، أو قد يتعارض مع خصوصية هذه التنشئة أو ربما يعمل في مضادتها و هدم ما تبني من قيم وتجاهات .

---

1 – عالي الحربي: أثر تكنولوجيا المعلومات على الشباب جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير قسم الدراسات الاجتماعية . كلية الآداب . جامعة الملك سعود ١٤٢١هـ ص٢٢٣

2 – بدرية بنت صالح العرادي: علاقة استقبال البث التلفزيوني المباشر ببعض العوامل التعليمية والقيمية لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الرياض ، ودراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ١٤٢٠-١٤٢١ هـ ، ص٢١٤

المبحث الرابع
الضبط الاجتماعي

في علم اجتماع التربية الإسلامي:

تمارس المجتمعات عموما أنواعا من الضبط من خلال لتنشئة الاجتماعية لجعل الفرد متماثلا مع مجتمعه، وذلك من أجل توجيه الأفراد إلى الالتزام بالقيم والمعتقدات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع، ليتحقق الضبط الاجتماعي لسلوك وانفعالات الفرد، وإكسابه المعايير الاجتماعية والخلقية التي تمكنه من التواصل والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين ٠

مفهوم الضبط الاجتماعي:

إن مصطلح الضبط الاجتماعي حديث النشأة ، وأول من استخدمه عالم الاجتماع(ادوارد روس) ؛ حيث يرى الطبيعة البشرية الخيرية تستلزم ضبط سلوك أفراد الجماعة وتصرفهم وفقا للنظام الطبيعي، وأن وسائل الضبط المقننة الموضوعة لاستقرار الجماعة مثل التربية والقانون والعقيدة والفنون وغيرها [١] وهناك من ينسب أولية هذا المصطلح- الضبط الاجتماعي - إلى (هربرت سبنسر) حيث استخدمه في كتابه (مبادئ علم الاجتماع) [٢]

وعرف الضبط الاجتماعي بأنه: هو مجموع الأنماط الثقافية التي يعتمد عليها المجتمع في ضبط سلوك الأفراد المنتمين إليه، بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل الاجتماعي للتقاليد وأنماط السلوك التي ارتضتها الجماعة لضمان استقرار التنظيم الاجتماعي والاحتفاظ به[٣]

وعرفه معجم العلوم الاجتماعية بأنه : ((يراد به مختلف القوى التي يمارسها المجتمع للتأثير على أفراده من أعراف وتقاليد وأجهزة يستعين بها على حماية مقوماته ، والحفاظ على قيمه ومواصفاته ، ويقاوم بها ما عسى أن يتطرق إليها من عوامل الانحراف و مظاهر العصيان٠))[٤]

ويورد إبراهيم ناصر عدة تعاريف للضبط الاجتماعي ومنها:

يعرف لانديـر الضبط الاجتماعي بأنه: ((العملية التي يمكن عن طريقها أن ينشأ النظام و يتدعم ويقوى))٠

1 – أحمد الخشاب، الضبط والتنظيم الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٨م ٠ ص٧٢

2 – حسن الساعاتي ، علم الاجتماع القانوني ، دار نشر الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٥٢م٠ ص٥٦

3 – محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق ، ص ٢٣٠

4 – إبراهيم مدكور ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتب ١٩٧٥م ،ص٣٧٥

ويعـرفه هولـبخ شـيد بأنه: تلك الممارسات والقيم الملزمة التي تحدد علاقات شخص معين ببقية الأشخاص والأشياء و الأفكار والجماعات والطبقات ، ثم بالمجتمع كله. [١]

ويرى اندرسون أن الضبط الاجتماعي: هو نوع من أنواع السلوك الاجتماعي التي تؤثر في الأفراد أو الجماعات وتوجههم نحو الامتثال للمعايير القائمة أو المرغوبة . وإذا كانت للضبط طرق كثيرة يمارس من خلالهـا فإن هدفه النهائي هو الامتثال الذي يمكن اعتباره استجابة ملائمة للضبط، والذي يتضمن لا أداء السلوك المتوقع فقط ، بل يتضمن كذلك ضرورة تفكير الشخص المتمثل في سلوكه ومعرفته ووعيه بامتثاله هذا. [٢]

الضبط الاجتماعي في الإسلام:

ولقد أثرت الشريعة الإسلامية في تكوين المجتمع المسلم ، وفي توزيع مراكز الضبط الاجتماعي ، فهي تـربي الفرد على معرفة مسؤولياته ، وكذلك المجتمع ومدى مسؤولياته تجاه أفراده ، ثم بعد ذلك حددت مسؤوليات الدولة الإسلامية تجاه الفرد والمجتمع.

ولقـد أدرك عـالم الاجتماع الإسلامي – ابن خلدون – أهمية الضبط الاجتماعي للجماعة البشرية ((فقال في فصل :إن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره ، ثم قال :اعلم أنه قد تقدم لنا في غـير موضـع أن الاجـتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه،)) ثم قسمه إلى ضابط سياسـي ((وأنـه لا بـد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه؛ وحكمه فيهم)) وتارة يكون الضـابط أخلاقياً ((وتارةً يكون مستنداً إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه؛ وتارةً إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحـاكم بعـد معرفته بمصالحهم. فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط)) [٣]

والضبط الاجتماعي في الإسلام ينطوي على معنى الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى والطاعة قد تكون فـردية أو اجتماعية . والمراد بالطاعة الفردية كل ما يقوم به الإنسان بإرادته الشخصية امتثالا لأحكام الله المـتعلقة بحياة الإنسان ذاته قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب ٣٦.)

---

1 – ابرهم ناصر – علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص١٢٣

2 – اندرسون – علم الاجتماع التربوي، ص ص١٥٨– ١٥٩ نقلا عن المرجع السابق .

3 – ابن خلدون المقدمة ، مرجع سابق ، ص٣٧٧

وإمـــا الطاعة الاجتماعية فهي امتثال أفراد المجتمع للأحكام الشرعية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية ويباشرها الحكام أو ولي الأمر. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء ٥٩.) [1]

وتنفرد التربية الإسلامية من بين التربيات المعاصرة في تفردها في هذا المجال ؛ إذ تجعل من الفرد المسلم مســؤولا مسؤولية كاملة تجاه أفعاله وأقواله، و لا يكون ذلك إلا عندما تتمكن الشريعة من ((نفس الفرد ومشــاعره ، وتصــبح بمثابة ضابط خلقي يحاكم المرء نفسه إليه عندما يقف أمام أمور متشابهات كبعض أســاليب البيع والشراء، وكذم الإنسان الذي يجاهر بالمعصية .. والضابط الخلقي هنا هو الخط الأول في رقابة الفرد.)) [2]

ومن صور الضبط الاجتماعي ما يلي:

الضابط العقائدي:

إن قــيام الوازع الديني في نفس الفرد المسلم كفيلا بأن يكون سلوكه وسائر خلقه متفق و الشريعة الإســلامية ، فهو يراقب الله في السر والعلن ، و هو في غنى عن رقابة غيره فتعظيم الله قد وقر في نفسه ، وهذه هي أعلى درجات التقوى (الإحسان) ، وهي كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور (قال: ما الإِحسانُ؟ قال: «أنْ تَعْبُدَ اللّه كأنَّكَ تَراهُ، فإن لم تَكُنْ تَراهُ فإنهُ يراك». [3]

قــال النووي وقوله:(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يتــرك شــيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن سمته، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال صلى الله عليه وسلم: «اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حــال العيان». فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد بإطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمــل بمقتضاه. فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام

---

1 – محمد شحات الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص ص٢٣٠-٢٣١

2 – عبد الرحمن النحلاوي – أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق ، ٦٥

3 – البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث.٥٠

الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلانيته؟ قال القاضي عياض رحمه الله: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة؛ من عقول الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.[1]

والفرد المسلم عندما ينمو ويكبر في نفسه ضابط التقوى يصبح فردا صالحاً أينما كان ؛ سوى كان داخل الجماعة الإسلامية أم خارجها . قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأنبياء ٤٩.)

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأحزاب ٣٩.)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (فاطر ١٨.)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ (الملك ١٢.)

والرسول صلى الله عليه وسلم يمارس الأسلوب التربوي في تنمية الضابط الخلقي لدى أصحابه فهذه المواقف التالية تدلنا على حرص رسول الله عليه الصلاة والسلام في تعميق المبادئ الأخلاقية ، فهذه إحدى المواعظ القصصية التي يعض بها أصحابه ، ويعظم فيها مراقبة الله تعالى و تقواه ففي حديث النفر الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم طريق النجاة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ، و كان من صالح عمل أحدهم أنه قال : ((اللهمّ إنها كانت لي بنتُ عمّ أحببْتُها كأشدّ ما يُحبّ الرجالُ النساءَ، فطلبتُ منها فأبَتْ حتى أتيتُها بمائة دينارٍ فبغيْتُ حتى جمعتها، فلما وقعتُ بين رجليها قالت: يا عبد الله اتّقِ الله ولا تَفتحِ الخاتَمَ إلاّ بحقّه، فقمتُ، فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُه ابتغاءَ وجهكَ فافرُجْ عنّا فَرْجةً، ففرَجَ. وقال الآخر: اللهمَّ إني كنتُ استأجرتُ أجيراً بفرَق أرُزٍّ، فلما قضىٰ عملَهُ قال: أعطني حقي، فعَرَضتُ عليه حقه، فتركهُ ورغبَ عنه، فلم أزل أزرعه حتىٰ جمعتُ منه بقراً وراعيها، فجاءني وقال: اتقِ الله ولا تظلمني وأعطِني حقِّي. فقلتُ: اذهبْ إلى تلك البقر وراعيها. فقال: اتقِ الله ولا تَهزأ بي. فقلتُ: إني لا أهزأ بك، فخذْ تلك البقرَ وراعيها، فأخذَهُ فانطلَقَ. فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذٰلكَ ابتِغاءَ وَجهكَ فافرُجْ ما بقي، ففَرَجَ الله عنهم».))[2]

1 – يحيى بن شرف النووي – شرح صحيح مسلم – دار القلم – بيروت ط الأولى – د.ت شرح كتاب الإيمان ج١ ،ص.١٠٠

2 – البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث ٢٢٩٦

وهــذا معاذ يستوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في مسند الإمام أحمد أن معاذاً رضي الله عــنه قــال: ((يا رسول الله، أوصني. قال: اتق الله حيثما كنت – أو أينما كنت– قال: زدني. قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها، قال: زدني قال: خالق الناس بخلق حسن». [1]

وفي وصيته لأبي ذر رضي الله عنه ((فعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحها». [2]

ومن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالنصيحة فعن ((تَميمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». [3]

وعن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه عنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِذا نَصحَ العبدُ سيِّدَهُ وأحسنَ عِبادةَ ربِهِ كانَ لهُ أجرهُ مرَّتَين». [4]

وعَــنْ جَرِيرِ بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَعَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ». [5] .

وتقع مسؤولية تنمية الضابط الخلقي على كل من الأسرة ، والمدرسة ، وجماعة المسجد ، والمؤسسات الدعوية ، و الحكومية والاجتماعية ، والإعلامية على مختلف مشاربها .

الضابط الأسري:

تقــوم الأسرة المسلمة بدور اجتماعي كبير في إعداد الناشئة وتهذيب سلوكهم، وذلك وفق وظائف متعددة تقوم بها من أجل خلق التوافق الاجتماعي بين أفرادها والعالم المحيط بها، كما تقوم الأسرة بالتنظيم والضــبط الاجتماعــي لسلوك الأفراد المنتمين لها والسيطرة علهم ، وتعديل مواقفهم ، وتوجيه ميولهم إلى الصالح العام بما يخدم مصلحة الفرد والمجتمع .

ومــن أعظــم وظائــف الأسرة المسلمة إقامة حدود الله ، و تنفيذ أوامره ، وجتناب نواهيه في كل شأنها. وعلى كل مسئول في الأسرة أن يقوم بمسئوليته أمام الله ثم أمام نفسه ومجتمعه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ (التحريم ٠٠٦)

1 - أحمد بن حنبل – المسند ، مرجع سابق ، رقم الحديث ٢١٦٨٢

2 - أحمد بن حنبل – المسند ، مرجع سابق ، رقم الحديث٢١١٥٤

3 - البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث –١٥٩

4 - البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث –٢٥٠٢

5 - البخاري رقم الحديث – ١٦٢

وعـــن عـــبد الله بن عمر رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: كلُّكم راعٍ وكلُّكم مَســؤول: فالإمامُ راعٍ وهو مسئول، والرجلُ راعٍ على أهله وهو مَسؤول، والمرأة راعيةٌ عَلَى بيتِ زوجها وهي مسؤولة، والعبدُ راعٍ على مالِ سيِّده وهو مسؤول، ألا فكلكم راعٍ وكلم مَسؤول)) (١)

وعـــن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ كان يُحدِّثُ قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ما من مَولودٍ يولد إلا على الفِطرة، فأَبواهُ يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمجِّسانه، كما تُنتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعاءَ، هل تُحسُّونَ فيها مِن جَدْعاء»؟ ثم يقولُ أبو هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنه {فِطرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها} الآية (الروم: ٣٠) (٢)

فالأســرة المسلمة تقع على عاتقها راعية أفرادها وتوجيههم إلى الخير و تعديل وضبط سلوكهم وما يتوافق و الأخلاق والقيم الشرعية التي حث على فعلها الشرع وترك ما نهي عنه .

ج-الضابط الاجتماعي:

تقــوم الجماعـــة المسلمة ومن خلال مؤسساته المتعددة بدورها الاجتماعي في محاربة قيم الفسوق والعصيان ومظاهر الانحراف ، وهذا النوع من الرقابة والضبط الاجتماعي الذي اختصت بها الأمة الإسلامية يتم من خلال عدد من الطرائق يقع على رأسها شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران ١٠٤)

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة ٠٧١)

في الآيتين السابقتين تتجلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففي الأولى سبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها الإيمان بالله واليوم الآخر ، وفي الآية الثانية سبق إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة ، وإن دل ذلـــك علـــى شيء فإنما يدل على أهمية وعظيم منزلته وأثره في حياة الأمة ، وأنه دعامة من دعائم قيام المجـتمع الإسلامي .ومصداق لهذا حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علـيه وســلم ((والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا فتدعونه فلا يستجيب لكم)) (٣)

---

1 – البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث ٥٠٦٧

2 – البخاري، ، مرجع سابق ، رقم الحديث١٣٣٤

3 – محسن بن عيسى بن سورة ، الترمذي – سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي . ، بيروت (د،ت) ج٤ص٤٥٤– انظر تصحيح الالباني له في صحيح سنن الترمذي ج٢ص٢٣٣

إن ((التناصح الاجتماعي والتواصي بالحق والتواصي بالصبر في المجتمع الغيور على شريعة الله وحرماته الذي لا يدع منكراً ولا يقر على ترك أصل من أصول الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم والجهاد ، بل يأمر المقصر ويأخذ بيده ليعينه على نفسه أو على تربية أولاده.)) (١)

وعن النُّعمانَ بنَ بشيرٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُدْهن في حدودِ اللهِ والواقعِ فيها مَثَلُ قومٍ استَهموا سفينةً فصارَ بعضُهم في أسفَلِها وصار بعضُهم في أعلاها، فكان الذين في أسفَلِها يَمرُّون بالماءِ على الذين في أعلاها، فتأذَّوا به، فأخذَ فأساً فجعلَ يَنقُرُ أسفلَ السفينةِ، فأتَوهُ فقالوا: ما لــك ؟ قال: تأذيتم بي ولا بُدَّ لي منَ الماء، فإن أخذوا على يديهِ أنجوْهُ ونجَّوا أنفسَهم، وإن تَركوهُ أهلَكوهُ وأهلَكوا أنفُسَهم». (٢)

قال ابن حجر، في شرح الحديث وقوله: (فإن أخذوا على يديه) أي منعوه من الحفر (أنجوه ونجوا أنفسهم... حيث قال: " نجي ونجوا " أي كل من الآخذين والمأخوذين، وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها، قال المهلب وغيره: في هذا الحديث تعذيب العامة بذنب الخاصة، وفيه نظر ؛ لأن التعذيب المذكور إذا وقع في الدنيا على من لا يستحقه فإنه يكفر من ذنوب من وقع به أو يرفع من درجته، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف (٣)

بل قد يقع العقاب الإلهي على الأمة إذا أخلت بهذا الضابط الاجتماعي ، و تقاعست عن القيام بإصلاح المجتمع ، وهذه إحدى السنن الاجتماعية المطردة في استحقاق الجماعة للعقاب قال تعالى:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الأعراف ١٦٣-١٦٦)

---

1 - عبد الرحمن النحلاوي التربية الإسلامية، ، مرجع سابق ، ص٦٨

2 - البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث، ٢٤٩٣

3 - ابن حجر — فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٥،ص ١٦٦

هـــذه الآية الكريمة التي تتحدث عن أهل الكتاب لم تثن عليهم جميعا ، وإنما أثنت على طائفة منهم ، وهم التالون لآيات الله ،الساجدون له ، المؤمنون به ، المصدقون باليوم الآخر ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .[1]

وإنكـــار المنكـــر من أعظم الدعائم التي يقف عليها الضبط الاجتماعي في المجتمع المسلم فكل مسلم مكلـــف بذلك من أجل حماية المسلمين من الوقوع في براثين الفساد والمعاصي وصيانة المجتمع من التفكك والضعف المادي والروحي ، فظهور المعاصي وانتشار الفساد وتقاعس المسلمين عن القيام بواجبهم في إنكار ونبذ هذا الخلل ينـــبت عليها كثير من المحن و البلايا والرسول صلى الله عليه وسلم يكلف كل مسلم بأن يكـــون صمام أمان للمجتمع وان يكون حارس فضيلة وجندي امن يرعى مصالح مجتمعه و يصونها أينما كانت هذا المصالح التي بها قوام الأمة و تميزها .

فقـــد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضيَ اللَّهُ عنهُ أنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه. وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَان))[2]

وعَـــنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيَ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّة قَبْلِي، إِلاَّ كَـــانَ لَهُ مِنْ أُمَّته حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّته وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه. ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُـــونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل». قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَحَدَّثْتُ عَـــبْدَ اللَّـــه بْـــنَ عُمَرَ فَأَنْكَرَهُ عَلَيَّ. فَقَدمَ ابْنُ مَسْعُود فَنَزَلَ بِقَنَاةَ. فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَيْه عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ يَعُودُهُ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. فَلَمَّا جَلَسْنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هٰذَا الْحَدِيث فَحَدَّثَنِيه كَمَا حَدَّثْتُهُ ابْنَ عُمَرَ.))[3]

قـــال النووي في شرح الأحاديث السابقة ((ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولـــده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف. قال العلماء رضي الله عنهم: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين... ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها،

1 -خليل الحدري – التربية الوقائية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٤٨٢

2 – مسلم صحيح مسلم ، مرجع سابق ، رقم الحديث ١٤٠ ـج٢ص١٩

3 – مسلم صحيح مسلم ، مرجع سابق ، رقم الحديث ١٤٢ ـج٢ص٢٢

ويأمـر غـيره ويـنهاه. فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟ قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين. قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين،))[1]

وهناك بعض الوسائل التي تمارس بها الجماعة الإسلامية عملية الضبط الاجتماعي من خلال العادات والتقالـيد والأعراف التي يسنها المجتمع في ضوء عقيدته الإسلامية كذلك قيام بعض المؤسسات الاجتماعية الـتي هدفها مساعدة المجتمع في عملية الضبط مثل مؤسسات التربية والإعلام والنوادي الاجتماعية وغيرها من المؤسسات .

د- الضابط السياسي:

إن مـن أعظم وظائف الدولة الإسلامية القيام على حماية الإسلام وشرائعه من الاعتداء وإقامة هذه الشرائع ، وإلزام المسلمين بها ، ومعاقبة المتهاونين بها ، فهناك من الأفراد لا يردعه ضابط النفس أو المجتمع عن ارتكاب المحذور ولكن سلطان الدولة يردعه عن ذلك.

إن مـن أعظم السلطات القادرة على الضبط الاجتماعي هي ـ سلطة الدولة الإسلامية ، ثم سلطة المجتمع المسلم، ثم الوازع الديني فعن أبي سعيد الخدري رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه يَقُولُ: «مَنْ رَأى مِـنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه. فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».[2] وهــذه وظائف الضبط في الإسلام (باليد)كناية عن السلطة وقد تكون للحاكم أو من ينوب عنه أو قد تكون سلطة شرعية منحها التشريع الإسلامي مثل سلطة الأب والزوج و يكون الضبط الاجتماعي بالقول وهـي السلطة الاجتماعية التي يستطيع أن يمارسها كل فرد في المجتمع المسلم فهو مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم المنزلة الثالثة وهي الإنكار بالقلب وهو الضابط الذاتي لدى الفرد .

ومن أهداف الضبط السياسي في الإسلام:

حفظ الضروريات الخمس اللاتي قررتها أحكام الشريعة الإسلامية وهي :

حفـظ الـدين قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (التوبة/١٢)

1 - النووي – شرح صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٢ص ص ٣٨٥-٣٨٦

2 - البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث ص١٤٠

وأمــر بحفظ النفس وكفل لها كل الحقوق في البقاء والعيش بأمن وحرم الاعتداء عليها أو على أي جزء منها . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (الإسراء /٣٣)

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٧٩)

وكذلك حفظ المال الذي استودعهم الله إياه ليؤدوا ما وجب الله في من حقوق قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (النور٣٣)

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ (النساء/٥)

وأمر الإسلام بحفظ العقل ؛ إذ عليه مدار التكليف والأمر كله قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النســاء /٤٣) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال ٢٢)

وحفــظ النســل والأنســاب والأعــراض فقــد حمــى المجــتمع بكــل فئاته الأسرة والطفولة والأنســاب والأعراض فحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الانعام١٥١) قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الاعراف٢٢) .

تحقيق العدالة الاجتماعية بين جميع أبناء الأمة الإسلامية على حد سواء.

حفــظ المجتمع من التفكك و الفرقة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (المؤمنون٥٣)

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (العمران /١٠٢)

حفظ حقوق الفرد من انتهاك الجماعة لها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٥٨).

الضـبط الاجتماعـي مقيد بأحكام الإسلام وشرائعه قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة /٤٤/٤٥/٤٧).

الضـبط الاجتماعـي في الإسـلام يهدف إلى بيان الحلال من الحرام والحسن من القبح قال تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف /١٥٧)

وهناك كثير من مؤسسات الدولة تمارس عملية الضبط الاجتماعية ولها برامجها التربوية والإعلامية و الاجتماعية مثل وزارة التربية و رعاية الشباب و وزارة الشؤون الإسلامية و الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووزارة الداخلية وغيرها من السلطات الاجتماعية داخل الدولة جميعها تهدف إلى تحقيق الضبط الاجتماعي و التوافق الاجتماعي .

ويرتبط الضبط الاجتماعي بالتربية وذلك من أساليب الضبط الاجتماعي سواء عن طريق الأسرة أو المؤسسـات التـربوية النظامـية ، فالمدرسة تهتم ببث وتنمية القيم الاجتماعية ، والسلوكيات وضبطها ، وتوجيهها نحو احترام السلطة ، وفي المدرسة يتعلم التلاميذ أن يميزوا بين العمل واللعب ، وأن يتمثلوا لمعايير التحصيل التي تفرض عليهم ، في شكل المناهج الدراسية ، وأن يراعوا انضباط المواقيت بدقة ، وأن ينجزوا أهدافاً محددة .[1]

1 – حسين عبدا لحميد رشوان – التربية والمجتمع دراسة في علم اجتماع التربية – ص ص ١٧٨-١٧٩

المبحث الخامس

التغير الاجتماعي

في علم اجتماع التربية الإسلامي

سبق وأن تكلمنا عن ما أصاب العالم الإسلامي خلال قرون من الزمان من انحرافات عقائدية وأخلاقية، ودخول قيم ومبادئ غير إسلامية على سلوك الجماعات الإسلامية، ويعود ذلك إلى الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها خلال هذه القرون، وما رافق ذلك من ضعف في التمسك بتعاليم الإسلام، وقد يكون ذلك بسبب من المسلمين أنفسهم كالجهل وهجر العلم الشرعي، أو بسبب عوامل خارجية كالحروب الاستعمارية والغزو الفكري الذي كان هدفه منصباً على إبعاد المسلمين عن الدين، وكان هذا العداء مكنونا في صدورهم منذ صدر عندما اندحرت جيوش الكفر والضلال أمام راية الإسلام، ثم أخذت هذه القوى الكافرة تتسلل من خلال شعب النفاق والزيغ والدس على المسلمين في دينهم ما ليس منه، مضنة أن يصلوا إلى إيقاف الإسلام ومنعه من الانتشار أو الصد عنه . قال تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (التوبة ٣٢.)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فصلت /٢٦) .

ولهذا كان على التربية في البلاد الإسلامية أن تدرك أنها في حاجة إلى القيام بتغيير الواقع الاجتماعي المعاصر إلى واقع إسلامي كامل، ومن المعلوم أن الواقع المعاصر يعج بكثير من الانحرافات والتي قد ضربت بجذورها في حياة الناس، وارتبطت بها مصالح بعض الطبقات الاجتماعية ولهذا فقد يصطدم التغير ببعض العقبات ، وقد يحدث نوع من المشكلة والرفض لان هناك من استغل الواقع لمصالحه وأضفى عليه بعض المشروعية باستصدار بعض الفتوى الشرعية المنحرفة مثال ما نرى من بناء للأضرحة والطواف حولها وتقديم النذور والهدي ، وكذلك استحلال البنوك الربوية وإقامتها في بلاد المسلمين مع مخالفتها للنص القرآني الصريح وغير ذلك من السلوكيات المنحرفة والمنتشرة في العالم الاسلامي.

والتغير أصبح في مثل هذه المقاصد أمرٌ ضروريٌ لتصحيح المجتمع الإسلامي وإعادته إلى طريق الجادة.

إن هذا التغيير، الذي ينتهي إلى قيام مجتمع إسلامي جديد وحضارة إسلامية جديدة، يرجى أن يؤدي إلى قيام نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ذات أهداف أخلاقية وإنسانية، تحل مشكلات الصراع والتنافس والاستعمار ، والأثرة والقلق والانهيار الخلقي والظلم الاجتماعي، وتدعمها تربية خلقية تقوم على الإيمان بعقيدة صحيحة أو تصور صحيح للوجود وبما ينبثق عنه من حضارة ونظم . (١)

والتغير حقيقة ربانية قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد ٠١١)

كما إن التغيير السلبي أي استبدال الحق بالباطل يستوجب عقاب الله واستبدالهم بخير منهم قال تعالى:
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الإسراء ٠١٦)

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (المؤمنون ٠٦٤)

ومفهوم التغير في الإسلام يختلف عن مفهومه لدى الغير ((فالتغير في الإسلام هو تغير إيجابي لا يمس الثوابت والمعتقدات ، و إنما يمس الأمور الطارئة التي يحتاج إليها الإنسان في حياته الاجتماعية فقط)) (٢)

و الإسلام يجعل من تغير الفرد لنفسه ركيزة لتغير المجتمع ، فعندما يتم صلاح الفرد يتحقق صلاح المجتمع فالتربية الإسلامية تهدف إلى تغيير السلوكيات غير المرغوب فيها لدى الأفراد ليتم بذلك إصلاح المجتمع الإسلامي الاكبر.

وإذا كان التقليد قد ضرب إطنابه في المجتمع الإسلامي ورسخ في عقول الكثير منهم بدلا من النظر في نصوص الوحي مباشرة، فلا بد أن يجد مفهوم التغير الإيجابي مجاله في حياتهم ، وتقبله للخروج من الحالة المتأخرة للمسلمين ، والعودة إلى ركب المقدمة التي هي وحدها مكانا للمسلمين لا لغيرهم .

يري محمد المبارك، أن تغيير المجتمع الإسلامي الحالي، ومعالجة نقائصه وأمراضه، لنقله إلى صورة أخرى مثالية أو صالحة على الأقل، يحتاج إلى معرفة الصورة الواقعية والصورة المثالية وطريق الانتقال من الأولى إلى الثانية، وإليك إيضاحا موجزا لذلك:

معرفة الصورة الواقعية للمجتمع الإسلامي كما هي بخيرها وشرها، بمحاسنها و مساوئها .

---

1 - محمد المبارك المجتمع الإسلامي المعاصر، ، مرجع سابق ، ص ٤٣)

2 - أفكار سالم، علم الاجتماع التربوي الإسلامي، ، مرجع سابق ، ص١٢٣

تصـــور الوضع المثالي أو الأصلح الذي نريد أن ننقل إليه المجتمع الحالي ٠ وهذا هو موضوع البحاثة المتخصصة في الإسلام نفسه باعتباره نظاما شاملا كاملا ٠

معرفة عوامل التغيير الاجتماعي التي تقدمها لنا أبحاث علم الاجتماع ، والتي طالما أشار إليها القرآن وأشار إليها الحديث كذلك ٠[١]

مفهوم التغيير:

يعـــتب الـــتغير الاجتماعـــي سمةً من سمات المجتمعات المعاصرة ، وعاملا من عوامل التأثير في نموها وتطورها، كما يعتبر التغير ظاهرة من ظواهر الإنسان في الأنظمة الاجتماعي٠

ومـــن المعلوم أن التغيير من وجهة النظر الإسلامية تغير في مظاهر الحياة وأحوالها ، وفي مظاهر البيئة المادية ، وليس التغيير في ذات الإنسان وثقافته الإسلامية ، و ليس هجرا للدين وشعائره ٠

إذ التغـــيير ليس قانونا تفسر به الأمور والحوادث والمجتمعات، بل هو مظهر أو مظاهر تفسر في ضوء القواعد المنهجية الفكرية المعتنقة ، وبمدى الالتزام بها شريطة أن تكون قواعد صحيحة٠ [٢]

ثم إن النظرية الإسلامية ترى أن أي تحول في حياة الإنسان هبوطا أو صعودا تابع لتغير نفسية الإنسان وعقليته، ومن ثم تابع لتغير التزامه في الأداء السلوكي ٠ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ ﴾ (الرعد ١١٠)

فالـــتغير يحـــدث نتـــيجة أفعال الإنسان، نتيجة لتغير نفسيته، ويكون على شكل حوادث تتنوع في أشكالها، ودرجات حدوثها ونتائجها، ولكن ليس نابعا من المجتمع ٠ [٣]

وأمـــا قـــدرة الفرد على التغيير، فإن التوجيه الإسلامي الشامل يقوم على تعميق الإحساس بضرورة التغيير مع بث الثقة في أفراد الأمة وقدراتهم وإمكانياتهم التي تؤهلهم لحمل مسئولية التغيير، وذلك عبر إشعار جمـــاهير الأمة بالوضع السيئ الذي تعيشه أمتهم، وإثارة تطلعاتهم إلى تغيير الواقع الذي يستهدف حريتهم، وحضارتهم، بل ولقمة عيشهم ! ! ومن ثم حشد طاقات جماهير الأمة جميعاً لتصب في حركة تغييرية تسير بصـــورة تدريجية وتصاعدية حتى تبلغ ذروة أهـــدافها بإخراج جماهير الأمة من العبودية التي تؤلمها وتحز في صدورها، إلى الحرية التي لا تتحقق في ظل منهج من المناهج كما تتحقق في ظل الإسلام. [٤]

1 -٠ محمد المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ، مرجع سابق ، ص ٦٥

2 – عبد القادر هاشم رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات ا الاجتماعية التربوية، ، مرجع سابق ، ص٢٤٨

3 – المرجع السابق، ص ٢٤٧

4 – محمد بدري، التوجيه الإسلامي الشامل، مجلة البيان، ع ٥٧ –١٤١٣هـــ، ص٤٢

ويشغل الحديث عن التغيير و الأمم السابقة حيزا كبيرا في القرآن الكريم، وذلك راجع لأهمية عرض أحداث التاريخ الإنساني أمام البشر ليأخذوا العظة والعبرة منه ويروا السنن الاجتماعية السابقة كيف كان عملها، ويربطوا النتائج بالأسباب و الأشباه بالنظائر، وليتعرف الإنسان على السنن الإلهية المضطردة في بناء الحضارات وخرابها، وفي تقدم الأمم وتأخرها أو تخلفها، أن قانون السنن الاجتماعية قد يوازي قانون السنن الطبيعية في تكرار وقع الحوادث إذا توفرت نفس الأسباب والمسببات والظروف البيئية الملائمة، وهذا مشاهد في قانون هلاك الأمم السابقة عندما أقامت الشرك بدلا من التوحيد قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (آل عمران ١٣٧)

تعريف التغيير:

يمكن تعريف التغير الاجتماعي: ((بأنه كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل و الجزء أو في الشكل أو النظام الاجتماعي ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدواراً اجتماعية مختلف عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن)) [١]

وقريب من هذا التعريف تعريف عزت جرادات ؛ إذ يعرفه بأنه: ((التغير الهام البارز للتكوين الاجتماعي ولنماذج السلوك الاجتماعي ومركباته، وما ينتج عنه من تغير في العادات والقيم والنتاج الثقافي وأهدافه، فالتغير الاجتماعي في حد ذاته يشير بشكل فعلي للسلوك الإنساني.)[٢]

ويُعرف التغيير بأنه: ((كل تغير يطرأ على البنيان الاجتماعي أو العلاقات والوظائف الاجتماعية، وهذا التغير جزء من تغير أوسع هو التغير الثقافي)) [٣]

ويرى إبراهيم ناصر أن التغير هو التحول من حالة إلى حالة ، وبهذا تكون عملية التغير عملية قديمةً قِدمَ الحياة على وجه المعمورة ، وقد برزت بروزاً واضحا في هذا العصر . وعملية التغير خاصة من خصائص الوجود التي تمس التربية من بدايتها إلى نهايتها وهذه العملية تهم التربية في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت مضى [٤]

1 - نبيل عبد الهادي، علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص ١٤٠

2 - عزت جرادات -نظرة فاحصة في التغير الاجتماعي الإسلامي، المسلم المعاصر ع٩-١٣٩٧هـ، ص١٢٧

3 - وزارة المعارف، السعودية، علم الاجتماع ، مرجع سابق ص ٥٩

4 -- إبراهيم ناصر -علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص ٢١٤

ويشير عاطف غيث إلى التغيير بأنه: ((التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع و وظائفه المتعددة و المختلفة)) [١]

ويرى محمد الدقس أن التغير هو: ((كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة محددة من الزمان، وقد يكون هذا التغير ايجابيا أي تقدما وقد يكون سلبيا أي تخلفا. أي ليس هناك من تجاه محدد للتغير. [٢]

ويعرف الدكتور مقداد ياجن التغير فيقول: هو التوجيه والتنمية وتعديل السلوكيات وتنمية المواهب والقدرات. [٣]

وقبل الخوض في تفاصيل تلك المتغيرات وآثارها دعونا نذكر الفرق بين مصطلحي التغير والتغيير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، إذ أن الفارق بينهما ليس مجرد حرف ياء زائدة بل يتمثل في مدى تدخل الإنسان في عملية التغير ، فكلما تدخل الإنسان لإحداث التغير أطلق على هذه العملية تغييراً وعادة يكون التغيير مخططاً ، ويسعى على إقامة بناء اجتماعي جديد يقوم على التحديد الواقعي والمثالي لاحتياجات المجتمع ، والتنمية الاجتماعية من عمليات التغيير الاجتماعي المخططة والمبرمجة لإحداث تغيرات في الأنساق التربوية والأسرية والبيئية والتنظيمية والثقافية .أما التغير الاجتماعي فإنه يحدث تلقائياً نتيجة تأثير خدمات وبرامج أحدثها الإنسان في واقعه الاجتماعي ، وحينئذ يكون تغير الظاهرة بطريقة تلقائية ليس مقصودة بفعل الإنسان وتدخله لإحداث هذا التغير. [٤]

وبالنظرة الشمولية في دراسة المجتمع (وهي نظرة الإسلام) والتي تعني بأن الإنسان كائن اجتماعي يتحدد سلوكه ومشكلاته وكل الظواهر الاجتماعية الصادرة منه في ضوء مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية والدينية ... وغيرها من العوامل ، وهي عوامل متداخلة ومتمازجة وعناصر متكاملة ، ينبغي النظر إلى تلك العوامل بشمولية متجاوزين التفسيرات الأحادية القاصرة التي وقعت فيها النظريات الوضعية . [٥]

---

1 – محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط ، مرجع سابق ، ص ٢٥

2 – محمد الدقس– التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق دار مجدلاوي –ط الثانية ١٤١٧هـ الاردن.ص١٩

3 – مقداد ياجن – التربية الأخلاقية في الإسلام مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٧م ، ص١١٢

4 – محمد بن إبراهيم السيف . المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٢٤هـ ،ص ١٢

5 – المرجع السابق ، ص ١٣

أساس التغيير الاجتماعي:

اختلف المفكرون والفلاسفة الاجتماعيين في تحديد العامل الحاسم والأساس القوي الذي يحدث التغيير الاجتماعي، وبالتالي يؤدي إلى ميلاد الحضارة الإنسانية المختلفة، فهو عند كل من:

(كارنولد توبيني) : يتمثل في عنصر "التحدي والاستجابة " ·

(آوروالــد شبنجلر) : يتجسد في العامل العنصري حيث فسر الحضارة باعتبارها ثمرة لعبقرية خاصة تسم عصرا معينا بميسم ابتداع·

(كـــارل مـــاركس) : فقد رأى بدوره أن الأساس للتغيير الاجتماعي يتمثل في العامل الاقتصادي، فالاقتصاد هو العامل الأساس المسيطر على حركة المجتمعات التاريخية ·

(مالــك بن نبي) : يرى أن الطريق لمعرفة الأساس القوي للتغيير الاجتماعي يجب أن يكون باستقراء الوقائــع التاريخــية الماضية والذي يدلنا على أن (الفكرة الدينية) كانت هي الأساس والمحرك الفاعل لأي حركة تغييرية اجتماعية وحضارية ·[١]

والفكرة الدينية عند ابن نبي كما يقول: (تحمل مقادير المجتمع كما تحمل النطفة جميع عناصر الكائن الحي الذي سيخرج فيما بعد إلى الوجود)[٢]

لهــذا نرى تعدد الآراء حول أساس التغيير الحضاري والدافع الرئيس للتغيير لدى المجتمعات البشرية ، ويعود ذلك إلى الأفكار التي ينطلق منها كل مفكر· والتي من أصولها رفض أي دور للدين أو اعتباره عاملاً فعالاً في التغيير الاجتماعي ·

ولهــذا نــرى أن رأي (مالك بن نبي) يمثل الحقيقة التاريخية للتغيير التي أصابت الأمم ؛ حيث يرى مالــك أن الحضــارة بصفتها هدفا لأي تغيير اجتماعي تعتمد على الدين بوصفه عاملا أساسياً في تركيبها وإقامتها، ولهذا فإن مالك يخطئ المذاهب المادية التي تجعل الدنيا عارضا في تاريخ الثقافة الإنسانية ·[٣]

إن الإنســان ليخضــع في مسيرة الحياة لعدة مراحل من التغير والتبدل سواء من الناحية الجسدية أو الناحية الروحية والنفسية ، وفي خضم هذه المتبدلات والتغيرات تحصل عوامل كثيرة تغير مجرى الحياة ·

---

1 – نــورة الســعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، الدار السعودية للنشر والتوزيع – ط الأولى ١٤١٨هـ – جدة – السعودية ص ص ١١٧-١١٨

2 – مالك بن نبي– ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر ١٤٠٦هــ دمشق · ص٥٢

3 – مالك بن نبي، أفاق جزائرية، ترجمة الطيب الشريف – مكتبة النهضة الجزائرية (د· ت)·ص ٨١

ولـــيس ذلك فحسب بل هناك كثير من العوامل الأخرى التي تخضع لعوامل التغير وخاصة في البيئة المحيطة به ؛ سواء كانت هذه البيئة اجتماعية أو طبيعية إن التغير يفرض نفسه على الأفراد الخاضعين لقانون الـــتغير والتـــبدل من واقع إلى آخر ، وكم حصل ذلك في مسيرة الإنسان عبر التاريخ ، فقد كانت هناك عوامل أحدثت تغيراً في نمط الحياة ، وكذلك في تصور الإنسان للوجود من حوله ، فالانتقال من عقيدة إلى عقيدة ، ومن فلسفة إلى أخرى تفرض هذا التغير ، وتلزم الإنسان على التكيف مع الواقع الجديد.

والتـــربية هـــي العامل المساعد على تحقيق هذا التغير وضبطه ، وكذلك تساعد الإنسان على وضع تصور جديد للحياة تقوم التربية بإحلاله في الواقع

أنواع التغير الاجتماعي

قـــد تعددت نظرة المفكرين الاجتماعيين عن مصادر التغير الاجتماعي ، ويمكن إجمالها في مصدرين للتغير هما:

- المصـــدر الداخلي: أي يكون قائما في داخل النسق الاجتماعي وإطار المجتمع نفسه، أي أنه نتيجة لتفاعلات تتم داخل المجتمع .
- المصـــدر الخارجـــي: الذي يأتي من خارج المجتمع نتيجة اتصال المجتمع بغيره من المجتمعات الأخرى .[1]

ويمكـــن أن نضرب الأمثلة للتغير الذي ينبع من داخل المجتمع ، أي أنه نتيجة لجهد أو جهود فرد أو أفراد هذا المجتمع ورغبتهم في إحداث التغيير في المجتمع عاماً كان أو في بعض الجوانب الاجتماعية . ومن أمثلة التغيير العام الداخلي دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم و ما أحدثته من تغير في العرب الجاهليين.

وأما التغيير الخاص كدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري و رغبته في تغيير صور الشرك والبدع ، وما أصاب الدين من ضعف ، و إعادة المجتمع إلى الدين الصافي ومثل ذلك الحـــركات الإســـلامية المعاصرة التي انبعثت رغبتا في تغيير صور الظلم والاستبداد الذي أصاب المسلمين كحركة الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر ، و المختار في ليبيا ، والمهدي في السودان ضد الاستعمار الغربي .

كـــذلك مـــن صـــور التغيير الخاص ما تحدثه الاختراعات والابتكارات من تغير بعض صور الحياة الاجتماعية داخل المجتمع، ومن هذه الابتكارات الكهرباء والمواصلات و وسائل الإعلام .

---

1 – محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص ١٩

صور التغير الاجتماعي:

١- التغير المفاجئ: ويحدث هذا النوع من التغير فجأة ودون مقدمات ظاهرة ، وقد يسمى هذا النوع طفرة إن كان تغيراً اجتماعياً ، أو ثورةً إن كان تغيراً سياسياً وقد يؤدى هذا النوع من التغير السياسي أو الاجتماعي إلى نتائج قد تكون حسنة أو سيئة تعتمد على كل من المتغيرِ والمتغيَّر والمغير ، وفي كلى الحالتين سوف يكون هناك أثراً على جميع صور الحياة الاجتماعية والتربوية ، وعلى المصطلحات التربوية ، والقواعد التي تؤثر في حياة الناس .

ومن أمثلة التغير المفاجئ : الثورة التي تخرج على المجتمع فتغير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية ، وتفرض نوعاً من الفكر والثقافة ، وربما يتعدى ذلك إلى فرض تغيير على العقيدة ؛ ومن أمثلة ذلك الثورة الشيوعية التي اجتاحت العالم في القرن العشرين أيام المد الشيوعي ، وفرضت على الشعوب مبادئ وأفكار مغايرة عما اعتادوه في مجتمعاتهم .

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة على الثورة المفاجئة والتي أحدثت تغيرا في المجتمع الإسلامي ، بل فرضت عليهم صورا من التغيير السياسي والاقتصادي ، وربما العقدي والتربوي ، ومن أمثلة ذلك ثورة القرامطة في العراق ، والفاطميين في بلاد المغرب ومصر والذين فرضوا نفوذهم بضعة قرون .[١]

ومن صور التغيير المفاجئ : الفقر والذي قد يغير في حياة الناس وفي بعض سلوكياتهم.

٢- التغير التدريجي: وهي الطريقة التي تتمشى مع أسلوب الحياة وطبيعة الأشياء وهي طريقة النمو التدريجي المستمر ، وتنطبق هذه الظاهرة على كل من النباتات والحيوانات ، بالإضافة إلى التغيرات في المظاهر الاجتماعية والإنسانية فالإنسان ينمو جسميا ، وعقليا ، وعاطفيا ، ونفسيا .والتغير الاجتماعي تغير القيم ، والعادات ، والنظم واللباس ، وطرق الحياة وأسلوب المعيشة .. وهي من أكثر أنواع التغير الذي يؤثر في التربية ؛ لأن الحياة هي التي تتغير وهذا يؤدي بالتالي إلى تغير تربوي ، وتغير في المناهج التي توضع في العادة من أجل التكيف مع المجتمع والجماعة المحلية .

وينقسم التغير التدريجي إلى قسمين رئيسيين هما.

---

1 - انظر في ذلك المراجع تالية:

- محمد بن مالك الحمادي اليماني، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة .
- عبد الرحمن بن الجوزي، الملل والنحل .
- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية . دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٨٩م.

أ-الـــتغير البطـــيء: وهو التغير الذي يتم تدريجياً ويكون في العادة مرحليا قد لا يستطيع الإنسان العـــادي مشاهدتها أو ملاحظته لأن هذا النوع من التغير يتم على مراحل قد تتساوى بالقوة والشدة وقد تختلف ولكنها في كلا الحالين تتم بالتدرج.

ب -الـــتغير المرحلـــي: وهذا النوع من التغير التدريجي يكون مرحليا ، وقد يكون هذا التغير عادة تصحيحياً ، أو توضيحيا ، أو عملية حذف أو إضافة لظاهرة أو مخترع أو مكتشف ، وغالبا ما يكون هذا الـــتغير كمـــيا لا يؤثر في كيفية الظاهرة .وقد لا يظهر أثره بسرعة ، بل على المدى البعيد .وما الخطط الثلاثية أو الخماسية التي تسير عليها كثير من البلدان إلا من هذا النوع . [1]

مراحل التغير:

هناك مراحل يتم المرور بها ، سواء في حالة التغير المفاجئ أو التدريجي وهي:

١-**مرحلة التحدي:** وهي نقطة البداية في عملية التغير ؛ حيث ينظر المجتمع في هذه المرحلة على أن عملية التغير هي عملية تحدي للقيم والأعراف السائدة ، فتقابل بعملية الرفض أو الموافقة ، وتسمى أحيانا عملية التشويش على صفة يراد تغيرها .

٢-**مرحلة الانتقال:** وفي هذه المرحلة يوجد جماعة من الناس تتقبل هذا التغير وتدعوا إليه وتدافع عنه

٣-**مـــرحلة التحول:** وفي هذه المرحلة تقل المقاومة من المعارضين ، وتصبح القوة للأفكار الجديدة والمخترعات والمكتشفات الحديثة ؛ سواء عن قناعة الفئة المعارضة أو لمجرد عدم جدوى المعارضة .

٤-**مـــرحلة التطبيق:**وهي المرحلة التي تصبح فيها الأفكار والمخترعات وظيفة في المجتمع ككل ، أو الغالبـــية العظمى من أفراد المجتمع يتبنون تلك الأفكار المستحدثة ، وتصبح مستقرة ومتبعة ولا يعود هناك مجال للنقاش أو الجدل ، أو الحكم لها أو عليها .[2]

عوامل التغيير:

لابـــد أن يكون هناك مجموعة من العوامل التي تقوم عليها عملية التغير ، ومن هذه العوامل ما يكون شخصـــية أو نفسية ، ومنها ما يكون متعلقاً بالبيئة المحيطة ، ويحدث بسبب مؤثرات خارجية أو داخلية . ولعل من أهم العوامل التي تؤدي إلى التغير ما يلي:

1 - إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي ، مرجع سابق ، ص١٣٨

2 - إبراهيم ناصر- دلال ملحس – علم الاجتماع التربوي- عمال المطابع – د ت – عمان الأردن .ص٤٩-٦٠

١- الدين:من أهم العوامل وأكثرها تغييرا في حياة الأفراد والمجتمعات الدين و خاصة الأديان السماوية و علــى رأسها الإسلام الحنيف الذي أحدث التغيير في جميع صور الحياة فالإسلام تغيير شامل لجميع صــور الحــياة الاعتقادية والسلوكية ، وذلك ظاهر في الأفراد والمجتمعات التي تنتقل من الكفر إلى الإسلام ، أو من الأديان الكتابية إلى الإسلام.

٢- ولهــذا يجــب مراعاة التصورات الدينية وتأثيرها في الإنسان عند محاولة التأثير عليه أو دراسته وعدم إهمال ذلك كما تفعل المناهج الغربية العَلْمانية .

٣- الــتقدم العلمــي والنمو الفكري: إن المكتشفات العلمية تؤدي في الغالب إلى إحداث تغيير في حياة الناس .ومثال ذلك اكتشاف الآلة والكهرباء وغيرها ((إن النظم التربوية قد ساهمت إلى حد كبير في مجال تطور الأساليب التكنولوجية والطبية والصحية على مستوى العالم))[١]

كمـــا أن إقامة المدن الصناعية وتجمع الناس فيها وتغير صور معيشتهم و تأثير ذلك على الناس إيجابا وســلبا ومن صور السلبية التي أفرزتها المجمعات الصناعية التلوث البيئي والصحي و انتهاك حقوق العمال وإلى غير ذلك ، مما ترتب عليه سن القوانين والاتفاقيات لضبط ذلك.

٣- **تغــير في أسلوب الإنتاج:** إن اختلاف أساليب الإنتاج وعرض السلع وتطورها ، واستخدام الآلات والمؤثــرات الإعلامية ، وتغير طرق العمل أدى إلى تغير كامل في نمط عيش الإنسان وعمله وحياته كلها .

- تقدم وسائل الاتصال والانتقال .
- استغلال الثروات الطبيعية.
- ظهور القادة والمفكرين .والمصلحين والثورات والحروب.[٢]

٤- **عوامل جغرافية:** يقصد بالعوامل الجغرافية مكونات البيئة التي يعيش عليها الإنسان مثل الموقع والمناخ والتضاريس والتربة و غيرها من المواد الأولية . وكل هذه تؤثر على حياة الإنسان وتخضعها للتغير مــثل تغــير المناخات و تنوع المحاصيل والإنتاج الصناعي والتجاري وكذلك محاولة تسخير عوامل الطبيعة لخدمــة الإنســان كحفر الآبار وبناء السدود و صناعة السفن و اكتشاف المعادن والثروات ومثال ذلك

1 - عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠

٢ - انظر في موضوع التغير التربوي المراجع التالية

١- د نازلي أحمد - التربية والمجتمع ، مكتبة ألا نجلو المصرية ،القاهرة ، ١٩٧٨م ص ص٩٢-٩٣

٢- د- إبراهيم ناصر - مقدمة في التربية ، المطابع التعاونية - عمان الأردن -د.ت. ص١٣٠-١٤٥ و علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق ، ص ص ٢١٤- ٢٣٠

اكتشـــاف النفط و ما أحدث ذلك في حياة الناس عامة والبلاد العربية خاصة من تغير في الحياة الاقتصادية والتربوية والاجتماعية .

٥- عوامل فكرية وسياسية:

تشـــمل العـــوامل الفكـــرية صور الآداب والمعتقدات والأخلاق والمذاهب الفكرية التي تتبناه بعض المجتمعات، وكل تغيير يحدث في الأصول الفكرية والمذهبية لأي مجتمع لابد وان يأثر على العلاقات والنظم الاجتماعية .

ويدخل في العوامل الفكرية الاتصال الحضاري بين المجتمعات وما يحدث ذلك من نقل لعناصر الثقافة أو الحضـــارة والـــتي بدورها تغير في اتجاهات الناس و سلوكياتهم وربما في ثقافتهم وقيمه وعقائدهم إيجابا وسلبا وخاصة عندما يكون الاتصال الحضاري بين مجتمعين غالب ومغلوب أو قوي وضعيف فغالبا يكون التغيير سلبيا وانهزاميا إلى حد بعيد حتى يسمى (غزوا).

وللعوامل السياسية تأثيرها في حياة المجتمعات سواء في حالة الحروب والثورات والاستعمار، وما تحدثه مـــن تغييرات، وكذلك في حالة الاستقرار وما تحدثه من أنظمة وقوانين و تطور وقرارات تنعكس بدورها على المجتمع والأفراد فتحدث التغيير .

مظاهر التغير:

إن عمليـــة الـــتغير لها تأثيرها الكبير على الأفراد والجماعات ، و على مراكزهم ومراتبهم ، وهناك مظاهر واضحة يمكن أن يراها المجتمع ومنها:

- التقدم العلمي
- تغير في نظام الأسرة
- الهجرة من الريف إلى المدينة
- ظهور مفاهيم جديدة
- الازدياد في المواصلات وتحسين نوعيتها
- ظهور قوة لبعض الطبقات التي كانت مسحوقة .
- هـــناك مظاهر سلبية كالانحراف في المادية ، وإهمال النواحي الروحية ، وانتشار اللامبالاة ، والعـــبث ، والتمـــرد الاجتماعي ، والميل إلى الأنانية والفردية ، والابتعاد عن الحياة العامة وخدمة المجتمع . [1]

1 إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، ، مرجع سابق ، ص ص٢٣٨- ٢٢٩

التربية والتغيير :

تعددت الآراء حول وظيفة التربية و دورها في توجيه حركة التطور والتغيير في المجتمعات ، وكذلك مســؤوليتها الاجتماعــية في المحافظــة على ثبات المجتمع واستقراره والمحافظة على نظمه وعلاقاته ، ويرى (بروجان) أن التربية وسيلة أساسية لأحداث التغيير الاجتماعي في الجوانب الإيديولوجية والثقافية والفكرية بغية غرس التجانس في اللغة والعادات والتقاليد وفي السياسة والاعتقادات العامة داخل المجتمع . [١]

ولهذا انقسمت آراء الباحثين إلى عدة مواقف هي:

أولا: موقف المحافظين:

يرى أصحاب هذا الموقف بأن الوظيفة الأساسية للتربية هي المحافظة على عقيدة المجتمع وقيمه وثقافته، وأن تعمــل على تعزيز الواقع، و أن تركز على الاستفادة من الماضي في ((استخلاص القيم والحكم والعبر والمواقف التربوية المفيدة منه لحل مشاكل الحاضر ، والعمل على تطوره وفقا لمعطيات الماضي، الأمر الذي تــبنى عليه أساس البرامج التعليمية، وتحدد على أثره الأولويات في بناء الأهداف، و ترسم الاستراتيجيات المنهجية لطريقة نقل المعرفة من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة.)) [٢]

إن المدرسة عند المعلمين المحافظين لا تستطيع فرض سرعة معينة للتغير الاجتماعي دون إفساد وظيفتها الحقيقية وهي ممارسة الفكر . إن المدرسة ليست مجرد هيئة إصلاحية ولكنها منظمة تعليمية .[٣]

ثانيا : موقف التقدميين:

في خضــم التقدم الصناعي الهائل الذي شمل جميع صور الحياة المادية خرجت أصوات تطالب التربية بمحاولة إلحاق ركب التطور التكنولوجي ، ومجاراته وإن التربية ليست مجرد مؤسسة اجتماعية جامدة هدفها المحافظــة على الأشكال والنظم الاجتماعية فقط بل عليها أن تشارك في خضم الحياة العامة ، و تساهم في تكيف الإنسان مع المعطيات الحضارية الحديثة وان توجد الحلول لكثير من المشاكل التي أفرزتها الاختراعات المادية وكذلك إمداد سوق العمل والإنتاج بالأيدي العاملة المناسبة .

وقد عمد أصحاب هذا الاتجاه إلى أسلوب ((النقد والتحليل الدقيق للنظم التربوية القائمة لكشف عن تناقضاتها ، لعل ذلك يدفع برجال التربية وصنّاع القرار القائمين عليها إلى تطوير أنفسهم ، وتغيير أساليب

1 – عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧

2 – عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤

3 – محمد منير مرسي، فلسفة التربية،تجاهات ومدارسها ، عالم الكتب – القاهرة ١٩٩١م ص ٥٥

التربية والتعليم لتلبية متطلبات التغيير الاجتماعي الإبداعية ، ٠٠٠ ويدعوا أنصار الاتجاه التقدمي في التربية إلى ضرورة التركيز على تعليم الطلاب كيف يفكرون ٠٠٠ودقة التحليل ٠)) [١]

ويقول محمد منير مرسي: إن التربية التقدمية تقدم لنا طريقا وسطا بين الرأيين القائلين بأن التغير الثقافي يعتمد كلية على التغير الاجتماعي وإن التربية يمكن أن تصلح شأنها وشأن المجتمع دون أن تتعاون بالضرورة مع القوى الاجتماعية بالرغم من عجز التربية عن تحديد تجاه التغير الاجتماعي ٠ ويرفض التربوي التقدمي أية مشروعات لاستخدام المدرسة لخدمة برنامج الإصلاح الاجتماعي ؛ معتقدا أن مثل هذه الوظيفة المضافة للمدرسة تنتهك الحرية الفكرية للطفل وبهذا تحد من نموه ٠[٢]

ويأخذ على أصحاب هذا الاتجاه عدم إيمانهم بالقيم المطلقة وميلهم إلى (الفلسفة البرجماتية) ٠

ثالثا: موقف المحايدين:

يرى أنصار هذه الموقف أن تبقى التربية على طرف الحياد و الابتعاد عن المتناقضات الاجتماعية ، أو ما يمكن أن يتسبب في إحداث صراع بين فئات المجتمع ((و الالتزام و الاهتمام فقط بالمسائل والقيم والحقائق الاجتماعية المتفق عليها ، وبذل كل الجهود الممكنة لتنمية قدرات ومواهب التلاميذ ؛ كل على حسب إمكانياته وقدراته المتاحة))[٣]

وقد اخذ على أصحاب هذا الموقف بأنهم يولّدون لدى الناشئة السلبية والاضطراب حول كثير من القضايا الاجتماعية حيث يقفون أمامها حيرى ، و يتولد لديهم الإحساس بالعجز و عدم الاكتراث بالقضايا العامة في المجتمع ، و عدم القدرة على مجابهة التغيرات التي تحدث في المجتمع ٠

رابعا: موقف الوسطيين (التغير والثبات):

يرى أصحاب هذا الموقف أن وظيفة التربية يجب أن تتحلى بالوسطية بين التغير والثبات ، فهي مؤسسة اجتماعية من أهم أهدافها المحافظة على كيان المجتمع وتميزه وبقائه ، وذلك بالمحافظة على ماضيه وثقافته و استقراره، وفي نفس الوقت عليها أن تلبي احتياجات المجتمع العصرية ، و الأخذ به إلى التطور والتقدم ومواكبة الواقع، كل ذلك في توازن بين الطرفين حتى تتمكن التربية من صنع الاستقرار و الثبات ((عن طريق نقل الثقافة السائدة والعمل على مسايرة التغيير لتوفير المجددين والمبدعين والمبتكرين والمخترعين من أبناء المجتمع ٠ ويجب على النظم التربوية أن تحترم وظيفة المحافظة ، ووظيفة التجديد ومحاولة إيجاد التوازن بينهما على ألا يعطل أحدهما الآخر٠))[٤]

---

1 – عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦
2 – محمد منير مرسي، فلسفة التربية، تجاهات ، مرجع سابق ، ص٤٦
3 – عبد الله الثبيتي، علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧
4 – عبد الله الثبيتي، مرجع سابق، ص٢٥١

ومن الملاحظ أن التغير في العصر الحديث سريع وشامل خاصة لدى الشعوب التي تفتقد إلى حضارة وثقافة تمكنها من الوقوف أمام تيار الحضارة الغربي الجارف لهذا نسمع أصوات القائلين (بحتمية التغيير) بأن لا ثبات أبدي في الحياة الإنسانية.

ومن عوامل نجاح التغير في حياة الإنسان سرعة قابلية التغير للانتشار بين الناس ، ثم قابلية انتقاله من شأن إلى آخر حتى يشمل جميع جوانب الحياة .

ويرى (وليم كلباتريك) أن هذا التغير السريع يعتبر أهم ظاهرة عرفها المجتمع الإنساني منذ القدم . فـإلى زمـان قريب كان معدل التغير بالغ البطء ولكن اليوم أصبح التغير اشد ما يكون واضحا وأوسع ما يكـون شمولا . إذا ما بحثنا حقيقة هذا التغير المميز لعصرنا الحاضر نجد أنه يقوم على مجموعة من العوامل أهمها:النظرة العقلية المتغيرة التصنيع ونتائجه، والاتجاه الديمقراطي وتطبيقاته (يعني في الغرب.)[1]

ولا يعـني ذلـك أن ليس هناك عوامل تقف في وجه التغير وتحد من انتشاره أو حدوثه ، بل هناك عوامل كثيرة تقف بالمرصاد لعمليات التغير منها ما ينجح في إيقاف التغير ومنها ما يندحر أمامه وقد يحدث بسـبب ذلـك صراع اجتماعي بين فئتين من المجتمع إحداهما تقف مع التغير والأخرى رافضة لذلك وقد يكون هذا الصراع بسيط ومعنوي وقد يشتد ويكون أكثر عنفا .

ويـؤكد الثبـيتي بأن التجارب الإنسانية أثبتت ((أن التربية ليست دائما قادرة على إحداث التطور والتغير في المجتمع على الرغم من الاعتقاد السائد بأن التربية هي أساس التغير والتقدم الاجتماعي ...وقد تسـتجيب التربية لسرعة التغيير في الجوانب المادية وتعمل على تعزيزه على حساب التباطؤ في عملية التغيير في الجـوانب المعـنوية للثقافة ، على الرغم من أهمية الترابط بين الجانب المادي والمعنوي في عملية التغيير والتطور الاجتماعي.)) [٢]

ومن المعلوم أن التربية وحدها غير قادرة على إحداث التغيير الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية ، بل هناك عوامل أخرى تلعب دورا رئيسا في إحداث التغيير الكلي للمجتمع مثل العوامل السياسية والاقتصادية، فالاقتصاد في هذا القرن إحداث تغيرات واضحة في المجتمعات ، وخاصة الخليجية في الوطن العربي ، والذي بدوره على زيادة الاهتمام بالتربية و مؤسساتها كذلك .

ويرى محمد عاطف أن التغيرات الاجتماعية إنما تأتي على عدة أشكال وليس من طرق التربية فقط:

1 – وليم كلباتريك، المدينة المتغيرة، ص ١٧

2 – الثبيتي-علم اجتماع التربية، ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤٩

التغير في القيم الاجتماعية، تلك القيم التي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي كالانتقال من النمط الإقطاعي لمجتمع [1] و النمط التجاري الصناعي الذي صاحبه تغير في القيم التي ترتبط بأخلاقيات هاتين الطبقتين في النظرة إلى العمل وقيمة القائمين به وغير ذلك

التغير في النظام الاجتماعي ..أي في المراكز و الأدوار الاجتماعية .[2]

وهناك مجموعة نظريات اجتماعية حاولت تفسير التغير الاجتماعي بناء على فروض وتصورات فلسفية في تفسيرها لظاهرة التغير، فهي لا تقوم على البحث العلمي و الامبريقي، وإنما دراستها عبارة عن دراسة أرائكية، تنظر إلى التغير الاجتماعي نظرة عامة واحدة في المجتمعات كافة، ولا تعطي أهمية لاختلاف المكان أو الزمان ، وتقدم أحكاما عامة وشاملة . [3]

ويلاحظ أن جميع كتب التغير الاجتماعي تقتصر على مفهوم التغير في المجتمع الغربي و تتخذ من تاريخ أوروبا نماذج لذلك وتتجاهل بقية العالم، بل الأكثر من ذلك تتجاهل التغير الذي أحدثه الدين في معظم المجتمعات الإنسانية على طول التاريخ البشري ، فلا ترى للدين في نظريات التغير أي ذكر .

وسوف نعرض لبعض الفروض التي تقوم عليها نظريات التغير الاجتماعي لنقف على تنكرها للأديان و عدم دقتها ، و عدم واقعيتها و تجاهلها للمجتمعات خارج النطاق الأوربي .

الشروط التربوية للتغير:

يذكر (مقداد يالجن) أهم الشروط التربوية العامة لإجراء التغير و هي:

- يجب أن يعرف المربي تلك الحقائق الطبيعية من الغرائز والدوافع لدى الأفراد ، ومدى قابليتها للتغير والتبدل.
- وجوب الاعتراف بأن تلك الغرائز والدوافع الفطرية ليست إلا استعدادات أولية قابلة للتوجيه والتنمية والتغيير.
- وجوب تكوين الثقة بالنفس .
- وجوب تبصير الناشئة بأساليب ووسائل تغيير النفس ثم تدريبهم عليها .
- وجوب تكوين إرادة التغيير بالرغبة الأكيدة والعزم.
- مراعاة استعدادات الطبيعة للتغيير والتنمية والتوجيه والتهذيب.
- مراعاة أن يكون التغير نحو الأحسن والأفضل .

---

1 – للأسف المؤلف يتحدث وفق ثقافة غربية و إلا ليس في الحضارة الإسلامية مثل هذه الصورة –الباحث

2 – محمد عاطف– التغير الاجتماعي والتخطيط، ، مرجع سابق ، ص٢٥

3 – محمد دقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، ص ٧٤

- مراعاة التدريب التدرجي في التغيير.
- وجوب مراعاة ظروف إجراء التغيير .[1]

التربية الإسلامية والتغير:

يجب أن نؤكد أن وجهة النظر الإسلامية تعتبر أن التغير يقع في مظاهر الحياة وأحوالها وفي مظاهر البيئة، وليس تغيرا في الإنسان، وبالتالي ليس في واقع المجتمع الإنساني ، أو في حقيقته، فالإنسان هو الإنسان من حيث غرائزه وحاجاته ومشكلاته، سواء وعى ذلك أم لم يهتدِ إليه .ثم إن النظرية الإسلامية ترى أن أي تغير في حياة الإنسان هبوطا أو صعودا، تابعٌ لتغير نفسية الإنسان وعقليته ، وتابع من ثم لتغير التزامه في الأداء السلوكي قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد: ١١].

فالتغير يحدث في أفعال الإنسان، ونتيجة لتغير نفسيته، ويكون على شكل حوادث تتنوع في أشكالها، ودرجات حدوثها ونتائجها، ولكنه ليس نابعا من المجتمع .[2]

ومن المعلوم أن الإنسان هو أهم عنصر تمتلكه الأمة وعليها استغلاله في عملية البناء الحضاري ، فهو العنصر الفعال الذي عليه تقوم مشاريع البناء ، وكم من أمة فقيرة في مواردها الطبيعية كما في اليابان اليوم ولكن هذا النقص لم يمنعهم من استثمار مواردها البشرية وتحقيق قفزة نوعية في جميع المجالات الحضارية ، و لم يكن هذا النجاح وليد الصدفة إنما كان ثمرة مشروع تربوي استغل المكنون البشري في تحقيق غايته ، وإن كثيراً من المجتمعات تربط بين زيادة الإنتاج القومي وزيادة الدخل القومي بالتربية .

وكذلك إن للتربية دوراً مهماً في تغيير عمل المؤسسات الصناعية والإنتاجية ، وتنشيط عملها من خلال تطوير المعرفة وأساليب العمل والإنتاج ، وهناك الكثير من الدراسات العالمية التي زادت اهتمامها بالتغير التربوي و أثره على العائد الاقتصادي.

ولقد تميز تطور التربية بوجود ارتباط وثيق بين التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في البيئة ونظم وأشكال التربية ، فالتربية بما تساهم به من نشر المعرفة الصحيحة عن البيئة التي تعمل في إطارها إنما تساهم في توعية المجتمع بمشاكله ، وتركز الجهود حول تربية الإنسان المتكامل الذي يساهم في خدمة نفسه ومجتمعه، وبهذا تكون التربية ((عملية شاملة تهدف إلى إحداث تغير حضاري يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الأساسية المادية ، والفكرية ، والروحية ، و الإبداعية المتجددة ، ولكل من الفرد والمجتمع على السواء .))[3].

---

1 – مقداد يالجن – التربية الأخلاقية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص١١٥

2 – عبد القادر رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، ، مرجع سابق ، ص٢٤٧

3 عبد العزيز جلال، تربية اليسر والتخلف، تربية اليسر وتخلف التنمية – الكويت- عالم المعرفة-١٩٨٥مص٣٥

ولا يمكن الوصول إلى التغير التربوي الشامل الموافق لأصول التربية الإسلامية المستمدة من مصادرها الحقيقيـة إلا بتضـافر الجهود الفردية والاجتماعية بمختلف المؤسسات للارتقاء بمختلف قدرات وجوانب النشاط الإنساني المادي والروحي على حد سواء .

ودور التـربية الإسلامية هنا مهم للغاية أنها تنمي إنسانا مسلما متفاعلا إيجابيا في حركته مع الكون ومعطياته المادية والفكرية .

والتربية الإسلامية عاملٌ مهم في إحداث التغير الاجتماعي: حيث تهدف التربية الإسلامية إلى إحداث تغير اجتماعي إيجابي يعيد المسلم المعاصر إلى حقيقة الشريعة الإسلامية ، والتخلص من بعض صور التخلف الحضـاري ، والعجز الثقافي والتبعية التي تؤخر تقدم المجتمع المسلم ، وحصول الإنسان المسلم على حقوقه الإنسـانية ، والـرخاء في العيش و الأمن في الحياة ، وتحقيق أهدافه ؛ حيث إن تطور نوعية الفرد وتنمية مهاراته وزيادة خبراته أصبحت ضرورية ملحة تفرضها طبيعة الحياة المعقدة وسوق العمل المتطور ، على أن يكـون هـذا الحراك الاجتماعي شامل لأفراد المجتمع دون اعتبار للجنس أو الطبقة أو اللغة أو غيرها من الفروق الاجتماعية والطبيعة .

ولعل أكثر ما تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم هو عدم قدرتها على إحداث هذا التغير الاجتماعي الذي يأخـذ بأفـرادها إلى الـنمو والـتطور ، ولعل ذلك مردهُ إلى حالة التخلف والجهل الذي أرسى دعائمه الاسـتعمار الغـربي عندما كانت الدول الإسلامية تعيش تحت احتلاله ، ثم لما كان لها الاستقلال وطرد الاستعمار الغربي الذي خلف وراءه أنواعاً من الاستعمار المعنوي والمادي يرعاه أذنابه وتلاميذه وقد حرص قـبل رحـيله علـى إعدادهم وتربيتهم لمواصلة الولاء للمستعمر حتى بعد خروجه ، ولعل أول طريق إلى النهوض بهذه الدول هو إدراكها بضرورة إيجاد تربية مستقلة في مضمونها ورجالاتها عن المستعمر ورجالاته المتـبقين ، وإزاحتهم عن هذه المؤسسات التربوية، و سيكون في حينها للأمة أمل في النهوض والاستقلال التام.

وعلـى التربية الإسلامية أن تقوم بمساعدة الأفراد على تكوين القدرة الكاملة على التحديات وفاعلية المصـاعب العصـرية ومواجهة المشاكل المتفاقمة بحلول إسلامية واضحة، كما إن عليها مساعدة هؤلاء الأفراد على اكتساب القدرة على التكيف مع المتغيرات الصحيحة المطلوبة واستيعابها ، وضرورة إيجاد مثل هذه الظروف الصحية التي تنمو فيها حاجات المسلم المعاصر وفق نظرة الشريعة الإسلامية .

عوامل التغيير في القرآن والسنة:

اهـتم الإسلام بعوامل التغيير و الأخذ بالأسباب من أجل التغيير الناجح وعدم الركون إلى السكون والرضي بالواقع المخالف للحق ، بل يجب التصدي له والأخذ بسبل النجاح ((أن قانون التغيير الاجتماعي

كأمر وجودي واقع نص عليه القرآن صراحة)) [1] وذلك في أكثر من أية. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنفال ٠٥٣)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد ٠١١)

وقضـية التغـيير في القرآن الكريم تشمل التغيير في تجاهين: أحدهما إلى الأحسن والآخر إلى الأسوأ (سـلبياً) ؛ حيث إن كثيراً من المجتمعات تنحرف عن الحق و جادة الطريق وتنحدر إلى طريق الضلال ، فلما وقعوا في التغيير السلبي وبدلوا نعمة الله عليهم -ومنها الدين - حينها غير الله ما كان قد انعم عليهم به . قال تعالى: ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنفال ٠٥٣)

ونقطة الانطلاق في التغيير تبدأ من الإنسان، فهو الذي يبدأ بالتغيير ليصل إلى حال أحسن أو إلى حال أسـوأ ، ومعنى هذا أن الإنسان قادر على تغيير المجتمع ، وأن الله أعطاه هذه القدرة ودله على الطريق وهو معرفة أسباب التغيير وعوامله، وإن الإسلام طلب تغيير الشرك بالتوحيد، والجهل بالعلم ، والكسل والبطالة بالعمل، والفقر بالغنى غير البطر والضعف بالقوة، والأثرة بالتضامن ، والفحش بالعفة إلى غير ذلك من نظام القيم الإسلامي.

إن الإسلام جعل للتغيير طريقا وهو حسب التعبير القرآني (تغيير الأنفس) ويشمل هذا التغيير نوعين تغيير الأنفس مجموعة وذلك هو المجتمع ، وتغيير النفس بالنسبة للفرد .[2]

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة عن سنن التغيير التي تصيب الأمم عند انحرافها عن هدي الله تعالى ((فأقوام نوح ولوط وسبا وعاد وثمود، وأصحاب الأيكة، وغيرهم جاءهم رسلهم بالبينات، يعرفونهم بالله وما ينبغي له من توحيد و توقير وشكر وعبادة، فلما كفروا وجحدوا المنعم، واستكبروا في الأرض، حاقت بهم سنن الله التي لا تتخلف.

1 - محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، المسلم المعاصر، ص٤١، ع١٢- ٧٩٣١

2 - محمد المبارك، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، ، مرجع سابق ، -١٣٩٧هـ

قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت ٠٤٠)

ولما راجع قوم يونس أنفسهم، و خافوا العذاب الذي انذرهم به رسولهم وعجوا إلى الله بالتوبة والاستغفار رحمهم الله ، وشملهم بلطفه وعفوه قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس ٠٩٨)

هذه سنن الله في حالي للإيمان والكفر. [1]

ومن المعلوم أن على القائمين على المجتمعات الإسلامية مسؤولية التغيير الإيجابي و حماية المجتمع من عوامل التغيير السلبي و الإمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى التغيير والانحراف الذي يقود المجتمع إلى خارج دائرة الإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحقاف ٠٣١-٠٣٢)

قال تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف ٠٦٨)

ويأخذ حديث القرآن عن رسالة المسلم الاجتماعية طابع التنوع والإسهاب، لأهمية هذا المبدأ في بناء التصور الإسلامي عن الإنسان وعلاقته بالكون الذي من حوله، فكثيرا ما يعرض الأيمان مقرونا بالعمل، والعقيدة ممزوجة بالسلوك، ويرفع في إثناء ذلك من قيمة العمل الصالح الذي يمثل الوظيفة الاجتماعية وجعله سببا للنجاح الدنيوي والأخروي، وأساسا للاستحقاق. [2]

والسنة النبوية تتعامل مع عوامل التغيير وأثرها على الفرد والمجتمع ، ومن أمثلة ذلك التحذير من العيش بين أهل الكفر والفساد لأن ذلك يؤدي إلى تغيير المسلم و التأثير عليه، فعن جَرِيرِ بنِ عبدِ الله: «أنَّ

1 -صديق عبد العظيم أبو الحسن، مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، ، مرجع سابق ، ص٥٩

2 - ابن عيسى باطاهر، فاعلية المسلم المعاصر، سلسلة كتاب الاعتصام ع ١- جمعية الكتاب والسنة - الأردن -كار البيارق - ط، الأولى ١٤١٧هـ عمان -الأردن . ص٦٢

رسولَ الله قال: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ، قالوا يَا رسولَ الله: وَلِمَ؟ قال لا تَرَاءَى نَارَاهُمَ)) [١]

ومـــن التغيير السلبي و المحرم انتقاص أحكام الإسلام أو استبدالها أو هجرها وترك العمل بها، فعن أبي ســعيد الخـــدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فأقول أصحابي أصحابي، فقيل: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، قال: فأقول: بعداً بعداً، أو قال: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)) [٢]

وهناك التغير البيئي السلبي الذي قد يؤثر في سلوك المسلم و يحصل به التغيير في الأخلاق أو الاتجاهات المرفوضة ، ومن ذلك النهي عن العودة إلى حياة البداوة أو الجلوس مع أهل البدع والفساد ومن أمثلة ذلك في السنة النبوية، فعن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بدا جفا.)) [٣]

وفي المســند عــند الإمام أحمد، حديث، ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن)) [٤]

ونهـــى الرســـول صلى الله عليه وسلم عن العودة إلى البادية حتى لا ينقطع المسلم عن تعلم الإسلام والمشاركة الاجتماعية في إقامة شرائع الإسلام .

ومن عوامل التغيير الاقتصادية التي تؤثر في الأفراد والمجتمعات وتخلق المشاكل والفتن - الفقر والحاجة و الـــبطالة - وغيرها من صور البؤس والفقر، فقد حذر رسول الله من ذلك وسماها فتناً ، وقرن بينها وبين الكفر في خطورتها وتأثيرها على دين الإنسان وأخلاقه ، ولهذا كان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم التعوذ من فتنة الفقر .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: اللّـــهم رب الســـماوات السبع، ورب الأرضين، وربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، متزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخـــر فلـــيس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، واغنني من الفقر)) [٥] .

1 - الترمذي ، مرجع سابق ، رقم الحديث، ١٦٠٦، ج٥ص٢٤٥

2 - الإمام أحمد، المسند، مرجع سابق ، رقم الحديث ١٠٩٩٠

3 - المرجع السابق ، رقم الحديث ١٨٢٦٩

4- المرجع السابق ، ،رقم الحديث، ٣٣٦٠

5 - المرجع السابق ، رقم الحديث، ١٠٦٩٤

المبحث السادس
التنمية الاجتماعية في الإسلام

مدخل:

بعد أن حصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها من الاستعمار وقد كانت جميعها تعيش مرحلة من التخلف في جميع شئون الحياة، وكانت هذه الدول ((تنخفض فيها مستويات المعيشة ، وينخفض فيها الدخل، وبالتالي ينخفض فيها مستوى الغذاء واستهلاك الطاقة، ومستوى التعليم والثقافة، وترتفع نسبة البطالة ويسوء المستوى الصحي، ويقل استثمار الموارد ، وتقل التجهيزات مع سوء استعمال ما هو متوفر منها، ويضعف التصنيع والزراعة مع سوء وسائل النقل والموصلات والطرق ، وتنقص القوة العاملة الماهرة والكفاءات البشرية المدربة، مع هجرة العقول المفكرة ؛ مما يؤدي إلى استتراف ثرواها البشرية .[1]

لهذا كانت هذه الدول الفقيرة في حاجة إلى نظام تنموي يحقق لها إدارة نفسها وتطوير إمكانياتها بسواعد أبنائها دون الاعتماد على المستعمر مؤسساته .

إن قضية التنمية يجب أن لا تعزل عن إطارها العقائدي و الثقافي والاجتماعي والنفسي للمجتمع المسلم، فإن مجرد استيراد الحلول التنموية أو تغيير الأشكال الاقتصادية ، أو تلقيحها ببعض الأفكار المطورة لا تتعدى كونها عمليات مشوهه لحقيقة التنمية التي يجب أن تقام على أسس صحيحة ، ورؤية إسلامية شاملة تراعي الإنسان المسلم في إطار عقيدته و مجتمعه وبيئته و أهدافه الدينية والدنيوية ، و التخلص من تلك النماذج التنموية المستعارة والتي هي في غالبها مقلدة لتجارب تاريخية لمجتمعات أوروبية عايشت النهضة الصناعية بظروفها الأوربية الخاصة والتي لا يمكن أن نقارنها بالواقع والظروف في المجتمعات الإسلامية التي لها خصوصيتها و عقيدتها ونظرتها المتميزة للكون والحياة والإنسان .

ولكن هذه الدول لم يكن لديها تصوراً عن التنمية التي ينشدونها ، بل كان همهم الاعتماد على النماذج الغربية للتنمية المشاهدة لهم سواء كان النموذج الرأسمالي أو النموذج الاشتراكي .

وأن ليس هناك غير هذين النموذجين اللذان عليهما ستقوم عملية التنمية حتى ظن البعض ((إن للتقدم صورة وحيدة وفضلى هي تلك التي تتمثل في حضارة الغرب الرأسمالي والاشتراكي أيضا ، وإن

1 - علي أبو العينين - التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي- مكتبة إبراهيم حلبي المدينة النبوية- ط الأولى ١٤٠٧هـ ، ص١٢

للــتقدم مســاراً فريداً يتعين على كل الشعوب أن تسلكه ، وأن تمر بالباب الضيق الذي اجتازته الحضارة الغربية)) .[١]

ولقــد أخذ أصحاب (نظرية التحديث) على عاتقهم محاربة القيم التقليدية ، ووصفها بأنها العقبة الأساسـية في تنمية و تحديث المجتمعات المختلفة ، وبالتالي فالخروج من هذا المأزق لا بد أن يعتمد على تغـيير الثقافات التقليدية عن طريق تبني قيم التحديث ، أي القيم الغربية ، وإعادة إنتاج التجربة الرأسمالية الغــربية ، وأنــه لابد من محاكات التحديث الأوروبي ، وهذا مما زاد هذه الأمم والدول انخراطا في التبعية والاعتماد الكلي على المستعمر الأول ، ولكن هذه المرة بطلب من الدول نفسها ، وبرغبة منها ، و نتج عن هذه التبعية أن ازدياد الأمر تخلفا وتبعية، وقطع مقومات المجتمعات الإسلامية وصلتها بماضيها، وتغير قيمها وأنماطها الفكرية والمرجعية ونقد هذه المفاهيم والمسلمات التقليدية التي تستند إليها .

والمتتبع للواقع المعاصر للمجتمعات الإسلامية يدرك بوضوح أن التنمية —بمختلف أبعادها— أصبحت قضـية مصيرية في حياتها، لكنها للأسف أخطأت في اختيار الوسيلة والهدف في تحقيقها، إذ اختار بعضها النموذج الغربي الرأسمالي للتنمية مثلا يقتفي أثره، والبعض الآخر اتخذ من النموذج الاشتراكي للتنمية مثلا لــه، وعلقت هذه المجتمعات الآمال على التربية كأداة لإحداث هذه التنمية المأمولة، وسلكت بالتربية أحد النموذجين السابقين، مما نتج عنه إهمالا للخصوصية الثقافية ، وتجاهل الذات الخاصة لهذه الأمة، مما أدى إلى حدوث تربية وتنمية قاصرة و مشوهة .[٢]

ولمــا تفــاقم الأمــر و ازدادت المشاكل في المجتمعات الإسلامية بسبب هذه السياسات غير المطابقة لظروف المجتمعات الإسلامية ، خرجت الدعوات إلى العودة إلى للطرح الإسلامي والاعتماد عليه ؛ لأنه هو الطـريق الوحيد إلى النجاح وخاصة عندما خرجت نماذج دولية حقيقة نجحت نجاحاً باهراً عندما تمسكت بأصولها ومقوماتها ، ورفضت النموذج المستعار ومن هذه الدول اليابان وغيرها .

ولعــل مــا تحــتاجه المجتمعات الإسلامية لإحداث تنمية حقيقية هو أن يحكم الإسلام هذه التنمية، ويــوجهها في جمــيع أبعادهــا وجوانبها المادية والمعنوية، وأن تتخذ من التربية الإسلامية أداة لتحقيقها، فالإســلام عقــيدة الأمة ومنهج حياتها، وله معها تجربة ماضية، نقلتها من حياة التشرذم والبداوة إلى حياة الحضــارة الواحدة، وتحولت بفضله إلى قائدة للعالم على مر العصور ، وتجاوزت ثمارها حدود المجتمعات الإسلامية إلى الإنسانية جميعها.[٣]

1 – إسماعــيل صــبري – التنمية الاقتصادية العربية ، إطارها ومنحاها القومي – في(دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي)- سلسلة كتب المستقبل العربي رقم (١١) – مركز دراسات الوحدة العربية – ط الثانية – بيروت ، ١٩٨٣م.ص٤٣

2 – علي أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٩

3 – محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧٣-٢٧٤

تعريف التنمية:

التنمية في اللغة مشتق من مادة ((نمى)) ومشتقاتها قال في لسان العرب ((نَمى يَنمي نَمياً و نماءً: زاد وكثـر، وربما قالوا ينمو نموا ٠٠أو أنميت الشيء ونميته، جعلته نامياً ٠٠ونميتُه رفعتُه على وجه الإصلاح)) وهي بمعنى زاد و كثر وارتفع [1]

والتنمـية في اصطلاح المهتمين بها لها أكثر من تعريف ، فمنهم من عرّفها بأنها: عملية شاملة تهدف إحـداث تغيير حضاري يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الأساسية — المادية والفكرية والروحية والإبداعية — المتجددة لكل فرد من المجتمع على السواء٠ [2]

(فالتـربية عملية تحويل عامة مقصدها الإنسان وعقله ، والتنمية أيضا عملية تحويل أوسع وأكبر من التـربية لأنها لا تركز على فرد معين في المؤسسة محددة و إنما تشمل كل إنسان في المجتمع ، وتشمل بذلك التراث والأنظمة والأنشطة الإنسانية المتعددة ٠) [3]

إذا التنمية هي عملية شاملة تهدف إحداث تغيير حضاري يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشـباع الحاجات الأساسية — المادية والفكرية والروحية والإبداعية — المتجددة لكل فرد من المجتمع على السواء٠ [4]

ويعرفها إبراهيم أحمد عمر فقال: التنمية تعني مصانع تقام ، وطرقا تعبّد ، وعمائر تبنى ، ومالا يستثمر ، وقـنوات تشـق ، و أرضا تستصلح ، ونباتاً يزرع ويحصد ٠٠ ، وتعني أيضا هياكل و إدارات تشكل وتدريب علميا وفنيا وبحثا ٠٠ تهيئ الإنسان يعلّم ويطبب ويرفه ٠ [5]

وإبراهيم عمر قصر التنمية على جانبها المادي المحسوس فقط ، وهذه النظرة هي سبب فشل التنمية في الـدول الإسـلامية ؛ حيث ركزت على الجانب المادي وأهملت الجانب القيمي (العقائدي والأخلاقي) للتنمية مما ترتب عليه خلق كثير من المشاكل لهذه المجتمعات ، على ذلك تم رفض المجتمعات الإسلامية لها ٠

ومـنهم مـن عـرفها اقتصاديا بأنها ((عملية استخدام الموارد الاقتصادية للمجتمع ؛ لتحقيق زيادة مسـتمرة في الدخل القومي، تفوق معدلات النمو السكاني، و تؤدي إلى إحداث زيادة حقيقية في متوسط نصيب الفرد من الدخل))٠ [6]

---

1 – ابن منظور، لسان العرب، مادة نمى، ج١٥ص٣٤١

2 – علي أبو العينين — التربية الإسلامية وتنمية المجتمع ، مرجع سابق ، ص١٣

3 – إبراهيم ناصر، مقدمة التربية –، مرجع سابق ، ص١٥٩

4 – علي أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع ، مرجع سابق ، ص١٣

5 – إبراهيم أحمد عمر – فلسفة التنمية رؤية إسلامية المعهد العالمي للفكر الإسلامي — أمريكا ط٣ — ١٤١٢هـ٠، ص١٦

6 – محمـد عـبد المنعم عفر، التخطيط والتنمية في الإسلام، ص١١٢نقلا عن أبي طالب محمد سعيد، وأخر، علم التربية العام، مرجع سابق ، ص٤١

ويعرف البعض التنمية بأنها عملية اجتماعية واعية وموجهة لإيجاد تحول بناء يؤدي إلى تكوين قاعدة ، وإطلاق طاقة إنتاجية ذاتية يتحقق بموجبها تزايد منظم في متوسط إنتاجية الفرد وقدرات المجتمع ضمن إطار من العلاقات الاجتماعية ، يؤكد الارتباط بين المكافآت والجهد و يعمق متطلبات المشاركة مستهدفا توفير الاحتياجات الأساسية وموفراً لضمانات الأمن الفردي والاجتماعي والقومي .(١)

ويلاحظ على التعاريف السابقة أنها تنطلق من نظرة (علمانية) إذ تفصل بين التنمية والقيم الأخلاقية و أثر العقيدة في نجاح التنمية ، و هذه التعاريف تتجاهل الخصوصية الإسلامية للمجتمع المسلم .

وهناك من يرى أن التنمية هي إشباع الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع ولهذا فهي: ((عملية شاملة تهدف إلى إحداث تغيير حضاري، يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الأساسية —المادية والفكرية والروحية والإبداعية — المتجددة لكل من الفرد والمجتمع على السواء)) .(٢)

ونزيد على هذا التعريف للتنمية فنقول التنمية هي:عملية شاملة تهدف إلى إحداث تغيير حضاري، يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الأساسية —المادية والفكرية والروحية والإبداعية — المتجددة لكل من الفرد والمجتمع على السواء، وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية .

معوقات التنمية الحالية:

لقد بأن عجز التنمية الحالية التي مارستها معظم المجتمعات الإسلامية المعاصر وسبب هذا العجز أن هذه التنمية كانت تحمل في طياتها:

الانحياز الفكري والعقدي والثقافي (الإيديولوجي) للحضارة الأوربية، و لم تكن لها أي صبغة موضوعية أو عالمية التطبيق ، فهي تنطلق من النظام الرأسمالي والديمقراطية الغربية ، و تعزز وجودهما وانتشارهما خارج النطاق الأوروبي مكرسة مفهوم التبعية والانجذاب إلى المركزية الأوروبية ، والتنكر لكل ما هو شخصي أو خصوصية اجتماعية .

إنها تنطلق من تصورات غربية وتأخذ النموذج الأوروبي كنموذج وقدوة يقاس عليه مدى التقدم والنجاح ، و تتجاهل الخصوصيات الأخرى ، و تلغي تميز الآخر بل تنكر وجوده ، وتجعل النموذج الغربي هو الأصل و الأساس الذي تسعى التنمية إلى تحقيقه.

التنمية الحديثة تتجاهل البعد التاريخي و التطور الثقافي للشعوب الأخرى ، وتنطلق من أحادية التاريخ الأوروبي ، و التنكر للتاريخ الإسلامي والإنجازات الحضارية الإسلامية ، وربما عمدت هذه التنمية إلى

1 - أبو طالب محمد سعيد، وأخر، علم التربية العام، مرجع سابق ، ص٤١

2 - علي أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع المسلم، مرجع سابق ص ١٥

محاولة الفصل بين حاضر العالم الإسلامي و تاريخه وتراثه ، بل قد تصل في بعض المجتمعات الإسلامية ان حملت العداء للتاريخ الإسلامي ، و أخذت تبعث تاريخ ما قبل الإسلام لتلك المجتمعات .

محاولة عزل المجتمعات الإسلامية تنمويا بعضها عن بعض ، وربط كل دولة إسلامية باقتصاد إحدى الدول الاستعمارية السابقة ، أو بأحد الأنظمة الشيوعية أو الرأسمالية، مما تسبب في تجزئة الاقتصاد الإسلامي لهذه الدول ، وربما في تكرار نمطية الإنتاج مما يترتب عليه عدم التكافؤ أو قابلية التبادل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، مما يعمق الحاجة الدائمة إلى الاقتصاديات الغربية .

النموذج الغربي للتنمية قائم على تدمير القيم و الأخلاق الإسلامية ، و تعميق قيم الذاتية والأنانية التي عمقت شقاء الإنسان و جعلت منه حيوانا غرائزياً يستغرق في تحقيق شهواته المادية والاستهلاكية غير الضرورية، مما جردته من قيم الحب و الانتماء والإيثار والعدالة، مما يتعارض وأهداف التنمية الإسلامية الرائدة .

تبديدها للثروات الطبيعية ، و للموارد المادية ، و التكلفة الباهضة للإنفاق عليها ، والإسراف في تموينها ، و محاولة استخدامها في تدمير الطبيعة وتخريب البيئة ، و العدوان والظلم والاستبداد، و تنكرها لقيم العدالة و التكافل الإنساني .

خصائص التنمية الفعالة:

يرى الباحث أن من أهم مميزات وخصائص التنمية الفعالة التي يجب الأخذ بها قدرتها على :

- أن تتغلب على التخلف والتبعية والاستغلال ، و تتطلب الربط بين الجانب العقائدي و الحضاري، لأن التنمية ترتبط بالأهداف والغايات التي يحددها المجتمع ، و التي تهدف التنمية أن تصل إليها .
- أن تكون التنمية عملية واعية ومقصودة، وأن الإرادة الإنسانية والتخطيط يلعبان دورا أساسيا في إحداثها .
- أن تكون التنمية عملية شاملة، تتناول جميع جوانب الحياة الإنسانية من روحية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، وسياسية ؛ وإن كان الجانب الاقتصادي يحتل فيها مكاناً بارزاً .
- أن تكون التنمية الإسلامية أخلاقية ، وهذه الأخلاقية تستمد من العقيدة الإسلامية ((فحينما نأخذ بالمنهج الإسلامي للتنمية، سوف نستفيد من هذه الأخلاقية، ونستطيع أن نبعثها في المعركة ضد التخلف ... إن الأخذ بالإسلام أساسا للتنظيم العام، يتيح لنا أن نقيم حياتنا كلها – بجانبها المادي و المعنوي، والروحي والاجتماعي – على أساس وأحد، لان الإسلام يمتد إلى كل الجوانب الحياتية للفرد)) .[1]

1 – عبد الحق الشكيري، التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، كتاب الأمة ع١٧- رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر ١٤٠٨هـ ،ص٣٥

وعلـى هذا يكون هدف التنمية الرئيس تحقيق الرفاهية ، وإشباع الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع سـواء كانـت مادية أو معنوية، و قيل إن الغرض من التنمية هو ترقية الإنسان والمحافظة على البيئة نظيفة طيبـة، و إقامـة مجتمع الرفاهية الإنسانية، ومن أهداف التنمية تحقيق مستوى من التعليم والوعي ينعكس بدوره على السلوك الاجتماعي. وتسعى التنمية إلى سيادة قيم المجتمع (ولعل الأخير) هو المهم في مفهوم التنمية حيث إن تطور نوعية الأداء لدى الأفراد في غياب القيم الاجتماعية يخلق مشاكل لا حصر لها، وهذا ما تعانيه المجتمعات الإسلامية اليوم من انفصال بين التنمية والقيم الاجتماعية (الإسلامية) .

مقومات التنمية في المجتمع الإسلامي:

إن حالة تنمية التخلف التي تعاني منها الأمة المسلمة، والتي تمتد إلى مختلف الأصعدة ، وتؤدي إلى توالي النكسات الحضارية، واتساع الفجوة بين الواقع والهدف و الامكانات، لها أسبابها الكثيرة التي تندرج تحت العـنوان الكبير وهو عدم تحقق الأمة بإسلامها التزاما وانتماءً، واستصحاب قيمه في ضبط مسيرة الحياة ، ولقـد بـرهنت الـتجارب الـتي مرت البلاد الإسلامية بها خلال عقدي الخمسينات والستينات- القرن العشـرين- عن ذلك الفشل الذريع الذي منيت به الفلسفات السياسية والاقتصادية التي تبنتها الأنظمة التي خلفت الحكم الاستعماري، والتي عرفت تطبيق هذه المفاهيم الغربية للتنمية، ويتمثل هذا الفشل في عجزها عن تحقيق التغيير المنشود بعد حصولها على الاستغلال الرسمي .[١]

ونتج عن هذه التبعية أنه ليس هناك غير هذين النموذجين اللذين عليهما ستقوم عملية التنمية ، مما زاد هـذه الأمم والدول انخراطا في التبعية والاعتماد الكلي على المستعمر الأول ، ولكن هذه المرة بطلب من الدول نفسها وبرغبة منها، مما زاد هذه المجتمعات تخلفا وتبعية وقطع مقوماتها الإسلامية وصلتها بماضيها ، ونتج عن هذه التنمية تغير في القيم والأنماط الفكرية والمرجعية .

إن التنمية الإسلامية القائمة على تعاليم الشريعة الإسلامية تهدف دوما إلى تنمية الإنسان وربط العمل بالعـبادة ((إن المنهج الإسلامي هو إن نبذل لجميع الأفراد سبل الحياة الكريمة .. ومادامت التنمية عبادة كما هو الحال في الإسلام فإن ترقية سلوك الإنسان وقيمه تتم بالترقي في سلم العبادة)).[٢]

ومن هنا فإن من مقومات نجاح التنمية في المجتمعات الإسلامية أن يدرك القائمون عليها خصوصيات هـذه المجـتمعات و ارتـباطها بدينها وقيمها وتاريخها المتميز مما يفرض عليها تميزها في برنامجها التنموي المنسجم مع خصوصيتها و تميزها ، ولهذا فإن من مقومات ودلائل نجاح التنمية الإسلامية ما يلي:

- إن المجتمع الإسلامي مجتمع متماسك يساعد على نجاح التنمية.

---

1 -- المرجع السابق ، ص ص١٤-٢٤

2 - إبراهيم عمر – فلسفة التنمية ، مرجع سابق ، ص٥٧

- إنــه مجتمع حرٌّ يضمن لأفراده أشكال الحرية ، من فكرية ، وتعبيرية ، وحرة تملك في إطار مصلحة المجــتمع الاسلامي . قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (المائدة ٠٠٣)

- أنه مجتمع مسئول ، كل فرد فيه مطالب بالمشاركة في تسيير أمور مجتمعه . قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الجمعة ٠١٠)

و قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤ ﴾ (الأنعام ١٦٤)

وآقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ﴾ (فاطر ٠١٨)

- إنه مجتمع تسوده العدالة والمطالبة بالمشاركة
- إنه مجتمع متكافل ، وتعني مسئولية الفرد المسلم والجماعة المسلمة كل منهم إزاء نفسه و إزاء الآخرين قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ (الطلاق ٠٠٧)

- إنه مجتمع عامل ، ويعد العمل فيه أساس الاستخلاف . قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ (الملك ٠١٥)

- أن التنمية في الإسلام يجب أن يستفيد منها جميع أفراد المجتمع وفئاته، وأن تستهدف مصالح الناس، و درء المفاســد ودفع الضرر عنهم، وكفالة ضروراتهم وتوفير حاجاتهم، وترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .[1]

إن التنمية في الإسلام قضية مرتبطة بالتشريع الإسلامي في عموميته وشموله و وسطيته ونظرته للإنسان والكون والحياة ، فهو يوازن بين هذه الأبعاد ، ويقدر لكل واحدة منها قدرها . قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ (الأنعام ٠٣٨)

1 – محمد سلام مدكور، المدخل إلى الفقه الإسلامي،دار النهضة العربية – القاهرة . ص٤٥

التنمية تقوم أساسا على القدرة الذاتية للمجتمع المتمثلة في الاستغلال الأمثل لموارده الطبيعية والبشرية المتاحة، فالتنمية الحقة هي عملية استنبات وليست عملية استيراد . قال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الأنعام ١٤١)

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف ٠٣١)

معيار التنمية الناجحة الحقيقية يتمثل في قدرتها على تمكين أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع من المشاركة في دفعها و توجيهها، وكذلك الانتفاع بنتائجها و ثمراتها . قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر ٠٠٧) [1]

معوقات التنمية في العالم الإسلامي:

هـــناك الكثير من المعوقات التي تقف أمام التنمية في المجتمعات الإسلامية، بعض هذه المعوقات يكون سياســيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو حتى تربويا، يقول (ساري الراوي وزير تربية عراقي سابق):مازالت القـــيادات السياســـية المسئولة عن السياسة التعليمية في بعض الدول ترى في التعليم عملية أقل أهمية من الالتزامات السياسية والاقتصادية المختلفة ، وتعتبر التربية خدمة لا حقا، وهذا الموقف ترك حكومات هذه البلدان تقاسي من أزمات تعليمية حادة دون أن تكون قادرة على التوفيق الرشيد .[2]

ثم إن نظـــام التعليم في البلاد الإسلامية لم يرتبط بالتنمية.ارتباطا علميا ؛ حيث نجد الكثير من طلاب هـــذه النظم يقتصر هدفهم من التعليم الحصول على شهادة أو درجة لا الكفاءة أو القدرة الإنتاجية، حتى يتيسر له الحصول على الوظيفة الحكومية ، ومع هذا لم يحصل هؤلاء الطلاب من هذا التعليم إلا على تغذية بالتبعية بدلا من الأصالة .

ويلاحظ أن طلاب الأقسام الفنية والذين حصلوا على شهادة فنية ومهارات يستطيعون بها إيجاد عمل منـــتجُ يفضـــلون الانتظار والبطالة إلى حين إيجاد الوظيفة الحكومية التي لا تحتاج لهذه المهارة ، وقد يكون

1 – محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧٦-٢٧٧

2 – ساري الراوي – مختارات من مستقبل التربية – اليونسكو– المنظمة العربية للثقافة والفنون. تونس . ص١٨

سـبب ذلـك عدم قدرة الأنظمة التربوية على خلق قيمة لدى الطلاب تدفعه إلى العمل المهني والسعي في تحقيق متطلبات المجتمع الذي هو في حاجة إلى الكفاءات الوطنية المدربة والمتقنة لعملها.

وتفشـي الأمـية في العالم الإسلامي ؛ حيث بلغت نسبا عالية جدا ؛ مما يعيق اندماج هذه الفئة في التنمـية ، أو استفادهم منها بشكل سليم، ولهذا يجب ربط التنمية بنشر التعليم و مكافحة الجهل والأمية و رفع المستوى المعيشي والصحي والبيئي .

وكذلك عدم القدرة على نقل التكنلوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي نقلا إبداعيا يتناسب و قدراتنا وحاجاتنا الأولية وعدم القفز عليها حيث يجب أن لا نغفل الواقع و قابلية الإنسان المسلم لهذه التكنولوجيا وموافقتها لحاجاته الملحة .

((اعـتماد المشـاركة الشعبية في التنمية واعتبارها من قبيل الجهاد لأن التنمية الاقتصادية الإسلامية تشـترط أن يكـون النمو ناتجا من أداء المجتمع ككل، وليس من قطاع منعزل يعتمد على الخبرة الأجنبية، فالتنمية الاقتصادية الإسلامية كعملية حضارية تتركز على قرارات ذاتية راسخة و متطورة .))[1]

التربية والتنمية:

العلاقـة بين التربية والتنمية حقيقةٌ ماثلة للعيان ، فالارتباط بينهما قائم ((فالتربية في أساسها عملية تنموية ، فهي تنمية للفرد والمجتمع وتنمية للمجتمع على السواء، والتربية تخدم الجهود والخطط التنموية في كافة المجالات والأنشطة الإنسانية المادية والمعنوية على السواء، كما أن الجهل يعزز التخلف ، و يعوق تنفيذ خطـط التنمـية وبـرامجها، ولعل الدور الذي يمكن أن تلعبه التربية من خلال مؤسساتها النظامية ممثلة في المدارس والمعاهد والجامعات في تحقيق التنمية الشاملة))[2]

ولهـذا فالتنمـية الناجحة هي التي تنبع من عقيدة وقيم المجتمع المراد تنميتها، و تتمشى مع التغيرات والأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع ، وأن لا تتجاوز هذه التنمية الحاجات الملحة والآنية للمجتمع ، وأن يـتم إعـداد أفراد المجتمع للتفاعل و الاستفادة من هذه التنمية ((فالتنمية بحاجة إلى إطار عقدي عام تشـتق منه الأسس والأهداف التي تحكم وتوجه سيرها، فهي في المجتمع الإسلامي لا بد أن تلتزم بالإسلام ومبادئه ، وتعكس قيمه وخصائصه وتصوراته عن الكون والحياة والإنسان والمعرفة))[3]

---

1 – عبد الحق الشكيري، التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، مرجع سابق ، ص١٤١

2 – محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٨١

3 – علي أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع المسلم ، مرجع سابق ، ص ٥٤

والعـــالم العـــربي و الإسلامي يقف على جبل من المشاكل بعضها تراكم مع مرور الزمن بسبب بعد المسلمين عـــن الإسلام وعن التنافس الحضاري ، والبعض الآخر ساهم في وجوده الأعداء (الاستعمار) والمنـــتفعين من أذنابه ، والبعض الآخر من هذه المشاكل كان حصاد أعمالنا الحاضرة، كل هذا الركام من المعـــوقات ينظر إلى طرق حلها عن طريق التربية والتنمية ، وعلى كلا هاتين المفردتين تتطلع الآمال وتبنى صروح المستقبل.

ولكـــن أي تـــربية وأي تنمـــية يعتمد عليها لتحقيق هذا الحلم ؟ و النظم التعليمية في معظم البلاد الإسلامية بصفة عامة قد أخذت بحذافيرها عن المستعمر إما بالفرض أو الاستعارة ، وهي في حقيقتها غريبة عن الإسلام ، وغير ملائمة للبيئة الإسلامية بوجه عام ، ولا توافق احتياجاتها ، ولقد نتج عن هذه الأنظمة التعليمية أنها أنتجت مجموعة من الأفراد يرفضون العمل في الميدان ، وهذا ما نلاحظه في البلاد الإسلامية ؛ حـــيث الكـــثير من أصحاب المؤهلات العلمية الدقيقة يرفضون الانخراط في الأعمال الميدانية والإنتاجية ، ويفضلون على ذلك الركون إلى الأعمال الحكومية المكتبية (بطالة مقنعة) ، والبحث عن الألقاب والظل الوفير.

إن أهم عامل لقيام التخطيط للتربية هو قناعة القائمين عليها بالتخطيط الاقتصادي ؛ لأن أي تخطيط اقتصادي لا يحقق أهدافه إلا إذا مشى معه جنبا إلى جنب تخطيط تربوي يستجيب للحاجات الاقتصادية ؛ لـــذا فـــإن الإدراك الصـــحيح لهـــذين الموضوعين ضروري في دمج الخطط التربوية بالخطط الاقتصادية والاجتماعية . . [1]

ويلاحظ أن التربية في البلاد الإسلامية كانت وإلى وقت قريب عملية مسرفة تتضمن إهداراً للموارد ، وإن كانـــت ضـــرورية ومفيدة للأقلية الحاكمة أو الصفوة ، وظهرت علاقة مترابطة ووثيقة بين المدرسة والسلطة الحاكمة وبين المدرسة والاحتكار. ولكن هذه العلاقة لم تعد اليوم ذات أهمية إذ أصبحت التربية في الدول المتقدمة عملية إنتاجية واستثمار في رأس المال البشري ، ولا أدل على ذلك من اليابان ذات الموارد الطبيعية القليلة ، ولكنها جعلت الإنسان هدفا استثماريا فنجحت في ذلك نجاحاً باهراً.

إن نظرية حق التعليم لكل مواطن جعلت منه جزءاً أساسيا في التنمية الاقتصادية. يقول ((دينيسون)): إن ظواهر التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي التي حدثت في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان

1 - أبو طالب محمد سعيد، وأخر، علم التربية العام ، مرجع سابق ، ص٤١

تعود إلى الدور الهائل للتعليم في هذه البلدان . ويستخلص إن أكثر من ثلاثة أخماس الدخل الحقيقي يرجع إلى تأثير السياسة التربوية من أجل التنمية القومية .[١]

إن التـــربية هي الطريق الأمثل للقضاء على أغلب المعوقات الاجتماعية ، وهي بدورها تساعد على النمو الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، وتحديث جميع شئون الحياة من أجل رفاهية الإنسان .

يقـــول قدورة : (إن التربية هي أحد العناصر الأساسية لتحقيق التنمية وإن قيمة التعليم لا ينبغي أن تقـــاس فقـــط بنســـبة إضافة الكمية إلى النمو الاقتصادي ، ولكن أيضا بالإشارة إلى دوره في إزالة الفقر والتخفيف من مساوئه ، وزيادة فرص العمل للمواطنين بالإضافة إلى تحسين توزيع الدخل بينهم وإن التعليم له قيمة فردية من حيث زيادة إنتاج المواطن وقيمة اجتماعية من حيث تحسين إنتاجية بقية المواطنين) .[٢]

وتهـــدف التـــربية الإسلامية إلى تنشئة الفرد المسلم المتكامل من جميع جوانب شخصيته ، وفي جميع مراحل نموه من أجل تحقيق السعادة الدينية والدنيوية و تحميه من الضيم أو أي خطر يهدد حياته الدنيوية أو الأخروية وهذا نابع من النظرة الشمولية للتربية الإسلامية.

إن التنمية في التربية الإسلامية تنظر للإنسان وفق تعاليم الشريعة الإسلامية ، فقد راعت مصالح الفرد والجماعـــة ، وحرصت على تحقيق جميع حاجياتهم وتوفيرها لهم على حد سواء وهي تهدف دوما إلى تنمية الإنسان وفق قدراته و تحفظ له حقوقه أمام غيره من أفراد المجتمع ومؤسساته ((إن المنهج الإسلامي هو أن نـــبذل لجمـــيع الأفراد سبل الحياة الكريمة . . ومادامت التنمية عبادة كما هو الحال في الإسلام فإن ترقية سلوك الإنسان وقيمه تتم بالترقي في سلم العبادة)) .[٣]

ومن المعلوم أن علاقة التربية بالتنمية علاقة متبادلة لا يمكن أن نفصل بينهم ومن هنا :

- فـــإن التـــربية تخدم الخطط التنموية في كافة المجالات ؛ حيث إن هدف التربية هو تحويل الأفراد إلى طاقات منتجة، والدول تحتاج إلى مجتمع يحمل قدرا من المعرفة والقيم والمفاهيم التي تمكن أفرادها من التعاون من أجل تحقيق حياة منظمة و رفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- كمـــا أن هذه الدول في حاجة إلى المشاريع التنموية المختلفة التي تتيح أعمالاً جديدة تستلزم شغلها بمهارات فنية و إدارية ، فتسعى التربية لسد هذه المستلزمات ، ولهذا يلقى على عاتق التربية مسؤولية توفير احتياجات المجتمع من أبنائه لسد هذه الوظائف المختلفة.

1 - ا.ف. دينيسون – قياس المساهمة في النمو الاقتصادي،– ترجمة مساري الراوي – المنظمة العربية للثقافة والفنون.تونس . ص١٢٥

2 - عبد الرازق قدورة – التربية والتنمية – المجلة الثقافية – الجزائر ١٩٧٣م ص٢٥

3 - إبراهيم عمر – فلسفة التنمية ، مرجع سابق ، ص٥٧

- كمـــا زادت نظـــرة المفكرين الاقتصاديين إلى الحاجة للاستثمار في رأس المال الإنساني ؛ حيث يعد الإنسان مورد منتج يمكن الاستثمار فيه ٠والتربية تستطيع أن تخلق هذه النظرة وتساعد على تحقيقها٠
- إجـــراء الأبحاث في ميدان التربية ، والقيام بالدراسات لإيجاد الحلول للمشكلات ومعوقات النمو ، والنهوض الحضاري٠
- تشجيع استثمار موارد المجتمع الذاتية إلى أقصى درجة ممكنة بالاعتماد على أبناء المجتمع ٠
- نمـــو الاقتصاد ونجاح التنمية يعزز نجاح التربية و تطورها و ملاحقتها للتطور الحضاري الذي ينشده المجتمع٠

العلاقة المتبادلة بين التربية الإسلامية والتنمية

التـــربية الإسلامية تقوم على تنشئة الإنسان المسلم على الشريعة الإسلامية وإقامة نظامٍ تنموي يمتاز بالشمولية والتكامل و الانسجام مع أحكام الإسلام ، ولهذا فالتربية الإسلامية تسعى إلى:

- تنشـــئة الإنســـان المسلم على العقيدة الإسلامية ، وتخليص هذا النظام –التنمية – من الشوائب التي علقت به، ليتوافق مع النظرة الإسلامية لنظام القيم ، ويناسب طموحات التنمية في المجتمع الإسلامي.
- إيجـــاد قاعدة اجتماعية مسلمة متعلمة واعية مستنيرة ، تستطيع أن تقدم الجهد الواعي للتنمية بضمان حد أدنى من التعليم لكل انسان٠
- تأهـــيل القوى البشرية ، و إعدادها للعمل والإنتاج في كافة قطاعات العمل والإنتاج ، وعلى كافة المستويات٠
- فهـــم التنمـــية باعتبارها عملية إحياء حضاري ، أو بعث حضاري يعني شمولها ، وفيها تتفاعل كافة الأنظمة الاجتماعية وتتحدد فيها الأدوار٠
- إن مسؤولية التربية والتنمية هي تحرير المجتمع الإسلامي من كافة ألوان التبعية٠
- إيجاد قاعدة اجتماعية مسلمة متعلمة واعية مستنيرة تستطيع أن تقدم الجهد الواعي للتنمية بضمان حد أدنى من التعليم لكل انسان٠
- تأهـــيل القوى البشرية ، و إعدادها للعمل والإنتاج في كافة قطاعات العمل والإنتاج ، وعلى كافة المستويات٠
- فهـــم التنمـــية باعتبارها عملية إحياء حضاري ، أو بعث حضاري يعني شمولها ، وفيها تتفاعل كافة الأنظمة الاجتماعية وتتحدد فيها الأدوار٠
- إن مسؤولية التربية والتنمية هي تحرير المجتمع الإسلامي من كافة ألوان التبعية٠[1]

1 – علي أبو العينين التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٥-٢٧

مقومات التنمية الإسلامية :

إن أي تطور حضاري قائم على ركائز ذاتية نابعة من ذات المجتمع نفسه ، ومصبوغة بروحه الحضارية يستحيل فصلها أو استعارتها بدون تلك الروح أو الركائز، ومن هنا فإن التنمية في الفكر الإسلامي لها ركائزها الدائمة والتي تنسجم والأصالة الإسلامية ، ولهذا فالتنمية الإسلامية شقيقة التربية الإسلامية و بينهما من الروابط والركائز ما يستحيل الفصل بينهما، ومن هذه المقومات ما يلي:

- الدين الإسلامي القائم على التوحيد لله تعالى والانقياد لشرعه ٠ لهذا ارتبط منهج التنمية في الإسلام بالعقيدة التي هي مصدر التموين الروحي للمنهج ٠
- التزام المجتمع بهذه الخاصية والانقياد لها والتمسك بتعاليم الإسلام وهديه في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والدولية ٠
- التنمية في المجتمعات الإسلامية يجب أن تقوم على القيم والأخلاق الإسلامية ؛ حيث لابد من أخلاق وقيم يقوم عليها المشروع الحضاري ؛ هذه القيم والأخلاق تحدد سلوكيات الإنسان وعلاقاته الداخلية والخارجية والكونية وهي (وسيلة لبعث الطاقة الروحية الخيرة لدى الأفراد للانتصار على أنفسهم ، والتفاعل مع البيئة بما فيها ومن فيها فضلا عن أنها تبلور رؤى الأمم وتوضح غاياتها) [١]

البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية:اهتم الإسلام بالإنسان وأكرمه و أطلق له حريته وفق شرع الله ، وضمن له حقوقه و الفرد المسلم يعرف حدوده داخل المجتمع الإسلامي ، وأنه عضو بناء في مجتمعه الكبير وأن له مسئوليته في تماسك الأمة وازدهارها وبنائها وترابطها وتقدمها ، وعلى المجتمع أن يكفل للفرد حقوقه ٠((إن ارتباط المنهج الإسلامي للتنمية بما يبثه الإسلام في البيئة الإسلامية من عواطف وأحاسيس، قائمة على أساس مفاهيمه الخاصة كعاطفة الأخوة العامة بين المسلمين، التي تفجر في قلب كل مسلم ينبوعا من الحب للآخرين، والمشاركة لهم في آلامهم وأفراحهم ٠٠)) [٢]

إن الإسلام يعمل على أن تكون التنمية ذات طبيعة شاملة، تتضمن الأبعاد الروحية والمادية للفرد والمجتمع، بما يؤدي إلى تحقيق أقصى رفاهية ونفع للجنس البشري في الدنيا والآخرة في إطار الشريعة الإسلامية ، كما أن الإسلام يعمل على أن تكون التنمية متوازنة ومتكاملة في أبعادها، وأن تأخذ في الاعتبار الجوانب الكمية والنوعية معا، وأن تتم بوسائل وأساليب بعيدة عن الاستغلال وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ٠[٣]

---

1 – إبراهيم عمر — فلسفة التنمية ، مرجع سابق ، ص٥٧

2 – عبد الحق الشكيري، التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، مرجع سابق ، ص٥٩

3 – محمد عبد المنعم عفر، التخطيط والتنمية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٥-١٢٨

نتائج الدراسة

إن رسالة الإسلام الخالدة على طول الزمان وامتداد المكان هي خير موجه للحياة بشتى صورها الفردية والاجتماعية المادية والمعنوية ، وهي خير ما يوجه في ضوئها و على أسسها كافة العلوم والمعارف النظرية والتطبيقية ، و يوجه بها مؤسسات و نظم المجتمع و تقام على منهاجها جميع صور التعاملات و صور الحياة اليومية للفرد والمجتمع والدولة ، ونبذ صور الفكر العلماني و الثقافة الوافدة التي حرص الاستعمار على غرسها في واقع الأمة لتكون له التبعية المطلقة في جميع صور الحياة ٠فصار لزاما على علماء الأمة و مفكريها أن يغرسوا في الأمة الإقتداء والإتباع لشريعة الإسلام في كل صور الحياة وأن يربوا أجيال الأمة على ذلك من أجل إصلاح ما أفسدته الثقافات الوافدة و الأفكار التبعية التي روج لها أذناب وعملاء الاستعمار ٠ وحيث إن علم الاجتماع العام بجميع فروعه وميادينه ومنها علم اجتماع التربية والتي جميعها لصيقة بواقع المجتمع الإسلامي ولها تأثير على حياة الناس ، و خاصة فيما يصدر منها باسم البحوث والتنظيمات و غيرها ، فتجد طريقها للتنفيذ في واقع الناس ، فيجب أن تخضع لشرع الله ، و أن تراعي خصوصية و واقع الإنسان المسلم ٠

إن خصوصية الأمة الإسلامية وريادتها و تميزها يفرض عليها أن يكون لها في مناهجها التربوية وكل ما تقدمه لأبنائها ما يحفظ لها هذه الخصوصية و ما يتوافق و الرسالة التي كلفت بحملها و تبليغها للناس جميعا٠

إن مناهج العلوم الاجتماعية و التربوية مازالت في حاجة كبيرة لتنقيتها مما تحتوى من أفكار و عقائد لا تمت للمنهج العلمي أو الحق بأي صلة ، وهذه في عمومها تتناقض التصور الإسلامي ٠

إن كثيراً من المواضيع والقضايا التي تحتويها كتب ومناهج علم اجتماع التربية لا تتناسب والواقع الإسلامي والاجتماعي للطالب المسلم الموجه له هذا العلم لما يحتويه من مزالق عقدية وأفكار دخيلة تحتم على القائمين على تدريسه إعادة تركيب محتوى هذه المناهج ليتناسب و الواقع الموجه له ٠

إن توجيه علم الاجتماع العام ، وتأصيل بعض قضاياه صار واجبا على المختصين والباحثين القادرين في هذا المجال من أجل تنقيته مما علق به من أفكار تتناقض مع الدين الإسلامي ، ولا تنضوي تحت المنهج العلمي ، بل هي مجرد أوهام و أفكار تفسيرية روج لها باسم الموضوعية العلمية وهي تتهافت أمام المنهج العلمي عندما تجد الباحث الصادق ٠

إن علم اجتماع التربية من العلوم الحديثة التي تعالج كثيراً من قضايا التربية والمجتمع ، و نحن في أمس الحاجة إلى الاستفادة منه في دراسة واقعنا الحالي ، وذلك وفق منهجية و معيارية تتلاءم و واقعنا وخصوصيتنا و قضايانا الخاصة بنا .

إن مسؤولية الكليات و الأقسام الاجتماعية والتربوية توجب عليها إعادة صياغة العلوم التي تقدمها لطلابها و تنقيتها من مبدأ العَلْمانية و التبعية للمناهج الرأسمالية و الماركسية ، واستبدالها بالمنهج الإسلامي .

إن من تقع عليه مسؤولية التوجيه والتأصيل لهذه العلوم يجب أن يكون ملما بالعلوم الشرعية و اللغة العربية إلى جانب التخصص المراد توجهه.

لا حرج على الباحثين من أن يستأنسوا بالمراجع الحديثة في علم اجتماع التربية و خاصة القائمة منها على عمق البحث و التجرد من الأفكار والعقائد الهدامة ، و الهادفة إلى استنباط الحقائق .

إن التربية هي محضن الأمة ، و من خلالها تتشرب الناشئة بوقود العقيدة الإسلامية الخالدة ، وذلك من خلال ميادين التربية المختلفة ، من أجل حفز أجيال الأمة إلى منازلة الأمم الأخرى في كل ميادين الحياة ، والأخذ بأسباب الفلاح ، والنهوض والقضاء على صور الانهزامية والتبعية .

التوصيات

١- وجب حفز الأمة على الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل صور الحياة ،وأنهما المصدران الأساسيان لدراسة كل العلوم – وعلم اجتماع التربية خاصة – وعدم الركون إلى الدعوات المغرضة الهادفة إلى حصر الإسلام في بعض صور الحياة الخاصة فقط ، وإن أخذها بكتب الله وسنة رسوله فيه عزها ونهوضها ورفع الظلم والجور الذي أصابها بسبب البعد عن شرع الله ، وإنه لا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٢- كما توصي الدراسة بالاعتماد في دراسة علم الاجتماع العام وعلم اجتماع التربية خاصة على التوجيه الإسلامي القائم على العقيدة الإسلامية ، والتي هي موجهة لكل العلوم والمعارف في كل العصور ، بما تقدمه من تصور شامل للقضايا ذات الصلة بأصل الإنسان و تكوينه وتاريخه و تاريخ الجماعة الإنسانية و وظيفة كل من الفرد والمجتمع في هذه الحياة الدنيا ، و ربطه بحقيقة عالم الغيب، وإن الله تعالى قد تكفل بهداية الناس إلى ما فيه صلاحهم و سعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة ، وشرع له من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية ما فيه صلاحه وسعادته .هذا التصور الشامل و المتكامل هو الذي يحمي علم اجتماع التربية من الانقياد للتفسيرات المادية المختلفة ، ويجعله صادقا مطابقا للواقع .

٣- ضرورة إعادة صياغة علم اجتماع التربية في ضوء التوجيه الإسلامي لكل مجالات هذا العلم و قضاياه المتعلقة بحقيقة الإنسان و المجتمع و ارتباط نظمه و علاقاته بالتشريع الإسلامي ، والاستفادة مما احتواه الفكر الإسلامي لكثير من القضايا و الظواهر الاجتماعية وحفظته لنا المكتبة الإسلامية ، وذلك من أجل الاستفادة منه في توجيه أهداف و محتوى ومناهج البحث في هذا العلم.

٤- كما توصي الدراسة بعدم تدريس كتب علم اجتماع التربية الذي كتب بأيدي غربيين ، أو اعتمد على الترجمة و الاقتباس منهم دون أن يكون له أي توجيه أو تقويم ، خاصة إن هذه الكتب احتوت على عقائد وأفكار فاسدة تقوم على الإلحاد و إنكار الأديان والأخلاق و جحد الغيب وإنكار البعث، والتركيز على القيم المادية ، -كل هذا له- يقدم لطلاب المرحلة الثانوية و الجامعية الدنيا مما يؤثر سلبا عليهم في عقائدهم وأخلاقهم.

٥- إقامة المعاهد و المراكز الإسلامية التي تقوم بتوجيه العلوم الاجتماعية والتربوية توجيها إسلاميا ، وتشرف على المناهج والمقررات الدراسية التي تقدم في جميع هذه التخصصات و تنقيتها مما تتضمن من مخالفات عقدية أو علمية من أجل حماية الأجيال ، و صيانة العقول من تلك الأخطاء .وكذلك

تقوم بتقديم الاستشارات والخبرات في هذا المجال و خاصة في الجامعة التي تأثرت بالأنظمة والمناهج الغربية .

٦- كما توصي الدراسة بمواصلة توجيه كثيراً من مواضيع علم الاجتماع مثل العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والعلاقات الاجتماعية داخل المدرسة بين المعلمين أو المعلم والطالب ، وكذلك توجيه بعض الأبحاث التي تنطلق من هذا العلم حيث يجب ان تتصف بالمعيارية الإسلامية .

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ	٤٠	العنكبوت	٣١٥
وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ	٦٩	العنكبوت	٢١٨
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا	٢١	الروم	٢٦٩-٢٧١- ٢٧٦
فِطرَةَ اللَّهِ التِي فَطَرَ الناسَ عليها	٣٠	الروم	١٠٢-١٠٣- ٢١٦
وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا	٣٩	الروم	٢٤٤
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ	٥٦	الروم	٢٠٨-٢٢٦
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ	١٢-١٤	لقمان	٢٦٢
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ	١٤	لقمان	٢٧٤
أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى	٢٠	لقمان	٢٢٩
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	٢١	لقمان	٢٥٩
ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ	٧-٨	السجدة	١٥٥-٢٠٣- ٢٦٨
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ	٤	الأحزاب	١٥٢-١٥٩
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا	٣٦	الأحزاب	٢٨٨
ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ	٣٩-	الأحزاب	٤٩-٢١٧
مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟	٦١	الأحزاب	٢١٦
سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ	٦٢	الأحزاب	٢١٩
إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ	٧٢	الأحزاب	٢٩٩
وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ	٦	سبإ	٢٢٦
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ	١٨	فاطر	٢٩٠-٣٢٤
وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ	٢٤	فاطر	٦٣
فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ	٨٥	غافر	٢٣٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ	٢١-٢٤	نوح	٣٢٤
وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ	٨-٩	الإنسان	٢٨١
سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ	١٠٣	الأعلى	٢٢٨
وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ	٨-٩	التكوير	٢٧٩
وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾	١٠	البلد	٢٠٤
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	٤	التين	
ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾	١-٥	العلق	٢١١
وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ	٥	البينة	٢٣٨
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ	٦-٨	الزلزلة	١٥٩

فهرس الأحاديث

المراجع

المراجع

القرآن الكريم وعلومه :

القرآن الكريم .

(١) إسماعيل أبو الفداء عماد الدين بن كثير – تفسير القرآن العظيم- مكتبة المعارف ط الثانية ١٩٧٧م الرياض

(٢) سيد قطب – في ظلال القرآن – دار الشروق – ط التاسعة – القاهرة ١٤٠٠هـ

(٣) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – جامع أحكام القرآن – مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٨١هـ

(٤) محمد بن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – دار المعرفة –بيروت ١٩٨٠م.

(٥) محمد بن جرير الطبري- جامع البيان تأويل القرآن – (تفسير الطبري)- برنامج الألفية – بواسطة الحاسب – شركة العريس للكمبيوتر ٢٠٠١م.

(٦) محمد بن عمر الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير – دار الفكر بيروت –١٩٨٠م.

(٧) محمود الألوسي – روح المعاني – دار الفكر –بدون طبعة –بيروت ١٤٠٧هـ.

كتب السنة النبوية :

(٨) أحمد بن حنبل – مسند الإمام أحمد – دار الفكر – بيروت – د.ت .

(٩) أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي : – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – ت د/ محمود الطحان. مكتبة المعارف – الرياض ١٤٠٣هـ.

(١٠) أحمد بن علي بن حجر – فتح الباري شرح صحيح البخاري – -تحقيق ابن باز ورقمها ، محمد فؤاد عبد الباقي – دار الكتب العلمية – ط الأولى – بيروت ١٤١٠هـ.

(١١) إسماعيل أبو الفداء عماد الدين بن كثير – السيرة النبوية ، بدون بلدة ، دار المعارف. -١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

(١٢) سليمان بن الأشعث الأزدي ، أبو داوُد – سنن أبي داوُد، راجعها محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .(د ت)

(١٣) محسن بن عيسى بن سورة ، الترمذي – سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي . ، بيروت (د،ت)

(١٤) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ،البخاري – صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى أديب البغاء ، دار القلم ، الطبعة الأولى- دمشق ، ١٤٠١هـ

(١٥) محمـــد بن عبد الله الحاكم النيسابوري : — المستدرك على الصحيحين — دار المعرفة ومكتبة المطبوعات الإسلامية — محمد الأمين — بيروت ٠

(١٦) محمـــد بن عيسى بن سورة الترمذي . (د . ت) . الجامع الصحيح ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية ٠

(١٧) مســـلم بـــن الحجـــاج القشيري – صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٣هـــ

(١٨) مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم ، – دار ابن حزم – بيروت –ط الأولى ١٤١٦ هـــ٠

(١٩) يحيى بن شرف النووي – شرح صحيح مسلم – دار القلم – بيروت ط الأولى – د٠ت

مصادر و مراجع اخرى:

(٢٠) ا٠ف٠ دينيسون – قياس المساهمة في النمو الاقتصادي – ترجمة مساري الراوي – المنظمة العربية للثقافة والفنون٠تونس ٠

(٢١) إبـــراهيم أحمـــد عمر – فلسفة التنمية رؤية إسلامية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – أمريكا ط٣ – ١٤١٢هـــ٠

(٢٢) إبـــراهيم البيومـــي غـــانم، وآخـــرون – بـــناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، سلسلة المفاهيم والمصطلحات –المعهد العالي للفكر الإسلامي ١٤١٨هـــ٠ القاهرة ،ح١القاهرة

(٢٣) إبـــراهيم عـــبد الـــرحمن رجب– التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية – دار عالم الكتب - الرياض- ط الأولى ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م ٠

(٢٤) إبـــراهيم عـــبد الـــرحمن رجب، مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة ١٩٩١م مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

(٢٥) إبـــراهيم محمد الشافعي – التربية الإسلامية وطرق تدريسها – مكتبة الفلاح – ط الثانية – الكويت – ١٤٠٤هـــ

(٢٦) إبراهيم مدكور ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتب ١٩٧٥م

(٢٧) إبراهيم ناصر – علم الاجتماع التربوي –دار الجيل – بيروت ط٢ –١٩٨٦م٠

(٢٨) إبراهيم ناصر – مقدمة في التربية – المطابع التعاونية – عمان الأردن –د٠ت٠

(٢٩) إبراهيم ناصر و دلال ملحس استيتية – علم الاجتماع التربوي– عمال المطابع – د ت – عمان الأردن٠

(٣٠) ابـن عيسى باطاهر – فاعلية المسلم المعاصر – سلسلة كتاب الاعتصام ع ١– جمعية الكتاب والسنة – الأردن –كار البيارق – ط، الأولى ١٤١٧هـ عمان –الأردن .

(٣١) أبو الحسن علي الندوي، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي – دار ابن كثير – ط الأولى ١٤٢٠هـ دمشق .

(٣٢) أبـو طالـب محمد سعيد ، و رشاش أنيس عبد الخالق –علم التربية العام ميادينه و فروعه – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت –د.ت

(٣٣) اتحـاد الجامعـات العـربية – الأمانة العامة – سلسلة الندوات – الدراسات الإسلامية –الندوة الأولى للدراسـات الإسـلامية بالجامعات العربية بجامعة أم درمان الإسلامية ١٣٩٨هـ –دار الفكر العربي – القاهرة –١٩٨١م.

(٣٤) أحمـد إبراهيم خضر – اعترافات علماء الاجتماع – سلسلة المنتدى الإسلامي – ط الأولى ١٤٢١هـ لندن .

(٣٥) أحمد إبراهيم خضر ،أسلمة علم الاجتماع ، مجلة البيان، ع ١٥١ – لندن

(٣٦) أحمد الخشاب، الضبط والتنظيم الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٨م .

(٣٧) أحمد المختار – نحو علم اجتماع إسلامي – المسلم المعاصر – ع٤٣–١٩٨٥م–بيروت

(٣٨) أحمد المهدي عبد الحليم – نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي – رسالة الخليج العربي – ع ٢٣–١٤٠٨–١٩٨٧م. مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض..

(٣٩) أحمـد بـن عبد الحليم تقي الدين أبو العباس بن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسـم العاصمة وولده محمد – توزيع دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض– المملكة العربية السعودية . ١٤٠٣هـ

(٤٠) أحمد بن عبد الحليم تقي الدين أبو العباس بن تيمية ، اقتضاء الضراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم –دار عالم الكتب – توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ.

(٤١) أحمـد بـن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث – تحقيق ، نور الدين عتر – دار الكتب العلمية – بيروت –١٣٩٥هـ.

(٤٢) أحمد حجازي – الفكر السوسيولوجي وأزمة التنظير، – المستقبل العربي، ع ١٩٥–١٩٩٥م

(٤٣) أحمد زكي بدوي – معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية – مكتبة لبنان – بيروت .بدون طبعة وتاريخ

(٤٤) أحمـــد علي الشريان – حول أزمة تدريس علم الاجتماع في جامعات الخليج العربي- المسلم المعاصر – العدد ٤٦ – ١٩٨٦م

(٤٥) أحمد فؤاد باشا – في فقه العلم والحضارة – دار المعارف – ط الأولى – القاهرة ١٤٠٣هـ.

(٤٦) أحمـــد فؤاد باشا ،نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة -١٤١٧هـ.

(٤٧) أحمد فؤاد باشا، تصور مقترح لمجالات البحث في فلسفة العلوم برؤية إسلامية، مجلة المسلم المعاصر ع٥٩ سنة١٩٩١م، .

(٤٨) أحمد مجدي حجازي – علم الاجتماع الأزمة تحليل نقدي للنظرية الاجتماعية – دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٨م .

(٤٩) أحمـــد مختار – التفكير الاجتماعي دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، مجلة المسلم المعاصر ع٤٣-١٩٨٥ م-بيروت

(٥٠) أحمـــد مصطفى خاطر و ، محمد بهجت جاد الله كشك – الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في المجال التعليمي . المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ١٩٩٩م

(٥١) ادوارد ويستر مارك – موسوعة تاريخ الزواج – تعريب، مصباح الصدر – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط الأولى ٢٠٠١م – بيروت

(٥٢) إسماعيل بن حماد الجوهري – الصحاح ((تاج اللغة وصحاح العربية)) ،. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين : بيروت ١٤٠٤هـ

(٥٣) إسماعـــيل راجي الفاروقي – العلوم الطبيعية والاجتماعية – ترجمة –عبد الحميد الخريجي- شركة عكاظ للنشر والتوزيع- جامعة الملك عبد العزيز.

(٥٤) إسماعـــيل راجي الفاروقي – صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية – الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي – الرياض – ط الأولى ١٤٠٩هـ

(٥٥) إسماعيل راجي الفاروقي – عبد الحميد أبو سليمان – إسلامية المعرفة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فرجينيا – ١٩٨٦م.

(٥٦) إسماعيل صبري عبد الله – التنمية الاقتصادية العربية ، إطارها ومنحاها القومي – في(دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي)- سلسلة كتب المستقبل العربي رقم (١١) – مركز دراسات الوحدة العربية – ط الثانية – بيروت ، ١٩٨٣م.

(٥٧) أفكار محمد سالم – علم الاجتماع التربوي – المجموعة الإعلامية – ط الأولى ١٤١٤ – ١٩٩٣- جدة.

(٥٨) أمير عبد العزيز – الإنسان في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى . ، بيروت ١٤٠٤هـ.

(٥٩) أميل دوركهايم – التربية الأخلاقية -ترجمة السيد بدوي – مكتبة مصر القاهر-د.ت

(٦٠) إميل دوركهايم – التربية والمجتمع – ترجمة على وطفة – دار دمشق – دمشق -١٩٩٢م.

(٦١) إمـيل دوركهـايم – قواعد المنهج في علم الاجتماع – ترجمة محمود قاسم و السيد محمد بدوي – دار المعرفة الجامعية – مصر ١٩٨٨م

(٦٢) أنور الجندي – أسلمة المناهج والعلوم و بناء منهج البدائل الإسلامية للنظريات والأيديولوجيات والمفاهيم الغربية والوافدة المطروحة في مناهج التربية والثقافة والعلوم – القاهرة – دار الاعتصام .

(٦٣) أنور الجندي – العودة إلى المنابع- دار الاعتصام – القاهرة ١٩٨٤م.

(٦٤) أنـور الجندي – الفصحى لغة القرآن رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة – دار الكتاب – البنان -؟ ١٩٨م

(٦٥) أولفا بنكس – اجتماعيات التربية _ ترجمة د/ محمد على المرصفي،ط الأولى ، بدون دار نشر ١٤٠٩هـ

(٦٦) إيان كريب – النظريات الاجتماعية – ترجمة محمد حسين غلوم – عالم المعرفة عدد٢٤٤ – الكويت.

(٦٧) أيفـو كـثير – – علـم الاجتماع التربوي – ترجمة حسن الفقي – دار القلم – الكويت – ط الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ .

(٦٨) بايونس،- التعليم في العالم الإسلامي – صدر عن مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر – جدة

(٦٩) بايونس، و أخر، مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي –عكاظ للصحافة والنشر – د.ت

(٧٠) بدريـة بنت صالح العرادي: علاقة استقبال البث التلفزيوني المباشر ببعض العوامل التعليمية والقيمية لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الرياض ، ودراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ١٤٢٠- ١٤٢١ هـ

(٧١) برتراندرسـل- حكمة الغرب – ترجمة فؤاد زكريا – الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – ١٩٨٣م.

(٧٢) برغوث عبد العزيز بن مبارك – المنهج النبوي والتغيير الحضاري – سلسلة كتاب الأمة – وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية –قطر – ع ٤٣ رمضان ١٤١٥هـ .

(٧٣) بسامة خالد المسلم – علم الاجتماع التربوي – ذات السلاسل – الكويت-١٩٩٦م

(٧٤) بشير التوم ، تأصيل تربية المعلم، مطابع الصفا – مكة المكرمة -١٤١٠هـ.

(٧٥) بشير التوم —التربية والمجتمع — سلسلة بحوث المؤتمر العالم الأول للتعليم الإسلامي — المركز العالم للتعليم الإسلامي — جامعة أم القرى —مكة المكرمة ١٤٠٣هـ

(٧٦) بلقاسم الغالي — محاولات في تأصيل علم الاجتماع - مجلة شؤون اجتماعية — ع ٦٣ — ١٤٢٠- ١٩٩٩م — تصدر عن جمعية الاجتماعيين — الأمارات العربية المتحدة .

(٧٧) بوتومور — تمهيد علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري و آخرين ، دار المعارف ، ط السادسة ١٩٨٣م

(٧٨) ت. ف. سويفت — اجتماعيات التربية — ترجمة محمد سمير حسانين - مؤسسة سعيد للطباعة — طنطا — مصر - ط الثانية ١٩٧٧م

(٧٩) ج .أو سيبوف ، قضايا علم الاجتماع، دراسة نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي — ترجمة دار المعارف — القاهرة —١٩٧٠م.

(٨٠) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمي، ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية —الرياض ١٤١٣هـ

(٨١) جامعة القاهرة — كلية الآداب — مركز البحوث والدراسات الاجتماعية — مشروع توثيق الإنتاج العربي في علم الاجتماع — قائمة ببليوجرافية مشروحة -١٩٢٤-١٩٩٥م- القاهرة -٢٠٠١م.

(٨٢) جامعة أم القرى — دليل كلية التربية —بمكة المكرمة ١٤١٣هـ.

(٨٣) جامعة أم القرى -المركز العالمي للتعليم الإسلامي: توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربعة .

(٨٤) جان بول ويليم — الأديان في علم الاجتماع — ترجمة بسمة بدران — المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر — بيروت — ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

(٨٥) جعفر شيخ إدريس — إسلامية العلوم و موضوعاته — المسلم المعاصر — ع ٥٠ -١٤٠٨هـ.

(٨٦) جمال محمد الهنيدي— تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى الهجرية — دار الوفاء — ط الأولى ١٤٢١هـ مصر

(٨٧) جورج لاباساد— رينيه لورو — مقدمات في علم الاجتماع — ترجمة هادي ربيع — المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع — بيروت — ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

(٨٨) حامد بن سالم الحربي—التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومناهجها من منظور التربية الإسلامية— منشورات مركز التعليم الإسلامي جامعة أم القرى —بمكة المكرمة١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

(٨٩) حسان محمد حسان وآخرون — الأصول الاجتماعية للتربية — (د.ن) القاهرة ١٩٩١ م .

(٩٠) حسن إبراهيم عبد العال – مهارات البحث التربوي عند الإمام النووي ، رسالة الخليج العربي – ع٢٤-١٤٠٨-١٩٨٧م، مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض.

(٩١) حسن الساعاتي – علم الاجتماع الخلدوني – دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٨٠م بيروت .

(٩٢) حسن الساعاتي ، علم الاجتماع القانوني ، دار نشر الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٥٢م.

(٩٣) حسن الساعاتي ، تطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع في مصر، مجلة الاجتماعية القومية، ع الأول ١٩٦٤م،

(٩٤) حسن أيوب – السلوك الاجتماعي في الإسلام . دار التوزيع والنشر الإسلامية : القاهرة ١٤١٧هـ

(٩٥) حسن حسين البيلاوي – تحرير الإنسان في الفكر التربوي – دراسات في تطور وتصنيف الاتجاهات المعاصرة في علم اجتماع التربية – دار الفكر المعاصر -١٩٨٦م.

(٩٦) حسن حنفي – التراث والتجديد – المركز العربي للثقافة والنشر – ط الأولى ١٩٨٠م القاهرة.

(٩٧) حسن شحاتة سعفان – أسس علم الاجتماع – مكتبة النهضة المصرية – ط الأولى – القاهرة ١٩٥٤م.

(٩٨) حسن همام و آخرون – مدخل إلى علم الاجتماع – دار العلم دبي ١٩٨٢م.

(٩٩) حسين عبد الحميد أحمد رشوان – علم الاجتماع وميادينه – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر – ط الثانية ١٩٩٧م.

(١٠٠) حسين عبد الحميد رشوان – التربية والمجتمع ، دراسة في علم اجتماع التربية – المكتب العربي الحديث – الإسكندرية -٢٠٠٢م.

(١٠١) حسين فهيم – قصة الانثربولوجيا – عالم المعرفة ع٩٨ _ الكويت .

(١٠٢) حكمت العرابي، النظريات المعاصر في علم الاجتماع، مكتبة الخريجي – الرياض، ط الاولى١٤١١هـ

(١٠٣) حلمي صابر، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، المعهد العالمي للفكر إسلامي ،فرجينيا

(١٠٤) حلمي عبد المنعم صابر – منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام _ سلسلة دعوة الحق، ع١٨٣سنة ١٤١٨هـ _ رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة.

(١٠٥) حلمي فودة محمد و عبد الرحمن صالح عبد الله – المرشد في كتابة الأبحاث – جدة – دار الشروق ١٤١٠هـ.

(١٠٦) حمـدي أبو الفتوح عطية – تجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري – عالم الكتب –الرياض -١٤١٤هـ.

(١٠٧) حمدي أبو الفتوح عطيفة – أسلمة مناهج العلوم الدراسية– جامعة أم القرى –مكة المكرمة ١٤٠٦هـ

(١٠٨) حمـدي علـى أحمد – مقدمة في علم اجتماع التربية – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر – ط الأولى ١٩٩٧ م

(١٠٩) خلـف محمـد البحيري – أخلاقيات البحث العلمي في المجالات الاجتماعية رؤية مستقبلية – دراسات تربوية – المجلد ١٠ ج٧٢–١٩٩٤م –سلسلة أبحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة – القاهرة .

(١١٠) خليل الحدري – التربية الوقائية في الإسلام – رسالة ماجستير منشورة – جامعة أم القرى –مكة المكرمة ١٤١٨هـ

(١١١) خمساوي أحمد الخمساوي – الفكر الموسوعي والتوجيه الإسلامي للعلوم الحضارية، – التوجيه الإسلامي لمجال أصول التربية، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – المحور الأول – القاهرة ١٤١٣هـ

(١١٢) دينكن ميشيل – معجم علم الاجتماع – ترجمة إحسان محمد الحسن – منشورات وزارة الثقافة والإعلام – دار الرشيد للنشر – بغداد ١٩٨٠م

(١١٣) ذويقـات عبـيدات – وآخرون – البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه – دار مجدولاوي – الأردن ١٤٠٢هـ

(١١٤) رشـدي أحمد طعيمة – معوقات توجيه العلوم توجيها إسلاميا – – مجلة شؤون اجتماعية – ع ٣٨ – ١٤١٤–١٩٩٤م – تصدر عن جمعية الاجتماعيين – الأمارات العربية المتحدة .

(١١٥) ريـناتا غوروفا، مقدمة في علم الاجتماع التربوي – ترجمة نزار عيون السود – دار دمشق – دمشق – ١٩٨٤م.

(١١٦) رينـيه مونـيه – المدخل في علم الاجتماع – ترجمة . د/ السيد البدوي – دار نشر الثقافة ١٩٥٣م – الاسكندرية.

(١١٧) زكي محمد إسماعيل – نحو الاجتماع الإسلامي– دار المطبوعات الجديدة – القاهرة ١٩٨١م .

(١١٨) زكي محمد إسماعيل ، توجيه العلوم إسلاميا، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – رابطة الجامعات الإسلامية – القاهرة – بالاشتراك مع جامعة الأزهر ١٤١٣هـ.

(١١٩) زيدان عبد الباقي – علم الاجتماع الإسلامي – مطبعة السعادة ط الأولى – القاهرة –.١٩٨٤

(١٢٠) ساري الراوي – مختارات من مستقبل التربية – اليونسكو– المنظمة العربية للثقافة والفنون. تونس.

(١٢١) سامية مصطفى الخشاب – علم الاجتماع الإسلامي – دار المعارف – ط الثانية ١٩٨١م – القاهرة – مصر

(١٢٢) السخاوي أحمد – التوجيه الإسلامي للعلوم – مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – المحور الثاني – القاهرة ١٤١٣هـ .

(١٢٣) سعد مرسي أحمد – تاريخ التربية والتعليم – عالم الكتب – مصر ١٩٧٤م.

(١٢٤) سعد مرسي أحمد – تطور الفكر التربوي- عالم الكتب – القاهرة- ١٩٧٠

(١٢٥) سعيد إسماعيل علي – التوجيه الإسلامي لمجال أصول التربية، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – المحور الثاني – القاهرة ١٤١٣هـ .

(١٢٦) سعيد إسماعيل علي، زينب حسن – دراسات في اجتماعيات التربية – دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة – مصر – ط الثانية ١٩٨٠م.

(١٢٧) سعيد بن سعيد – تنمية وتكوين الأطر حول تدريس علم الاجتماع في مؤسسات التعليم في المغرب، مجلة العلوم الاجتماعية، ج١٤، ع٤ سنة١٩٨٦م

(١٢٨) سعيد شبار – المصطلح ، خيار لغوي ..وسمة حضارية - سلسلة كتاب الأمة – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –قطر – ع ٧٨ رجب ١٤٢١هـ .

(١٢٩) سفر عبد الرحمن الحوالي – العَلْمانية – جامعة أم القرى –مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – مطابع جامعة أم القرى .

(١٣٠) سميرة أحمد السيد – علم الاجتماع التربوي – دار الفكر العربي –ط الثالثة ١٩٩٨م – القاهرة مصر.

(١٣١) سند بن لافي الحربي، التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية، بحث تكميلي لنيل لدرجة الدكتورة من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية بجامعة أم القرى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) والرسالة منشورة

(١٣٢) سيد إبراهيم الجيار – التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية – التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية – مكتبة غريب – القاهرة – ١٩٧٨م.

(١٣٣) السيد أحمد فرج – جذور العَلْمانية ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، ط الخامسة – المنصورة ١٤١٣هـ مصر .

(١٣٤) السيد حنفي عوض – علم الاجتماع التربوي – الأسس النظرية والمجالات التطبيقية – دار القاهرة للنشر – ط الرابعة – القاهرة ١٩٩٨م.

(١٣٥) السيد علي باشا – نظرية علم الاجتماع – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية - بدون ط ١٩٩٣م.

(١٣٦) سيد قطب – خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – دار الشروق – ط السابعة – ١٤٠٢هـ بيروت.

(١٣٧) سيف الدين عبد الفتاح – حول المنهجية الإسلامية :مقدمات و تطبيقات –مجلة المسلم المعاصر – ع ١٠٠سنة١٤٢٢٢هـ .

(١٣٨) سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، المعهد العالمي للفكر إسلامي، ج٢ .

(١٣٩) شبل بدران – وحسن البيلاوي – علم اجتماع التربية المعاصر – دار المعرفة الجامعية – مصر ط الثانية ٢٠٠٠م.

(١٤٠) صالح إبراهيم الصنيع – دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس – عالم الكتب – الرياض ١٤١٦هـ.

(١٤١) صالح أبو عراد الشهري – التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية – مجلة كلية المعلمين – ج٢،ع١، سنة ١٤٢٣هـ –وزارة المعارف – الرياض ١٤٢٣هـ.

(١٤٢) صالح العساف – المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية –كتبة العبيكان – الرياض ١٤١٦هـ

(١٤٣) صالح محمد علي أبو جادو – سيكولوجية التنشئة الاجتماعية – دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – ط الثالثة ١٤٢٣هـ الأردن

(١٤٤) صديق عبد العظيم أبو الحسن – مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت – ع ٣١ ذو القعدة ١٤١٧هـ الكويت .

(١٤٥) صلاح العيد – علم الاجتماع التطبيقي – دار التعاون للطبع والنشر ١٩٧٢م القاهرة.

(١٤٦) صلاح الفوال – المقدمة لعلم الاجتماع العربي الإسلامي – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٨٢م.

(١٤٧) صلاح الفوال – علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق – دار الفكر العربي – ط الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م . القاهرة .

(١٤٨) صلاح الفوال – علم الاجتماع في عالم متغير –دار الفكر العربي – ط الأولى – القاهرة ١٤١٦هـ.

(١٤٩) صلاح عيد حماد شبير – تصور جديد لتنظيم دراسة مادة الأصول الإسلامية للتربية – ماجستير – جامعة أم القرى – كلية التربية – ١٤٠٢هـ

(١٥٠) صلاح قنصوة – الموضوعية في العلوم الإسلامية عرض ونقد لمناهج البحث – دار الثقافة –القاهرة – ١٩٨٠م.

(٢١٣)علي خليل أبو العينين – دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية، – مكتبة إبراهيم حلبي المدينة النبوية

(٢١٤)علي خليل أبو العينين – منهجية البحث في التربية –– رسالة الخليج العربي – ع٢٤–١٤٠٨–١٩٨٧م. مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض.

(٢١٥)علي خليل مصطفى أبو العينين – أهداف التربية الإسلامية – مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر – . مكتبة إبراهيم حلبي : المدينة المنورة١٤٠٨هـ .

(٢١٦)علي طاهر شرف الدين ، تأصيل المعرفة أسسه وأهدافه، مجلة التأصيل، وزارة التعليم العالي الخرطوم، ع٦

(٢١٧)علـي عـبد الحليم محمود – التربية الاجتماعية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ط الأولى ١٤٢٢هـ القاهرة .

(٢١٨)علي عبد الواحد وافي ، الأسرة و المجتمع ، دار النهضة – ط الثامنة (د.ت) مصرص١٦١

(٢١٩)علـي محمد شلتوت – علم الاجتماع التربوي – مطبعة جامعة الإسكندرية – الإسكندرية –ط الأولى– ١٩٧٠م – مصر.

(٢٢٠)علياء شكري – علم الاجتماع الفرنسي المعاصر – دار الكتب للتوزيع – القاهرة ١٩٧٩م

(٢٢١)عماد الدين خليل – شيء عن الفكر الوضعي ، مجلة المسلم المعاصر ، عدد٣٩ ، عام ١٤٠٤ هـ

(٢٢٢)عماد الدين خليل – إسلامية المعرفة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط٣ – ١٤١٢هـ أمريكا.

(٢٢٣)عماد الدين خليل – حول تشكيل العقل المسلم – المعهد العالم للفكر الإسلامي –فرجينا –١٤٠١هـ

(٢٢٤)عمر فروخ ، وآخرون– تاريخ العلوم عند العرب – دار النهضة العربية –بيروت ١٤١٠هـ

(٢٢٥)عمر محمد التومي الشيباني – الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب – المنشأة العامة للنشر والتوزيع – ليبيا ١٤٠٦هـ.

(٢٢٦)غريب سيد أحمد – تاريخ الفكر الاجتماعي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية– ١٩٨٨م.

(٢٢٧)غريب سيد أحمد – علما الاجتماع وقضايا الإنسان – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية– ١٩٨٩م

(٢٢٨)غريب سيد أحمد و آخرون – المدخل إلى علم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية – مصر – ١٩٩٦م

(٢٢٩)فؤاد البهي السيد – علم النفس الاجتماعي – دار الفكر العربي – ط الثانية –١٩٨١م – القاهرة .

(٢٣٠)فادية الجولاني – علم الاجتماع التربوي –مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٦م القاهرة.

(٢٣١)فادية عمر الجولاني – التغيير الاجتماعي – دار الإصلاح للطباعة والنشر – الدمام –السعودية ١٩٨٤م.

(٢٣٢) الفــاروق زكي يونس – الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي – عالم الكتب- ط الثانية – القاهرة – ١٩٧٨م.

(٢٣٣) فاروق عبد السلام، – بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية –مكة المكرمة – ط١ ١٤٠٠هـ

(٢٣٤) فاطمة إسماعيل محمد – القرآن والنظر العقلي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي -١٩٩٢م.

(٢٣٥) فايز مراد دندش – علم الاجتماع التربوي – دار الوفاء لطباعة والنشر – د ت – الإسكندرية . مصر .

(٢٣٦) فتحي أبو العينين – علم الاجتماع في الأقطار العربية الخليجية – المستقبل العربي، ع ١٧٥-١٩٩٣م.

(٢٣٧) فخري رشيد خضري – تطور الفكر التربوي – الإحساء –دار الرشيد ط الأولى ١٤٠٢هـ

(٢٣٨) فردريك معتوق – منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٨٥م.

(٢٣٩) فضـيل دليو – علم الاجتماع الغربي وثنائية النظرية – إسلامية المعرفة –ع١١-١٤١٨-١٩٩٨- المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فرجينيا .

(٢٤٠) فيليب فينكس، – فلسفة التربية- ترجمة محمد لبيب– مكتبة مصطفى حلبي – القاهرة –١٩٨٧م

(٢٤١) كمال عبد الحميد زيتون – نحو صيغة إسلامية لمناهج العلوم في المجتمع العربي الإسلامي، مؤتمر بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، الأردن ١٤١١هـ .

(٢٤٢) لطفي بركات أحمد – في الفكر التربوي الإسلامي – دار المريخ – الرياض ط الأولى ١٤٠٢ هـ

(٢٤٣) ليفـي بـريل – فلسفة أوجست كونت – ترجمت محمود قاسم ،و سيد بدوي – مكتبة الانجلو المصرية ١٣٧١هـ القاهرة .

(٢٤٤) ماجـد عرسـان الكـيلاني – أهداف التربية الإسلامية ، مكتبة التراث ، الطبعة الثانية- المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

(٢٤٥) مازن المطبقاني – الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام – دار اشبيليا- ط الأولى –الرياض ١٤٢١هـ.

(٢٤٦) مالك بن نبي – أفاق جزائرية – ترجمة الطيب الشريف – مكتبة النهضة الجزائرية (د. ت).

(٢٤٧) مالك بن نبي – ميلاد مجتمع – ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر ١٤٠٦هـ دمشق .

(٢٤٨) مجمـع اللغة العربية – المعجم الوسيط ، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث ، مطابع دار المعارف: القاهرة.١٣٨٠هـ .

(٢٤٩) محسن عبد الحميد – تجديد الفكر الإسلامي – دار الصحوة . (د، ت) الأردن

(٢٥٠) محسـن عبد المجيد – الإسلام والتنمية الاجتماعية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط ١ –١٤٠٩هـ – أمريكا

(٢٥١) محمد إبراهيم الفيومي – قضايا في الاجتماع الإسلامي – مكتبة الانجلو المصرية – د ت–مصر .

(٢٥٢) محمد أبو زهرة ، الشيخ– تنظيم الإسلام للمجتمع ، دار الفكر العربي . مصر –١٣٨٥هـ .

(٢٥٣) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٨٩م.

(٢٥٤) محمـد أبـو يحيى، وآخـرون – الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر – دار المناهج للنشر والتوزيع – ط الثالثة ١٤٢٢هـ – الأردن .

(٢٥٥) محمد أحمد البيومي – أسس و موضوعات علم الاجتماع – دار المعرف الجامعية–القاهرة ٢٠٠١م

(٢٥٦) محمد أحمد البيومي – علم الاجتماع الديني – دار المعرفة الجامعية –ط الثانية– القاهرة ١٩٨٥م .

(٢٥٧) محمـد أحمـد الزعبي – التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي و علم الاجتماع الاشتراكي – سلسلة : السياسة والمجتمع – دار الطليعة – ط الأولى –بيروت ١٩٧٨م.

(٢٥٨) محمد ألا فندي – نحو مناهج إسلامية – جامعة أم القرى – مكة ط١– ١٤٠٣هـ

(٢٥٩) محمد الدقس – التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق – دار مجدلاوي –ط الثانية ١٤١٧هـ الاردن.

(٢٦٠) محمد الزحيلي – التكريم الإلهي للإنسان– دار القلم –ط الأولى – دمشق –١٤١٥هـ

(٢٦١) محمد السيد سلطان – مقدمة في التربية . دار الشروق : جدة١٤٠٣هـ

(٢٦٢) محمـد العـبدة، معـالم حـول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، مجلة البيان، ع١–السنة الأولى –المنتدى الإسلامي – لندن –١٤٠٦هـ.

(٢٦٣) محمد المبارك – المجتمع الإسلامي المعاصر – دار الفكر –ط الخامسة– بيروت ١٤٠٠هـ

(٢٦٤) محمد المبارك – نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع – مجلة المسلم المعاصر – ع١٢–سنة١٣٩٧هـ.

(٢٦٥) محمد أمحزون – منهج التفسير التاريخي قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها (١)– مجلة البيان /ع٧٥ –١٤١٤هـ

(٢٦٦) محمد أمحزون، العلم بالسنن الربانية (٢من٢)، مجلة البيان ع٦٦، ١٤١٨هـ

(٢٦٧) محمـد امـزيان –مـنهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – أمريكا–ط١– ١٤١٢ هـ.

(٢٦٨) محمـد امـزيان، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية ،المعهد العالم للفكر الإسلامي –سلسلة المنهجية الإسلامية (١٢) – القاهرة ١٤١٧هـ -

(٢٦٩) محمد امزيان، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية –مجلة البيان – المنتدى الإسلامي بلندن – ع٧٥ –١٤١٤هـ .

(٢٧٠) محمـد أمـين عثمان – المنطلقات الأساسية في التربية بحث مقارن – دار البيارق – ط الأولى١٤٢١هـ الأردن .

(٢٧١) محمد بدري، التوجيه الإسلامي الشامل، مجلة البيان، ع ٥٧ –١٤١٣هـ

(٢٧٢) محمـد بـن إبراهيم السيف . المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٢٤هـ

(٢٧٣) محمـد بـن أبي بكـر ، الرازي – مختار الصحاح ، تحقيق مصطفى ديب ، دار اليمامة ، الطبعة الثانية . الرياض –١٤٠٧هـ

(٢٧٤) محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية – تحفة المودود بأحكام المولود . تحقيق عبد القادر الارناؤوط . مكتبة دار البيان : دمشق ١٤٠٧هـ

(٢٧٥) محمـد بـن محمـد أبـو حامد الغزالي – إحياء علوم الدين . دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٠٦هـ.

(٢٧٦) محمد بن مكرم الأنصاري ، ابن منظور : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف ، الطبعة الثالثة – مصر ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

(٢٧٧) محمد بن يعقوب الفيروز أبادي – القاموس المحيط ، ج ١ ،المطبعة الحسينية المصرية : القاهرة ١٣٣٠هـ

(٢٧٨) محمـد جميل خياط– الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ،ضمن كتاب سلسلة البحوث التربوية والنفسية – جامعة أم القرى –مكة المكرمة –١٤٠٧هـ.

(٢٧٩) محمد جميل علي خياط – ، الجامعات الإسلامية دراسة مسحية تحليلية تقيمية .مطابع الصفا – ط الأولى – مكة المكرمة –١٤١٤هـ.

(٢٨٠) محمد حامد الاحمري، نهاية الاستشراق القديم وبداية عهد جديد، مجلة البيان، ع ٨٧، ١٤١٥هـ

(٢٨١) محمد حامد الأفندي – نحو مناهج إسلامية ، مركز التعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة – الطبعة الأولى١٤٠٣هـ

(٢٨٢) محمد رشاد خليل – علم النفس الإسلامي – دار العلم – الكويت –ط١–١٤٠٤هـ

(٢٨٣) محمد رفقي عيسى - - نحو أسلمة علم النفس - المسلم المعاصر - العدد ٤٦ - ١٩٨٦م .

(٢٨٤) محمد زياد حمدان - الأسرة في المجتمع-، دار التربية الحديث، ط الأولى. ١٤١٠هـ عمان الأردن

(٢٨٥) محمد سلام مدكور، المدخل إلى الفقه الإسلامي،دار النهضة العربية - القاهرة .

(٢٨٦) محمد شحات الخطيب وآخرون - أصول التربية الإسلامية . دار الخريجي للنشر والتوزيع : الرياض ١٩٩٥م

(٢٨٧) محمد شقرون - الظاهرة الدينية كموضوع للدراسة الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية -١٩٩٠ بيروت .

(٢٨٨) محمد صامل السلمي - منهج كتابة التاريخ الإسلامي - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط الأولى - الرياض - ١٤٠٦هـ.

(٢٨٩) محمد عاطف . - التغير الاجتماعي والتخطيط - دار المعارف - ط الثانية ١٩٦٦م القاهرة .

(٢٩٠) محمد عاطف غيث - علم الاجتماع ج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.

(٢٩١) محمد عاطف غيث - قاموس علم الاجتماع - الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٧٩م.

(٢٩٢) محمد عبد الستار نصار- كيف نوجه العلوم نحو الإسلام - مؤتمر التوجيه الإسلامي، القاهرة - ١٤١٣هـ

(٢٩٣) محمد عبد الله دراز - الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية - دار العلم -

(٢٩٤) محمد عبد الهادي - اجتماعيات التربية - دار العلوم العربية - ط الأولى - بيروت ١٤٢٤هـ.

(٢٩٥) محمد عزت حجازي - الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، نحو علم اجتماع عربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٨٦م.

(٢٩٦) محمد عزت حجازي - نحو علم اجتماع عربي - مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٠م

(٢٩٧) محمد عطف غيث ، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، - دار الشروق - جدة - ط الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢٩٨) محمد عطية الابراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٩م.

(٢٩٩) محمد علوان - مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع - دار الشروق - جدة - ط١ ١٤٠٤هـ.

(٣٠٠) محمد علي أبو جادو - سيكولوجية التنشئة الاجتماعية . دار المسيرة للنشر والتوزيع : عمان ١٤١٨هـ

(٣٠١) محمد على محمد - علم الاجتماع والمنهج العلمي- دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ط٣- ١٩٨٣

(٣٠٢) محمــد على محمد المرصفي – مقدمة في أصول التربية – دار المجتمع – ط الأولى – جدة – السعودية – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م

(٣٠٣) محمــد عيسى فهيم، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب، ضمن كتاب سلسلة البحوث التربوية والنفسية – جامعة أم القرى –مكة المكرمة

(٣٠٤) محمد فؤاد حجازي – النظريات الاجتماعية –مكتبة وهبة – مصر – ط الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

(٣٠٥) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين – مطبعة النهضة الأدبية – د.ت – القاهرة

(٣٠٦) محمد قطب – دراسات في النفس الإنسانية – دار الشروق –بيروت ط ٥ – ١٤٠١هـ.

(٣٠٧) محمد قطب – حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية – دار الشروق – القاهرة ١٤١٨هـ.

(٣٠٨) محمد قطب – دراسات في النفس الإنسانية – دار الشروق –بيروت – ١٤٠١هـ.ط٥

(٣٠٩) محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة – دار الشروق – القاهرة – ط الاولى.

(٣١٠) محمد قطب – منهج التربية الإسلامية .ج١،ج٢ ، دار الشروق : بيروت .١٤٠٣هـ

(٣١١) محمد لبيب النجيحي – مقدمة في فلسفة التربية – دار النهضة العربية – بيروت١٩٩٢م

(٣١٢) محمد لبيب النجيحي – الأسس الاجتماعية للتربية – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة –١٩٧٨م.

(٣١٣) محمــد محمــود حجازي – الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم – دار الكتاب الحديث – القاهر ط١ – ١٣٩٠هـ

(٣١٤) محمد منير مرسي– تاريخ التربية في الشرق والغرب– دار الكتب العلمية– القاهرة .د.ت

(٣١٥) محمد منير مرسي، فلسفة التربية،تجاهات ومدارسها ، عالم الكتب – القاهرة ١٩٩١م

(٣١٦) محمد نصر عارف ، مقدمة (محرر) قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – القاهرة –١٤١٧هـ

(٣١٧) محمد هادي العفيفي – و آخرون – التربية ومشكلات المجتمع – ط٢– ألا نجلو المصرية ١٩٧٣م.

(٣١٨) محمد وصي خان – التربية والمجتمع في العالم الإسلامي – دار عكاظ للنشر والتوزيع – جدة – السعودية – د ت.

(٣١٩) محمــود أبــو السعود، المنهجية للعلوم السلوكية الإسلامية، سلسلة المنهجية الإسلامية (٢) ج٢ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة –١٤١٧هـ

(٣٢٠) محمود السيد سلطان – مقدمة في التربية – دار المعارف –ط السادسة – القاهرة ١٩٨٦م

(٣٢١) محمود الكردي – الانحراف في العلم – مجلة شؤون اجتماعية – ع ٣٠ –١٤١١–١٩٩١م – تصدر عن جمعية الاجتماعيين – الأمارات العربية المتحدة

(٣٢٢) محمود عوده – أسس علم الاجتماع، شركة ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

(٣٢٣) محمود عوده، أسس علم الاجتماع، دار المعارف – القاهرة (د.ت)

(٣٢٤) مدحت أبو النصر – تأصيل العلوم، المفهوم والخطوات – مجلة شؤون اجتماعية – ع ٧٠ – ١٤٢٢–٢٠٠١م – تصدر عن جمعية الاجتماعيين – الأمارات العربية المتحدة

(٣٢٥) المركز العربي للدراسات الأمنية – مختصر الدراسات الأمنية ١، ٢، ٣، ٤، لعام ١٤٠٦هـ، ١٤١٠هـ.الرياض

(٣٢٦) المركز العربي للدراسات الأمنية "محاضرات"البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة – لعام ١٤٠٨هـ.

(٣٢٧) المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب (١٤١٠هـ) الثقافة الأمنية ، سلسلة محاضرات (١٤٠٨هـ) ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب .

(٣٢٨) مصطفى الخشاب – علم الاجتماع الإسلامي – دار المعارف –ط الثانية – القاهرة ١٩٨١م.

(٣٢٩) مصطفى الخشاب – علم الاجتماع ومدارسه – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط الأولى ١٩٧٩م .

(٣٣٠) مصطفى الشكعة – الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – ط الأولى ١٤٠٦هـ.

(٣٣١) مصطفى أمين – تاريخ التربية – مطبعة المعارف – مصر ط الأولى ١٣٤٤هـ.

(٣٣٢) مصطفى صبري – موقف العقل والعلوم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين – دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٣٣٣) مصطفى عبد الواحد – الأسرة في الإسلام – مكتبة المتنبي – ط٢ – ١٣٩٢هـ الرياض.

(٣٣٤) مصطفى عشوي – نحو تكامل العلوم الاجتماعية والعلوم الشرعية –مجلة التجديد –ع٢–١٤١٨–١٩٩٧م – الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا .

(٣٣٥) مصطفى محمد متولي وآخرون – المدرسة والمجتمع – دار الخريجي للنشر والتوزيع –١٩٩٣م –الرياض.

(٣٣٦) مصطفى محمود حوامدة ، التنشئة الاجتماعية في الإسلام. دار الكندي للنشر والتوزيع الأردن ١٤١٥هـ

(٣٣٧) معن خليل عمر – معجم علم الاجتماع المعاصر –دار الشروق – ط الأولى – الأردن– ٢٠٠٠م

(٣٣٨) معن خليل عمر – نحو علم اجتماع عربي – منشورات وزارة الثقافة العراقية – ١٩٨٤م.

(٣٣٩) المعهد العالمي للفكر الإسلامي – أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام – ١٤١٧ هـ امريكا.

(٣٤٠) المعهـد العالمـي للفكـر الإسلامي – التوجيه الإسلامي الرابع للعلوم لاجتماعية – سلسل ط الأول ى ١٤١٧هـ – أمريكا.

(٣٤١) المعهـد العالمـي للفكر الإسلامي – التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية المنهج والمجالات – ط الأولى ١٤١٧هـ – فرجينيا.

(٣٤٢) المعهد العالمي للفكر الإسلامي – المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية التربوية – ثلاثة أجزاء – ط الأولى ١٤١٢هـ – فرجينيا .

(٣٤٣) المعهـد العالمـي للفكر الإسلامي – قضايا المنهجية الإسلامية في العلوم الإسلامية و الاجتماعية – ثلاثة أجزاء – ط الأولى ١٤١٧هـ – فرجينيا .

(٣٤٤) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة، سلسلة إسلامية المعرفة (١)

(٣٤٥) مقـداد بـالجن : التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة مطابع الفرزدق – ط الأولى–الرياض – ١٤٠٨هـ

(٣٤٦) مقداد يالجن – أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون – دار عالم الكتب – ط الأولى–الرياض – ١٤١٦هـ

(٣٤٧) مقداد يالجن – التربية الأخلاقية في الإسلام مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٧م ،

(٣٤٨) مقداد يالجن – أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، دار الهدى ، الطبعة الثانية . ، الرياض ١٤٠٩هـ

(٣٤٩) مقداد يالجن – بناء البيت السعيد– دار المريخ، ط الأولى ١٩٨٧م، الرياض

(٣٥٠) مكـتب التـربية العربي لدول الخليج (١٤٠٤هـ–١٩٨٤م) الأهداف التربوية والأسس للمناهج بدول الخليـج العربية ، المقرر من المؤتمر السابع لوزراء التربية ، سلطنة عمان ١٤٠٣هـ ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج .

(٣٥١) ملكة ابيض – علم الاجتماع التربوي – مطابع مؤسسة الوحدة – جامعة دمشق – دمشق ١٩٨٢م

(٣٥٢) مـناع خليل قطان – مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم – أهدافه وأسسه العامة – مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم – القاهرة – ١٤١٣هـ.

(٣٥٣) منصور زويد المطيري – الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع – الدواعي و الامكان – سلسلة كتاب الأمة رقم ٣٣ – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر –١٤١٣هـ.

(٣٥٤) المنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم (١٩٨٩م) استراتيجية تطوير التربية العربية ، تقرير لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية ، تونس ، الناشر المنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم ، الطبعة الأولى . ١٩٧٩م .

(٣٥٥) منى عبد المنعم أبو الفضل – النظرية الاجتماعية المعاصرة، نحو طرح توحيدي – إسلامية المعرفة –ع٦– ١٤١٧–١٩٩٦– المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فرجينيا

(٣٥٦) منير مرسي سرحان – في اجتماعيات التربية – مكتبة الانجلو المصرية – ط٣ – القاهرة –١٩٨٢م.

(٣٥٧) مهنا حداد – مدخل إلى العلوم الاجتماعية – دار مجدلاوي – ط الأولى – عمان – الأردن – ١٤١٦هـ.

(٣٥٨) موريش أيفور ،علم الاجتماع التربوي – ترجمة حسن الفقي – دار العلم للنشر والتوزيع ١٩٩٣م

(٣٥٩) نازلي أحمد صالح – التربية والمجتمع– القاهرة مكتبة ألا نجلو المصرية ١٩٧٨م

(٣٦٠) ناصر ثابت – دراسات في علم الاجتماع التربوي – مكتبة الفلاح – ط الأولى ١٤١٢هـ –الكويت .

(٣٦١) نبيل السمالوطي – التوجيه الإسلامي و صراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية –مصر – ط الأولى –١٩٩٦م.

(٣٦٢) نبيل السمالوطي – المنهج الإسلامي في دراسة علم الاجتماع – دار الشروق – ط الأولى – القاهرة – ١٤٠٠هـ

(٣٦٣) نبيل السمالوطي – بناء المجتمع الإسلامي – دار الشروق –جدة ط٢–١٤٠٨هـ.

(٣٦٤) نبيل عبد الهادي – علم الاجتماع التربوي – دار اليازوري – عمان –الأردن ط الأولى ٢٠٠٢م

(٣٦٥) نورة خالد السعد – التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ط الأولى ١٤١٨هـ جدة – السعودية

(٣٦٦) نيقولا تيماشيف – نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها – ترجمة محمد عودة وآخرون – دار المعارف ط السابعة– القاهرة – ١٩٨٧م.

(٣٦٧) هاشم صالح – العلم والأيمان – كتاب الرياض – جريدة الرياض العدد –٥١– ١٩٩٨م .

(٣٦٨) و إبراهيم رجب، منهجية التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، دار عالم الكتب - الرياض- ط الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

(٣٦٩) وزارة المعارف – مقرر علم الاجتماع– للصف الثالث ثانوي –السعودية - ١٤١٣هـ

(٣٧٠) وليم كلباتريك – المدينة المتغيرة – ترجمة عبد الحميد السيد وآخرين – مكتبة مصر ١٩٥٨م القاهرة

(٣٧١) يحيى بن شرف النووي- المجموع شرح المهذب – دار الفكر – بيروت .

(٣٧٢) يوسف القرضاوي – الخصائص العامة للإسلام – مكتبة وهبة – مصر – ١٩٧٧م .

(٣٧٣) يوسف القرضاوي- الرسول والعلم – مؤسسة الرسالة-ط٧-١٤١٤هـ بيروت.

المواقع الالكترونية على الشبكة العنكبوتية

(٣٧٤) جامعة الجزائر :

http://www.univ-alger.dz/arabic/FaculteHumainespsycho.htm

(٣٧٥) جامعة مللك فيصل كلية التربية :

www.kfu.edu.sa/Colleges/college5/college5-24-2.asp

(٣٧٦) جامعة حلب www.alepuniv.shern.net/fac/edu/5.htm - 101k

(٣٧٧) جامعة العلوم التكنلوجيا اليمنية http://dl.ust.edu/sguide/plan_k.php

(٣٧٨) جامعة بيروت العربية

(٣٧٩) http://www.bau.edu.lb/bau/faculties/Arts/sociocurri_a.html

(٣٨٠) جامعة الملك خالد :

/www.kku.edu.sa/CollagesAndInstitutes/EducationCollage
Psychology/Subjects.asp

(٣٨١) جامعة الملك فيصل

http://www.kfu.edu.sa/Colleges/college5/college5-24-2.asp

(٣٨٢) جامعة الملك سعود http://www.ksu.edu.sa/

(٣٨٣) جامعة الكويت :

https://www.kuniv.edu/servlet/page?_pageid=70,1205,1225&_dad=portal30&_schema=PORTAL

(٣٨٤) حسنين محمد تقي، فقه المصطلحات، الانترنت

www.balagh.com/mosoa/fonon/2b0055a3.htm - 45k

(٣٨٥) علي عبد ألعال، العَلْمانية،

khttp://www.albargothy.net/deeen/alferaq/elmaneya.htm - 45

(٣٨٦) محمد مهدي شمس الدين – العَلْمانية

www.balagh.com/mosoa/marah/nn0rpzuc.htm - 28k

المراجع الأجنبية

(387) Dreeban, R.(1971) "Contemporary Views on Education" The Encyclopedia of Education, Vol.8,

(388) Parelius, Ann P. and Parelius Robert J (1978) The Sociology of Education , Prentice Hall Inc

(389) Brook over , Wilbur, B (1949)" Sociology of Education: A Definition" American Sociological Review, 14june,407-15.

(390) Ballantine ,Jeanne. The sociology of Education. A Systematic Analysis, New York , Prentice Hall, Inc. Englewood Cliffs. 1983.

(391) A.Dawe. "The Two sociologies" British Journal of sociology (Vol11,No.2) 1970.

(392) I, Red, Sociological Perspectives on School and Education, London: Open Books. 1980.